ستانفورد ج. شو

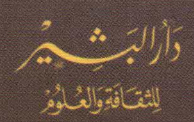


يهود الدَّولة العُثْمَانية و الجمهوريَّة التركية

Jews of the Ottoman Empire and the Turkish Republic

تَرْجَمة و تَقْدِيم و تَعْلِيق

أ . د / الصفصافى أحمد القطورى



يهود

الدَّولة العُثْمانية
و الجمهوريّة التركية

- الكتاب يعتبر موسوعة علمية تاريخية ، جمع فيها المؤلف بين التاريخ والعلم وفلسفة السرد فى صورة تأريخية جيدة.
- الكتاب تحتاجه المكتبة العربية اليوم بشيئ من الإلحاح؛ لما يكتنف العالم العربى من تبعية للغرب اليهودى ، ومن جهل مطبق بدور العثمانيين وتاريخهم الحضارى والريادى فى حكم العالم لمدة لا تقل عن ٦٠٠ عام
- والسبب الذى دعى دار البشير لنشر هذا الكتاب أنه ليس عربىّ التأليف ، ولكنه مترجم ، وهذا فى حد ذاته يعطى مصداقية للموضوع ويضعه فى مصاف أمهات الكتب ، بل والمراجع العلمية التى يرجع إليها طلبة العلم.

تصميم الغلاف أحمد الخولي ٠١٠٠٥٨٣٣٨٥٢



دار البشير للثقافة
01012355714 - 01152806533
darelbasheerealla@gmail.com
darelbasheer@hotmail.com

يهود

الدولة العثمانية والجمهورية التركية

ستانفورد ج. شو

ترجمة وتقديم وتعليق

أ.د/ الصفصافي أحمد القطورى

دار البشير
للثقافة والعلوم

اسـم الكتـاب: يهود الدولة العثمانية والجمهورية التركية
التـأليــف: ستانفورد ج. شو
موضوع الكتـاب: سياسة
عـدد الصفحات : 428
عـدد المـلازم : 26.75
مقاس الكتـاب : 17 × 24
عـدد الطبعـات : الطبعة الأولي
الإيداع القانوني : 2015/3451
الترقيم الدولي : I.S.B.N.978/977/278/472 /1
الصف التصويري: النحي للتجهيزات الفنية

التوزيع والنشر
دار البشير للثقافة والعلوم
مصر
darelbasheer@hotmail.com
darelbasheeralla@gmail.com
ت : 01012355714 - 01152806533

1436 هـ
2015 م


بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

صلى الله على سيدنا ومولانا محمد، وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا [كثيرًا طيبًا] [1] .

مقدمة المترجم

الدولة العثمانية وسلاطينها:

الدولة العثمانية:

لقد قُدر للدولة العثمانية من بين دول الترك أن تصبح دولة، بل سلطنة مترامية الأطراف، وأن تمتد رقعتها الجغرافية لتحكم شعوبًا وملًلا ونحلًا غير متجانسة، وأن تكون أطول دول الترك عمرًا وبقاءًا.. إذ عمرت 623 عامًا (1299—1923م) واختلف على عرشها أربعون حاكمًا: الثلاثة الأول منهم بكوات، والباقي سلاطين. ووليها من أيام السلطان ياووز سليم الأول (1740- 1526م) إلى انقراضها اثنان وثلاثون سلطانًا خليفة، جمعوا فى أيديهم السلطتين الزمنية والروحية... ودُعي لهم على منابر العالم الإسلامى السنى طوال 406 سنة[2].

لقد ورثت هذه الدولة حضارة السلاجقة، وملك بيزنطة، ومؤسساتهم العلمية والحضارية[3] إلى جوار حضارة الدول التركية الأناضولية.. واستفادت من نظم الإدارة عند المماليك والإيلخانيين، وتأثرت بالبيزنطيين والصقالبة، ونبغ من العثمانيين فى عهد السلاطين العظام طائفة من مشاهير علماء المسلمين، منهم ابن كمال باشا (1467- 1533م) صاحب المكانة المرموقة منذ أيام سليم الأول، ورافقه عند ضم الشام ومصر والحجاز إلى حوزة الدولة العثمانية[4] ، وأبو السعود أفندى (1490- 1575م) صاحب

---

(1) ما بين الحاصرتين زيادة من أ، وجملة الصلاة والسلام كلها ليست في ك.

(2) محمد فؤاد كوبريلي، قيام الدولة العثمانية، ترجمة : أحمد السعيد سليمان، القاهرة، 1967م .

(3) I.H.Uzunçarşılı,Osmanlı devletinin ilmiye teşkilatı, Ankara, 1965,sh .7

(4) ابن إياس، محمد ابن أحمد، بدائع الزهور في وقائع الدهور، تحقيق: محمد مصطفى،ج5 ، القاهرة، 1960، ص195 .

التفسير، وسلطان المفسرين[1]، واحتلت اللغة العربية إلى جانب الدين الإسلامى المكانة الأولى فى نفوس الأتراك، وكان يدَرّس بها كل العلوم الدينية والتطبيقية[2] بل كان العالِم التركى يضع مؤلفاته أولًا باللغة العربية، وإذا ما أراد لها الانتشار بين بنى جنسه ترجمها بعد ذلك إلى اللغة التركية[3].

السِّمة الدينية للدولة العثمانية:

لقد كانت السمة الدينية من أهم السمات التى اتسمت بها تشريعات الدولة العثمانية ومعظم تصرفاتها؛ فقد كان للهيئة الإسلامية وضع معترف به، ومركز مرموق، وكان يطلق على رئيسها "المفتى" أو مفتى استانبول، ثم تغير هذا اللقب إلى "شيخ الإسلام" الذى كان يشرف على الهيئات القضائية، والمؤسسات ذات الطابع والنشاط الدينى، وكان السلاطين أنفسهم حريصين على تدعيم سلطته، ويعملون على استغلالها كلما حزبهم أمر، أو أقدموا على مشروع خطير.. كان المفتى أو شيخ الإسلام يصدر فتوى تجيز الحرب دفاعًا أو هجومًا، وعقد الصلح، وغير ذلك من الأحداث الجسام.. وكانت الدولة العثمانية تهتم اهتمامًا بالغًا بنشر التعبئة الروحية بين أفراد القوات المسلحة، وإثارة عاطفتهم وحميتهم الدينية وصولًا إلى تهيئة الجنود روحيًا قبل خوض المعارك(٤)، واحتفظت منذ سليم الأول فى سراى الحكم بالأمانات المقدسة، وتلقب سليم بخادم الحرمين الشريفين منذ أن وصل إلى الشام 1516 = 922 هـ .

وقد اعتمد العثمانيون المذهب الحنفى مذهبًا رسميًا للدولة، ولعب المفتون فى استانبول ومراكز الولايات دورًا هامًا فى مختلف المجالات. وكانت الأولوية فى بدء الدولة العثمانية للقاضى عسكر الذى كان يرافق الجيش المحارب، ثم أصبح المفتى رئيسًا للعلماء فى عهد سليمان القانونى (1495– 1566م) وكان يلقب بشيخ الإسلام بناءً على الدور الذى لعبه فى التوفيق بين القوانين التى أصدرها سليمان القانونى وبين

---

(1) مستقيم زاده سليمان سعد الدين، دوحة المشايخ مع ذيل، جاغري يايئلري استانبول، 1987م، ص23 .

(2) I.H.Uzunçarşılı, a.g.e, sh.39

(3) A.Adıvarö Osmanlı Türklerinde ilimİstanbul,1943, sh.17

(4) أ.د عبد العزيز الشناوى، الدولة العثمانية دولة إسلامية مفترى عليها، ج1، القاهرة، 1980،ص 54 .

الشريعة الإسلامية، وكان يحق لمفتى استانبول إصدار فتوى بعزل السلطان نفسه، كما أنه هو الذى يعين المفتين فى مراكز الولايات، أما المذاهب الأخرى، فقد تركت الدولة لأفرادها حق اختيار مفتيها من بينهم[1].

كان قاضي دمشق من أبرز قضاة الشام، واعتبر فى مستوى قاضي مصر على اعتبار أن المدينتين كانتا عاصمتين للخلافة .

وكان من مظاهر الطابع الدينى فى الدولة العثمانية، العناية الفائقة التى أبداها السلاطين لإنشاء وتجديد العديد من المساجد الكبرى. ورصد الاعتمادات الضخمة لتشييد هذه المساجد، وترميم القائم منها، وكان هناك تنافس بين السلاطين الذين تعاقبوا على عرش الدولة، وحذا حذوهم الأمراء والأميرات ورجالات الدولة، فيقول محمد جميل بيهم:

" لم يكن سبب هذا التنافس حاجة ملحة لهذه المساجد، بقدر ما كان الهدف هو اكتساب قلوب الشعب عن طريق الدين"[2].

وقد اتضح الطابع الدينى فى التطبيق الصارم للشريعة الإسلامية، والنص فى قوانين الدولة منذ السلطان سليمان القانونى على أنها تتفق مع الشريعة الإسلامية، كما وضح فى المحافظة على التقاليد الدينية، والحض عليها، وخاصة فى الصلاة ومنع الخمور والصيام فى شهر رمضان.

كما أن الدولة أشرفت إشرافًا فعليًا على الحج وقوافله، واعتبرت هذا العمل واجبًا يقع على عاتقها باعتبار أن الحج هو الركن الخامس من أركان الإسلام، وأن عليها تيسير الحج لمن أراده، فأنشأت الآبار والمخافر والحصون والمطاعم، وشجعت على إقامة الخانات على طرق القوافل، ووضعت لها قوة تحرسها، يقودها أحد كبار العسكريين، الذي كان يسمى سردار الحج، وكان ينصب على رأس كل قافلة أمير للحج، كما كان الاهتمام بالحجاز من السمات التى حافظ عليها السلاطين العثمانيون.

(1) د/ عبد الكريم رافق، العرب والعثمانيون، دمشق، 1974، ص 52 .

(2) محمد جميل بيهم، العرب والترك في الصراع بين الشرق والغرب، المطبعة الوطنية، بيروت، 1957، ص125 .

وقد أعفته الدولة من أداء الضرائب، بل أقر له سليم الأول ثلث ما يجبى من مصر من الضرائب.[1] كما تم وقف خراج اليونان عند فتحه على الحرمين الشريفين، وأعفت الدولة مواطنى الحجاز من التجنيد، [2] وأبقت الدولة على الحكم الذاتى المتمثل فى نظام الشرافة، وكانت ترسل فرمانًا يحدد إمكانات واختصاصات وواجبات الشريف الجديد عند تعيينه، [3] وكان أمير مكة ونقيب الأشراف ونقيب السادات من الذين يتمتعون- فى التشريفات- بأسمى المراتب، وترتب لهم العطايا من قبل السلطان[4].

العرب والأتراك فى العصر العثمانى:

إن علاقة الدولة العثمانية بالبلاد العربية- حتى نهايات القرن الخامس عشر- كانت علاقة مجاملة ومؤازرة عن طريق المراسلة مع تبادل الوفود والهدايا.

لقد كان أول احتكاك يحدث بين الدولة العثمانية ودولة المماليك المصرية فى سنة 1489- 1490م عندما استولى المماليك على بعض المقاطعات التى تعود إلى آل ذى القدر.

وعندما تولى ياووز سليم (1470 – 1520م) العرش وجه أنظاره نحو القارة الآسيوية بدلًا من الفتوحات فى القارة الأوروبية، وكان يهدف بذلك إلى خلق تكتل إسلامى يجابه به التكتل الصليبى الذى كان يسعى لالتهام العالم الإسلامى، ولينتقل مركز الثقل الإسلامى إلى الترك لكى يتولوا الدفاع عن العالم الإسلامى.

انتصر سليم فى چالديران سنة 1514م، وفى سنة 1516م توجه إلى الجنوب لمحاربة المماليك، وانتصر على قانصوه الغورى فى مرج دابق، ثم استولى على سوريا بأكملها، وعين بها ولاة من طرفه، وقابل العلماء، وأمر بترميم المساجد ومن بينها الجامع الأموى الكبير، ولقب حينذاك بخادم الحرمين الشريفين،[5] وفى السنة التالية 923هـ = 1517م

(1) عبد الكريم رافق، مرجع سبق ذكره، ص 63-67 .

(2) عبد العزيز شناوى، مرجع سبق ذكره، ص60 .

(3) I.H.Uzunçarşılı, Mekke-I Mukerreme Emirleri,Ankara, 1972,sh 6-19

(4) ، جاغرى باينلرى، استانبول، 1979، ص24 أسعد افندي، تشريعات قديمة .

(5) محمد فريد، الدولة العلية العثمانية، تحقيق: إحسان حقي، بيروت، 1981 ، ص193

اجتاز صحراء سيناء ووصل إلى شواطئ النيل، ودخل العثمانيون القاهرة بعد حروب طاحنة مع المماليك فى 8 محرم 923 هـ = 31 يناير 1517م، ووقع طومان باى- بخيانة بعض ممن معه - فى الأسر، وشنق على باب زويلة بأمر من سليم فى 13 أبريل من نفس العام[1].

ويقول الأستاذ محمد فريد بك :" وبعد أن مكث السلطان سليم بالقاهرة نحو شهر فى منيل الروضة، أخذ فى زيارة جوامع ومدارس المدينة، وكل ما بها من آثار، ووزع على أعيانها العطايا والخلع السنية، حضر الاحتفال بفتح الخليج الناصري عند بلوغ النيل الدرجة الكافية لري الأراضى المصرية، ثم حضر احتفال خروج قافلة الحجاج التى كانت ترسل معها كسوة الكعبة الشريفة إلى الأراضى الحجازية، وأرسل الصرة كالمعتاد إلى الحرمين الشريفين لتوزيعها على الفقراء، وزادها إلى ثمانية وعشرين ألف دوكًا[2].

وقد مثل بين يديه فى القاهرة ابن شريف مكة، وسلمه مفاتيح الحرمين الشريفين، وأحسن سليم استقباله والوفد المرافق، وقدم له العطايا،[3] وتنازل محمد المتوكل على الله آخر الخلفاء العباسيين عن حقه فى الخلافة الإسلامية إلى السلطان سليم بعد أن اصطحبه معه إلى استانبول، كما تنازل له عن شارات الخلافة والآثار النبوية الشريفة وهى البيرق والسيف والبردة " الخرقة الشريفة"[4] ويذكر أوليا جلبي فى كتابه سياحتنامه أن سليم استولى على مخلفات الرسول (ﷺ) وأماناته المقدسة ضمن خزائن قانصوه الغوري في الإسكندرية[5].

ومن الملاحظ على الفتح العثمانى لبلاد الشام والحجاز ومصر أن الشعب لم يقاوم العثمانيين، ولم يدافع عن المماليك، بسبب ظلمهم السابق، بل رحب الأهالى بمقدم

(1) ابن إياس ، مصدر سبق ذكره، ص192 .
(2) محمد فريد، مرجع سبق ذكره، 194 .
(3) Enver Behman Şapalyo, Osmanlı Sultanları Tarihi, İstanbul, 1961, sh 148
(4) نفس المرجع ونفس الصفحة .
(5) M.Zillioğlu Evliye Çelebi, Evliye Çelebi Sıyahatnamesi, zuhuri danışman, z. Danışman Yayınları İstanbul, 1981, c14, sh.144 145

العثمانيين بسبب ما عرف ونشر عنهم من الجهاد فى سبيل نشر الإسلام، وأنهم سيعاملون السكان المحليين ومن فيهم من الفلاحين باللين فى محاولة منهم لكسب الأهالى، والتفريق بينهم وبين المماليك،[1] وإن أبقى على الكثيرين منهم كموظفين فى مناصب الكشوفيات، وكذلك فى إمارة الحج، والدفترداريـة، وأبدى اهتمامًا بسلامة قافلتى الحج الشامى والمصرى[2].

كان طبيعيًا بعد أن ضمت الدولة العثمانية بلاد الشام وفلسطين والحجاز ومصر أن تتطلع إلى ضم مركز الخلافة الآخر، ألا وهو بغداد، فتجمع بذلك بلاد المشرق العربى تحت سلطانها، وتحول دون محاولة الصفويين الشيعة للاستيلاء عليها وعلى العراق كله.. وكان العثمانيون بعد انتصاراتهم فى چالديران 1514م قد فرضوا نفوذهم على الموصل وديار بكر وماردين، وعينوا عليها حاكمًا من قبلهم.

تحرك الجيش العثمانى تحت قيادة الصدر الأعظم إبراهيم باشا نحو العراق، وغادر استانبول فى ربيع الآخر 940هـ = أكتوبر 1533م، واحتل تبريز فى المحرم 941هـ = يوليو1534م، ولحق السلطان سليمان القانونى (30/ 9/ 1520 – 6/ 9/ 1566م) بالصدر الأعظم فى تبريز، ثم اتجها معًا إلى بغداد، ودخلاها وسط مظاهر الحفاوة الشعبية، وأصدر السلطان أوامره المشددة بعدم التعرض للأهالى، بل حاز على رضاهم بزيارته للعتبات المقدسة فى البلاد، ورصد المبالغ اللازمة لصيانتها ورعايتها، ولم يفرق بين الشيعة والسنة، وبذل جهدًا خاصًا لاكتشاف قبر أبى حنيفة وأمر ببناء قبة عنده، وكذلك قبر عبد القادر الجيلانى مؤسس الطريقة القادرية... وقام بزيارة الأماكن المقدسة لديهم فى النجف وكربلاء[3].

هُرع زعماء القبائل والأعيان إلى بغداد لتقديم ولائهم للسلطان، وكان من بينهم أمير البصرة راشد بن مغامس الذى كان قد استقل بها، فأبقاهم السلطان كما هم، وهكذا خضعت البصرة بدورها للعثمانيين، وترتب على ذلك مسئوليات دفاعية

(1) Inalcik, The rise of Ottoman empire, The camb.His. of Islam, VI.P. 319

(2) عبد الكريم رافق، مرجع سبق ذكره، ص67 .

(3) Resimli Mufassal Osmanlı tarihi, c 3, 1958,sh .880

جديدة، وخاصة ضد البرتغاليين[1] إلى جانب الصفويين.

وما إن حلت سنة 1556م حتى أصبح شمال أفريقيا كله تابعًا للدولة العثمانية بما فيه وهران وتلمسان[2].

كما احتل العثمانيون القطيف عام 1550 م ثم مدوا نفوذهم إلى الإحساء التي ضموها سنة 1552م[3]، أما سليمان باشا والى مصر فكان قد ضم مدائن عدن ومسقط وكل إقليم اليمن وجعله ولاية عثمانية سنة 1538م[4].

وهكذا في مدة لا تتجاوز الأربعين عامًا، كانت الدولة قد ضمت إلى حوزتها معظم البلدان العربية، فيما عدا المغرب الأقصى من جهة، وقلب الجزيرة العربية من جهة أخرى[5]، وبقيت هذه البلاد تحت الحكم العثماني- بالرغم من بعض الثورات التي حدثت فى تواريخ مختلفة- حتى نهايات القرن التاسع عشر، وبدايات القرن العشرين.

لقد كان جل اهتمام الدولة العثمانية هو توجيه نشاطها نحو الحرب والجهاد، وأن تكون السهام موجهة دائمًا نحو الشمال، وإدخال الأقاليم البيزنطية فى حوزة الإسلام، وكان إقدامهم على "الجهاد" بهذه الصورة يجذب إليهم عددًا غير قليل من المتطوعين من مختلف الإمارات التركية الإسلامية، وكل فتح من فتوحاتهم فى "بلاد الكفرة"- حسب تعبير ذلك الزمان- كان يرفع مكانتهم فى أنظار المسلمين ويقوي تيار المتطوعين لخدمتهم.

وقد كان سلاطين آل عثمان يحرصون على نشر أخبار انتصاراتهم فى مختلف البلاد الإسلامية، ويرسلون الوفود بالرسائل والهدايا إلى ملوك المسلمين ومن جملتهم سلاطين مصر من المماليك،[6] وكانت هذه المخابرات والمراسلات والاتصالات

---

(1) عبد الكريم رافق، مرجع سبق ذكره، ص68 .
(2) ساطع الحصري، البلاد العربية والدولة العثمانية، دار العلم للملايين، بيروت، (بدون)، ص241 .
(3) عبد الكريم رافق، مرجع سبق ذكره، ص68
(4) محمد فريد، مرجع سبق ذكره، ص240
(5) سوريا والأردن ولبنان 1516م، فلسطين والحجاز ومصر 1517م، الكويت1522م، العراق 1534م، اليمن 1538م، شمال إفريقيا، ووهران وتلمسان 1556م.
(6) د/ الصفصافي أحمد المرسى، استانبول عبق التاريخ وروعة الحضارة، دار الآفاق العربية، القاهرة، 1419 هـ = 1999م، ص40 وما بعدها.

والمكاتبات مع الدول الإسلامية تجرى باللغة العربية حتى عصر السلطان سليم، وقد حفظت لنا منشآت فريدون طائفة من هذه المكاتبات[1].

والمدقق فى هذه المكاتبات يتبين له "النزعة الدينية الشديدة" التى كانت تلازم أعمال الدولة العثمانية وفتوحاتها.. كما تعطى فكرة صريحة عن مبلغ اهتمام سلاطينها بإذاعة أخبار"انتصاراتهم على الكفار"، وفتوحاتهم فى بلاد الكفر أى (الفرنجة) على مختلف الأقطار الإسلامية بوجه عام، والبلاد العربية بوجه خاص[2]، وإذا كانت الدولة العثمانية منقسمة إداريًا إلى 32 إيالة، فقد كان منها 14 إيالة "ولاية عربية"[3]. وكانت الحدود متداخلة فى بعضها البعض، حتى بدايات القرن العشرين، وحسب ما هو مستخرج من "سالنامه دولت عليه عثمانيه" الكتاب السنوى للدولة العثمانية الصادر فى سنة 1322 هـ = 1904 م نرى أن الدولة العثمانية كانت مقسمة إلى ولايات، والولاية إلى ألوية، والألوية إلى أقضية، والأقضية إلى نواح.. وكان على رأس الإدارة في كل لواء "متصرف" وفي كل قضاء "قائمقام" وفى كل ناحية "مدير ناحية" وكانت البلاد خلال عصر السلطان عبد الحميد الثانى تنقسم إلى تسع ولايات، وأربع متصرفيات مستقلة، وإيالتين متميزتين، وكانت ولاية الحجاز تضم متصرفتين، وخمسة أقضية، وست نواح، وكان يُعهد بمنصب ولاية الحجاز إلى أحد كبار رجال الجيش، وكان متصرف لواء المدينة يسمى "محافظ المدينة المنورة" وكانت هناك إمارة مكة المكرمة، وكان أميرها ينصب من بين الأشراف بفرمان خاص[4].

وإذا كان المؤرخ العربى الجبرتى قد تحدث عن الدولة العثمانية مسجلًا إعجابه بها واهتمام العثمانيين بـ"إقامة الشعائر الإسلامية، والسنن المحمدية، وتعظيم العلماء، وأهل الدين، وخدمة الحرمين الشريفين، والتمسك فى الأحكام والوقائع بالقوانين والشرائع، فتحصنت دولتهم، وطالت مدتهم، وهابتهم الملوك، وانقادت لهم الممالك

(1) فريدون بك، منشآت فريدون، ج1.
(2) ساطع الحصرى، مرجع سبق ذكره، ص28 .
(3) د/ الصفصافي أحمد المرسي، الدولة العثمانية والولايات العربية، مجلة الدارة، المملكة العربية السعودية، العدد الرابع، السنة الثامنة، رجب 1403- ابريل 1983، ص 68- 97 .
(4) أسعد أفندى، مرجع سبق ذكره، ص 27، 26

والملوك"[1] فإنها أى الدولة العثمانية- فى عهود القوة- لم تكن تنظر إلى الولايات العربية نظرة تعال أو استعمار، بل هى التى تحاول التقرب من شعوبها وعلمائها، تستصدرهم الفتاوى، وتجل الأماكن المقدسة، صارفة الجهد والمال لرعاية مساجدها وصيانتها، مستفيدة من الخبرات والكفاءات الفنية والعلمية، فقد كان جل علمائها يتلقون علومهم العقلية والنقلية فى مراكز الدراسات بالولايات العربية.

السلطنة العثمانية وأهل الذمة:

الثابت تاريخيًا، أن المسلمين كانوا يتعاملون مع غير المسلمين حسب مقتضيات الشريعة الإسلامية ويطلقون"أهل الذمة" أو"أهل الكتاب" على من يتبعون الديانات التى أُنزل لها كتب سماوية و"المشركين" على من سواهم، وعلى الدولة التى يعيش فيها أولئك حماية أرواحهم وأموالهم وتأمينهم، وأن تترك لهم الحرية المطلقة فى ممارسة شعائرهم وعاداتهم وتقاليدهم الدينية. ولكن لم تكن تسمح لهم بأى ممارسة تخالف الشريعة الإسلامية ، كما لا تسمح لهم بدخول الجيش مقابل مبالغ يدفعونها نظير حمايتهم، وقد أُطلق على من هم غير مسلمين"أهل الحرب" و"أهل العهد"، فأهل الحرب، من هم فى حرب مع المسلمين، وأهل العهد، الذين هم فى سلام مع المسلمين، وقسمت الشريعة غير المسلمين من أهل العهد الذين قبلوا العيش فى البلدان الإسلامية وحافظوا على أديانهم وارتبطوا معهم بالمعاهدات إلى ثلاث فئات: المعاهدون، المستأمنون، والذميون، وتلتزم الدولة- حسب الشريعة- بما سبق الإشارة إليه، فى مقابل دفع الجزية والخراج سنويًا على المكلفين من الذكور وعلى أراضى أهل الذمة، وتدفع هذه الضرائب إلى "بيت المال".

كانت الدولة المسلمة ملتزمة بالحفاظ على الكنائس والمعابد، وتسمح بترميمها، ولكن لا تسمح بشكل مطلق ببناء الجديد منها.

أوضاع أهل الذمة فى الدولة العثمانية:

عاش كل أهل الأديان السماوية طوال العهد العثمانى تحت رعاية الدولة وسماحة

---

(1) الجبرتي، الشيخ عبد الرحمن، عجائب الآثار في التراجم والأخبار، القاهرة ، طبعة بولاق، 1279، ج1 ، ص 21.

الشريعة الإسلامية، وتركت لهم حرية إدارة شئونهم الإدارية والدينية لكى يتولونها هم بأنفسهم ، وحافظوا هـم على أديـانهم، وتعـاملوا حسب مـذاهبهم وأديـانهم، وتركـت الدولـة العثمانيـة حق المقاضـاة والأحـوال الشخـصية لهـم، كـل حـسب دينـه ومذهبه، واعترفت لهم بالمعاهدات والتعهدات التى سبق لهم الحصول عليها.

إدارة أهل الذمة وغير المسلمين فى العهد العثمانى:

لقد حاول الترك العثمانيون بذل أقصى الجهد لاستمرار المعتقد الإسلامى في إدارة غير المسلمين، وخير دليل على ذلك هو الحفاظ على البراءات والتعهدات التى مُنحت لأهل الذمة ممثلين فى البطارقة والحاخامات والروحانيين منذ الأزمنة السابقة، بل والأمر العالى الشأن الذى أصدره محمد الفاتح منذ أن تقابل المسلمون معهم، ومازالت السجلات التاريخية وأرشيف رئاسة الوزراء فى تركيا تحتفظ بالعهدة العمرية التى منحها الفاروق عمر بن الخطاب لكنيسة الروم، ومعاهدة صلاح الدين الأيوبى، وفرمان السلطان ياووز سليم الذى طالب فيه الأبناء والولاة من بعده بالحفاظ على الكنائس والأديرة والمعابد اليهودية وما يتبعها من آبار ومزارع، وأن يؤمنوا طرق الحجيج إلى بيت المقدس، كل هذه المواثيق تحفظ لهم حقوقهم فى العبادة والحفاظ على أموالهم وأرواحهم ماداموا هم محافظين على تعهداتهم، كما سمحت لهم بزيارة الأماكن المقدسة وآداء مناسكهم بحرية تامة.

ملابس غير المسلمين وطرزها:

لقد خضع أهل الذمة لبعض القواعد والأنظمة فيما يتصل بالملابس والقيافة وطرزها فى العهد العثمانى هذه القواعد كانت تشمل كل أهل الذمة لتفرقتهم عن المسلمين، وقد منعت نفس هذه القواعد لبس المسلمين ما يشابه ملابس غير المسلمين، وصدرت العديد من الأوامر السلطانية التى تشير إلى ذلك على الرغم من الأغلبية المسلمة.

كما صدرت الأوامر والتنبيهات إلى "الصوباشى" المسئول عن الأمن وإلى القضاة لمتابعة قواعد عدم ارتداء غير المسلمين لما يُشابه ملابس المسلمين؛ لأن الأهالى قد اشتكوا من تجول اليهود بملابس تُشبه ملابس المسلمين.

عائلات وميراث أهل الذمة فى العهد العثمانى:

تركت الدولة العثمانية لرجال الدين غير المسلمين الحرية الكاملة لإدارة شئون الأسرة والميراث لتابعيهم. فلم تتدخل فى شكل تكوين الأسرة أو توزيع الميراث، وأوضحت ذلك بشكل صريح فى البراءات والفرمانات التى كانت تصدرها للبطارقة والحاخامات عند تعيينهم. فالبراءة التى صدرت عام 1327 م يوم السابع والعشرين من ذى الحجة إلى الحاخام الأكبر لبلاد الشام توضح أنه هو المخوَّل بعقد النكاح وفقًا للشريعة اليهودية، ولا تسمح بتدخل أى طرف آخر من غير اليهود. وسمحت هذه البراءة بزواج غير المسلمات بالمسلمين من الرجال وأن يكون الأبناء مسلمين. ولا تسمح بتزويج المسلمات لغير المسلمين على الإطلاق، كما كانت توزع تركَة المتوفى غير المسلم وميراثه أمام القاضى على الورثة المسجلين فى دفاتر النفوس الرسمية.

سكن غير المسلمين:

لم تسمح الدولة العثمانية بالإقامة الجبرية لغير المسلمين، بل كانت تسمح لهم بالتجمع والسكن مع من يستطيعون أن يتفاهموا معهم لغويًا وعقائديًا ووفقًا لأعرافهم، فقط كانت تسمح لليهود وبخاصة المهاجرين منهم بالسكن مع أهل طوائفهم ووسط تجمعاتهم، كانت الدولة تسمح لغير المسلمين بالسكن بين المسلمين براحة تامة.. ولكن لم تكن تسمح لهم بممارسة أنشطة تسبب متاعب أو مشاكل للمسلمين كبيع الخمور ولحم الخنزير أو بيوت الفحش والدعارة، ولم تكن الدولة تسمح لهم ببناء مساكن لليهود بجوار الجوامع وبخاصة عندما يشتكى سكان الحى من ذلك، وكما كانت الدولة تسمح لغير المسلمين للسكن بين المسلمين، فقد كانت تسمح للمسلمين بالسكن بين غير المسلمين.

كما أتاحت الدولة لغير المسلمين ممارسة كل شعائرهم الدينية وإقامة أماكن ممارسة هذه الشعائر. وأمنت لهم كل الوسائل التى تُيسر لهم ذلك، ولم تتدخل قط فى كنائسهم أو معابدهم بل تركت ذلك لرؤسائهم الروحانيين.

كما كانت الدولة تتصرف تجاه أهل الذمة وفقًا لسماحة الإسلام وحق المواطنة، فقد

أغرى ذلك العديدين من غير المسلمين بقبول الإسلام دينا لهم، وكان ذلك مدعاة للإحسان إليهم وتقديم الهدايا والعطايا لهم وترغيبًا لغيرهم لقبول الإسلام دون أى ضغط أو ترهيب.

الدولة العثمانية واليهود:

عندما توسعت حدود الدولة العثمانية وأصبحت بورصة هى العاصمة دخل تحت ظلالها العديد من أصحاب الديانات ومن بينهم اليهود. وكانت هذه هى المرة الأولى التى تُصبح الدولة وجها لوجه مع "جماعة" من اليهود فمنحتهم إذنًا بإقامة "معبد" لهم. وبعد أن انتقلت عاصمة الدولة العثمانية إلى أدرنة دخل اليهود الذين كانوا فى هذه المناطق تحت حماية الأتراك العثمانيين.. بل هاجر العديد من اليهود من المناطق المحيطة لكى يعيشوا فى أدرنة تحت حماية وكنف العثمانيين وسماحتهم، وما إن تمكن السلطان محمد الفاتح من فتح ودخول مدينة استانبول حتى دخل اليهود تحت الحماية العثمانية، بل إن يهود البلدان المجاورة بسبب الظلم والاضطهاد الذى يتعرضون له قد أخذوا فى الهجرة إلى الدولة العثمانية، والدخول تحت الحماية التركية العثمانية. كانت الهجرة اللافتة للنظر هى تلك التى حدثت سنة 1492 م = 898 هـ من الأندلس وسنة 1496م = 902 هـ من البرتغال. فبعد أن أصدرت محاكم التفتيش أحكامها والأوامر بطرد ونفى المسلمين واليهود الذين نجوا من الحرق فى الأفران، بدأ اليهود الهجرة إلى ولايات الدولة العثمانية فى شكل تجمعات من كل دول أوروبا.

لا يستطيع أى باحث منصف أن ينكر دور السلطان بايزيد الثانى فى إنقاذ يهود جزيرة أيبريا من الإفناء الكامل فى أفران محاكم التفتيش المسيحية؛ حيث كلف القبطان "كمال رئيس" بالتوجه بالأسطول العثمانى عام 1492 م = 898 هـ فى محاولة لإنقاذ المسلمين واليهود فى الأندلس على الرغم من الخلاف الذى كان بينه وبين المماليك فى مصر والشام.

وإذا كانت هذه القوة البحرية لم تمنع سقوط غرناطة وإنهاء الحكم الإسلامى للأندلس، إلا أنها نجحت فى نقل ما لا يقل عن ثلاثمائة ألف من المسلمين الذين تركوا

منازلهم وهاموا على وجوههم إلى كل من المغرب والجزائر ورتبت 23 هجومًا على الأسبان، أما اليهود الذين كان يبلغ عددهم 300 ألف فقد خيَّروا بين الموت أو التحول إلى المذهب الكاثوليكى، وذلك بعد مقتل ما يتجاوز المليون من المسلمين.. كما نقلت هذه السفن العثمانية العديد من اليهود إلى الموانئ العربية/ العثمانية جنبًا إلى جنب مع المسلمين الذين كانوا معرضين للمذابح، وأسكنتهم فى مناطق آمنة والتى كانت كلها أراض عثمانية كسلانيك وأدرنة وإزمير ومصر والشام وفلسطين وفى موانئ الجزائر وتونس والمغرب.. كل ذلك استنادًا إلى " عقد الذمة" المعترف به فى الشريعة الإسلامية.

ولنر كيف رأى الشاعر التركى "نامق كمال" سقوط الأندلس، فقد قال:" ... قام الأسبان بعد استيلائهم على غرناطة بحرق الأهالى الذين لم يُبدِّلوا دينهم بينما عندما فتحنا استانبول أعطينا ووهبنا الحرية الدينية لجميع الطوائف والأديان.. فى العام نفسه وصل الإسبان بواسطة كولومبوس إلى أمريكا، وكان انتصارهم في الأندلس قد أسكرهم ، لذا قاموا بقتل ما يُقارب المليون من الأهالى[1]...

هذا التسامح الإسلامى والحرية التى منحها العثمانيون لليهود المبعدين من الأندلس دفع اليهود فى كل دول أوروبا وروسيا القيصرية وبحر الخزر إلى الهجرة المتتالية إلى الديار العثمانية. وبين أيدى الباحثين العديد من الرسائل التى تعود إلى القرن الخامس عشر وما قبله والتى كان يبعث بها يهود أسبانيا وفرنسا وإيطاليا إلى يهود الدولة العثمانية يسألون عن كل ما يعن لهم عن حياة اليهود. وكانت هذه الرسائل وما يتلقونه من أجوبه عليها من أهم العوامل التي دفعت يهود هذه الدول بالهجرة إلى أراضى الدولة العثمانية، وقد تمتعوا فيها بامتيازات ومناصب عليا جعلت غيرهم من أهل الذمة وبخاصة الروم والأرمن يحقدون عليهم ويتنافسون معهم.. بل يكيدون لهم.

لم تتدخل الدولة العثمانية فى الحياة الدينية والعقائدية والتعليمية والاجتماعية بل تركت ذلك للقادة الروحانيين والفلاسفة وللمؤسسات التعليمية والاجتماعية، وقد

(1) الدولة العثمانية المجهولة؛ 303 سؤال وجواب توضح حقائق مجهولة عن الدولة العثمانية، أ.د أحمد آق گوندوز، أ.د سعيد اوزطونة. وقف الخيرات العثمانية 2008 استانبول ص 203

أفسح هذا المناخ الساحة لمن راودتهم أنفسهم ليخرجوا على الدولة بل من يدعون النبوة أمثال سبتاى سيفى الذى ادَّعى النبوة فى إزمير وإدعى ظهور المسيح عام 1648م = 1058 هـ اعتمادًا على حساب الجمل فى بعض آيات التوراة.

ترك إزمير وتوجه إلى استانبول فيما بين 1649 / 1650م . وتحت ضغوط الحاخام الأعظم سافر إلى سلانيك. ومن هناك توجه إلى آتينا وهناك تزوج بمن تُدعى سارة والتى تدعى النبوة هى الأخرى.. رتب أموره للذهاب إلى فلسطين سنة 1663م = 1074 هـ لكنه غير خططه وتوجه إلى القاهرة حيث نال عطف ورعاية الثرى اليهود رفائيل يوسف چلبى. توجه هو وزوجته إلى فلسطين.. بينما هو في غزة أعلن نبوته.. وما إن دخل إلى القدس حتى التف حوله العديد من اليهود.. ونال شهرة دفعته إلى العودة إلى مسقط رأسه.. هناك حاول نشر دعوته وما يُحيط بها من عادات وتقاليد، تم القبض عليه ومحاكمته، فأعلن توبته ودخوله في الإسلام وطلب السماح له بالتوجه إلى استانبول، حاول هناك أيضًا نشر دعوته فحكم عليه بالإعدام، ولكنه أعلن توبته للمرة الثانية أمام السلطان محمد الرابع، ومصطفى باشا قائمقام الصدر الأعظم وشيخ الإسلام يحيى أفندى منقارى زاده في قصر أدرنه وعيِّن بوابًا للقصر بمعاش 150 آقچة بعد أن استنطق كلمة الشهادة، وتسمى بـ "مَمَت Memet" أى "مامات" أى "لم يمت"، وكان قد بعث خطابًا إلى حاخام غزة الذى أعلن نبوته يشرح فيه سبب تركه لليهودية ودخوله الإسلام.. وأنه سوف يعود مرة أخرى لينقذ العالم.. أطلق عليه أشياعه "دونمه" أى "عائد".. ومن ثم أطلق على أشياعه ال " دونمه لر".. أى المرتدين، وإلى يومنا الراهن تعيش هذه الطائفة فى تركيا تحت أسماء تركية إسلامية ظاهريًا ولكن هم فى الخفاء يهود.. يعيشون العادات والتقاليد الصَّبَطَائية Sabatayız" وهذه الطائفة أى "الدونمه لر" هم الذين سيطروا على الاقتصاد والإعلام، ووجهوا الإهانة تلو الإهانة للعثمانيين وبخاصة الاتراك فى صراعهم مع الروس ومسيحيى شبه جزيرة البلقان خلال حروبهم ضد الدولة العثمانية.

اليهود والسلطان عبد الحميد الثانى:

إذا كانت الدولة قد شهدت عددًا كبيرًا من سلاطينها الكبار، إلا أننى أقول، إذا

كانت الدولة قد تسمت باسم "عثمان"، وإذا "محمد الثانى= الفاتح" قد حول القسطنطينية إلى استانبول، ونقل الثقل العثمانى إلى أوروبا، وقضى على الإمبراطورية البيزنطية الشرقية، وضم سليم وسليمان كافة البلدان العربية إلى حوزة الدولة العثمانية، فإن السلطان عبد الحميد الثانى هو الذى أوقف أطماع الدول الاستعمارية فى العالم الإسلامى لمدة ثلاث وثلاثين سنة، ولولا تكاتف الدول الغربية والصهيونية، والماسونية العالمية، ويهود العالم عامة، والدونمة خاصة ضده لما تمكنت التيارات الداخلية من تنحيته عن العرش.

لقد شاء قدر السلطان عبد الحميد الثانى (1293– 1327هـ = 1876 – 1909م) أن يجلس على عرش الدولة العثمانية فى وقت التنافس والصراع على اقتسام المستعمرات والنفوذ، وعنفوان تيارات الاستشراق ومدارسه، وإخضاعها للأطماع الاستعمارية، وتضافر جهود الماسونية، والصهيونية العالمية بعد مؤتمر بازل عام 1897م، والسعى المضني لإقامة وطن قومي لليهود والاستقرار فى " أرض الميعاد"، ففى اليوم الذى جلس فيه على عرش السلطنة تم توزيع منشور فى لندن من طرف زعيم المعارضة الإنجليزية الليبرالي مستر جلادستون، وجاء في هذا المنشور" أن الأتراك أعداء للإنسانية.. ولابد من إخراجهم بقوة السلاح من العالم المتحضر.. لابد من طردهم خارج الحدود الأوروبية" وقامت المسيرة التي قادها القساوسة بترديد ما جاء فى هذا المنشور، وعم الغضب كافة شوارع أوروبا على الرغم من دعوة رئيس الوزراء البريطاني ديزرائيل بالاعتدال والتريس، ولم تُضيع روسيا الفرصة بل أعدت عدتها لشن هجوم على الباب العالي.. وزيادة التعنت والإذلال قررت الدول الأوروبية عقد مؤتمر استانبول لمناقشة أوضاع ولايات البلقان واليونان داخل مدينة استانبول ذاتها. في الوقت الذي كان السلطان مازال يتلقى تهنئات.. وبدأت روسيا التحرك على شتى الجبهات.. واندلعت أعمال العنف المارونية في بيروت مما تسبب في مقتل ستة آلاف منهم.. وتخريب العديد من المدن والقرى، كما اندلعت أعمال العنف والشغب المتعددة فى جميع الأحياء المسيحية فى الشام بتحريض من القوى الأجنبية، وقُتل القنصل الفرنسي فى جدة في أيام الحج، كما قُتل بعض الأوروبيين أمام المعسكرات العثمانية في

المدينة، وترتب على ذلك ردود فعل عنيفة في كل مدن أوروبا.

ليس هذا فقط، بل قدم نائب السفير الإنجليزي فى استانبول مذكرة إلى الباب العالى جاء فيها " إن مجموعة من اليهود يودون السكنى فى برية الشام، وقد قدموا مشروعًا للدولة بهذا الخصوص، وقد تم تشكيل هيئة من قبل دولتنا لدراسة المشروع، وهل هو قابل للتنفيذ من عدمه، فماذا تم بهذا الصدد"، واختتمت المذكرة كلامها قائلة" وفي نهاية ذلك.. وبأى حال من الأحوال، فإننى أريد ردًا قاطعًا بهذا الصدد فى ظرف أسبوع.. فإن ترك هذا الأمر معلقًا يسبب لى الكثير من الإزعاج، وكلنا نعلم ما يمكن أن يترتب على ذلك"، هكذا كان الصلف فى التعامل، والتستر على المخططات الصهيونية الماسونية.

ليس هناك باحث منصف ينكر أن السلطان عبد الحميد كان عدوًا للماسونية التى تسللت إلى مناطق الدولة العثمانية منذ أمد بعيد، وأن علاقته باليهود والصهاينة وأذنابهم، لم تعد خافية على أحد، أو مستترة على أى باحث فالعداء كان سافرًا، واللعب لم يعد فى الخفاء، بل أصبح على المكشوف فيما بينهم، فبعدما اتضحت ملامح شخصية السلطان عبد الحميد الثانى وصلابته وسياسته في العالم الإسلامى، لم تترك الصهيونية العالمية وسيلة إلا واستخدمتها لكي تزلزل كيان الدولة العثمانية. وتعجل بوفاة الرجل المريض لكي تنهش جسده الغربان المتربصة، لقد وقف الرجل أمام الأطماع اليهودية، والصهيونية، والماسونية، والتيارات الاستشراقية الاستعمارية طوال ثلاث وثلاثين سنة بصلابة وشجاعة منقطعة النظير.. إذن لابد من القضاء عليه، فكانت قرارات أول مؤتمر صهيونى ماسونى يعقد على مستوى العالم فى مدينة بازل بسويسرا سنة 1897م تروج لذلك، وتسعى إليه.

وما يهمنا بهذا الصدد ، ويُعد تكملة لمحاور هذا الكتاب الذى نقدم له، أنه ومن أجل إقامة وطن قومي فى فلسطين، وتشكيل حكومة صهيونية، فلابد من تجربة سائر الوسائل معه.. النقود..! عرضوا عليه ملايين الجنيهات الذهبية.. فرفضها.. وكان أول من حاول معه هذه المحاولات الدنيئة هو تيودور هرتزل ورئيس أطباء القصر السلطاني موشى ليفي، فلما عرضوا عليه مطلبهم الخسيس، وعرضهم المغري كان رده

عليهم كما يلي:

"من أجل العدل بين سائر رعية سلطنتي.. فنعم.. ولكن من أجل إقامة دولة يهودية في فلسطين التي أخضعها أجدادي بالدماء.. فلا.. وقد أصدر السلطان عبد الحميد الثاني في هذا الصدد ثلاثة فرمانات سلطانية.

كانت تأشيرة السلطان على مذكرة مقدمة إليه، وعلى حافة المذكرة ما يلي:

21 ذي القعدة 308 (.. مع إعادة المذكرة.. فإن قبول اليهود المطرودين من كل الأماكن فى ممالكي الشاهانية.. واتخاذ إجراءات ومعاملات ستنتج فى المستقبل دولة يهودية فى القدس.. فإن هذا غير جائز.. وبدلًا من التفكير فى أراضي ممالكي الشاهانية الخالية.. فلم لا يفكر فى إرسالهم إلى أمريكا.. وإذا لم يقبلوا هذا، هم وغيرهم فضعوهم فى السفن فورًا.. وليصدر قرار قاطع وجدى من قبل مجلس الوكلاء بشأن تفرعات وتفصيلات إرسالهم إلى أمريكا.. ويعرض على.. لأن الذين لم يقبلهم الأوروبيون المتحضرون فى بلادهم ويطردونهم منها فلماذا علينا نحن أن نقبلهم.. وخاصة أنه ما دام هناك فساد أرمنى.. فإن هذا غير جائز قطعيًا.. وبناء عليه.. ولكى لا يكون هناك مجال للعرض المتفرق فى هذا الباب.. لكى يتم إصدار قرار إجمالى فى هذا الخصوص... يعاد الأمر إلى الصدارة..).

نستنتج من هذه التأشيرة بُعْد نظر السلطان عبد الحميد الثانى، وكيف كان متيقظًا لما يخطط فى الخفاء من قبل الدول الأوروبية.. ولماذا لم يرسلوا باليهود الذين طردوهم من بلادهم إلى أمريكا الشاسعة!! وإذا ما دققنا النظر فى الأحداث التى تجري اليوم لأدركنا الأبعاد التاريخية لهذه المأساة الفلسطينية.. ومن ناحية أخرى لأدركنا لماذا تكاتفوا على خلع هذا السلطان.

* * *

المؤلف
ستانفورد جيه شاو
Stanford.J.Shaw

ولـد سـتانفورد جيـه شـو مؤلـف هـذا الكتـاب لأسرة عاشـت أولًا فى روسـيا ثـم هاجرت إلى سانت بول فى انجلترا. ثم انتقل ستانفورد مع والديه إلى لـوس أنجلـوس بالولايات المتحدة الأمريكيـة. وكـان ذلـك على التـوالى في الـسنوات الأولى مـن القـرن العـشرين حيـث ولـد فى الخـامس مـن مايوعـام 1930م= 1349 هـ ، وظلـت العائلـة في كاليفورنيـا مـن عـام 1933م= 1352هـ حتـى عـام 1939م وانتقلـوا إلى هوليـود بـسبب مرض والده، وفى سانت مونيكا حيث شواطئ المحيط الهادى ذهـب الطفـل سـتانفورد إلى الروضـة.. ولكـن لمـا كـان والـده يعمـل فى معمـل للتـصوير الفوتـوغرافى توجهـت العائلة إلى البندقية، تم طلاق الأم وانفصلت عن الأب عام 1939م حيث كان الابن قد دخل إلى المدرسـة الإبتدائيـة، ظـل مـع والدتـه وذهبـا إلى أكـرون بولايـة أوهـايو خـلال الحرب العالميـة الثانيـة (1939- 1945م) ودخـل المدرسـة الابتدائيـة هنالـك. وعـاد مـع والدته إلى سانت بول.

تزوجـت الأم بميكـانيكى فى المدرسـة الثانويـة بـنفس المدينـة. خـلال عـام 1947م= 1367 هـ . أنهـى دراسـته الثانويـة وكـان واحـدًا مـن الطـلاب الخمـسة الـذين ذهبـوا إلى الجامعة.

تخـصص فى التـاريخ البريطـانى تحـت إشراف البروفيـسور كـارل.. ثـم حـصل عـلى دراساته العليا حول تاريخ الـشرق الأدنـى فى جامعـة سـتانفورد تحـت إشراف الأسـتاذ وين فى نفس الجامعة عام 1951م . وإذا كان قد أنهى البكالوريوس عام 1951م فإنـه قـد حـصل عـلى درجـة الماجـستير عـام 1952م . ثـم أجـرى بحوثًـا فى معهـد هـوفر حـصل بمقتضاها على أطروحة الدكتوراه فى نفس جامعـة سـتانفورد حـول الـسياسة الخارجيـة لحزب العمال البريطانى.

درس ستانفورد جيه شو تاريخ الشرق الأوسط إلى جانب دراسته للعربيـة والتركيـة

الحديثة والفارسية حتى يكون مستشرقًا. وقد سافر إلى إنجلترا بعد ذلك ابتداء من عام 1952م كطالب دراسات عليا وحصل هناك أيضًا على الماجستير في جامعة بريستون عام 1955م، وحصل على الدكتوراه فى الدراسات الشرقية والإغريقية فى جامعة لندن ومع كل من الأستاذ ويتكس Wittek وبرناد لِيسريس فى جامعة أكسفورد.. وشارك فى تحرير التقرير الإنسانى مع جيب وآدولف وسيد الشيخ فى جامعة الأزهر. بعد هذا ظل فى جامعة القاهرة للدراسة مع شفيق غربال حول مصر وحصل على أطروحة حول الحكم العثمانى فى مصر من واقع الأرشيف قبل أن يغادر مصر. وفى مقابلة له مع الرئيس جمال عبد الناصر أمَّن له أن يأخذ الميكروفيلم الخاص بالوثائق خارج مصر. وفى عام 1956م= 1376هـ درس فى الجامعة مع البروفيسور/ عمر لطفى بارقان والبرفيسور/ مكرمين خليل ينانس وخليل صالح أوغلى وذكى وليدى دوغان. وكان يتابع أبحاثه فى الأرشيف العثمانى حيث تلقى المساعدة اللازمة من سائر أعضاء الأرشيف من ضمنهم ضيا أشرف أوغلى وتورغوت اشيقصال ورؤوف طونجاى وآتيلاچتين. وكذلك فى أرشيف طوبقابى سراى حيث حصل على المصادر والمساعدة القيمة من مدير الأرشيف خير الله أورص. ودرس أيضًا مع البروفيسور إسماعيل حقى أوزون وحصل على درجة الدكتوراه أيضًا عام 1958م= 1378هـ فى جامعة برنستون حول "المنظمات الإدارية والمالية لولاية مصر العثمانية فيما بين 1517- 1798م" تحت إشراف الأستاذ الدكتور لويس طوماس والأستاذ الدكتور/ همبلتون أ. د. جب، وقد تم طبعها فى مطابع الجامعة عام 1962م= 1382 هـ.

عمل ستانفورد أستاذًا مساعدًا وأستاذًا للتاريخ واللغة التركية فى قسم تاريخ الشرق الأدنى ولغاته فى جامعة هارفرد فيما بين 1958- 1968م وعمل أستاذًا للتاريخ التركى فى جامعة كاليفورنيا/ لوس أنجلوس من 1968- 1992 م، ثم قام بتدريس التاريخ التركى فيما بين 1992- 1997م فى العديد من مراكز الأبحاث قبل أن ينتقل إلى جامعة بيلكنت Bilkent كأستاذ للتاريخ العثمانى والتركى. ستانفورد شو أول محرر ومدير تحرير- The International Jornal of middle East Studies- التى طبعت فى كمبريدج، وهو محرر للعديد من الكتب والأبحاث والمقالات، ألف مع زوجه أذل

قورال شو كتابًا فى مجلدين حول الإمبراطورية العثمانية وتركيا الحديثة. طبع فى مطبعة جامعة كمبريدج عامى 76/ 1977م. وله "ميزانية مصر العثمانية" و"مصر العثمانية خلال الحرب الفرنسية" عام 1991م، و" مصر العثمانية فى القرن 18" و"تركيا والهولوكوست" عام 1992م .

تزوج ستانفورد جيه شو إزل قورال شو ابنة الباشحاخام يهود مدينة استانبول، وقد وفرت له هذه الزيجة العديد من الفرص والمكانة المرموقة بين جماعة يهود تركيا والعالم والذين فتحوا هم بدورهم العديد من الأبواب المغلقة أمام ستانفورد شو، فقد أصبح عضوًا شرفيًا في الجمعية التاريخية التركية في أنقرة وحصل على درجة الزمالة الشرفية من جامعة هارفرد . ومن جامعة "بوغازايچى" (البوسفور) فى استانبول، والعضوية في الجمعية التاريخية للشرق الأوسط وعضوية المجمع التاريخى الأمريكى والوقف التاريخى فى استانبول وتسلم قلادة الشرف من الرئيس التركى. ونال عضوية مركز التاريخ الإسلامى I RCICA للفنون والتاريخ فى قرن يلديز باستانبول وغير ذلك العديد من المنظمات البحثية والاجتماعية.

لقد توفى المستشرق ستانفورد جيه شو فى اليوم السادس عشر من ديسمبر سنة 2007م عن عمر ناهز السادسة والسبعين عامًا.

الكتاب موضوع الترجمة:

The Jews Of Ottoman Empire and The Turkish Republic. Stanford Shaw.
Publish Info . New York : New York University Press. 1991.

يقع الكتاب فى ثلاثمائة وخمس وأربعين صفحة من القطع الكبير مزودًا بالصور، والجداول الإحصائية.. غير المقدمة، وقائمة المختصرات، فهو مكون من خمسة مباحث، يكمل بعضها بعضًا... ويذكر المؤلف أن هذه الدراسة قد استغرقت من وقته 35 عامًا قضاها في البحث، والتقصى فى التاريخ العثمانى، متنقلًا بين المكتبات، ودور المحفوظات فى كل من بريطانيا وتركيا والولايات الأمريكية وفرنسا ومصر.. ولم تكن هذه الدراسة لتتم لولا مساعدات وتوصيات العديد من الشخصيات المهمة على مستوى العالم.. ويخص بالشكر الحاخام حائيم ناحوم أفندى آخر حاخام أعظم للدولة

العثمانية (من 1909- 1920م) الذى التقى به عدة مرات فى القاهرة خلال المدة الممتدة من يناير إلى مارس 1956م، حيث أصبح حاخامًا بها منذ عام 1925م إلى 1960م، ثم يعد الحاخامات الذين التقى بهم، وأمدوه بيد العون والمساعدة... كما يقدم الشكر إلى مديرى الأرشيفات العثمانية على مستوى العالم.. ثم أعقب المقدمة بقائمة تضم أسماء الحاخامات اليهود، والذين أورد صورهم واللوحات التى تبين ملبوسات اليهود، وأزياءهم فى استانبول وبورصة وحلب وسلانيك والقدس وصور المعبد اليهودى فى عاصمة الدولة العثمانية.

* * *

المبحث الأول:
Ingathering of the Jews
أى تجمعات اليهود...

وهو يتناول تجمعات اليهود فى المنطقة التى تُسمى الآن "جنوب أوروبا" وتركيا والشرق منذ سنة 1300م حين انبثقت الدولة العثمانية تحت قيادة عثمان الأول، وحتى انهيار إمبراطوريتها مع نهاية الحرب العالمية الأولى، ثم يستمر مع قصة اليهود مع امتداد الدولة العثمانية، والتى هى تركيا فى العصر الحديث، أى الجمهورية التركية.

ويثير الكاتب إشكاليات دراسة اليهودية، واليهود فى الدولة العثمانية وتركيا المعاصرة-وخاصة باللغتين العثمانية والتركية- وجهود المستشرقين والمستغربين، في هذا الصدد.. ثم يثير التساؤلات حول المناطق التى كان يعيش فيها اليهود، والظروف والملابسات التى وفدوا فيها إلى بلدان الإمبراطورية العثمانية، وولاياتها المتعددة.

يتعرض المؤلف لأوضاع اليهود في كل بلدان أوروبا عبر التاريخ، وموقف التكتلات المسيحية منهم، وموقفهم هم من التجمعات التى كانوا يعيشون بين ظهرانيها.. ومدى التضييق، والتعصب الذى كانوا يعيشون فيه.. والمجازر التي تعرضوا لها فى غرب أوروبا ومحاكم التفتيش التى تعرضوا لها في الأندلس على أيدى المسيحية المتعصبة.. وكيف أنهم طردوا من إسبانيا سنة 1391م، كما أبعدوا من قبل من المجر سنة 1375م، على الرغم من أنهم في هذه البلدان، كانوا يعيشون في ظروف أحسن قليلًا من غيرها من البلدان الأوروبية المسيحية.

ثم ينتقل المؤلف بداية من الصفحة التاسعة إلى الحديث عن يهود العالم الإسلامى، وعن أوضاعهم في إسبانيا عندما كانوا تحت الحكم الإسلامى، على اعتبار أنهم من أهل الذمة وكيف أنهم كانوا يعيشون فى حسن جوار حتى مع العرب قبل الإسلام وبعده، تمتعوا بالنظرة التسامحية للإسلام تجاه الأديان السماوية الأخرى. واستمروا في التمتع بحرياتهم الدينية خلال العصر الأموى في دمشق والأندلس، أو في العصر العباسى فى بغداد، وبكافة حرياتهم الأخرى مقابل دفع الخراج والجزية...

يعود المؤلف إلى وضع المسلمين فى الأندلس وما أحيق بغير المسيحيين من الهزائم، والسقوط الذى لحق الدويلات العربية فى تلك الديار خلال فترات الانهيار، ويتعرض هنا أيضًا للمآسى التى لحقت باليهود والمسلمين على حد سواء على يد الصليبية المتعصبة.. وكذا محاكم التفتيش التى تشكلت فى إسبانيا.. ويذكر كيف أن 150 ألف يهودى قد أجبروا على الهجرة من إسبانيا فى غضون أربعة أشهر فقط، من أواخر إبريل إلى الثاني من أغسطس عام 1492م .

ولكن كانت المشكلة إلى أين يتجهون...

يترك الأستاذ الدكتور ستانفورد شو يهود إسبانيا فى الشتات بين دول أوروبا، وشرق أوروبا بالذات.. ويتجه إلى تجمعات يهودية أخرى، وهم يهود روما وبيزنطة..

تبين للمؤلف أن الكثيرين من يهود الشرق الأوسط الذين كانوا يعيشون في ظلال التسامح الإسلامى قد اضطروا– أمام انهيار الخلافة العباسية على أيدى المغول– إلى الانتقال إلى الأراضى البيزنطية.. ويعود إلى ما هو أبعد من ذلك.. ويبين كيف كان وصول اليهود إلى بيزنطة القديمة... وكيف وفدوا من الفردوس المفقود إلى السواحل البيزنطية فى الأناضول، وبحر إيجه، كما اتجهوا إلى طرابزون على ساحل البحر الأسود، وكيف توجهوا إلى بورصة، وقونيه وإلى وسط وجنوب شرق الأناضول، وبعد تحطيم معبدهم الثانى سنة 70 بعد الميلاد، وحتى قبل وجود بيزنطة ذاتها.

إنتقل المؤلف بعد ذلك إلى نظرة الحضارة الهانستية إلى اليهود، واعتبارهم من الشعوب التى لايحبهم الله.. وبدأوا يعاملونهم كمواطنين من الدرجة الثانية، ويواصل معهم المسيرة حتى قيام الإمبراطورية البيزنطية الشرقية، وجعل القسطنطينية عاصمة لها.. إلى أن فتحها السلطان العثمانى محمد الثانى 1453م وحولها إلى استانبول ...

وكما هو وضع اليهود دائمًا، فقد عاشوا أيضًا فى تجمعاتهم الخاصة بهم، ولم يختلطوا بطوائف المجتمع الأخرى.. وكان أهم ما اشتغلوا به هو القانون والطب فى روما، وخاصة في الأيام الأولى لبيزنطة الشرقية، ولكن فيما بعد شاركوا إلى حد ما في بعض الأنشطة الأخرى.

استقر يهود بيزنطة فى القسطنطينية وأدرنـة وسـلانيك وعنـدما احتـل اللاتـين مدينـة القسطنطينية 1204م قاموا بتخريب المعبد اليهودى الـذي كـان موجـودًا فى حـى باغچـه قابى Bahçe Kapı ثم أتت النيران التى اندلعت خلال الحريق الشامل على البقيـة منه، بل طالت النيران كنيسة القديسة أيا صـوفيا ... ويظـل المؤلـف بطريقتـه الموثقـة فى تتبـع يهود بيزنطة حتى انتقالهم إلى سيطرة، ونفوذ الإمبراطورية العثمانية الناهضة.

يوجز الكاتب حديثه عن كيفية ظهور العثمانيين في شمال شرق الأناضـول، ثـم زحفهـم على حساب ممتلكات الإمبراطورية السلچوقية من ناحيـة، وأراضى الإمبراطوريـة البيزنطيـة الشرقية من ناحية أخرى مع بدايات القرن الرابع عشر (1300م).

وما إن وصلت هذه الدولة إلى سـنة 1566م حتـى كانـت كـل أواسـط آسـيا، وشـمال أفريقيا وبين النهرين وشبه جزيرة البلقان تحت سيطرتها ولاحت عـلى حـدودها أسـوار فيينا بعد امتلاك المجر.. وانتقلت عاصـمتها مـن بورصـة إلى أدرنـة ، ثـم اسـتقرت بعـد ذلك في استانبول.

تمتع اليهود- على حد قـول المؤلـف- تحـت سـيطرة الدولـة العثمانيـة بحريـات دينيـة وتجارية ومهنية واجتماعية جعلتهم يتنقلـون- فى معظـم الأحيـان- فى حريـة كاملـة بـين المدن العثمانية، ويمارسون فيها الأنشطة المختلفة، ومنحـتهم هـذه الحريـة الفرصـة لكـى يكونوا تجمعات ديموغرافية ملموسة.

كـذلك يـستعرض الكاتـب جهـود الـسلاطين العثمانيـين فى تـشجيع التـوطن فى المـدن البيزنطية بعد فتحها.. ويتحدث عن التغير السكانى الذى طرأ على مدينة استانبول بعـد أن فتحها محمد الفاتح.. والـدور الـذى قـام بـه اليهـود، والأرمـن واليونـانيون والـذين أمـنهم الفاتح، و أمنهم في تعمير المدينة وخلق أحياء سكنية جديدة ذات طـابع عثماني إسـلامي.. وإذا كان بعض الأرمن واليونانيين لم يثقوا فى الوعود التركية.. وفضلوا الهجرة ، فإن اليهود الذين كانوا فى القسطنطينية رحبوا بالترك، وسارعوا فى التعامل معهم.

ويورد المؤلف في هذا الجزء مقتطفات من كتابات المؤرخين اليهود مبرزًا فيها الـدور الذى لعبه اليهود في الدولة العثمانية منذ عهدها المبكر.

المبحث الثاني:

العصر الذهبي لليهود العثمانيين ص37- 108

يعد هذا المبحث من أهم مباحث الكتاب؛ حيث استعرض فيه المؤلف أهم ما تحصل لديه من معلومات عن اليهود، وتشكيلاتهم في المجتمع العثماني، بدأ بالحديث عن التوزيع السكاني لليهود في الدولة العثمانية، وعن المناطق التي وفدوا منها.. والأعداد التي هاجرت إليها من أسبانيا وغيرها من المناطق التي سبق الحديث عنها.. واستعان المؤلف بالإحصاء المبكر الذي قام به الرحالة التركي الشهير أوليا چلبي لسكان مدينة استانبول، وأنه ذكر أن عدد اليهود فيها سنة 1637م كان أحد عشر ألف أسرة أي فقط سبع وسبعين ألف نسمة، وأنهم كانوا يسكنون في خاصكوى Hasköy وأنهم كانوا أقل من أية طائفة من الطوائف المسيحية.

ويستعرض المؤلف الأحياء الأخرى التي كان يسكنها اليهود، وعدد بيوتهم والأعمال التي كانوا يزاولونها.. وكيف كانوا يعيشون في تجمعات وفقا للبلدان التي وفدوا منها.

ينتقل المؤلف إلى عنصر آخر، ألا وهو التنظيمات اليهودية المشتركة، وقارن هنا بينهم وبين مَنْ سواهم من أهل الذمة.. وكيف أن السلاطين العثمانيين قد حرصوا على هذا التنظيم الذي ورثوه عن الإمبراطورية البيزنطية بعد فتح محمد الثاني للعاصمة، وكما هو متبع تقليديًا في الامبراطوريات الإسلامية الأخرى.

وعلى طريقة المؤلف المعهودة، فإنه يثير التساؤلات ويحاول الرد عليها، ويثير هنا تساؤلًا، هل كانت الأحياء أو التكتلات اليهودية العثمانية تدار من طرف الحاخام الأكبر.. ثم يسترسل في الإجابة على هذا التساؤل وغيره، متنقلًا من تساؤل إلى آخر، ثم ينتقل إلى الحديث عن عدم مركزية السلطة اليهودية.. بل إن اليهود خلال الخمسة قرون التي عاشوها تحت حكم الدولة العثمانية، قد عاشوا خاضعين للثقافات التي وفدوا منها.. فقد كان هناك اليهود الذين ظلوا تحت الإدارة الرومانية والبيزنطية..

واليهود الذين يتحدثون اليونانية ظلوا يستخدمونها كلغة دراسة. وكان هؤلاء يعتبرون أنفسهم الطبقة الأرستقراطية لليهود.. وينظرون نظرة متدنية لهؤلاء الذين يفدون من أوروبا ويستطرد فى الحديث عن عدم وجود ثقافة واحدة، أو موحدة لليهود.. وعن العلاقات بين هذه التجمعات غير المتجانسة، ثم يصل إلى عملية تنظيم المجتمع اليهودى، ومحاولاتهم للعيش فى جماعة أو تنظيم جماعى بدلًا من أنهم عبارة عن طوائف، أو جماعات، أو ملل، لكل منهم معبده ومستشفياته ومدارسه وحاخامه الخاص، وكان مثلهم فى ذلك مثل الطوائف المسيحية، ويبين الكاتب كيف أنهم استفادوا من تسامح السلاطين العثمانيين، وكانوا يستصدرونهم الـ (إدارة السنية) التى كانت تسمح لهم بإعادة بناء أو ترميم أو صيانة المعابد القائمة بالفعل، دون السماح ببناء معابد جديدة.. ويستعرض المؤلف المعابد اليهودية فى مدينة استانبول وغيرها، ذاكرًا أماكنها، والشوارع والأزقة التى كانت موجودة بها.. بل يذكر أنه كانت هناك بعض المعابد المتجاورة، والتى يختص كل واحد منها بطائفة بعينها.. وأن لكل منها بوابته الخاصة وجدرانه الخاصة به، رغم التصاقها بعضها ببعض...

لم يكن المؤلف يتطرق إلى الحديث عن يهود استانبول فقط، بل كان يتطرق إلى الحديث عنهم في سلانيك، وسرايفو وأدرنة وغيرها من الولايات الأوروبية، وكذا فى المقاطعات الأسيوية مثل بورصة وإزمير وغيرها من الولايات العربية كطرابلس الغرب وفلسطين وحلب والموصل وبغداد ، كما كان يتحدث عن المهن التى كانت تنتشر بين كل طائفة من هذه الطوائف.

بين الكاتب أن فلسطين كانت مقسمة إلى أربعة مناطق، وبين كيف أن اليهود كانوا بها قلة متناهية وكيف كانوا يتسمون، فالإشكناز وهم الوافدون من وسط أوروبا، والسفارديم اليهود القادمون من شبه جزيرة أيبريا.. والمغاربة هم الوافدون من شمال أفريقيا.. واليهود المستعربة اليهود الذين قدموا من البلدان العربية الأخرى. وكانوا يعملون بها بالزراعة والتجارة وبعض الحرف الصناعية خلال عهد السلطان سليمان القانونى (1520– 1566م). ثم ينتقل إلى الحديث عن يهود سوريا ومصر التى كانت تعتبر مرتعًا لتجمعات اليهود، وكما هو شأنهم فكما لعبوا اللعبة مع المماليك (1250–

1517م) فلم يمض وقت طويل حتى تعاملوا بنفس اللعبة مع العثمانيين عقب انتقال السلطة إليهم فى مصر 1517م. على يد سليم الأول.. ويتابع المؤلف حديثه عن يهود مصر فى القاهرة والإسكندرية ودمياط التى كانت أكثر أهمية فى العصر العثمانى.. وقد عملوا فى مصر بالتجارة والترجمة للدبلوماسيين المقيمين في مصر أو للتجار والرحالة الذين كانوا يأتون إليها.

ويستمر المؤلف على هذا المنوال حتى يصل إلى عملية توحيد التجمعات اليهودية العثمانية، ويستعرض الجهود التى بذلت حتى وصلوا إلى عملية التوحيد هذه تحت راية السلطة العثمانية.

ولم يهمل الكاتب الحديث عن الإسكان، وعن منازل اليهود ومعمارها وتكوينها، وعن مستوياتها في كل الولايات والمقاطعات التى كانوا يسكنونها، والتى كانت تابعة للدولة العثمانية.

كما يتحدث المؤلف فى كتابه هذا عن الدرجات الكهنوتية للحاخامات، وكذا التقسيمات الحرفية لدى اليهود.. مستعينًا فى ذلك بكتابات الحاخامات أنفسهم.

كما تناول الحقوق والواجبات والسلطات التى كانت مخولة لكل معبد، أو حاخام.. وكيفية اختياره، أو انتخابه.. وتحديد مستوى السلطة الممنوحة لكل منهم، وفق القانون الخاص بهم.

ثم ينتقل إلى المعابد Synagogue: تجمعاتها.. ومبانيها، وتنظيمها وأقسامها، وأسمائها والتقاليد المرعية فى تسمية كل معبد من المعابد المقامة، وأن بعضها كان يسمى طبقًا للحى السكنى، أو للمنشىء.. أو وفقًا لشكل أو طريقة وصولهم إلى أراضى الدولة العثمانية، أو باسم العائلة التى أقامته. يتطرق البحث عن التكافل الاجتماعى بين اليهود بعضهم البعض.. كمساعدة الفقراء منهم، ورعايتهم ومساعدتهم فى الحصول على عمل، وعتق الأرقاء منهم، وعن التعليم فيما بينهم ونقل الخبرة المهنية وسريتها بين اليهود، ودفع الضرائب أو الجزية عن غير القادرين، ومقدار الضرائب والتمويل اللازم للجزية والخراج المفروض على اليهود في الدولة العثمانية.

وينتقل المؤلف إلى عنوان رئيسى عن اليهود في المجتمع العثماني (صـ77).. وبعد أن يقدم لهذا الموضوع بنظرة المسلمين لغيرهم من أهل الكتاب أو الذميين يبدأ فى تخصيص الحديث عن اليهود وسط المجتمع العثمانى.. وكيف أنهم كانوا يتواءمون ظاهريًا مع الوضع، ويتسمون بأسماء محلية يلتبس على سامعها ديانة صاحْبها.. وكيف كانوا ينتقلون إلى الإسلام، ويتخذون أسماء مسلمة مثل عبد الله، بل ينتقل للحديث عن ملبوساتهم وأطعمتهم، وكيف أنهم كانوا يتوارون فى الملبوسات العثمانية.. ويتعودون فى الظاهر على نفس العادات والتقاليد العثمانية، ولكن فى نفس الوقت لم يفرطوا في عاداتهم وتقاليدهم، ومحافلهم الخاصة بهم.. كما تناول المؤلف التقسيمات الطبقية أو لنقل الطبقات اليهودية في المجتمع العثمانى.. ولكن يبين لنا كيف أنهم إنغلقوا على أنفسهم إلى حد ما بعد بدايات القرن الثامن عشر.. ويبين كيف أنهم أصبحوا طبقة لها مميزاتها الخاصة فيما بينهم.. ولم يترك المؤلف الحديث عن الأوبئة والحرائق التي كانت تنتشر فى الأحياء اليهودية، ويرجع ذلك إلى كونهم مجتمعات، أو تجمعات منغلقة على نفسها معماريًا، مما كان يزيد من فداحة الكارثة عندما تقع.

ثم يعرج الكاتب إلى الحياة الاقتصادية، والاجتماعية اليهودية في العصر العثمانى، ويشير إلى أن اليهود قد لعبوا دورًا اقتصاديًا ملحوظًا أكثر من غيرهم من أهل الذمة في العصر الذهبى للدولة العثمانية، ويبين كيف أنهم استأثروا بأنشطة مالية واجتماعية اختصوا بها مثل الطب، والأعمال المالية ثم البنكية.. ويتعرض لأهم رجال المال والاقتصاد والأطباء الذين برزوا في المجتمع العثمانى.. ولم يغفل الحديث عن سيدات المجتمع اليهودى، والدور الذى لعبنه فى المجتمع الأرستقراطى، وكيف وصل بعضهن إلى صنع القرار وأصبحن من ذوات النفوذ.

ويتضح فى الكتاب كيف كان يهود استانبول وسالونيك هم همزة الوصل في التجارة مع شمال شرق أوروبا.. واستقر عدد كبير من التجار اليهود في أزمير، اعتبارًا من الربع الأخير من القرن السادس عشر.. وأظهر كيف أنهم توغلوا في الإدارة المحلية، وخاصة فى مصر وفى إدارة جباية الضرائب.

ولم يهمل الحديث عن نشوء الثقافة والفلسفة اليهودية خلال العصر العثماني ودور اليهود في إدخال الطباعة، وطبع بعض الكتب العبرية في السنوات الأولى من القرن السابع عشر، كذا دورهم في الفنون، وعدَّد أسماء العديد من الذين لعبوا دورًا بارزًا في هذه المجالات.

إنحدار اليهودية العثمانية في القرن السابع عشر والثامن عشر:

كل النفوذ والنجاحات التي حققها اليهود في العصر الذهبي خلال القرنين الخامس عشر والسادس عشر، اختفى معظمها في المائتي سنة التاليتين.

فلقد بدأ التفسخ والانهيار من الطبقات الحاكمة أولًا.. ويستعرض المؤلف عوامل انهيار الدولة العثمانية.. وكيف أن بوادر هذا التدهور قد ظهرت إرهاصاتها في نهاية القرن السادس عشر الميلادي، وكانت بدايات الانهيار ليست في الأرستقراطية التركية، بل بدأت في العناصر الأخرى المتركة. كما يشير إلى تدهور مستوى السلاطين الذين أتوا على رأس الإدارة خلال هذه المرحلة.

كما يتناول المؤلف في هذا البحث حركات العصيان التي كثرت في الدولة العثمانية خلال القرنين موضوع الدراسة. ويشير إلى أنه إذا كانت حركات العنف والإرهاب والعصيان قد بدأت في العاصمة، فإنها انتشرت رويدًا رويدًا في بقية المقاطعات والولايات، كذلك يشير إلى تدهور النواحي الإدارية، وإمدادات المياه في العاصمة، وبقية المدن الأخرى، كما ازدحمت المدن والقصبات التركية بالوافدين إليها من المناطق الأكثر تدهورًا في المتطلبات الحياتية، يكثر المؤلف من وصف الحالة التي وصلت إليها المدن وتدهور أدوات مكافحة الحرائق؛ مما زاد من خطورتها إذا ما اندلعت وما أكثر اندلاعها.. وتعرض هذا المبحث إلى المخاطر التي كان يتعرض لها السفر بالبحر، كما هو الحال بالنسبة للبر، وذلك بسبب القرصنة البحرية، والعصابات البرية، ويستعرض الخسائر في السفن، وفي كراوانات أي قوافل السفر البرية، كقوافل التجارة، وحتى قوافل الحجيج لم تسلم من مثل هذه الهجمات.

ووصل المؤلف إلى الصراع الإنجليزي- الفرنسي على سطح البحر الأبيض

المتوسط ، كما تعرض المؤلف إلى لما تعرضت له البحرية العثمانية في البحر الأحمر، والبحر الأسود وحتى بحر مرمرة. ولم يغفل المؤلف الصراعات التجارية بين التجار الأوروبيين، والامتيازات التى أعطيت للبعض على حساب الآخرين، وما مُنح لليهود مما أدى إلى التنافس، والتصارع، بل الدسائس.. ويبين أن هذه القلاقل وحركات التمرد لم تكن وقفًا على العاصمة، بل امتدت إلى كل الولايات، وشبه جزيرة البلقان، وصدام القوى المحلية في المجر والبوسنة وصربيا.. والصدام الدائم مع قوات الانكشارية.

وينتقل الباحث إلى أثر هذا الانهيار والتدنى على اليهود العثمانيين، فليس من الصعب تخيل مدى المعاناة التي عاناها يهود الدولة العثمانية، وما قاموا به، وألم بهم خلال فترات الانهيار هذه.. وتناول مدى انتشار الصراع بين اليهود، وغيرهم من أصحاب المذاهب الأخرى غير المسلمين. وكيف حاول رجالات الدوشيرمة، والدوبلوماسيون الغربيون، والتكتلات التجارية إخراج اليهود من مراكز صنع القرار فى السراى، وفى المواقع المهمة في الدولة، وإحلال المسيحيين المحليين محلهم، وخاصة من الأرمن واليونانيين.

ونجح هؤلاء في الوصول إلى بعض السلاطين، ورجالهم في السراى الحاكم، وبدأت عملية إحلال هؤلاء محل اليهود في البنوك والمتاجر والترجمة، وإن ظل بعض اليهود يعملون كممثلين دوبلوماسيين للسلطان، أو مندوبين عن الصدر الأعظم، ويبين هذا المبحث أنه إذا كان اليهود قد اصطدموا مع الدوشيرمة الذين هم من أصل مسيحى، فقد كان الإنكشارية يكرهونهم لأفعالهم وأعمالهم، ولم يكن اليهود يفلتون من هجماتهم في أى حركة عصيان تقوم بها هذه القوات.

وقد كان هناك تعاون وثيق بين الإنكشارية والدوشيرمة في هذا الصدد، ويعدد المؤلف أوجه الاتفاق والتعاون ضد اليهود كالضرائب والجزية.. وضرائب الحرب، خاصة وأنه لم يكن يسمح لليهود بالاشتراك في أى حرب. بل يتعرض أيضًا للهجمات التى كان يشنها المماليك في مصر ضد اليهود لأعمالهم الاستغلالية، والاستفزازية، ويضرب على ذلك الأمثلة الكثيرة، من بينها كيف أن المملوك على بك الكبير قد أجبر بعض اليهود على تغيير أسمائهم، وقبض على العديد منهم كعبيد، ولم يطلق سراحهم

إلا بعد دفع البدلات اللازمة، كما يعدد ما فعله أحمد باشا الجزار ضد يهود عكا، واعتبر ذلك ضمن ما يقوم به الجزار ضد الدولة العثمانية ذاتها.. وإذا كان المؤلف قد أورد الكثير من الملاحق، وخصص الملحق الأول عن حاخامات استانبول، وولايات الدولة العثمانية والجمهورية التركية حتى سنة 1961م. فإن الملحق الثانى قد خصصه لتعدادات سكان الإمبراطورية العثمانية وفقًا لإحصائيات القرن التاسع عشر، وبدايات القرن العشرين، وقد وضعها في جداول، الجدول الأول عن الإمبراطورية عامة، والجداول من 2-12 عن الولايات الأوروبية، والجداول من 13- 49 قد خصصها لتعداد سكان الأناضول، والولايات الآسيوية، ولقد خصص جدولًا عن مقاطعة استانبول، شاملًا المدينة ذاتها، والجزر والبوسفور، وبك أوغلى، و اسكدار، وشيلة، وكان يقسم الجدول وفقًا لسنة التعداد، فيورد العدد الإجمالى، ثم عدد اليهود، وعدد المسلمين، وعدد الأرمن الأرثوذكس، والجريك الأرثوذكس. ووفقًا لما أورده عن تعداد سنة 1914م كان عدد يهود سنجق القدس (يورشاليم، ويافا، وغزة، وخليل الرحمن) بالضبط 21,259 يهوديًا، بينما كان في نفس السنجق 266,044 مسلمًا، و1301 أرمينيًا أرثوذكسيًا، وكذلك 26,035 جريكيا أرثوذكسيًا.

ولم يكن في مقاطعة حلب التى تضم: حلب والإسكندرونة، وأنطاقيا، وعنتاب، وكليس سوى 12,193 يهوديًا، أما ولاية سوريا، والتي كانت تضم بعلبك، والبقاع، وحوران، ودمشق، وحماة فقد كان بها 10,140 يهوديًا، بينما ولاية طرابلس الغرب حسب نفس التعداد لم يكن بها سوى 12,155 يهوديًا، في مقابل 432 ألفًا من المسلمين. ومقاطعة بغداد كان بها 13,715 يهوديًا مقابل 162,943 مسلمًا.. وكان عدد اليهود في مقاطعة البصرة 440 يهوديًا فقط، في مقابل 9,460 مسلمًا.. والموصل كان بها 4,165 يهوديًا في مقابل 148,162 مسلمًا.

أما الملحق الثالث، فقد خصصه المؤلف لتعداد يهود الجمهورية من سنة 1927-1965م، موزعين على كل الأقاليم التركية.. ومن البيان يتضح أن عدد يهود الجمهورية التركية في كل الولايات سنة 1965م لم يكن يتجاوز 38,267 يهوديًا بينما كان عددهم في سنة 1927 يقترب من 82,000 ألفًا.. وإذا كان عدد يهود استانبول

وحدها سنة 1945م كان 470,35 يهوديًا فقد انخفض هذا العدد، وفي نفس المدينة سنة 1965م إلى 30,831 يهوديًا من مجموع يهود تركيا كلها البالغ 38,267 وهـذا لـه معنـاه... بيـنما كـان عـددهم سـنة 1927م في نفـس المدينـة46,698 يهوديًـا.. وهـذه الأعـداد والإحـصائيات لا تكـذب، بـل إنهـا تـدل عـلى أحـداث كبـار.. ويجـب الوقـوف أمامهـا للتأمل، والتدبر... واتخاذ ما يلزم.

المترجم

أ. د/ الصفصافى أحمد القطورى

أرض الجولف . القاهرة

2013 م = 1434 هـ

* * *

الفَصْلُ الأَوَّلُ

تجمعات اليهود



الفصل الأول
تجمعات اليهود

1. تَجمُّع اليهود

يتضمن هذا العمل يهود الإمبراطورية [1] الذين عاشوا فى الشرق الأوسط، والمناطق المعروفة اليوم بتركيا وأوروبا الشرقية منذ تأسيس الدولة العثمانية على يد السلطان عثمان الأول، أى منذ عام (1300م =700هـ) تقريبًا حتى تشتتها بعد الحرب العالمية الأولى، ثم يستمر مع قصة اليهود فى دولة تركيا التى تُعد خَليفة للدولة العثمانية فى العصر الحاضر.

أَعْمال يَهود الدولة العثمانية وتركيا:

ما هى أهمية الشعب اليهودى العثمانى بصفة خاصة؟ ولماذا لابد من دراسة تجارب هذا الشعب على انفراد؟ ربما السبب الأهم لهذا هو أن الأراضى التركية العثمانية هى أهم أماكن اللجوء لليهود المنفيين خارج أوروبا الغربية بسبب الهولوكست[2]، والمذابح المخطط لها فى روسيا، والقتل فى أوروبا الوسطى والغربية بخاصة، والاضطهادات والمذابح والظلم فيما بين القرنين السادس عشر والعشرين. وبينما يلجأ معظم يهود الإشكناز[3] فى الماضى إلى (لتوانيا) و(بولونيا) و(بوهميا) من دول أوروبا الوسطى. أُستقبل الكثير منهم بحفاوة فى الشرق الأوسط وجنوب أوروبا الشرقية التى كانت تحت السيادة العثمانية، وأقاموا هناك لمدة طويلة. بالإضافة إلى أن الدولة العثمانية جمعت اليهود المستعربين الذين عاشوا فى رفاهية طوال عصور حكم الخلافة الإسلامية ببغداد، وأقاموا فى الشرق الأوسط بعد إبعاد اليهود الذين يتحدثون يونانية روما الشرقية، والذين نجوا من المذابح فى روما وبيزنطة خلال الأزمنة الأخيرة فى الأراضى المقدَّسة فى حكم روما، ويهود السفرد[4] الذين نُفوا من (ايبريا) بسبب فتح أسبانيا من جديد ومحاكم التفتيش[5]، واليهود من الأراضى المقدسة فى عصر روما. وهكذا فإن العثمانيين قد استقبلوا لأول مرة اليهود الذين تفرقوا فى نواحى مختلفة من العالم الغربى

بعد نفيهم من الأراضى المقدسة وانهيار المعبد. ويمكن تسمية هذا التجمع بتجمع الشعب اليهودى، وبخاصة لكونه تحقق تحت سقف السلطنة التى تدير الأراضى المقدسة آنذاك، والتى قدمت لليهود-لأول مرة- فرصة العودة إلى منازلهم التى انتظروها منذ مدة طويلة.

هناك سبب مهم آخر لدراسة يهود الدولة العثمانية وهو: تحول يهود السلطنة إلى أهم مركز للحياة اليهودية الدينية والثقافية والفكرية مع كونهم أكثر الجماعات ثراءًا وازدحامًا فى العالم طوال قرنين، ونشأ أعظم المفكرين الدينيين والمثقفين من اليهود الذين تجمعوا فى استانبول وسلانيك والأراضى المقدسة بخاصة حتى إن معظم هؤلاء كان لهم تأثير ممتد حتى اليوم فى الثقافة والفكر اليهودى.

كما يوجد سبب لدراسة اليهود العثمانيين بخلاف هذه الأسباب وهو أنه: بينما بذل الرعايا المسيحيون جهدًا متواصلًا لإضعاف وتفتيت هذه الدولة المسلمة الشاسعة لإعادة سيادة روما وبيزنطة من جديد، شارك الرعايا اليهود السلطان- بشكل مهم- فى التقدم الاقتصادى للدولة العثمانية، وفى المقابل استفادوا من حماية السلطان وتسامحه، وانسجموا مع الإدارة العثمانية، ولهذا السبب كانوا قد قاوموا أعمالًا كثيرة معروضة لمشاركتهم فى الثورات والتمردات ضد الدولة فى القرن الأخير، والمقارنة بين اليهود والمسيحيين تحت حكم الإدارة العثمانية وضدها سيمنح آراء مهمة بشأن الطرفين.

وفى النهاية تُعد دراسة يهود الدولة العثمانية مهمة؛ لأننا نرى كيف صار اليهود الذين تفرقوا إلى ثقافات وعادات مختلفة منذ زمن طويل ودخلوا فى علاقات متشابكة وأنماط تنظيمية، وكيف أنهم نجحوا فى أن يعيشوا معا متجمعين من جديد، وكيف حافظوا على جزء من عاداتهم الأصيلة وهم يؤسسون جماعة مترابطة وجديدة، وهذا يشبه كثيرًا حال الذين يعيشون فى إسرائيل المعاصرة فى القرن العشرين.

ولكن لماذا هرب اليهود من أوروبا؟ كيف جاءوا إلى الدولة العثمانية فى الفترة الممتدة من تأسيسها عام (1300م =700هـ) حتى عام (1600م = 1009هـ)، وفى أى عصورها العظمى؟ ولماذا ذهبوا إلى هناك وليس إلى مكان آخر؟.. ولابد أن نناقش هذه

الأسئلة قبل معرفة الأشكال التنظيمية لليهود العثمانيين، وكيفية تكوينهم علاقة مع الدولة العثمانية والطبقة الحاكمة؟ وكيفية نجاحهم وثرائهم؟ وعند النظر عن قرب، سيتضح أن ثروات يهود الدولة العثمانية تسابقت مع ثروات الدولة العثمانية ذاتها، وكلما توسعت الدولة واغتنت، اغتنوا هم أيضًا. وعندما بدأت الدولة تضعف وتتفرق فى القرنين السابع عشر والثامن عشر فإن الرعية المسيحيين غيّروا أماكن اليهود بمساعدة القوات الكبرى التى فى أوروبا. وبهذا الشكل كانوا سببًا لفقدان اليهود تأثيراتهم السياسية ورفاهياتهم الاقتصادية، واستمرت الدولة العثمانية فى استقبال الهجرة من اللاجئين اليهود الذين وفدوا من أماكن مختلفة من أوروبا نتيجة ردود الأفعال الدينية والسياسية الظاهرة فى بدايات القرن الحادى والعشرين الذى أعقب فترة نابليون، واستضافت اليهود الذين هربوا من ردود الفعل اليمينية على انقلابات (1847م=1265هـ)، ومن المذابح البادئة فى روسيا وأواسط أوروبا أعوام (1880م - 1890م = 1298هـ - 1318هـ)، ومن الحرب الداخلية الروسية والثورة البلشفية التى استمرت طوال الحرب العالمية الأولى وما بعدها، وأخيرًا جاء إلى هذه الأراضى- فى فترة الجمهورية التركية بعد عام (1923م = 1342هـ)- اليهود الذين هربوا من أكبر هولوكست عام (1930م = 1349هـ) وطوال الحرب العالمية الثانية، جدد اليهود العثمانيون أنفسهم، واكتسبوا القوة كجزء من حركة الإحياء العثمانى فى القرن 19 بمساعدة حركة الإصلاح العثمانى، والتنظيمات، واليهود الذين اغتنوا فى أمريكا وأوروبا الغربية، واستمر هذا الوضع قبل الحرب العالمية الأولى وطوال الفترة الدستورية لجماعة "الجون تورك = تركيا الفتاة". إن العلاقة بين الجماعة اليهودية العثمانية والتيار الصهيونى العالمى، ومشاركة اليهود العثمانيين فى الحرب العالمية الأولى، ومساعداتهم فى الحركة الوطنية التركية طوال حرب الاستقلال، ودور الجماعة اليهودية فى الجمهورية التركية الحالية هى موضوعات مفْتَاحيَّة يجب بحثها عن قرب عند تقييم تجارب اليهود تحت حكم الإدارة التركية على مر العصور(*).

وضع اليهود فى أوروبا:

إن الدافع وراء ظهور هذه الدراسة هو مرور خمسمائة عام على لجوء اليهود إلى

الدولـة العثمانيـة بدايـة مـن عـام (1492م = 898هـ)، وإجبـارهم عـلى الهجـرة بـشكل جماهيرى من شبه جزيـرة (ايبريـا). وفى الحقيقـة لا يـشير هـذا التـاريخ إلى بدايـة موجـة النفى الكبيرة فقط، وإنما يـشير أيـضًا إلى الحركـة اليهوديـة الموجهـة نحـو الـشرق والتـى بدأت قبل ثلاثة قرون تقريبًا، وكذلك يشير إلى وصول القمع المسيحى إلى ذُرْوَته. وقـد بدأ يهود أوروبا يتعرضون إلى اضطهادات جديدة عندما بـدأ الـترك يتقـدمون مـن آسـيا الوسطى إلى الأناضول والشرق الأوسط الذى سيستولون عليه تمامًا بعد قرنين. ولعـن رجـال الكنيـسة الـشيء الـذى أطلقـوا عليـه التـأثير اليهـودى عـلى الجماعـات المسيحية، وهكـذا اسـتهدفوا إنهـاء هـذا النـوع مـن الاتـصالات بقـانون أصـدره زعـماء الـدين والمجالس. وأمر البابا بعدم احتلال اليهود للمواقـع المهمـة فى الـبلاد المـسيحية، وعـدم تفضيل أى يهودى على المسيحى، وتحدد اليهود المقيمون فى ألمانيا وفرنسا بأعمال متعلقـة بالصرافة وتغيير العملة بسبب التَّحَيز الدينى والاقتصادى، وزاد هذا مـن شـدة التَّحَيُّز الدينى الموجود منذ مدة طويلة، وفتح الطريق أمام ضغوط اقتصادية وسياسـية مـستندة على اللاسامية العنصرية والدينية.

كان يُتهم اليهود منذ مدة طويلـة بـأنهم قَتَلَـة عيـسى، وأنهـم الـذين تـسببوا فى صَـلْبِه بسبب الألم الذى شعروا به نتيجة ابتعاد عيـسى عـن ديـن أجـدادهم، وأُضـيف إلى هـذه الأشـياء اتهامـات جديـدة، وهـى أسـاطير معروفـة بـتهم "جـرائم الطقـس الـدينى"[6]، و"افتراء الدم"[7] حيـث طـرحت الكنيـسة اليونانيـة– لأول مرة– العنـاصر الأكثـر تخريبًـا بينهم. ووفقا لهذا كان اليهود يهرّبون ويقتلون الأطفـال المـسيحيين، ويُـسيلون دمـاءهم حتى آخر قطرة لاستخدامه فى الخبز غـير المخمـر والـشراب طـوال العيـد، وفى المراسـم الدينية المقامـة. كـما توجـد أسـطورة أخـرى وهـى "إهانـة للخبـز=Ekmeğe Hakaret"[8] وحـسب هـذه الأسـطورة كـان اليهـود يُفْـسِدون قدسـيته مفتتـين الخبـز غـير المخمـر المقدس فى مراسم الربانية للكاثوليك لكى يجعلوا عيسى يعيش ألم الـصلب مـرة ثانيـة، واليهود– بالإضافة لجرائم الطقس الدينى المنتشرة فى كـل الثقافـة الغربيـة آنـذاك– كـان يُصوّر كشخصية وحشية تتساوى مع الشر والسحر والقبح الشيطانى.

إن الاعتقاد بـأن هـذا النـوع مـن الأفكـار الغريبـة حركـت المـشاعر الوحـشية للبـشر

وجعلتهم فى حالة غليان تصل إلى حدود قوة الخيال، ولكن كان لهذه الأفكار تأثير قوى على المسيحيين آنذاك، وكانت هذه الأفكار سببًا للهجمات المتتالية الموجهة حتى لليهود الأطفال والعاجزين والمسنين، ولم يكتف المسيحيون برجمهم ونزع شعرهم ولحاهم فقط، ولكن كانوا يقتلونهم ويهدمون منازلهم وأماكن عملهم، ووقعت هذه الأحداث قبل أسبوع من عيد القيامة الذى صعد فيه التعصب الديني المسيحى إلى الذروة. وتكررت هذه الأحداث- التى بدأت فى انجلترا والنرويج أولا- فى أوروبا طوال سبعة قرون، واستمرت حتى الفترة الأخيرة من القرن التاسع عشر. وتكررت هذه الأحداث فى الشرق الأوسط بشكل أكثر غضبًا وعنفًا بتفوق المسيحيين الذين لقنوا هذه التحاملات لأخلافهم المتدينين فى أوروبا. وبلا شك، فإن معظم من أطلقوا هذه الأساطير وبسببها أشعلوا الغارات كانت لهم دوافع مختلفة بعيدًا عن دين الإنسان مثل الهرب من دفع ديونهم، وترك منافسيهم خارج الصف، وتصويب الغضب الإسلامى إلى اليهود والذى كان موجهًا ضد المسيحيين الذين تسببوا فى هجمات المسيحيين الذين فى الدول المستقلة حديثًا فى أوروبا الجنوبية الشرقية على المسلمين مثلما كان فى الشرق الأوسط بعد عام (1800م = 1215هـ).

ازدادت الثورة الدينية والطمع الذى تلطخ بالصليبيين فى القرن 11و12 من الهجمات الخارجة والتعصب المشار إليه، وبدأ كل شيء بمجيء البابا "أوربان Urban" الثانى فى 27 نوفمبر (1095=1323هـ) إلى (Cleremont-Ferrand)، وإجراء حوار كان سببًا فى الحروب الصليبية التى استمرت لمدة خمسة قرون، وقال بعاطفة جيَّاشة: إن المسيحيين الذين فى الشرق، وبخاصة الذين فى الأراضى المقدسة يعانون عذابًا لا يُطاق على يد العرب فى البداية والآن الترك أى المسلمين، وواصل كلامه قائلا: إن قدسية القدس انتهكها أعداء عيسى، وإن القسطنطينية المسيحية تحت التهديد، ونادى كل أوروبا المسيحية لإنقاذ بيزنطة والأراضى المقدسة من يد الكافرين، وستُغفر كل ذنوب الماضى والمستقبل لمن يتواجد فى هذه الدعوة، وأوصى "بيتر Peter" المقدس (1090-1156) ملك فرنسا "لويس Louis" السابع بأخذ الإجراءات الصارمة ضد اليهود كاتبًا كُتيِّبًا باسم (Adversus Judaeorum inveteratum duritam) كان له تأثير كبير فى

تعميق وانتشار الهجمات الإسلامية فى أوروبا الغربية من البداية إلى النهاية.

أُستفزت كل أوروبا المسيحية على يد هذا النوع من القادة السياسيين والدينيين الذين نشروا فكرة تحرير الأراضى المقدسة وبيزنطة، ولكن كانت الدوافع الاقتصادية لمعظم البشر الذين قاموا بهذه الهجمات مثلما كان فى جرائم (افتراء الدم- تحقير الخبز) تحمل أهمية مثل الدوافع الدينية، فالمسيحيون الذين أقنعوهم بأن كل المساوئ الشَّيْطانية تتجسد فى المسلمين رأوا أنه من المناسب إدخال اليهود الذين عاشوا فى رفاهية على الأراضى الإسلامية معهم، ولهذا دعَّموا المسلمين ضد هجمات الصليبيين لخوفهم من انتشار اللاسامية من جديد فى الشرق الأوسط، وأقنعوا الصليبيين بأن كل ذنوبهم ستُغفر لأنهم سيعملون فى الأراضى المقدَّسة، وسيخدمون الرب، ولم يمتنع الصليبيون عن الهجوم على الجماعات اليهودية، ونهب أشيائهم الخاصة مع قول الرهبان: إن الصليبيين سيستفيدون جدا من غفران الله عندما يجبرون اليهود على التحول إلى المسيحية. وقتل الصليبيون مئات اليهود ناهبين منازل وأماكن عمل الجماعات اليهودية التى خرجت أمامهم بينما يتقدمون إلى الشرق الأوسط الإسلامى عبر الجنوب عبر ألمانيا والنمسا، والأكثر من ذلك أنهم تركوا وراءهم هوس (الحقارة للخبز) و(افتراء الدم) من جديد، وكان هذا سببًا للهجمات الجادة الموجهة إلى الجماعات اليهودية الباقية، وهذه الهجمات كان من الممكن أن تتحقق بشائعات تافهة جدا تفتح الطريق أمام دعوة التمرد والتحجج، وحتى لم يكن من الضرورى القول إن الصليبيين تصرفوا بوحشية ضد الأراضى المقدسة، وبخاصة ضد القدس التى حكمتها المملكة اللاتينية من (1099م- 1291م = 493 هـ -791 هـ)، وضد اليهود المقيمين فى هذا المكان، واصلوا تصرفاتهم وصارت أكثر من تلك التى تصرفوها ضد المسلمين الذين جاءوا لإبادتهم كغرض أساسى.

إن انتشار "الموت الأسود" فى أوروبا بين أعوام (1348 و1350م = 749 و 751هـ) قدّم عذرًا جديدًا لإلصاق الكارثة باليهود، وهذه المرة كانت الحكاية الشائعة هى أن اليهود كانوا سببًا فى انتشار ونشر الطاعون وسمَّموا مصادر الماء لخلع جذر المسيحية ولكن فى الواقع وباحتمال كبير إن الوباء وصل إلى أوروبا بواسطة البحارة الذين جاءوا

بالسفن من الشرق الأدنى. وبعد مدة قصيرة انتشرت هستيريا مماثلة فى فرنسا والمناطق المسيحية من (أسبانيا) و(بولونيا) و(لتوانيا) التى كانت تمثل الأماكن التى هرب إليها اليهود من المذابح السابقة التى انتشرت فى أوروبا الغربية، كان الهوس كبيرًا حتى أُخرج كثير من اليهود قبل وصول الطاعون إلى المكان الذى يعيشون فيه، وواجه اليهود فى أماكن كثيرة هذه الهجمات للدفاع عن أنفسهم ولكن رُدّت، وسُمح بإقامة اليهود مكررًا فى الأماكن التى عاشوا فيها ولكن بشروط أكثر سوءا من السابق. وعززت المذابح المنظمة التى كانت سببًا والموت الأسود أحكام المسيحيين المتحيزة الشائعة ضد اليهود والتى شكّلت أسس اللاسامية للمسيحيين فى نفس الوقت فى العصور الحديثة، ولم تكتف بفتح الطريق أمام موت آلاف اليهود، وهدم أماكن عملهم ومنازلهم.

وهكذا لم تتحمل المسيحية وجود اليهودية داخلها، إن اليهودى الذى يستطيع التسامح مع الكنيسة ومريديها كان يهوديًا انتقل إلى المسيحية، وكان لابد من فناء الباقين، ولابد من عزلهم عن المؤمنين الحقيقيين على الأقل، فالتفريق الذى ظهر ضد اليهود أجبرهم على تغيير دينهم، وسيطرت المسيحية بواسطة مجموعة قوانين تُجبر من لا يفعلون ذلك على ارتداء القبعات والشعارات التى تُميِّزهم، وأُجبر اليهود فى معظم أوروبا المسيحية على سماع المواعظ التى تهدف إلى عبورهم للدين الحقيقى، وأمر ملوك فرنسا اليهود بجمع الضرائب الباهظة أمام الامتياز المعروف بالحقارة المحطمة للشرف، وحملهم دبوسين مخصوصين على شكل دائرة، على أن يكون أحدهما على ظهورهم والآخر على صدورهم، وأمرت (إسبانيا) اليهود بحمل "ختم العار" ولكن هذا الإرغام لم يُطبّق بشكل تام فى ظل المقاومة اليهودية، ومن خلال هذه المقاومة كان يوجد تهديد بترك أسبانيا المسيحية للذهاب إلى المناطق الخاضعة لسيطرة المسلمين، غير أنه بينما كانت المقاومة الإسلامية فى أسبانيا فى بدايات القرن الخامس عشر على وشك الانتهاء طُبق– بإحكام– حمل "ختم العار"، ووُضعت شروط إضافية تجعل إطالة شعر ولحى اليهود شرطًا، وفُرضت ضريبة المال والجلد على الخارجين، وفُرضت شروط مماثلة فى (إنجلترا)، وكان شرطًا ارتداء اليهود قبعة صفراء على شكل ألواح القانون بارتفاع ثلاثة أصابع فى داخلها وفى طول ستة أصابع. وأخذت الاختام فى (إيطاليا)

أشكالا متنوعة، ورُبطت رقع صفراء دائرية على ملابس الرجال وعلى حجاب النساء، وأُرغم الرجال فى الولايات البابوية على القُبّعة الصفراء، أما النساء فأُرغمن على الحجاب الأصفر، وانتشر هذا النوع من القواعد فى كل المناطق المسيحية فى السنوات التالية، وفرضت مجالس الكنيسة فى (ألمانيا) إرتداء اليهود القبعات المُنَقَّطة، وأُضيف الختم إلى القبعة فيما بعد، وأمر المجلس الألمانى فى عام (1418م =821هـ) بتعليق النساء اليهوديات جرسًا على ملابسهن، وعندما جاء القرن الثامن عشر اضطر يهود (براغ) إلى تعليق شريط أصفر لاصق على معاطفهم.

إن حركة الإصلاح التى نبّهت إلى الحرية الدينية فتحت الطريق لكارثة فى مهلة قصيرة لاسيما لمن بقوا فى أوروبا المسيحية بالرغم من إفادتها لليهود. إن النداء الأول الذى قام به "لوثر Luther" [8] فى الاتجاه المتسامح مع اليهود صُنع على أمل انتقال اليهود إلى المسيحية. وعندما فشلت فعاليات التبشير فى التحول الدينى اقتربوا لليهود بخوف وكره واشمئزاز.

كان "لوثر Luther" يعتقد بأن اليهود ارتكبوا ذنب الحقارة لأشياء مقدّسة عندما تجمعوا مسوّدين كل ما هو مسيحى، وكان يعظ فى هذا الاتجاه، ويزعم أنه يجب عدم اشتراك المسيحيين معهم والاعتراض على اليهود لإيقاف فعالية هذا الجُرم. ومن الطبيعى إن إصرار العبور إلى هذه الحركة ضد اليهود كان متطابقًا مع أساليب النقاش مع معارضيهم. وكان لا يُغَيِّر شيئًا كون هؤلاء المعارضين هم مناصرو البابا، أو الترك والمسلمون الآخرون، أو القائلون بتجديد العماد، أو المقدسون. ولكن يرى "لوثر Luther" أن اليهود كانوا مثالًا متبلورًا للاعتراض على "غوسْتبل Gospel"، وكان يعتقد بأن هذا دفع المسيحيين لارتكاب جرم ضد الأشياء المقدسة.

وعندما تأكد "لوثر Luther" من أن اليهود لن يستطيعوا تغيير دينهم اعترض عليهم بصورة أكثر عداوة من التى أظهرها للنبى محمد وللمسلمين، ولكن المسلمين كانوا لا يتقابلون كل يوم مع أتباع "لوثر Luther"، الذى كان يشتكى من إصرار اليهود على حماية معتقداتهم القديمة بالرغم من دعوته، وأطلق عليهم "السامّين والقاتلين"، و"اللصوص وقطّاع الطرق"، و"الحشرات المُنَفِّرة" لنفوره من الربا.

وكانت معظم الإصلاحات الألمانية ضد اليهود بنفس الشكل، فعلى سبيل المثال كان "مارتن بوجر Martin Bucer" يُركز وعظه وكتاباته على فكرة أن القدرة الاقتصادية لليهود تضر بالتجار المسيحيين، واتهم الأشخاص الذين اتحدوا مع "جالوين Calvin" اليهود بتدنيس قدسية الدين المسيحى، وعمل خصومهم التفسير اليهودى للكتاب المقدس. وولدت هذه العقلية سياسة طرد اليهود بشكل ثابت من الأراضى المسيحية، وكانت هذه خطة خلفية هامة للرعب الذى فُرض على الشعب اليهودى الأوروبى فى ألمانيا النازية.

تعذّب اليهود أكثر نتيجة الإصلاح العكسى للكاثوليك. وكان يستدل قادة الإصلاح العكسى كثيرًا على أن اليهود مسئولون عن نَزَعات "التهويد" التى فى حركات الإصلاح. فالمذبحة اليهودية للبابوية التى حدثت فى روما كانت نموذجًا لباقى أوروبا المسيحية، وأُنشئت محكمة التفتيش فى روما عام (1542م = 949م) لتطبيق نفس القوانين التى طردت اليهود من أسبانيا، ولعنت وأحرقت إدارة روما فى "روش آشانا Roş Aşana" فى 4 سبتمبر (1533م = 940هـ) بعض الكتب العبرية من بينها التلمود، وأُحرق حيًا قسيس فرنسى تحول إلى اليهودية، وبعد هذه الحادثة مُنع استخدام وتواجد كتابات متعلقة بالتلمود، وأصبح الكاردينال "جارافا Caraffa" زعيم حركة الإصلاح العكسى فى روما، البابا فى عام (1555م = 963هـ) ، ونُشر خطاب رسمى يُدخل إلى حيز التنفيذ- مجددًا- القوانين الدينية الحصرية المُطبقة على فترات من قبل. وفيما بعد صار الوضع أكثر سوءا لليهود. وانغلق اليهود آنذاك على منطقة خاصة فى المدينة تُسمى بـ(الجيتو)، وكانوا يقيمون فى جزء منخفض رطب فى الضفة الشرقية من نهر (التيبر)، وكانوا معرضين لكوارث الفيضان المستمرة التى كانت سببًا للأمراض الخطيرة حتى لأكثرهم صحة، واضطر اليهود إلى تعليق شعار يهودى أصفر، وقبعة صفراء للرجال، وحجاب أصفر للنساء، وفيما بعد لم يستطيعوا امتلاك أملاك وعقارات، ولايمكن أن يطببوا المسيحيين، ولايمكن أن يتدخلوا فى غذاء المسيحيين، ولايعملون عملًا غير بيع الملابس القديمة والأشياء المستعملة، ومُنع مناداتهم بألقاب مثل السيناتور. وعندما خُففت هذه الإجراءات لفترة بواسطة أسلاف

البابا الأوائل وُضعت للتنفيذ من جديد بتشدد من البابا "جريجورى Gregory" الثالث عشر، وأمر البابا مرة أخرى بـ"المواعظ لليهود"، وأمر بإشراك عدد من الجماعة اليهودية فى الكنائس المحلية للاستماع إلى مواعظ القسيسين، وأن يلفت القسيسون نظر اليهود إلى الدين الحقيقى، وأن يزوروا اليهود لتغيير دينهم. وهذا الإجراء الأخير كان سيُشعل الخلاف اليهودى الكاثوليكى فى عدة مناطق من أوروبا طوال القرون.

وعمومًا، لم يكن القادة الدينيون أو السياسيون فى أوروبا الغربية مهتمين بطرد أو فناء اليهود، وبخاصة أن اليهود كمرابين أو موظفى بنوك قدَّموا خدمات مهمة، وكان المسيحيون لا يهتمون بهذه الأعمال لأن الكنيسة الكاثوليكية منعت المسيحيين من التربح مقابل المال المعار، ولاحظوا أن اليهود ساهموا مساهمة كبيرة فى رفاهيتهم، ولهذا السبب حاولوا حماية اليهود ضد المذابح بالقدر المستطاع؛ لأن المستشارين اليهود كان يزيدون ويوجهون دخولهم معظم الوقت. ولكن هذا النوع من المناصرات استمر أمام الهوس الدينى، ولكن القادة السياسيين والدينيين فقدوا تأثيرهم وتفرقوا عندما هددهم المتعصبون ولم يستجيبوا لطلباتهم، وهكذا استمرت الضغوط الدَّوْرِيَّة وافتراءات الدم على اليهود حتى أجبروهم على التحول إلى المسيحية بتهديدهم بالموت.

لم تكن حالة اليهود فى القرن السادس عشر شيئًا جديدًا، وأصبحت مذابح جماعية كما كان فى "فرانكفورت Frankfurt" عام (1241م=639 هـ) ، و"ميونيخ Münih" عام 1285-1286، و"آملدر Amleder" عام (1336-1337م = 737 – 738هـ). وكان النفى قد بدأ فى القرون السابقة، ولكن كان محدودا دائما من ناحية الزمان والمكان، غير أنه كلما ازدادت سلطة المملكة انتشر النفى بنفس الشكل، وبدأ النفى بأمر من الملك "إدوارد Edward" الأول فى 18 يوليو (1290م = 689م)، واستمر متزايدا فى القرون الأربعة التالية حتى عام (1650م = 1061هـ)، وحينما خرج الملك "لويس Louis" الحادى عشر (1226-70) للحملة الصليبية الأولى فى عام (1249م = 637 هـ) أمر بنفى كل اليهود من المملكة، ولم يُطبّق الأمر بشكل تام، واستطاع معظم اليهود العودة بعد ذلك، ولكن "آديل فيليب Adil Philip" (1285-1314م = 684 – 714 هـ) أعطى

تعليمات باعتقال كل اليهود (22 يوليو 1306م = 706هـ)، وفيما بعد أصدر أمرا بنفيهم والحجز على أموالهم، ولكن ألغاه خلفه، ونفى "تشارلز Charles" السادس اليهود من جديد غير أنهم قُبلوا مجددا بعد بضع سنوات فى (فرنسا) فى ظل الأزمة المالية التى حدثت فى عام (1359م = 761هـ). وبدأت الثورات ضد اليهود الذين فى باريس فى أعوام (1380-1382م = 782 – 784هـ)، ونُفى اليهود مجددًا اعتبارًا من عام (1394م = 797هـ) مع عدم عودتهم هذه المرة طوال العصور، ولكن كانت عودتهم مع بداية الثورة الفرنسية فى نهاية القرن الثامن عشر، ونُفى اليهود من لتوانيا فى عام (1495م = 901هـ) عندما لم يتحولوا إلى المسيحية حيث إنهم هربوا من قهر الغرب واستقروا هناك مدة طويلة، وعادوا فى عام (1503م = 909هـ) ولكن أخذوا من الملك "سيجموند Sigimund" الثالث ضمان منع ضد الشراء والإقامة اليهودية للعقارات التى فى مدنهم، وظلّ اليهود فى خارج روسيا من القرن الخامس عشر حتى عام (1772م = 1186هـ) نتيجة الحقد اللاسامى المنتشر من الكنيسة الأرثوذكسية الروسية حتى استيلاء (روسيا) على (لتوانيا) و(بولونيا)، وطُردوا من (المجر) بعد عام (1376م = 778هـ)، ومن نابولى فى (1510-1511م = 916 – 917هـ) ، وتقريبًا من كل (ألمانيا) وإن لم يكن بشكل منظم. وكان اليهود يعبرون من مكان إلى آخر داخل حدود الدولة فقط كلما مرّ الزمن، وعندما نسى أو ألغى القادة السياسيون والدينييون- الذين رأوا أن دخولهم المعيشية نقصت فى غياب المستشارين اليهود- فرمانات النفى كان اليهود يعودون إلى المكان الذى عاشوا فيه أولًا.

ولكن هربوا إلى الأماكن البعيدة جدًا لكى يجدوا مكانًا يثقون به أكثر من الباقين، وذهب بعض اليهود إلى الأماكن التى كانت لا تزال تحت سيطرة المسلمين مثل (مصر) و(شمال أفريقيا) و(قبرص) و(رودس) و(بحر إيجة) والبحر الأبيض و(أسبانيا) و(العراق)، ولقى اليهود رفاهية وتسامحًا كبيرًا هناك أكثر من الأراضى المسيحية، وذهب بعضهم من فرنسا وانجلترا إلى الإسكندرية والقسطنطينية البيزنطية فى الحملات الصليبية الأولى التى جرت فى القرنين الحادى عشر والثانى عشر، وكان اللاجئون اليهود الآخرون الذين وصلوا إلى (سلانيك) قبل الفتح العثمانى قد نفاهم

"تشارلز = Charles" الثانى من (إيطاليا)، ومن (إسبانيا) فى عام (1391م = 794هـ)، ومن (المجر) فى عام (1375م= 777هـ)، عقب محادثات اللاسامية لـ"ڤيسنته فرَّار Vicente Ferrar". وفى كل الأماكن السابق ذكرها عاش اليهود حياة أفضل مما عاشوا فى أوروبا المسيحية.

اليَّهود فى العَالَمَ الإسْلاَمِى:

كان الوضع الذى فى أسبانيا بتأثير الإسلام الذى أدار كل أو بعض شبه جزيرة ايبيريا من القرن السابع حتى القرن الخامس عشر مختلفًا عن باقى أوروبا الغربية. وهنا شكّل الإسلام أقلية يهودية منتجة وغنية جدًا تلقى التسامح المنشود.

كان يوجد فى الإسلام عادتان تُشبهان بعضها البعض متعلقتان باليهود، فمن جانب عزز وقبل المسلمون الصداقة التى شعر بها العرب قبل الإسلام لجيرانهم اليهود الذين فى شمال شبه الجزيرة العربية أو جنوبها، وآنذاك كان يتناول الأدب العربى بفخر كرم واستضافة وأمانة اليهود، وكانت تعتقد العهود القديمة والجديدة بأن اليهود يؤمنون بكل الكتب التى أرسلها الله، وأنهم يعبدون الله الواحد الذى يعبده المسلمون مثل المسيحيين، وكانت الكتب المقدسة وفقًا لهم تعكس الكلمات التى أوحى بها الله الواحد إلى النبى محمد كما كتبها فى القرآن. وكان يُروى هذا مؤكدين على أن الأشخاص العظام مثل موسى وإسحاق وإبراهيم وعيسى الذين فى العهد القديم والجديد جاء ذكرهم فى القرآن، وأن القصص التى فى الإنجيل جاءت فى الكتاب المقدس للإسلام مع تغيير بسيط جدًا، ويرى المسلمون أن موسى نبى مثل محمد، وأن موسى هو الشخص الذى اختاره الله لمحاورة اليهود، وبنفس الشكل اختار محمد لمحاورة المسلمين، وعيسى لمحاورة المسيحيين، وهكذا يؤمن المسلمون واليهود والمسيحيون بنفس الإله، وكانوا يعتقدون بوجوب حمايتهم وقبولهم عندما يعيشون فى أى مجتمع مسلم.

كان يوجد فى الإسلام عادة أخرى متعلقة باليهود لم تكن ضدهم، إنه مادام اليهود والمسيحيون يعبدون نفس الإله مع المسلمين، ويقبل المسلمون نداءات الله التى تلقاها موسى وعيسى من قبل، وجاء النبى محمد بالدعوة الأخيرة، ويرى النبى والمسلمون أنه

لا يوجد أى سبب لعدم إسلام اليهود والمسيحيين وقبول دعوته، وعدم قبول دعوته خلق غضبًا واضحًا بالرغم من دعوته التى استمرت عشرين عامًا عاشها فى المدينة المنورة. وكان يعتقد محمد أن الدين الحقيقى لإبراهيم هو الإسلام وليس اليهودية، وأن إبراهيم نفسه لم يكن يهوديًا، وأن الاختلاف الذى بين الإسلام واليهودية تولّد من تحريف وإفساد حقيقة اليهودية، وهذا الاعتقاد تسبب فى الهجمات الموجهة لليهود، وعندما لم تدعم القبائل اليهودية فى شبه الجزيرة العربية غزوة مكة التى جرت عام (625 بعد الميلاد) أغار النبى عليهم وهزمهم، ولكن سمح لهم بالعيش فى سلام تحت إدارة الإسلام مقابل أن يأخذ معدلًا ثابتًا مما ينتجونه كضريبة، وكان هذا سيتحول إلى عرف ثابت ويمتد حتى الدولة العثمانية. وكانت قليلة جدًا أحداث الظلم والقهر الموجهة لليهود فى الدول الإسلامية، وكان استثناء هذا جزءًا من العراق وإيران الشيعية، حيث كان التعصب الدينى فى تلك المناطق سببًا فى قمع من اختاروا الإسلام السنى الذى سيطر على جزء كبير من العالم الإسلامى، وتقريبًا لم يكن مطلقًا فى أى مكان باستثناء إيران الهجمات الواضحة أو تغيير الدين بالجبر الذى كان شائعًا فى الأراضى المسيحية ضد اليهود، وقُبل اليهود والمسيحيون كـ "أهل الكتاب"، أما الأقليات فى الخلافة الإسلامية للعباسيين والأمويين فقد عاشوا تحت الحماية كـ" أهل الذمة". ومارسوا أديانهم وحرياتهم فى أراضيهم الدينية، وقدَّموا ضريبة رأس خاصة تُسمى بـ"الجزية" أو "الخراج" مقابل حقوق استمرار العدالة والإدارة فى جماعاتهم، والإعفاء من الخدمة العسكرية، وحماية حكام المسلمين لحياتهم وأموالهم وعباداتهم الدينية ومعتقداتهم، وكان لليهود والمسيحيين بعض الفوارق والعلامات التى ستبرز عدم مساواتهم بالمسلمين، وكانت تُعطى قيمة أقل لشهادة اليهود فى المحاكم الإسلامية من شهادة المسلمين، ولا يمكن زواج اليهود من إمرأة مسلمة، وأن يملك اليهود عبدًا مسلمًا، وأن يحملوا سلاحًا وماشابه ذلك. ولكن عندما واجه اليهود القمع المزمن الذى تعرضوا له فى أراضى أوروبا المسيحية كان العالم الإسلامى جنة لهم.

لم يرتق اليهود فى أى مكان مطلقًا طوال المنفى الذى استمر قرونًا عقب انهيار المعبد الثانى مثلما ارتقوا فى (أسبانيا) التى جاءوا إليها أفواجا بعد فتح المسلمين لقرطبة عام

(711م = 155 هـ)، ولكن بدأ فناء أسبانيا المسلمة بالاحتلال المسيحى الجديد الذى استمر حتى إبادة كل الإيالات الإسلامية بلا توقف فى 1100 بداية من (قاتالونيا Katalanya) و(نــاوارو Navarro) و (آراغــون Aragon) و (آســتورياس Asturias) و(ليون Leon) و (قاستيله Castille) حتى(غرناطة Granada) (زاراغوزا Zaragoza) (سَوِيلله، Seville) ، ولم يكن فتح المسيحيين لـ(أسبانيا) من جديد سببًا لتغيير مفاجئ من ناحية اليهود حيث فكّر الحكام الجدد لأسبانيا فى أنه من المناسب استمرار اليهود فى المقامات العليا فى القصر وليس كموظفى بنوك فقط، وعاش كثير من يهود استانبول فى رفاهية طوال مُدد تُعد طويلة تحت الإدارة المسيحية، وقد أخذ "آلفونسو Alfonso" السادس وحفيده "آلفونسو Alfonso" السابع اليهود الهاربين من الظلم الموجود فى شمال أفريقيا كمترجمين وموظفى بنوك ومحامين ومأمورى ضرائب، وأعطوا بيوتًا جديدة لليهود، وشجّعوهم فى الصناعة والتجارة بالمدن المهمة، وساهم الأدباء اليهود فى تطور أدب (قاستيلا Kastilya) فى القرون الأولى من الفتح، وسمح "جِيمس James" بأن ينظر القضاة اليهود إلى القضايا التى بين اليهود بشرط تطبيق قانون الملك فى دعاوى الكرمينال[9] فقط، وقُبل قسم المحكمة التى تراعي اعتقادات اليهود، وامتلك اليهود حق شراء الأرض من أصحاب النسب والدين، والأكثر من ذلك أنه سُمح للمساجين اليهود بوجودهم فى منازلهم يوم السبت.

ولكن كلما مر الزمن، وكلما زادت ثقة المسيحيين بأنفسهم كنتيجة لانتصاراتهم على المسلمين واجه اليهود مزيدًا من التضييق والقهر، وكلما تعززت الإدارة المسيحية قلت الحاجة لليهود، وظلّ يهود (إسبانيول) بداية من (زاراغوزا Zaragoza) معرضين لنفس الظلم الذى عانوه فى كل مكان من أوروبا الغربية، وانتشرت بمرور الوقت فى أسبانيا حملات "التحقير بالخبز المقدس"، و"إفتراء الدم" القديم، ونُفذت تضييقات لعدم تعيين اليهود فى مواقع رفيعة ستمكّنهم من إدارة فعاليات المسيحيين مباشرة، وجُمع اليهود فى مناطق منعزلة تسمى بـ (الجيتو)، ومُنع خروجهم من منازلهم ليلاً وفى العطلات المسيحية، وبينما ينجرف معظمهم نحو الفقر أُصدرت إجراءات الضريبة، وأُجبروا على منع الزى المتنوع، وأغار الصليبيون على اليهود الذين فى (توليدو

(Toledo) عام (1212م = 609 هـ)، وتكرر هذا بعد قرن، واعتقل كل اليهود الذين فى (قاستيلا Kastilya) عام (1281م = 680 هـ)، ولكن أطلقوا سراحهم بعد دفع الفدية بمبالغ كبيرة، وكان التمرد الشعبى المنظم الذى خرج فى (1348م = 749هـ) بتأثير الوعاظ الرحالين الذين جاءوا من فرنسا يقتل تقريبًا كل الجماعة اليهودية التى فى (ناواره Navare)، ومنع (آلفونسو Alfonso) الحادى عشر فى عام (1340م = 741هـ) عمل التجارة والمقايضة لليهود، وعانى اليهود الذين يعيشون فى (والنسيا Valensiya) (آراغونيا Aragonya) (قاستيلا Kastilya) فى "فترة الموت الأسود" المنتشر فى جزء كبير من (أسبانيا) فى عام (1348م = 749هـ)، ولكن من جديد كانوا مسئولين عن الموت الأسود كما كان فى كل مكان فى أوروبا آنذاك، وكنتيجة لذلك تعرضوا للظلم بشكل وحشى فى السنوات التالية، ونُفيت الجماعة اليهودية التى فى (توليدو Toledolu) فى عام (1355م = 756هـ)، ونشر الأسقف (عزيز فينست فرير Aziz Vincent Ferrer) اتهامات وحشية ضد اليهود، ونتيجة ذلك انتشرت الهجمات الوحشية فى شبه جزيرة (ايبيريا)، وقُتل كثير من اليهود، وهُدمت معابد اليهود فى (توليدو Toledo) (ڤالنسيا Valensiya) (قاستيلا Kastilya) (برشلونة Barselona) (قوردوڤا Kordova) (بورغوسBurgos) (مدريد Madrid) ولم تُهدم المعابد التى فى (غرناطة Grenada) لاستمرار الإدارة الإسلامية هناك، واستمر الجنود المسيحيون والبحارة يجوبون الموانئ من ميناء إلى ميناء فى طرقهم قاتلين وناهبين ومتجاوزين، وهيّجوا المواطنين المسيحيين لإغارتهم على الجماعات اليهودية، واضطر جزء كبير من اليهود الأحياء إلى الهرب إلى مكان آخر فى أوروبا، واضطر كثير منهم إلى التنصر أثناء التغيير الدينى الحادث فى عام (1391م=794هـ)، وأُطلق اسم (مارانو Marrano) على هؤلاء المسيحيين الجدد فى القرنين الرابع عشر والخامس عشر، وتعرض (مارانو Marrano) الذين ظلوا على يهوديتهم سرًا للظلم، وأُحرقوا، وعلى جانب آخر ظُلم "المسيحيون الجدد" الذين عاشوا معتقداتهم الجديدة بصدق، وحُكم عليهم بنفس القدر.

زاد القهر أكثر عن ذى قبل فى بدايات القرن الخامس عشر، ومُنع ترقى اليهود إلى

المناصب العليا التى ستقوي سيطرتهم على المسيحيين فى (قاستيلا Kastilya) فى عام (1408م=811هـ) بتأثير من الأسقف، ومُنع خروجهم من المنطقة التى حُبسوا فيها فى عام (1412م=815هـ)، وعملهم بالصناعة والوظائف التى تتطلب تعليمًا، واستثمار أموال المسيحيين، وحملهم السلاح، واختلاطهم مع البشر بلا لحية، ونظر الجماعة اليهودية لقضاياهم فى محاكمهم وتجميعهم ضريبة الجماعة، وأجبرت العصابات- التى تتلقى الأمر من قسيسى (الدومينيك Dominik)- آلاف اليهود الذين فى (آراغونيا وقاستيلا Kastilya، Aragonya) على التنصر جبرا، وبالرغم من هذه المشكلات أدار المسيحيون الجدد الأمور جيدا بشكل عجيب، وارتقوا بسرعة، واغتنوا لأقصى درجة، واحتلوا مواقع مهمة فى الحكومة والجيش والجامعات، ومع هذا لم يأخذ إثارة رجال الدين الكاثوليك المتعصبين لحقد الجماهير أمام هذا النجاح وقتًا طويلًا، واتهام المسيحيين الجدد بالبقاء على اليهودية سرًا، وأنهم سببًا فى الهجوم فى السنوات التالية من العصر.

ونتيجة الظلم اللا سامى لمدة قرنين هرب آلاف اليهود من (أسبانيا) أكثر من المنفى الأخير الذى حدث فى عام (1492م=898هـ)، وفى العصور التى ارتقى فيها "فرديناند Ferdinand" الثانى عرش (أريجونا Aragonya)، و"إيزابيلا Isabella" الأولى عرش (قاستيلا Kastilya) فنى يهود مدن(فالينسيا و برشلونة Barselona Valensiya) الذين عاشوا فى رفاهية لأزمان، وبقى نحو ثلاثون ألف عائلة يهودية فى (Kastilya) المنطقة التى عاش بها أكبر عدد من اليهود فى أوروبا.

وفى النهاية أوضح زواج "إزابيلا Isabela" بـ"فرديناند Ferdinand" الحكم الأخير للشعب اليهودى الأسبانى حيث رتب(Konversolar)، واليهود المنتسبون للقصر هذا الزواج، وفى البداية اتبعوا سياسة التسامح متتبعين أسلافهم الذين فى أسبانيا المسيحية، وحموا اليهود وأعطوهم مكانة على مستوى الإدارة عندما أغارت عليهم العصابات التى أثارها الرهبان المتعصبون، ولكن فكّر مستشاروهم فى تأمين الوحدة الدينية بوضع اليد على ثروة اليهود، ومحو الذنب للطريق الوحيد لحل مشكلة المملكة، وأقنعوا "إيزابيلا Isabela" و"فرديناند Ferdinand" بهذا، وأُسست محكمة تفتيش خاصة باسم

محكمة التفتيش الأسبانية التى كانت مهمتها القبض على كل الزنادقة ومحاكمتهم، وفى هذا الأمر كان الهدف هو الأشخاص المتهمين بأنهم يهود سرًا مثل (Konversolar) وأنهم يفسدون المملكة وليس الكنيسة فقط، وحُبست العائلات التى واصلت أنشطة اليهودية، ورأوا العذاب وأُحرقوا فى منظر رآه الشعب، وكشفت محكمة التفتيش عن ذلك طوال (1480م=885هـ)، كان اليهود يساعدون على عودة الـ(Konversolar) إلى اليهودية، وكنتيجة فإنه ما دام توجد علاقات طيبة لـ(Konversolar) مع يهود اسبانيول فإن يهود اسبانيول لو لم يُنفوا أو يُعدموا أو يغيروا الدين فسيبقى (Konversolar) كالهرزل، ولهذا السبب كان لا مفر من بين (Konversolar) لو ظل الذى سيجرهم إلى السوء ويوجههم إلى الخطأ.

كانت محكمة التفتيش بمثابة سيف ذى حدين؛ أحاط الأول بـ (Konversolar) الذين نجوا من استجواب محكمة التفتيش، والآخر بكل اليهود الذين رفضوا تغيير الدين بالرغم من كل الظلم، وفى أثناء عام (1481م=886 هـ) تدافعت العصابات إلى المناطق اليهودية التى فى المدن الكبرى من أسبانيا بإذن من قسيسى محكمة التفتيش، وسلخوا اليهود من مختلف الأعمار، وضربوهم، وقتلوهم، كما اعتدوا بلا احترام على معابدهم بينما تستمر الاحتفالات الدينية، وأعدم ثلاثة عشر يهوديًا فى عام (1483م=888هـ) بأمر من (فراى توماس Fray Thomas) و(توركيومادا Torquemada) رئيسا محكمة التفتيش اللذين قيل إنهما يهوديا الأصل، وقد تألم آلاف آخرون طوال العشر سنوات التالية من الموت والتعذيب بينما يقاومون رجالهم.

كان سقوط المملكة الإسلامية الأخيرة التى فى أسبانيا باستيلاء المسيحيين على (غرناطة Granada) فى 20 يناير (1492م=898هـ) يمثل نهاية الحكم الإسلامى الذى استمر 781 عامًا فى (أسبانيا)، وترك الشعب اليهودى فى مواجهة قدره السيئ. وكان النفى النهائى لليهود من سيجيليا وأسبانيا بفرمان من "إيزابيلا Isabela" و"فرديناند Ferdinand"، وفرمان 5 ديسمبر (1496م=902هـ) الذى تسبب فى تغيير دينهم بالقوة ثم نفيهم من البرتغال يمثل النقطة الأخيرة التى اعتمدت عليها الأحداث المستمرة منذ ثلاثة قرون على الأقل، وبقيت جماعات الـ (Marranoslar) مدة أطول ولكن زادت

الضغوط فى القرن السابع عشر، واضطر معظمهم للهجرة، وفى شكل مشابه قابلت محكمة التفتيش بنفس الريبة تغيير الدين لـ(موريسكيين Moriscolar) معادٍ لى المسلمين، وتم نفيهم بين سنوات (1609–1614م = 1018– 1023هـ) بعد استمرارهم فى التحدث بالعربية والعادات والتقاليد بعد منع "فيليب Philip" الثانى عام (1556م=964هـ) ذلك.

كان النفى من أسبانيا ظالمًا جدًا، وخلال أربعة شهور فقط اضطر 150 ألف يهودى إلى الهجرة من نهاية إبريل حتى 2 أغسطس المحدد كآخر يوم للنفى، ومن الصعب تحديد عدد اليهود الذين تركوا أسبانيا، وعدد اليهود الذين ظلوا هناك متنصرين، ويتغير عدد المنفيين بين 100 ألف على الأقل، ومليون على الأكثر، ولكن الشيء المقبول بشكل عام أن حوالى 300 ألف يهودى تركوا شبه الجزيرة (الأيبيرية) طوال القرن الخامس عشر وبدايات القرن السادس عشر، وترك معظمهم أمواله أو باعوها للمسيحيين بأقل من قيمتها الحقيقية، وكان إيجاد بلد جديد لكثير من اليهود موضوعا للبحث دون الاهتمام بشيء باستثناء معلوماته وقدرته.

ولكن إلى أين كان يجب أن يذهبوا؟ إلى أين يمكن أن يتجهوا؟ نجح بعضهم فى العيش بـ(ألمانيا وإيطاليا) لمدة قصيرة، وبالرغم من المنفى والقتل والظلم الكثير ظل ممكنًا لجوؤهم لمناطق مجاورة لهذه المناطق، وعندما فكّروا فى التحامل الذى فى ألمانيا بشكل خاص والمثار مع مجيء اليهود كانت الحلول عابرة وغير واضحة، وكنتيجة لذلك ظل اللاجئون بأعداد قليلة فى الغرب أو أوروبا الوسطى لمدة طويلة.

اختار بعضهم الطريق نحو الشرق ووجدوه أسهل من الذهاب إلى (لتوانيا وبولونيا) تلك التى أسستهم أوروبا الشرقية على أكبر جماعة يهودية، والذين عاشوا لقرون قبل فنائهم من قبل ملوك (روسيا) فى البداية ثم الهولوكست، ولكن فى البداية تعذب اليهود الذين هاجروا إلى أوروبا الشرقية فى القرن الرابع عشر، ولقد تعرض الكثير من اليهود للمذابح فى (ألمانيا) نهاية القرن الخامس عشر، وأحضر رجال الدين الكاثوليك إلى بولونيا الواعظ "جون كابيسترانو Capistranolu John" الذى نشر "افتراء الدم"، والذى تسبب فى هجرة اليهود فى بداية القرن، وتسبب وعظه فى نفي

اليهود من لتوانيا (1495م=201هـ) بشكل مؤقت، وفى فرمان (نياسزوا Nieszawa) الذى أخذ كل الحريات التى كسبها اليهود من الحكام السابقين، وأخذ نبلاء (ويلنا Vilna) فى عام (1527م=965هـ) من ملك بولونيا (سيجسموند Sigismund) الأول حق المنع للإقامة اليهودية فى المكان المذكور، وفى النهاية ظلت هذه الأوامر باطلة المفعول، وبدأت الحقوق المكتسبة تُنفذ من جديد، ولكن ساد إحساس بدأ بظلم جديد، ولهذا لم يدخل كثير من اليهود إلى أوروبا الشرقية.

وفضّل بعض اللاجئين الانضمام إلى (المورسكيين moriscolar) الذين ذهبوا إلى موانئ (تونس) و(الجزائر) و(المغرب) البحرية من مضيق (جبل طارق Cebelitarık)، وبعد قرنين ونصف كانوا سيدخلون تحت السلطنة العثمانية، ولكن معظمهم تبع إخوانه اليهود فى شكل جماعات اتجهوا إلى الدولة العثمانية، وهى تُعد أقوى سلطنة فى عصرها وتمتد من شرق أوروبا حتى الأراضى التى تحد البحر الأبيض، وكانوا على أمل الوصول من جديد إلى الرفاهية والقوة التى اكتسبوها فى أسبانيا المسلمة.

يهود روما وبيزنطة:

كان لا يبدو الشرق الأوسط مُغْرِيًا فى القرن الذى تعرض فيه اليهود لاضطهاد الأوربيين، وبدأ تفكك العباسيين فى القرن الحادى عشر، وهم الممثل الأخير للخلافة الإسلامية الكبرى، وانهاروا تمامًا باستيلاء المغول على بغداد فى عام (1258م=684هـ)، وكان هذا الاستيلاء وعدوان الصليبيين الغربيين على الأراضى المقدسة قد فتحا الطريق للفوضى الاجتماعية والاقتصادية والسياسية فى الشرق الأوسط، وظلت بعض المناطق القليلة الآمنة للاجئين، والأكثر أن الأراضى الباقية من الشرق الأوسط حتى الفترات الأولى من القرن السادس عشر، وجزء كبير من جنوب أوروبا الشرقية كانت تُدار بواسطة ورثة نفس الإمبراطورية التى نفت اليهود من الأراضى المقدسة لأول مرة، إنها إمبراطورية روما البيزنطية الشرقية التى كانت استانبول عاصمتها.

كان اليهود قد هاجروا فى تاريخ مبكر من القرن السادس قبل الميلاد من الأراضى المقدسة إلى ضفاف (إيجة) للأناضول المتعلقة بروما، ولم يمض القرن الثانى قبل الميلاد عندما وصلوا إلى ضفاف (پونتوس Pontus) للبحر الأسود التى هى (طرابزون) الآن،

وجاءوا فى جماعات إلى هنا بعد انهيار المعبد الثانى فى عام 70 بعد الميلاد وقبل تأسيس بيزنطة، واستقر الآلاف فى (بورصة) و(قونية) ووسط الأناضول ومناطقه الجنوبية الشرقية، وعامل ملك روما اليهود بتسامح بعد إخماد الثورات التى فى الأراضى المقدسة، وكان اليهود يشكلون 12٪ من عدد سكان الإمبراطورية كلها، و يمكنهم أن يشغلوا كل الوظائف التى يريدونها دون تحديد من جانب الدولة، والأكثر كان إعفاؤهم– أحيانًا وبشكل خاص– من الأشياء التى يجب أن يفعلها كل المواطنين لأنهم يمكن أن يقوموا بمسئولياتهم الدينية.

كان الكُرْه اليونانى الموجه نحو اليهود يسيطر على الموجودين منذ مدة طويلة فى (سوريا) و(مصر) الخاصتين بروما، وصوّروا اليهود– الذين طردهم المصريون من بلادهم فى زمن موسى لتطهير أنفسهم من القذارة– كجماعات مجذومة قذرة مهاجرة، وآنذاك كان اليونانيون يختلقون التصورات العجيبة وافتراء الدم الذى سيفتح الطريق للتعذيب فيما بعد مستدلين على أن اليهود ضحوا بدم البشر لاستعماله فى الطقوس الدينية فى معبد القدس، واستغل معظم اليونانيين انهيار المعبد كدليل على كره الله لليهود ومعاقبتهم على تصرفاتهم الشيطانية، وفى النهاية إذا كان الرومان عاملوا اليهود جيدًا فقد كان يوجد اعتداءات يونانية على مراكز الإقامة اليهودية التى فى الشرق.

كانت إمبراطورية روما تمضى إلى المسيحية رويدًا رويدًا بعد فرمان ميلان (Milan) عام 312 بعد الميلاد، كانت تعرف كل الأديان، وتدعم الحقوق المتساوية، وتتسامح مع المسيحية، ولكن بدأت تضجر من اليهود تدريجيًا، وتجددت مكررًا اللاسامية الهلينية الموجهة إلى اليهود الذين يكرههم الله، وأخيرًا، كان يهود روما محرومين من حقوقهم، وكانوا فى مرتبة المواطنة الثانية أى مواطنين درجة ثانية، وأُبعدوا عن المواقع الإدارية والعسكرية، ومُنع التبشير اليهودى بين المسيحيين، وانتقال المسيحيين إلى اليهودية، كما كان لا يمكن أن يُقيم اليهود علاقة مع المسيحيات، واعتدى الكثيرون على اليهود فى الشوارع وفى منازلهم وفى أماكن عملهم، وبدأت العصابات المسيحية فى أعوام (387–388م) فى هدم كل المعابد الوثنية فى روما ثم تبعتها معابد اليهود، كما اعتدت العصابات المسيحية على اليهود فى روما هادمةً منازلهم ومعابدهم وذلك عندما عوقب

بعض العبيد المسيحيين الذين قتلوا أسيادهم اليهود تحت حكم "ثيودوريك Theodoric" فى أعوام (493- 526م)، ولم يمض وقت طويل حتى أتهم اليهود بأنهم السبب فى زلزال روما لأنهم تهكموا على الصليب، وعُذِّب معظمهم حتى الموت.

كان القمع والاضطهاد أسوأ فى إمبراطورية روما الشرقية التى أسسها الإمبراطور "قسطنطين Konstantain" فى عام 330 بعد الميلاد، وأطلق عليها سم (Konstantinapol): (القسطنطينية)، وجعلها عاصمة جديدة، وكانت فرمانات الإمبراطورية البيزنطية التى بدأت عام 395 بحكم الإمبراطور "آركاديوس Arcadius" واستمرت حتى فتح العثمانيون لـ(القسطنطينية: Konstantinapol) عام (1453م=857هـ) قد جعلت يهود بيزنطة معرضين لتنكيل وتعذيب استمر أكثر من ألف سنة، كما أُجبر آلاف اليهود- الذين تدفقوا أفواجًا إلى آسيا الصغرى بعد نفيهم من الأراضى المقدسة ومن أنسابهم- على تغيير دينهم، وقُتلوا أو نُفوا بتصفيات تحققت على فترات.

استطاع يهود بيزنطة عمل بعض الأشغال البسيطة مثل غبيد الإمبراطورية الآخرين، وكانوا قد عملوا فى الأيام الأولى من الإمبراطوية الرومانية الشرقية وفى روما فى مهن المحاماة والطب، ولكن مُنعوا فيما بعد من مثل هذه المهن، واشتغلوا بمهن ينفر منها المسيحيون مثل مهنة الدباغة والجِلادة، أما اليهود الموجودون فيما بعد فقد صدّروا بهارات وعطورًا ولؤلؤًا من الهند، وحرير من الصين، وبنزين وأحجار كريمة من إيران، أما اليهود الذين باعوا وأنتجوا أشياء نُحاسية وزجاجية وجِلْدِية فكانوا يعملون بالأعمال الحرفية فى نفس الوقت، واحتكروا مهنة النجارة والدهان.

تركزت أماكن إقامة اليهود فى مدن بيزنطية مثل (قُسطنطينابول وسلانيك Selanik ،Konstantinapol) فى شكل تجمعات قليلة (جيتو) تتغير أحيانًا بشكل مرتبط بأهواء الأباطرة الحاكمين آنذاك، وكان يتجمع اليهود حول معبد يهودى فى منطقة النحّاسين فى المدينة، فى مكان قريب من ميدان "بايزيد" الحالى، ولكن تحول هذا المعبد إلى كنيسة فيما بعد، أما الإمبراطور "ثيودوديوس Theododius" الثانى إمبراطور روما الشرقية الذى كان هدفه الأساسى إخراج اليهود تمامًا من (Konstantinapol) فقد غيّر أماكن اليهود الذين عاشوا حول المدينة، وسُمح ببقاء تجار ألمانيا وإيطاليا وأسبانيا فى

مركز المدينة، أما اليهود فقد أُرسلوا إلى شواطىء الخليج الجنوبية، وإلى منحدرات غالطة الجديدة التى تطل على البوغاز، وإلى شواطئ البوغاز الأوربية المتجهة إلى البحر الأسود، وإلى الأماكن المعروفة اليوم باسم (أرناؤوطكوى و أورطة كوى Ortaköy، Arnavutköy)، وعاد اليهود إلى مدينة (القسطنطينية Konstantinapol) فى القرن الحادى عشر، وأقاموا فى مناطق ممتدة على شواطئ بحر مرمرة على الأجزاء السفلية من (باغچه قاپيسى Bahçekapısı) العثمانى، وحول سراى (طوپ قاپى Topkapı) مباشرة على طول شواطئ الخليج، وبشكل متعلق بهذا يُعد واحدًا من كاسر الأمواج البيزنطية وذُكر كأنه باب يهودى، وأُرسل اليهود مرة أخرى إلى خارج المدينة فى نهايات القرن الحادى عشر، وأقاموا فى منطقة ممتدة على (پيجريدون Picridon) من الشواطئ الجنوبية للخليج التى سيبقى بعضها فى (خاصكوى Hasköy) الخاصة بالعثمانيين حتى القرن العشرين، وفى مناطق (غالاطه و بيك أوغلى Galata، Beyoğlu)، وانتقل بعض اليهود فى القرن الثانى عشر إلى الشواطئ الجنوبية التى فى (القنسطنطينية Konstantinapol)، أما الباقى فى شمال وغرب أماكن الإقامة السابقة فقد أقاموا فى مناطق معروفة بـ(باليف پازار و باغچه قاپىBahçekapı، Balıkpazarı) فى العصر العثمانى على الجانب السفلى لتلال القصر البيزنطى، أما الباقون فى الشواطئ الشمالية فقد اتجهوا إلى تلال (بيك أوغلى Beyoğlu) الحديثة، وإلى الجزء السفلى من قلعة غالطة.

عندما احتل الصليبيون اللاتينيون مدينة (القنسطنطينية Konstantinapol) بداية من عام (1204م=601 هـ) دُمرت نهاية المنطقة اليهودية التى فى (باغچه قاپيسى Bahçekapısı) ومعابد اليهود المنتشرة على ميدان واسع حتى كنيسة أيا صوفيا، ولكن لم يصب الضرر المنطقة اليهودية والمعبد اليهود المجاور، ولكن بعد ذهاب اللاتين بدأت مناطق الإقامة اليهودية- التى اصطفت على طول الشواطئ الجنوبية للخليج- فى التوسع على الطرف الداخلى للمنطقة التى بين (غالاطه Galata) و(خاصكوى Hasköy)، وعلى حى (قاسم باشا Kasımpaşa) الموجود فى الدولة العثمانية بشكل خاص، واستطاعوا الإقامة فى الأماكن التى أرادوها فى ظل المساندات القوية لإدارات أمراء (الجنويز و البنادقة Venedik، Ceneviz) التى فى القسطنطينية (Konstantinapol)

من عام (1257م=655هـ) حتى عام (1453م=857 هـ)، ولكن اليهود المحرومين من حماية كهذه اضطروا إلى الانتقال للأماكن التى لم يرد البيزنطيون العيش بها، أما اليهود الذين اشتغلوا بالبيع والدباغة التى كانت مهنة ذات رائحة سيئة فبينما ينتقلون إلى جوار (لانغا langa) التى على الشاطئ الشمالى من بحر مرمرة حيث سيستريح الآخرون من رائحة مهنتهم وسيعيشون حتى الفتح العثمانى فقد أقام الفينيسيون على طول الشواطئ الجنوبية للخليج الذى فى (فِنر Fener)، وكان هنا مركز البَطْرِيَرْكِيَّة اليونانية فيما بعد، أما اليهود المهتمون بأعمال النقل البحرية فقد انتقلوا من غالطة إلى سواحل البوغاز فى (اورطه كوى وقاباطاش Ortaköy، Kabataş) الحالية، واستمر وجود أماكن الإقامة اليهودية، والمعابد المنشأة حتى العصور الحديثة.

كان يهود بيزنطة أصحاب الحق فى تطبيق اعتقاداتهم، ولكن الأباطرة البيزنطيون- منذ بدايتهم بفرمان الإمبراطور (آركاديوس Arkadius) فى عام (395م)- وضعوا اليهود خارج حقوق المواطنة الكاملة مثل الرومان تمامًا الذين لم يضعوهم إلاَّ فى وضع العُبودية، ووضعوا تضييقات على أماكن الإقامة والمعابد والوظائف، وكانت دوافع الرومان سياسية فى البداية، ولكن سيطرت الرجعية الدينية على التصرفات البيزنطية، فالمسيحيون- الذين يرون أنهم بشر اختارهم الله- مقتنعون بأن الله لعن اليهود؛ لأنهم رفضوا كلمة الله وارتكبوا ذنب قتل عيسى، ولابد من معاقبتهم، وسيتحقق هذا عن طريق القمع والتضييق، وترى الكنيسة اليونانية أن اليهود كانوا مُقَزِّزين تمامًا، ويلوّثون من يلمسهم، ولابد أن يُحرم من الكنيسة أى مسيحى يلامس يهوديًا، وأخيرًا فإن اليهود الذين عاشوا فى الإمبراطورية البيزنطية بعد إعلان الإمبراطور (ثيودوسيوس Theodosius) الثانى أن المسيحية دين الدولة فى عام (408-450) تعرضوا لضغوط حقوقية حادة واضحة تصل إلى أدق تفاصيل الحياة الدينية والدنْيوية، وبينما يحملون على عاتقهم مسئوليات لا يمكن تحملها، لم يستفيدوا من أى امتياز للمواطنة، وأبعد الإمبراطور "ثيودوس Theodosius" الثانى اليهود عن كل المواقع العليا، ومنع بناء المعابد الجديدة بالرغم من سماحه بتجديد القديم، وقُتل أعداد من اليهود نتيجة الصدام بين الأطراف فى سباق عربات خيول بروما، فأُحرقت وهُدمت المعابد، وأُلقيت الجثث فى النار.

ومُنع بناء المعابد اليهودية الجديدة فى عام 415، وأُمر بهدم المعابد الموجودة، وطَرَدوا كل اليهود الذين عملوا كمستشارين للأباطرة السابقين، ولكن أُلغيت كل الأوامر فيما بعد، فى عام (423م)، وأمر ببناء المعابد الجديدة بشرط عدم سعى اليهود لتهويد المسيحيين، ومهما يكن من أمر فقد أُعلن بشكل رسمى فى عام 438 عداء اليهود لقانون روما، ونتيجة لهذا مُنع الاحتفال بالأعياد الدينية اليهودية، ونُفذت التضييقات السابقة ضد بناء المعابد من جديد، وأُمر بهدم القديم.

عزز فرمان (Corpus Juris Civillis Ve novellae) الذى أصدره الإمبراطور "جوستنيان 565-527"(Justinyenم) من الشروط المانعة والمقيِّدة لليهود مثل الفرمانات الأخرى المضافة إليها، وكانت بعض التدابير متعلقة بالدين مباشرة، وكانت تهدف إلى السيطرة على انتشار اليهودية، وعندما يتم تعمير المعابد فلا يمكن أن يُبنى الجديد، وواصل الإمبراطور "جوستنيان Justinyen" منع بيع الأراضى الدينية لليهود، وأمر بالحجز على أى معبد مبنى على أرض دينية، وكان يمكن أن يختّن اليهود أطفالهم ولكن عندما يختّنون طفلًا من دين آخر كان جزاؤهم هو ضرب عنقهم والحجز على أملاكهم، وكان جزاء أى مسيحى يحاول تغيير دينه هو الحجز على أمواله وموته، وكان لا يمكن أن يشتري اليهودى عبدًا مسيحيًا، وعندما يختّن أحد اليهود عبدا يهوديًا كان يُضرب عنقه، وكان جزاء المسيحى الذى يَتَهَوَّد هو الحجز على أملاكه، أما اليهودى الذى يتنصر بهدف الهرب من بعض الصعوبات فكان لا يُقبل فى الكنيسة، أما اليهودى الذى يطلق النار أو يُضايق بأى شكل شخصًا تنصر متحولًا إلى المسيحية فكان يُحرق مقيدًا.

وكان لا يمكن أن يشهد اليهودى فى الدعاوى المسيحية فى أى من الطرفين فى الموضوعات الحقوقية، أما الدعاوى التى بين اليهود والمتعلقة بالموضوعات الدينية فكانت ترتبط بالقانون الرومانى فى محاكم روما، وعندما يظهر خلاف بين المسيحى واليهودى كان القاضى المسيحى هو الذى ينظر فى الدعوى، وليس حاخامًا يهوديًا. أما أمر الزواج فكان لا يمكن أن يتحرك اليهود بقوانينهم وهم يتزوجون، فكان لا يُسمح لهم باستكمال تعدد الزوجات، وكان الزواج اليهودى والمسيحى تابعًا لنفس الجزاء مع

الزنا وهو القتل رجمًا، وأخيرًا كان لا يمكن أن يتواجد اليهود فى أماكن أعلى من المسيحيين بقاعدة أن:"لا يمكن أن يستفيد اليهود من نعم الدولة مطلقًا، وفقط سيعانون آلامها وعقوباتها". وكان لا يمكن معافاتهم من عقوبة الإعدام للجرائم التى ارتكبوها أو من الأعباء المادية الثقيلة الناتجة عن خدمة منظمات الإدارة المحلية.

كان الإمبراطور "جوستنيان Justinyen" هو الإمبراطور الأول الذى حقق المثل الأول مُشرّعًا التدخل فى الممارسات الدينية والاجتماعية لليهودية بشكل متوازٍ مع النزعة الكاثوليكية التى تُطابق القضاء بعلم اللاهوت المسيحى، ويستمر حتى يأمر باستعمال الترجمات اللاتينية واليونانية للعهد القديم فى الطقوس الدينية لليهود بهدف إقناع بعض اليهود بتغيير الدين، ومنع استخدام عبارة " الله واحد ولا إله إلا الله" فى الطقوس الدينية اليهودية لأنه كان يعتقد بأن هذه العبارة تحتقر التثليث المسيحى، ومنع إنشاد كلمات سفر "إشعيا" التى توعد باتحاد البشر المقهورين، كما منع عبادتهم طيلة عيد الفصح، وكذلك الاحتفال بعيد الفصح فى نفس الوقت مع عيد القيامة، وإعدادهم الخبز غير المخمر، ونظّم قواعدهم بوضع جواسيس فى الطقوس الدينية اليهودية، وعندما تجمعت هذه الإجراءات مع القيود السياسية والقانونية التى تعرض لها اليهود حاول اليهود إحباط مساعي بيزنطة لفتح (إيطاليا)، وشاركت جيوش الإمبراطور "جوستنيان Justinyen" مع المدافعين عن المدينة أمام البيزنطيين غير مبالين بأموال اليهود الذين عاشوا هناك عند الهجوم على "نابولى" وحتى غير مبالين بأرواحهم، وفى النهاية ساءت العلاقة بين المسيحيين واليهود فى نهاية القرن السادس وطوال القرن السابع، وأصدر الأباطرة قوانين قاسية ضد اليهود كرد فعل للرغبة الشعبية.

استمرت سياسة تحويل المعابد إلى كنائس والمطبقة فى عهد الإمبراطور "جوستنيان Justinyen" من قبل، وكذلك فى عهد الإمبراطور "مايوركا Maurice" الذى أمر بإبعاد اليهود من "أنطاكية" فى عام (592 م) بسبب شائعة أن اليهود أحرقوا مدرسة مسيحية، وأُمر بتنصير كل اليهود الموجودين فى الإمبراطورية، كما أمر الإمبراطور "هراكليوس 641-610" (Heraklius) بتنصير اليهود جبرًا، وصدر قانون يطبقه كل

الأبـاطرة القـادمين الـذين حكمـوا فى القـرنين الثـامن والعـاشر، ومنـع الإمبراطـور "جوستنيان Justinyen" اغتسال المسيحيين مع اليهـود فى نفـس الحـمام بسبب خـوف الشعب القائم على تلويث اليهود للمسيحيين بملامستهم أو رائحتهم السيئة.

وكان إعلان مجلس (كوينيست Quinisext) هكذا:

"إن الباقى من الانحراف الوثنى أو اليهودى المختلط بفاكهة الحقيقة الناضجة لابد أن يُنزع من جذره مثل العشب البرى... ولا يجب أن يأكل رجال الدين أو غيرهـم مـن خبز اليهود غير المخمر، ولا يجب بناء علاقة معهـم، ولا يجـب أخـذ المساعدة الطبيـة منهم، ولا يجب الاغتسال معهم. وإذا حدث هذا فسيُسحب من رجل الدين لقبه، وإذا كان غير ذلك فسيُحرم كَنَسِيا."

طلب كثير مـن البيزنطيين إبعـاد اليهـود عـن القـسطنطينية وعـن كـل الإمبراطوريـة بعـد مجموعة حوادث، وأعطيت مجموعة أوامر بـالنفى، ومُنعـت اليهوديـة، وغُـيِّر الـدين لليهـود خمس مرات على الأقل، من جانب الأباطرة "هراكيلـوس Heraklius)"610-641 م) فى عـام (632 م) ، و(ليو Leo) الثالث (717–741م = 99– 124هـ) لدعم الوحدة ضد الهجـوم الإسلامى فى عام (680م=61هـ)، و"بازيل Basil" الأول (867–886م= 253–273هـ) فى عـــام (873–874م=260 –261هـــ) ، و"رومـــانوس ليكـــابنـــوس Romanos Lecapenus" الأول (919- 944م=307–333هـ) فى عام (940م=329هـ). وكان خيـار اليهود الوحيد للخلاص هو اعتناقهم للمسيحية ولكن من يفعلون هذا كانوا يُعتبرون مـذنبين، ولهـذا الـسبب تعرضـوا فـيما بعـد للـضغوط الدوريـة فى (أسـبانيا)، واتخـذت الأساطير المتعلقة بالتجار اليهود إطارًا سيئًا فى تراث "شيلوك Shylock" الـذى خـرج فى أوروبا، وكان يُذكر اليهود فى طقوس الكنيسة بـ "الملعـونين" ولكـن كـان يمكـن أن يـستفيدوا مـن الهدايـة الإلهيـة عـن طريـق التعميـد، وكـان يـستغل الأحكـام المتحاملـة المشهورة، وألعاب التعصب، وتأثرت العادات الدينيـة والحكايـات المشهورة بـالجيران المسيحيين لليهود البيزنطيين، وفتحـت الطريـق للـصراعات والـضغوط المتواصـلة عـلى فترات.

بعد أن دمّر التخريبيون معبدًا يهوديًا فى نهايـة القـرن الخـامس ثـار البيزنطيـون عـلى

تعمير هذا المكان. وسمحت الكنيسة- بعد موت "هيراكيلوس Heraclius"- ببناء معبد لمواجهة الاحتياجات الدينية لليهود المهاجرين حديثًا، واليهود الذين سَلِمُوا من الظلم السابق. وكان الأباطرة البيزنطيون فى فترة (ايكونوكلاست Ikonoklast) أكثر تقييدًا. وأمر الإمبراطور "ليو Leo" الثالث- الذى ولد ونشأ فى سوريا، والذى يعتقد بأن المسلمين والمسيحيين يقومون بخطط سرية لتدمير المسيحية- بتنصير كل اليهود فى عام (721م=103هـ) بهدف دعم الوحدة الدينية التى يظن أنها لازمة لصد المحتلين الأجانب الذين يهددون الإمبراطورية آنذاك، ومنع بعض الاحتفالات والطقوس الدينية لليهود لنفس الغاية. ووضع الإمبراطور "ثيوفيليس Theofilis" بعض القوانين القديمة المقيدة لليهود فى حيز التنفيذ. أما الإمبراطور "بازيل Basil" الأول (867-886م=253-273هـ) مؤسس مملكة (مقدونيا) فسعى لتغيير اليهود دينهم عن طريق الإقناع لأول مرة داعيًا للاستفادة من الفرص لو يقبلون ما فقدوه، ولمناقشة الحاخامات للدفاع عن دينهم، ثم لجأ للرشوة، وأرسل هدايا لمن قبلوا تغيير الدين. وعندما لم يفد هذا أمر بتنصير كل اليهود فى عام (884م=271هـ). وعندما ألغى خلفاؤه هذا، استمر القهر. فكثير من زعماء الكنيسة البيزنطيون ثاروا بعنف على السماح على عودة الذين غَيَّروا دينهم إلى اليهودية، وسمح الإمبراطور "ليو Leo" الرابع (886-912=273-300هـ) الملقب بـ"العاقل" بعودة اليهود الذين غيّروا دينهم جبرًا إلى دين أجدادهم، ولكن أمر بذلك الأمر فى عام (894-281هـ): "يجب ألاَّ يَقْتَرِب اليهود من العيش بأى شكل لا يتوافق مع العقيدة المسيحية الصحيحة والصائبة." وعندما يُرى أن يهوديًا لم يحترم مراسم المسيحية، وتحول إلى المعتقدات والممارسات اليهودية سيُعاقب بالعقوبة المحددة للماكرين.

وأمر الإمبراطور (رومانوس ليكاپنوس Romanos Lecapenus) الأول بأن يغيّر كل يهود بيزنطة دينهم جبرًا، وتسبب هذا فى قتل مئات اليهود، والاعتداء بوحشية على كل المعابد الموجودة فى الإمبراطورية. وفى نفس الوقت لاقى اليهود اعتداءات وحشية من جانب موظفى الدولة والكتاب والوعاظ المشهورين البيزنطيين الذين يريدون إثارة الحماس فى الشعب ضد "الفرسان الصليبيين" الذين جاءوا من الغرب الذى سيأخذ

الأراضي المقدسـة مـن يـد "المسلمين الكـافرين". وأراد الإمبراطـور (آنـدرونيكوس كومانـانيوس Andronicus Comnenus) الأول أن يتحـول اليهـود إلى المسيحية ولكـن عن طريق الإقناع وليس القوة. وبينما يعبر الصليبيون من القسطنطينية التى تقع أعلى الطـرق الذاهبـة إلى الأراضي المقدسـة أقـاموا بجانـب أمـاكن الإقامـة اليهوديـة بشكل منتظم، وبجانب برج غالطة بشكل خاص، وقضوا معظم أوقات فراغهم فى الاعتـداء على اليهود وقتلهم أو سرقة أموالهم. وهيجوا الشعب لعمل نفس الأفعال، ولأول مرة رافق أرمن القسطنطينية اليونانيين فى الاعتداء على اليهودية.

كانت الأحداث لليهود أكثر سوءا فى زمـن المملكـة اللاتينيـة التـى أسسها صـليبيو الحملة الرابعة، وزاد مـن تعـذيبهم آلاف اللاتـين الـذين فى القسطنطينية الـذين ساووا الهياج الصليبى بالأحكـام اللاسـامية، وبينما يتعـرض اليهـود للاعتـداءات المستمرة فى المدن الكبرى الأخرى حرق اللاتين أماكن الإقامة اليهودية عدة مرات.

بعد ذهاب اللاتينيين فى عام (1261م=660هـ)، وتأسيس الإمبراطورية البيزنطية من جديـد بحـدود متقلـصة فى مملكـة (پالـه يولـوجى Paleologi) زاد صـعود الدولـة[10] السلجوقية الكبرى= دولـة السلاجقة العظـام فى بغـداد والإيلخـان والـتركمان المُسْلمة التـى فى الأناضـول مـن خـوف اليهـود مـن رغبـة المسلمين فى الاسـتيلاء عـلى العـالم البيزنطى، واستمرت طـوال القرنين الثالـث عـشر والرابـع عـشر جهـود البيزنطيين فى مهاجمة اليهودية واليهود.

كـان "ماثـاو بلاسـتاريس Matthew Blastares" عـالم اللاهـوت بالكنيـسة الأرثوذكـسية قلقًـا جـدًا بـسبب إمكانيـة إزالـة الحـواجز، ولهـذا الـسبب كتـب فى عـام (1335م=736هـ) أنه لا يجب أن يُقيم أى شخص علاقة مشتركة مع اليهـود مهما تكـن الظروف. ويرى أن أسباب الحرمان الكنسى فى القانون 70 للكنيسة هـو: "الـصوم مـع اليهود و الاحتفال معهـم و قبـول الهـدايا مـنهم والإحتفـال بـالخبز غـير المخمـر، أو أى شيء" والراهـب الـذى يفعـل هـذا فسيُسحب لقبـه. أمـا القـانون 71 فكـان متعلقًـا بـ "المسيحى الذى يوقد الكيروسين مساءا أو الذى يعطى الكيروسين للمعابـد الوثنيـة أو معابد اليهـود"، وكـان يتعـرض هـذا المسيحى إلى الحرمـان الكنسى لأنـه سـاعد وأعزّ

الأعياد اليهودية. وكان يُستنتج أن اليهود والمسيحيين اجتمعوا أو شكّلوا علاقة بالرغم من الإنذارات المكررة والعبارات التى استخدمها القانون 11 للمجلس الكنسى: "من لم يمتنع عن الأكل من الخبز غير المخمر لليهود، وعن الاعتقاد بأن صداقتهم جديرة بالاحترام، وعن معاودتهم وهم مرضى، وعن الاستحمام معهم فى حمامات جماعية فسيُحرم من لقبه إذا كان رجل دين، وسيتعرض للحرمان الكنسى إذا لم يكن..."

كلما تقهقرت الإمبراطورية البيزنطية– هذا التقهقر كان ينعكس سلبًا على الاقتصاد– نهضت الدولة لإعلان اليهودية خارج القانون لتقوية الوحدة الدينية فى الإمبراطورية التى فى حالة الحرب، وقمع الأباطرة اليهود بقيود على الأنشطة الاقتصادية والاجتماعية بواسطة القوانين العَلْمانية، وقُبلت مكررًا القيود الحقوقية القديمة التى ظلت خارج الاستعمال، ودخلت حيز التنفيذ. فالأشخاص الذين اقتربوا بمحبة إلى اليهود عُوقبوا لأنهم سمحوا بعيشهم وعملهم مع المسيحيين ومن ثم إفسادهم وحتى تأثيرهم. واشتكى البطريرك "آثاناسيوس Athanasius" الأول فى بدايات القرن الرابع عشر معبدًا يهوديًا فى القسطنطينية إلى الإمبراطور "آندرونيكوس پالالينوس Andronicus Palaelogues) الثانى:

" يُظهر البيزنطيون تسامحًا مريحًا نحو بناء معبد فى ميدان واسع للبشر قتلة الرب، والساخرين من الرموز المقدَّسة والاحتفالات الدينية بعقيدة عيسى وبدين هذه المدينة الأرثوذكسية... ولم تعش الجماهير فى لامبالاة فقط ولكن فسدوا بتقبل اليهود فى نفس الوقت...

كان وضع اليهود فى الأراضى المسيحية المنفصلة عن الحكم البيزنطى سيئًا جدًا. وعقب تأسيس المملكة البلغارية الثانية فى (تيرنوفو Tirnovo) عام (1186م = 582هـ) وسّع البلغار حدودهم من بحر الطونه (Tuna) نحو بحر ايجة والبحر الأسود وبحر الإدرياتيك. وكانت تشمل أماكن الحكم مدن (تراكيا Trakya) و(سلانيك Selanik) و (مقدونيا Makedonya) و (الأرناؤوط Arnavutluk) و (صيربيا Sırbistan)، وقد قاموا بالغزو عدة مرات للاستيلاء على القسطنطينية. ولم يكتفوا بالاستيلاء على الأراضى القديمة من بيزنطة، ولكن فى نفس الوقت، وكما فعل البيزنطيون، واصلوا

ظلم اليهود الـذين يعِظـون بـدين إسرائيـل بين الـشعب المسيحى فى العاصـمة نفـسها، والذين ينقّبون تحت مصادر العَقِيدة المسيحية الحاكمـة. وكـان اليهـود يحـاولون دخـول الطبقة الحاكمة مُقَلِّدين أسلافهم بهـدف إعـداد الظـروف اللازمـة لانتـصار ديـنهم لأن اليهود كانوا متهمين بأن:

"... يساوى اليهود أنفسهم بالرهبان بشكل متكبر، ولعنوا الأيقونـات، ولم يعترفـوا بقدسية عيسى ومريم العذراء.. وحُكم بالموت على ثلاثـة ممـن يـدافعون عـن اليهوديـة، ولكن تحَّول هذا العقاب إلى نَفْى بأمر الملك، وترك أحد اليهود دينه، واختـار المسيحية. ولكن الاثنين الآخرين أصرا معاندين، واعتـدى عليهما مواطنـو (طورنـوڤا Turnova) الغاضـبين، وضربـوا أحـدهما حتـى المـوت، وحُمل أحـدهما مـن المكـان وقُطـع لـسانه، واستقبل بهياج دينى، ولكن اليهود الخائفين المهددين بالإبادة تمامًا أُهلكوا قتلًا.

تعرض اليهود للتعـذيب الـشديد فى منـاطق بـلاد الـصرب (Sırbistan) و(البلقـان) الأخرى قبل فتح الترك لهذه المناطق. أما اليهود الذين عملوا فى مهـن الطـب والمحامـاة والأعـمال الحِرَفيَّـة والأعـمال المـصرفية والـذين كـانوا أصـحاب حـق اسـتمرار تنظـيم الجماعة، فقد كوّنوا طبقة وسطى بين الجماهير اليونانية وذوى الأصل والنسب فى كريت (Girit)، ولكن رأوا المُعاملة السيئة، وأُجبروا على العيش فى (جيتـو) المنـاطق المنعزلـة، ووضع الأختام اليهودية الخاصـة عـلى منـازلهم وملابـسهم. وعنـدما خـضعت الجزيـرة للإدارة الفينيسية استمر اليونانيون المحليون فى الاعتداء على جيرانهم اليهـود وقمعهـم ومضايقتهم. وكان السبب هو مساعدة اليهود لجهود المسلمين الدَوْرِيَّـة الموجهـة لفـتح الجزيـرة. وتـسببت حكايـات اليهـود التـى أيـدها العثمانيـون والتـى دفعـت بالمسيحيين خـارج التجـارة فى ثـورة الـشعب والمـذابح اليهوديـة فى عـام (1364م=766هـ) وقبـول الترتيبات التى تحـدد اتخـاذ أملاكهـم. وعـلى الجانـب الآخـر أُضيفت اتهامـات "إفـتراء الـدم" و"إفـساد قدسـية الخبـز" إلى حـوادث مـشابهة فى عـام (1449-1452م=853-856هـ)، ومُنعت أعـمال البنـوك والسَّمْسَرة، وهُـدد اليهـود لـدعمهم التمويـل المـالى فى العمليـات العـسكرية فى الحـرب العثمانيـة الفينـسية، وتـسببت شـائعة أن يهـود اليونـان يُساعدون العثمانيين فى قتل اليهودى القادم أمام اليونانيين المحليين، وأصدر (غيوكـامو

فوسكارى Giacomo Foscari) قوانين قاسية ضد اليهود تجبرهم على تغيير دينهم أو العيش فى جزء مَعْزول من الجزيرة.

تعرض اليهود فى مدينة (قورفو Korfu) لتعذيب مستمر واعتداءات وحشية من اليونانيين، وبالرغم من عدم اقترافهم أى ذنب إلاَّ أنهم اضطروا إلى التجديف فى سفن الحرب، وأُجبروا على الدعم السوقى والغذائى للجنود عندما يريدون، وكان يجب ذهابهم إلى محاكم اليونان يوم السبت وفى الأعياد اليهودية الأخرى، وأُجبروا على مهنة الجلد مثلما حدث فى بيزنطة، وزاد هذا من الغضب الجماعى الذى تعرضوا له، وازدادت الظروف سوءا باستيلاء الفينيسيين على الجزيرة. ومُنع امتلاك اليهود للأراضى فى عام (1406م = 809هـ) ، وكُلّفوا بحمل الختم اليهودى الخاص، وآنذاك كلّف الحكام الفينيسيون اليهود بضرائب إضافية باهظة لتمويل الحرب التى شنّوها على العثمانيين.

عاش آلاف اليهود الذين هاجروا جماعيًا من الأراضى المقدسة فى الإمبراطورية البيزنطية، ولكن نتيجة الظلم والمذابح قُتل معظمهم أو أُجبروا على تغيير الدين. وهاجر جزء كبير من الباقين إلى إمارة روسية هى (كييف Kiev)، ورأوا ظلمًا أكثر هناك بالإضافة إلى تغيير دينهم إلى المسيحية الأرثوذكسية فى (أوكرانيا) فى القرن الحادى عشر. وتسببت هذه الحادثة فى هجرة كثير من اليهود إلى منطقة ودودة، إلى دولة الخزر التركية اليهودية، ولكن فيما بعد ذهبوا إلى ممالك (القرم– والتتار– القافا Kafa، Tatar-Kırım) فى القرن الثالث عشر مع فتح موسكو (Moskova) لهذا المكان، وفى النهاية لم يبق تقريبًا أى يهودى عندما فتح العثمانيون الأناضول فى القرنين الرابع عشر والخامس عشر.

اختلاط اليهود بالدولة العثمانية المُؤَسَّسة حديثًا:

فى النهاية كانت تنفصل طُرق البيزنطيين عن عدد اليهود القليل الذى بقى فى أراضيهم. وقد ألحق (التركمان) هزيمة نكراء بالجيوش البيزنطية، وتدفقوا إلى الأناضول، وأسسوا إمارات تركمانية فى شبه الجزيرة كلها، وعلى الجانب الآخر بينما يدافع الأتراك السلاجقة عن الخلافة العباسية لأول مرة، وبينما يؤسس سلاجقة الروم

(1077-1246م) لأول مـرة الدولـة المركزيـة المستقرة فى قونيـة وأواسـط الأناضـول الوسطى بداية مـن القـرن الثانى عـشر جرى يهود بيزنطـة- الـذين اسـتقبلهم الحكـم الإسلامى بفرحة الرفاهية والتسامح الذى قـدَّموه لهـم مرة أخرى كـما كـان فى الـشرق الأوسط وأسبانيا من قبل- لمساعدتهم على الفـور. وخضع آلاف اليهـود الـذين هَرَبـوا من الظلم البيزنطى قبل تأسيس الدولة العثمانية تحت حماية السلاجقة.

أسـس العثمانيـون- لأول مـرة- إمـاراتهم فى شـمال شرق الأناضـول حـوالى عـام (1300م=700هـ) بزعامة "عثمان بك" [11] مؤسس الدولة، وبعد أن استولوا على أجزاء كثيرة من غرب الأناضول توسعوا حتـى جنـوب شرق أوروبـا عـلى طـول نهـر (طونـا) فاتحين (اليونان) و(بلغاريا) و(رومانيـا) و(يوغوسـلافيا). والتفـوا حـول القـسطنطينية لفترة، فالمدينة التـى تحولـت لخرابـة وقـلّ عـدد سـكانها بسبب الـصليبيين اللاتينيـين فى بدايات القرن الثالث عـشر كانـت فى وضـع معـزول عـن العـالم الخـارجى حتـى فتحهـا السلطان "محمد الفاتح" فى عام (1453م=857هـ) [12]. وفى نفس الوقت كان العثمانيون يتقدمون بسرعة نحو الشرق، ووصلوا إلى دجلة والفرات فى الفترة الأخيرة مـن القـرن الرابع عشر، وأكدوا سيادتهم على شرق الأناضول قرب نهاية القرن الخامس عـشر بعـد التوقف العابر الذى مرّ به "تيمور لنك" [13] حاكم التتـار بعـد احـتلال الأناضـول، ثـم فتحوا مـصر وسـوريا تحـت قيـادة "سـليم الأول" [14] الـذى ارتقـى العـرش بـين عـامى (1512-1520م=918-927هـ)، وعَـبَر "سـليمان العظـيم" خليفـة "سـليم الأول"[15]- القانونى كما يُطلق عليه الأتراك- نهر الـ"طونا" عـام (1526م=933هـ)، وأتـم فتوحاتـه الكبرى التى فى أوروبا بفتح بـلاد (المجـر)، وحـاصر (ڤيينـا) فى عـام (1529م=936هـ) متحديا الإمبراطـور "تـشارلز Charles" الخـامس، وفـتح جـزءا كبـيرًا مـن "قافقاسيا" و"العـراق" فى الـشرق عـام (1535م=942هـ)، وتوسـعت سـيادته العثمانيـة قبـل عـام (1566م=974هـ) الذى نزل فيه من العرش حتى ضم شمال أفريقيـا وتقريبـا حتـى بحـر الأتلانتيك (Atlantik).

أحدثت هذه الفتوحات العُثمانية تغييرًا كبيرًا لليهود الموجـودين فى أوروبـا والـشرق الأوسط، وكانت تأتى هذه الفتوحات بمعنى التخلص من عبودية المسيحيين فى نفس

الوقت وليس التخلص من الامتهان والظلم والخضوع فقط، ولهذا اشترك اليهود فى الفتوحات العثمانية، وساهم اليهود الموجودون فى (بورصة) التى كانت مركز الحكم البيزنطى بشكل فعال فى استيلاء "أورخان بك"[16] بن "عثمان بك" على المدينة، وكمكافأة أحضر "أورخان بك" صرَّاف وحِرَفى من "أدرنة" البيزنطية والشامية لتطوير اقتصاد المدينة وزيادة سكانها، وهكذا ستكون المدينة هى العاصمة العثمانية الأولى، وأصبح معبد (اتز ها هيم Etz ha-Him) التاريخى مركزًا للمنطقة الخاصة باليهود والمؤسسة لضمان الاستقلال العَلْمانى والدينى لليهود. وكان يمكن أن يَشْغَل اليهود- الذين تحت الحماية العثمانية- الأعمال التى يريدونها على العكس تمامًا عندما كانوا تحت الحماية البيزنطية، وكان يمكن أن يعملوا بالتجارة والصناعة دون قيد، وكان يمكن أن يمتلكوا إنشاءات وأملاك فى القرية أو فى مركز المدينة، وفى مقابل ذلك يعطون (كضريبة رأس) نسبة محددة من دخولهم فى شكل متناسب مع الأصول الإسلامية، وكان يُعفى من هذا رئيس الحاخامات ومن يَعْملون بالمعبد، أما اليهود الذين عاشوا فى "بورصة" فى البداية فقد كانوا اليهود الذين هربوا من البيزنطيين والذين يتحدثون اليونانية أو الرومانية، وفيما بعد انضم إليهم يهود (الاشكناز) من (ألمانيا) و(فرنسا)، ويهود السفرديم من (أسبانيا) و(البرتغال)، وشكّلت "بورصة" نموذجًا مبكرًا للحياة اليهودية التى ظهرت فى استانبول وسلانيك فيما بعد.

كان هناك مساندة من الجماعات اليهودية الفقيرة والصغيرة التى تعيش تحت ظلم البيزنطيين هناك فى فتح (غاليبولى1345م) (Gelibolu=755هـ) بواسطة "سليمان باشا"[17] ابن "اورخان بك"، وفتح "أنقرة" (1360م=762هـ) التى تقع فى وسط الأناضول بواسطة "مراد الأول"[18]، وفتح "أدرنة" التى كانت عاصمة الحكم لجنوب شرق أوروبا لبيزنطة فى عام (1363م=765هـ) . ووضع الفاتحون الأتراك- كما فى "بورصة" تمامًا- عدد كبير من اليهود من اللاجئين اليهود الاشكناز الذين فى (روسيا) و(بولونيا) و(فرنسا) و(إيطاليا) و(ألمانيا الجنوبية) والمجر ومن الأراضى المفتوحة حديثا التى فى (البوسنة) و(صربيا) لتعديل اقتصاد "أدرنة" وجعلها عاصمة للأراضى العثمانية التى فى أوروبا، وعرفوا الامتيازات فى الضريبة والموضوعات الأخرى،

وكنتيجة لذلك تحولت "أدرنة" العثمانية إلى أكبر مجتمع يهودى فى أوروبا. وبينما تستمر الفتوحات العثمانية كان يُعين رئيس الحاخامات الأول بإشراف اليهود الموجودين فى جنوب شرق أوروبا، وتحولت "أدرنة" إلى مركز مهم للدين والثقافة اليهودية.

استولى السلطان محمد الثانى[19] السلطان العثمانى على القسطنطينية عام (1453م=857هـ)، وأخيرًا عندما أعدّ نهاية مخجلة للإمبراطورية البيزنطية دخل المدينة مارًا بأحياء اليهود- كما كان فى بورصة وأدرنة- وذلك بمساعدة الشعب اليهودى المثار أمام فرصة الخلاص من اليونانيين الذين مارسوا ضغوطًا عليهم . وحدث نفس الشيء فى (بودابست1526م Buda، Peşt) (=933هـ)، و(رودوس Rodos-1522م=929هـ)، و(بلغراد 1526م -Belgrad=933هـ)، (أذربيجان1534م -Azerbaycan=941هـ)، (إيران والعراق Irak، 1638 -1534,1535 -İranم=942,941—1048هـ). واستقبل اليهود فى اليمن (Yemen) السلطان سليمان القانونى بفرحة كما كان فى أماكن أخرى، وكوفئ اليهود فى كل مرة بالإعفاء الضريبى، والامتيازات التجارية، وحق تشغيل ثرواتهم، وتوسيع أو تعمير المعابد القديمة، وحتى بأماكن العمل والبيوت المجانية لمواجهة احتياجات الشعب اليهودى المتزايدة.

لم يتحقق فتح السلطان "محمد الثانى" للقسطنطينية بشكل التدمير أو القتل كما يدعى الوطنيون اليونانيون حتى اليوم فى محاولتهم لرسم الترك كقوم همج، وعلى العكس أُتبعت سياسة زيادة السكان وتأسيس المدينة من جديد لتكون مركزًا لسلطنة كبيرة متعددة العناصر. أراد السلطان "محمد الثانى" خلقها، وهذه السلطنة ستجمع كل حقوق العالم فى مملكة تركية، وستتوسع حتى حدود إمبراطورية روما. وكان لابد من الحجز على الأموال طبقًا للعرف الإسلامى لأن القسطنطينية قاومت الفتح الإسلامى بقوة، ولكن السلطان محمد الفاتح أعاق كثيرًا مما يمكن أن يفعله جنوده فى يوم واحد، وهكذا أعاق تخريب المدينة التى أراد جعلها عاصمة فى البداية، وتحويلها إلى تراث إسلامى.

أسس السلطان "محمد الثانى" مركز السلطنة على تلال استانبول القديمة التى يوجد بها جامع السليمانية وجامعة استانبول الآن والمعروفة بـ(اسكى سراى Eski Saray)، ولكن

فيما بعد بنى قصرًا جديدًا تماما يُسمى بـ (Topkapı Sarayı: سراى طوب قاپى) والذى يطل من أعلى على بحر مرمرة والخليج (Haliç)، واستمرت سلطنته ثلاثون عامًا أنشأ خلالها 190 مسجدًا جديدًا بجانب تحويل 17 كنيسة، 24 مدرسة إسلامية وجامعة، 32 حمامًا كبيرًا عامًا، 12 مركزًا تجاريًا وصناعيًا على شكل مركز لأنشطة الإمبراطورية التجارية والمُجمّع حول سوق كبير. وقسّم استانبول القديمة إلى 12 حيًّا، ويتواجد كل حى من الأحياء حول مؤسسات التعاون الأخرى المدعمة من جانب مؤسسات الخير (الأوقاف) والمستشفى والمدرسة والمساجد الإسلامية المهمة. وكانت تُمنح نسبة محددة من أموال الفتوحات للأوقاف لإمكانية التدعيم المستمر، وكانت الأحياء تنقسم إلى أقسام سفلية مبنية حول الأديرة والأضرحة الخاصة بالمعتقدات الصوفية والمعابد والكنائس والمساجد الصغرى.

ولكن كيف كان سيُزاد عدد السكان؟ كان قد قلّ عدد السكان ونُهبت المدينة بواسطة الصليبيين اللاتين فى بداية القرن الثالث عشر، وعندما جاءت السلطنة العثمانية كان عدد السكان والثروة قليلًا جدًا، وكان البشر مابين ثلاثين وخمسين ألفًا يعيشون فى الحدائق الكبيرة وخرابات العاصمة البديعة، وكان لا يمكن أن يؤسس السلطان محمد الثانى الدولة عندما تكون الدولة محرومة من البشر ومن الأنشطة الاقتصادية، ولهذا السبب بذل جهودًا خارقة لتأسيس المدينة من جديد وزيادة عدد سكانها بشكل سريع مقلدًا ما حدث فى بورصة وأدرنة من قبل، وفى البداية حاول إعادة المسيحيين الذين تركوا المدينة قبل وأثناء الفتح، وسمح بعملهم وحياتهم الدينية دون إعاقة وبقائهم فى منازلهم مرة ثانية بشرط مجيئهم فى وقت محدد، وأقام خُمس الأسرى المسيحيون على طول الخليج (Haliç) مع عائلاتهم، وحصلوا على إعفاء ضريبى ومنازل مجانية مقابل عملهم ومشاركتهم فى بناء المدينة من جديد، وهكذا استغل مكاسبهم لدفع الفدية لهم، وبذل جهدًا فى اتجاه التهجير الإجبارى للعناصر المتعددة دون تفريق بين المسلم والمسيحى واليهودى الموجودين فى المناطق المفتوحة لتشكيل البنية السكانية لاستانبول العاصمة الجديدة للعثمانيين، وأحضروهم بالقوة، أو بالترغيب عن طريق الكسب بلا ضريبة، والأراضى المجانية فى مقابل التجارة والصناعة، وكترغيب أكثر سمح السلطان

"محمد الثانى" بأن يدير أعضاء الجماعات الدينية الكبرى أنفسهم فى جماعات دينية وطوائف، وهذا يعنى الحياة بتقاليدهم ودينهم، وإدارة أنفسهم تحت قادتهم كما كان من قبل للروم ثم الأرمن وفى النهاية لليهود، وهذا ما ميّز "محمد الثانى" فى إدارة الإمبراطورية وفتح أماكن جديدة، وكانت مساندة زعماء الدين الذين تزينوا بسلطات دينية وعلمانية على مريديهم، وهذه القوة لرجل الدين كانت قوة لم يستطيعوا الحصول عليها أو استخدامها مطلقًا فى الدول السابقة التى أجبرتهم على مقاسمة سلطاتهم مع القادة المدنيين. وكنتيجة لكل هذه الجهود وصل عدد البشر إلى 114,248 نسمة تقريبًا وعدد المنازل إلى 16,326 منزلًا فى عام (1478م=883هـ) بعد ثلاثين عامًا من الفتح العثمانى، كان عدد منازل المسيحيين 5,162 منزلًا، واليهود 1,647منزلًا، نسبة المسلمين من السكان 58٪، والمسيحيين 32٪، واليهود 10٪، ولم تتغير هذه النسب كثيرًا فى القرون التالية والتى زاد فيها عدد السكان.

كانت المدينة لا تزال تبدو فارغة بالقياس إلى حالة المدينة فى العصر الذهبى طوال الخمسة قرون السابقة التى وصلت فيها الدولة البيزنطية إلى القمة، وأحضر السلطان "محمد الفاتح" البشر إلى العاصمة دون تقليل عدد سكان الأماكن التى فتحها، ولم يثق فى الرعية المسيحية تحت أى ظرف؛ لأنهم كانوا يواصلون عمليات ضد التهويد والإسلام بشكل قوى، وكانوا لايستطيعون استيعاب الحريات التى قدمها السلطان والحكم والفتح الإسلامى لليهود، ولهذا السبب كانوا يثيرون أوروبا المسيحية لتنظيم الهجمات الصليبية الجديدة لإمكانية أخذ الأراضى من العثمانيين مكررًا، وواصلوا مواقفهم حتى القرن السادس عشر بالرغم من نجاحهم قليلًا.

وواصل اليهود– الذين استقبلوا الترك بفرحة بالرغم من إنهم تركوا المدينة قبل أن يحاصرها كثير من المسيحيين الذين عاشوا فى القسطنطينية وذهاب الآخرين إلى أوروبا طوال فترة الحصار وفيما بعد– البقاء فى الأماكن التى عاشوا فيها فى الفترة الأخيرة من الدولة البيزنطية، وعلى ضفتى الخليج (Haliç)، وفى الأماكن التى أطلق عليها الترك غالاطه (Galata). ولهذا السبب اختار السلطان "محمد الثانى" اليهود للمساعدة فى إحياء التجارة والصناعة. ولم يظل اليهود بتقديم نفس الخدمات التمويلية والاقتصادية

التى ظهرت بجانب زعماء السياسة وحتى الذين فى أوروبا بالرغم من الاحكام الدينية المتحيِّزة الكبيرة، ولم يستحسنوا مطلقًا أوروبا المسيحية. أما أصل الأمر فكان اشتياقهم لإيجاد وطن سيمكنهم أن يصلوا إلى الرفاهية ويعيشوا ويهربوا من أوروبا. وطمّئن السلطان "محمد الثانى" اليهود بشأن عملهم وحياتهم الدينية بحرية دون إعاقات سيتعرضوا لها من قبل البيزنطيين، وبالإضافة إلى ذلك، وبعد ثلاثة أيام من الفتح فإن اليهود الذين عاشوا فى المناطق الأخرى من الأناضول وبورصة استدعوا اليهود الذين فى (أدرنة) و(سلانيك) فى أوروبا للمجئ إلى استانبول. أما الامتيازات التى حظوا بها فكانت كالآتى: السماح بتأسيس المعابد بقدر الاحتياج، والإعفاء الضريبى من الدخل الذى يحصلون عليه طوال مدة طويلة، والامتلاك المجانى فى الأماكن التى عاش فيها النحَّاسون اليهود قبل العصر البيزنطى مثل (باهچه قاپى وخاصكوى Hasköy- Bahçekapı) والأقسام الشمالية من (بالاط و تكفورداغى Balat- Tekfurdağı).

واصل السلطان "محمد الثانى" المَنْع الإسلامى القديم ضد تأسيس الكنائس الجديدة للمسيحيين، ولكنه وضع اليهود فى تصنيف خاص فوق أهل الذمة المسيحية، وفى هذه الحالة عرف حق استعمال الشكليات القانونية على اليهود لتجاوز هذه الممنوعات المطبقة على المسيحيين مثل السماح بتأسيس المعابد على أساس المنازل الموجودة. وعززت الأوامر التى أصدرها السلاطين التالون استمرار هذا التطبيق طوال التاريخ العثمانى، وفى نفس الشكل تغير الوضع فى المحظورات الإسلامية التراثية الموجهة للمسيحيين بشأن الزى والإنشاء، ولم يأت معنى هذا لليهود غير أخذ االتصاريح الرسمية اللازمة قبل تطبيق المحظورات. وكان يوجد للسلطان محمد الثانى أهداف محتملة لضمان عدم استخدام الثروات الاقتصادية للمسيحيين فى إضعاف السلطنة، وكان يسكِّن اليهود فى المناطق التى سيمكن أن يؤسسوا عليها سلطة تمويلية واقتصادية على الرعية المسيحية، وكنيجة لهذه الامتيازات هاجر عدد كبير من اليهود إلى استانبول من بورصة وأدرنة بشكل خاص.

بذل السلطان "محمد الثانى" جهدًا كبيرًا فى سبيل الترغيب لهجرة كثير من اليهود الذين عاشوا فى السلطنة العثمانية الواسعة من أوروبا، وبينما يتعرض اليهود الذين فى

(إنجلترا) و(فرنسا) و(ألمانيا) و(أسبانيا) وحتى (البرتغال) و(لتوانيا) للنفى والمذابح والافتراءات والمظالم المتزايدة تدريجيًا بذل سلاطين الدولة العثمانية جُهدًا متواصلًا لكى يعيش اليهود أيضًا فى الدولة العثمانية أجواء الحرية والتسامح التى تُجمّل حياتهم كما عاشوا فى أسبانيا المسلمة منذ وقت قريب وفى الدولة العباسية والأموية.

ويُقال إن السلطان "محمد الثانى" نفسه وجه نداءً إلى كل اليهود:

"من كان منكم معى فليكن الله معه، ولترفعه السلطنة إلى استانبول عاصمة عرشى، وليعش كل شخص فى أفضل الأراضى مع المواشى والمال والذهب والفضة تحت شجرة التين والعنب، وليعمل شغله فى أرضه التى يملكها".

يكتب "أليا قاپصالى **Eliya Kapsali**" المؤرخ اليهودى فى القرن السادس عشر قائلًا:

" فى العام الأول للسلطان محمد سلطان تركيا... أحيا الله روحه... وانتشر صوته فى كل المملكة، وكان يقول هكذا فى ندائه:

"هذه كلمات السلطان محمد سلطان تركيا، منحنى الله مملكة فى الأرض، وأمرنى بجمع شعوبهم كمُخْتارين لأصل يعقوب وخُدَّام لأصل إبراهيم، وإعطائى لهم ملجأ آمنًا من الأرض.هيا فليأت كل شخص مع إلهه إلى القسطنطينية عاصمتى، وليجلس تحت شجرة التين والعنب مع مواشيه وأملاكه وذهبه وفضته، وليستقر على الأرض، وليعمل بها، ولتتحول إلى قطعة منه."

"تجمع اليهود من كل مدن تركيا القريبة والبعيدة، وترك الجميع بيته، وتجمعوا جماعات، وبينما يمنحهم السلطان منازل مليئة بالأشياء القيمة ساعدهم الله من الجنة، وأسكنوهم فى مناطق حسب حالتهم العائلية، وزاد عدد السكان. وبعد ذلك اليوم أجبر اليهود الذين عاشوا فى الأماكن التى فتحها على الهجرة، وأخذهم من الأماكن التى عاشوا فيها، وأحضرهم إلى استانبول عاصمته، واصطحبهم، وحملهم بجانبه دائمًا."

اغتنى اليهود لأنهم خافوا من الله، وكان يوجد جماعتان أو ثلاث فى عصر الملك

البيزنطى. ثم زاد اليهود، وكوّنوا أكثر من أربعين جماعة، وكان لديهم أموال كثيرة حتى إنهم لم يستقروا على نفس الأرض، وكانت الجماعات التى فى القسطنطينية جماعات عظيمة، وزاد الإيمان بالتوراة والغنى والشرف فى هذه الجماعات يومًا بيوم، وقدست الجماعات الله ومصدر إسرائيل ومن يحقق المعجزات الكبرى. وفى أوقات الليل غنّى خدّام الله فى بيت الله أغانى للجنة وقدّسوا الله.

عمل السلاطين العثمانيون دعاية فى كل أوروبا من البداية إلى النهاية لجذب المهاجرين اليهود إلى هذه الدول الجديدة والمتوسعة، وأشهر هذه الجهود كان خطاب حاخام الإشكناز "إسحاق طازارفاتى Isaac Tzarfati" الذى جاء من ألمانيا إلى الأراضى العثمانية قبل فتح استانبول.

كان "إسحاق طازارفاتى Isaac Tzarfati" حاخام أَدِرْنَة العاصمة العثمانية الثانية. وكتب خطابًا يوضح الموقف المتحرر نحو اليهود ومزايا السلطنة إلى المتدينين الذين فى أوروبا الوسطى ومن هم فى بلاد (شمال فرنسا Kuzey Fransa) و(رهنالاند Rhineland) و(المجر Macaristan) و(مورافيا Moravia) و(ستيومارك Steuermark) و(صوابيا Swabia) .

توجد أشكال مختلفة من خطاب "إسحاق تظارفاتى Isaac Tzarfati"، وأشهرها وضّح بأسلوب رشيق البهجة ليهود أوروبا الوسطى الذين تحت القمع:

"إخوتى وسادتى، بعد تمنى الراحة لكم من الله، أريد أن أوضح لكم ما جاء فى خطاب الحاخامين (ظاملان و دافيد كوهين David Cohen- Zamlan). وقد شرحوا مكررًا آلام إخواننا الذين يعيشون فى ألمانيا وآلام أبناء إسرائيل التى هى أسوأ من الموت الذى يعانونه وقميص النار الذى على ظهورهم، ووضّح القرارات المأخوذة بشأنهم، وفرمانات الموت، والنفى الإجبارى على الذهاب من بلد إلى بلد والمكرر كل يوم والذى لا ينتهى ولا يقبلهم أحد. ويرى هؤلاء البشر المنحوسون أنهم توهموا عندما يصلون إلى مكان آخر سيكون مأوى أو إلى مدينة أخرى على أمل الوصول للراحة، ويتقابلون مع سوء الحظ حتى يقولون هكذا:" كان المكان الذى نذهب إليه فى البداية هو أرحب مستقبل، أما الثانى فكان أكثر ظلمًا. مثل التقاء رجل هرب من

الأسد بدب، أو لدغة ثعبان ليد رجل تستند يده على جدار فى منزل دخله. بالإضافة إلى أنهم لن يستطيعوا الهرب، وستستمر آمالهم حتى تخرج أرواحهم.. والآن قُبل قرار حاد أكثر من القرارات الأخرى، لن يستطيع أى يهودى السفر، ويتوقفون ويضيعون فى بلد منغلقة خطوط سفره عليهم، بالإضافة إلى أنهم لا يعلمون إلى أين سيهربون وإلى أين ستجرفهم رياح الظلم."

هكذا كانت هذه الأشياء التى حكاها لى الحاخامان (ظاملان و دافيد كوهين David Cohen- Zamlan). وعندما جاءوا إلى هذا المكان، إلى تركيا التى لم يلحق بها غضب الله، وعندما وجدوا السلام والراحة والسعة لأقصى درجة، وعندما رأوا أن المسافة التى بين القدس وتركيا قصيرة وسيمكن الوصول إليها لم يسيطروا على عواطفهم، وقالوا هذه الأشياء: مما لا شك فيه أنه لو علم اليهود الذين يعيشون فى ألمانيا 10٪ من النعم التى منّ بها الله على شعب إسرائيل فى هذه الأراضى كانوا يأتون إلى هنا دون انتظار بلا شك.

أرادوا أن أكتب عن مدى الراحة للجماعات اليهودية التى تعيش فى النفى ببلاد (ستاريا Styria) و(آلمانيا راينلاند Almanya Rhineland) و(صوابيا Swabia) و(المجر Macaristan) و(مورافيا Moravia)... وقررت قبول هذه الرجاءات بعد اكتشاف أن هذه الرجاءات ليست شخصية؛ لأنى أريد أيضًا إعطاء فرصة الحصول التى استحقوها لإسرائيل...

كان الإصدار الآخر للدعوة التى قام بها "إسحاق تاظرفاتى Isaac Tzarfati" أكثر عاطفة:

"وصلت صيحاتكم ودموعكم إلينا، وشعرنا بالمساوئ والأذى الذى تعانوه فى الأراضى الألمانية... أشعر بمراثى إخوتى... فدولة ظالمة ووحشية أخضعت أبناء الشعب المختار للقمع... ويريد رهبان وقساوسة الروم محو اسم إسرائيل، وقطع ذكرى يعقوب الثائر، ويحققون ظلمًا جديدًا مستمرًا، ويريدون حملكم على الخازوق... إخوتى، انصتوا لوصيتى، أنا ولدت فى ألمانيا، ودرست التوراة مع الحاخامات الألمان، طُردت من بلدى، وجئت إلى تركيا، وهى بلد مَلأى بالخير ويقدس الله، وحصلت هنا

على الراحة والسعادة، فتركيا بلد ملأى بالراحة لكم... يا من تعيشون فى ألمانيا، لو تعلمون أن 10٪ مما يقدمه لنا الله فى هذه الأراضى فستجازفون بكل شيىء وتسافرون على الفور للمجيىء إلينا... فنحن لا نشتكى من أى شيء فى الأراضى التركية. نحن نملك ثروات هائلة، وكثير من الذهب والفضة فى أيدينا، ولا نخضع لضرائب باهظة، ونتاجر بشكل حر دون إعاقة، وأنواع الطعام كثيرة، وكل شيىء رخيص، ونعيش كلنا فى سلام وحرية، فاليهود هنا ليسوا مجبرين على ارتداء القبعات الصفراء التى كانت ختم العار على عكس ما كانوا فى ألمانيا. فالثروة الكبيرة والغنى الذى يكتسبه اليهودى فى ألمانيا يكون بلاءً على رأسه لأن الحسد يتولد عند المسيحيين، ويختلقون كل أشكال الافتراءات للحجز على ما اكتسبه. إخوتى المتنقلون، شمروا سواعدكم، واجمعوا قواكم، وتعالوا بجوارنا. هنا ستتخلصون من أعدائكم، وستستريحون..

يوضح الحاخام إليا قابصالى Eliya Kapsali" الجهود الكثيرة التى بذلها السلطان "بايزيد الثانى"[20]– السلطان الذى حكم فى فترة نفى اليهود من أسبانيا والذى كان خليفة السلطان محمد الثانى– لسحب يهود أوروبا إلى السلطنة:

سمع السلطان بايزيد (سلطان تركيا) عن كل المساوئ التى طبقها ملك أسبانيا على اليهود، وإن اليهود يبحثون عن مكان يلجأون إليه ويستريحون فيه فعطف عليهم، وكتب خطابات، وأرسل موظفين خاصين لتوضيح أن الوالى فى أى إيالة لن يكون سيئًا حتى لينفى اليهود أو يرفض مجيئهم، وسيُستقبلوا بشكل لطيف، وكان سيُقتل من لا يُظهر هذا اللطف... جاء آلاف اليهود المنفيون إلى الأراضى التركية، وملؤوها، ثم شكّلوا الجماعات الأخلاقية الكثيرة فى تركيا، وأخرجوا المال بشكل كريم للأسرى من أجل الفدية، وهكذا استطاع الأطفال العودة إلى بلادهم...

وكنتيجة لهذه الدعوات وما شابهها تدافع كثير من يهود الإشكناز الذين تعرضوا للتعذيب والمذابح والنفى من كل مكان فى (باڤيرا ووسط أوروبا Bavyera- Orta Avrupa) إلى الأماكن التى فتحها السلطان محمد الثانى فى جنوب أوروبا الشرقية، واستقروا فى مدن (نيغبولى Niğbolu) و(إستانبول İstanbul) و(سلانيك Selanik) و(پلـﭬانا Plevne) و(ڤيدن Vidin) و(صوفيا Sofya)، وأسس– فى هذه الأماكن– مئات

اللاجئين من أوروبا الشرقية والمجر فى العصور المتقدمة جماعات ومعابد إشكنازية وأماكن يهودية.

ويُروى أن السلطان "بايزيد الثانى" قال هذه الأشياء أثناء اجتماع فى ديوانه:

" تقولون إن الملك "فرديناند Ferdinand" ملك عاقل، وهو الذى كان سببا فى ثرائنا وتفقير بلده نافيًا اليهود... وبالرغم من التعصب الدينى للسلطان "بايزيد الثانى" إلا إنه أراد قبول اليهود الهاربين من أسبانيا والبرتغال فى أراضيه بنفس الامتيازات المعروفة فى سلطنة سلفه صادرًا فرمانًا، وأمرًا بأن يعمل الموظفون العثمانيون الرسميون كل ما فى وسعهم لتسهيل دخول اليهود للحدود العثمانية، وستُطبّق عقوبات صارمة ضد الذى يضر المهاجرين بأى شكل أو يعاملهم معاملة سيئة.

وهكذا بدأت هجرة اليهود إلى السلطنة العثمانية بفتح بورصة فى الأناضول الشمالية الغربية من الدولة العثمانية فى عام (1324م=725هـ) وليس عام (1492م=898هـ)، وازدادت سرعة بفتح السلطان "محمد" القسطنطينية فى عام (1453م=857هـ) ، وجاء يهود الإشكناز من بلاد (المجر Maceristan) (فرنسا Fransa) و(ألمانيا Almanya)، واليهود الإيطاليون من مدن (صقلية Sicilya) و(قالابريا Calabria) و(اوترانتو Otranto)، ويهود السفرديم من بلاد (البرتغال و إسبانيا İspanya- Portekiz). واستقر معظمهم فى المراكز العثمانية الرئيسة التى فى جنوب شرق أوروبا مثل أدرنة وسلانيك واستانبول التى عاشت فيها الجماعات اليهودية العثمانية منذ وقت طويل، واستقر الآخرون بجانب المتدينين الذين عاشوا فى البلدان العربية التى فى (طرابلس Tripoli) و(بيروت Beyrut) و(القاهرة Kahire) و(الشام Şam) و(الأناضول Anadolu)، كما استقروا فى (صفد وصيدا Sayda- Safed) التى فى الأراضى المقدسة أكثر من القدس.

يُخمّن أن عدد اليهود الذين جاءوا إلى السلطنة العثمانية من شبة جزيرة أيبريا حتى نهاية القرن الخامس عشر هو 250000، ولكن ربما لم يُعرف العدد الحقيقى مطلقًا. وكان اليهود يعتقدون آنذاك أن الجيوش العثمانية المنتصرة تحمل قبضة حديدية وعصا رادعة لله العظيم لتدمير المكان الذى أطلقوا عليه (مملكة أدوم Edom Krallığı) الملطخ

بالذنب والدم وأن الله قدّرها لتثبيت حكمه العادل ضد أعداء شعبه، وأعلن اليهود أن القادة العثمانيين هم أبناء (سيروس Cyrus) العادل الذى قدّسه الرب، واعتقدوا تمامًا أن الملك جبرائيل يسير بسيفه فى يده فى مقدمة الجيوش العثمانية المحاربة لوضع النهاية المقتربة وفتح الطريق للمسيح العظيم.

وأتى بعض المهاجرين عن طريق البحر على طول البحر الأبيض مباشرة، وبعضهم عن طريق البر من على آواسط أوروبا. أما الآخرون فقد جاءوا متوقفين فى جزر ايجه وشرق البحر الأبيض، وفى فينيسيا وجنوة ونابولى فى إيطاليا التى مروا بها عن طريق البحر أو البر، وفى ضفاف مضيق جبل طارق (Cebelitarık) فى شمال أفريقيا لأول مرة. وأقاموا فى هذه الأماكن لأول مرة ولكن عندما أُجبروا على النفى اتجهوا نحو الشرق، وجاءوا فى زوارق صغيرة دون أن يأخذوا أى شيئ غير ملابسهم التى عليهم، واضطروا لطلب المساعدة من الجماعات اليهودية العثمانية القديمة. ونجح معظم اليهود البرتغاليون والأسبان الموجودون فى العيش مقابل هدايا ثمينة فى الأراضى التى فى أسبانيا تحت حماية (Habsburg) قبل إجبارهم على المجيئ والتصاقهم بفروع محكمة التفتيش، ولكن استطاعوا فيما بعد استعادة جزء كبير من ثرواتهم.

ونتيجة الفتح العثمانى المستمر طوال القرن السادس عشر دخل كثير من اليهود حدود السلطنة. وأضاف فتح السلطان "سليم الأول" لمناطق الإقامة الإسلامية القديمة من الشرق الأوسط مثل سوريا وإسرائيل[21] ومصر الجماعات اليهودية الأصيلة التى فى مدن (القدس وصفد والشام وأنطاكية والقاهرة والأسكندرية)، وأضيف إلى هذه الجماعات كثير من اليهود الذين هربوا من أسبانيا والبرتغال وجاءوا من قبرص التى توقفوا عندها بينما يذهبون إلى الشرق. وواصل السلطان "سليم الأول" سياسة نفى جزء من سكان البلاد المفتوحة إلى استانبول والتى بدأها السلطان "محمد الفاتح" لضمان الطاعة والتعامل الجيد للباقين. واختير معظم المُهجّرين من أحنك صناع وتجار القاهرة والأسكندرية لتقوية اقتصاد العاصمة العثمانية، وذهبوا طواعية لمشاركة المتدينين الذين فى عاصمة السلطنة الجديدة التى تكبر بسرعة، وعندما جاء للباقين فى مصر واصل السلطان "سليم الأول" فى التنفيذ الذى فى المرحلة الأخيرة

للمماليك، وعُيّن "إبراهام كاسترو Abraham Kastro"- وهو تاجر مهم- لإدارة الجماعة اليهودية المصرية، ولكن أُلغيت هذه الوظيفة بداية من المراحل الأخيرة للقرن الرابع عشر، وأُدير اليهود الذين فى مصر بواسطة الممثلين اليهود الملقبون بلقب "چلبى Çelebi " [22] والمرسل من استانبول. وفى هذه الأثناء أحضروا المصرفيين اليهود إلى دار سك النقود المصرية، وكانوا رؤساء الصرافين للسلاطين العثمانيين فى نفس الوقت، واغتنى جدًا الشعب اليهودى المصرى حتى إن المهاجرين القادمين إلى الدولة العثمانية من شمال أفريقيا وشبه جزيرة ايبيريا وأوروبا الوسطى فضّلوا المرور إلى الأسكندرية والقاهرة بدلًا من الذهاب إلى استانبول وسلانيك أو إلى أى مكان فى جنوب شرق أوروبا أو الأناضول. وأنقذ فتح السلطان "سليمان القانونى" لبلاد (المجر و صربيا Sırbistan- Macaristan) آلاف اليهود الذين عاشوا تحت القمع بتأثير (هابسمبورج Habsburg)، وهاجر كثير من هؤلاء إلى أدرنة واستانبول صوب الجنوب، وزوّدوا عدد سكان الإشكناز بنسبة كبيرة، وهاجر اليهود الذين فى أسبانيا وآواسط أوروبا إلى البوسنة بداية من منتصف القرن السادس عشر، وأقاموا فى البداية فى المدن المركزية مثل (طراڤنيك Travnik) و(سرايیڤو Sarayevo) ثم فى أماكن صغيرة جدًا مثل (الهرسك Hersek) و(لوقا Luka) و(طوزلا Tuzla) و(زينجا Zenica) و(بانجا Banja) والأخيرة عاصمة الهرسك، وتسبب فتح السلطان "سليمان القانونى" لجزء من العراق وقافقاسيا فى أن يرى عدد كبير من اليهود الذين هربوا من الظلم البيزنطى فى شمال البحر الأسود، والمستعمرات اليهودية التاريخية فى بغداد ظُلمًا من الصفويين الشيعة الذين فتحوا شرق هذه المنطقة.

لم تنته موجة الهجرة الموجهة إلى الأراضى العثمانية بنفى أسبانيا عام (1492م=898هـ) نتيجة الإضطهادات اللاسامية فى أوروبا المسيحية. وبدأت موجة هجرة جديدة من إيطاليا إلى الدولة العثمانية، وتسببت الترتيبات اللاسامية التى شرعها "بوهيما دياتى Bohemya Dieti" فى عام (1542م=949هـ) والثورات التى صاحبتها فى هجرة كثير من اليهود من آواسط أوروبا إلى بولونيا ولكن إلى الدولة العثمانية بصورة أكبر. وأطلقت إرادة البابوية قوانينَ لا سامية فى معظم إيطاليا، وهى أخذ ضرائب

جديدة باهظة من اليهود مقابل امتلاكهم لمعابدهم بشكل دائم، ثم أوامرهم المعطاة بشأن تجميع اليهود فى أماكن منعزلة على ضفاف نهر "التيبر" فى روما، ومنعهم خروج اليهود فى أعياد المسيحيين وأيام الأحد ولياليهم، وإجبارهم على ارتداء الزى المميز. وفى النهاية سافر آلاف اليهود فى الجزء الباقى من القرن عن طريق البحر نحو الشرق من البحر الأبيض للذهاب إلى الأراضى العثمانية.

وهكذا جاء كثير من اليهود الفقراء والاغنياء من كل أنحاء أوروبا المسيحية إلى الأراضى العثمانية، وأقاموا فى كل منطقة من السلطنة: (بلغاريا Bulgaristan) و(رومانيا Romanya) و(قبرص Kıbrıs) و(بورصه Bursa) و(اليونان Yunanistan) و(المجر Macaristan) و(آماسيا Amasya) و(إزمير İzmir) و(مانيسا Manisa) و(مصر Mısır) و(طوقات Tokat) و(چناقلـه Çanakkale) و(الصرب Sırbistan) وأقاموا فى جزر البحر الأبيض مثل: (– Patras- Korfu)، ولكن فى الغالب أقاموا فى المدن التى تحولت إلى مراكز للحياة اليهودية فى السلطنة العثمانية مثل (استانبول العاصمة، وأدرنة فى شرق تراقيا، وسلانيك، وصفد) فى الأراضى المقدسة. ويُخمن أن عدد سكان اليهود فى أى مركز يهودى فى السلطنة العثمانية يتأرجح بين 100000 و250000 عندما يُقارن بـ 75000 لاجئ يهودى فى منتصف القرن السادس عشر وأكثر من 30000 فى نهاية القرن الخامس عشر فى (بولونيا) و(لتوانيا). وهذا ما جعل الجماعة اليهودية أكبر جماعة يهودية بجانب إنها أغنى جماعة. وهذه الفتره هى التى تشمل بدايات القرن السادس عشر والسابع عشر وكانت العصر الذهبى لليهودية العثمانية.

* * *

تعليقات وهوامش
يهود الدولة العثمانية
تعليقات هوامش الفصل الأول

(تعليق)

أصدر المؤلف ستانفورد . ج . شو كتابه هذا بمناسبة مرور خمسمائة سنة على العلاقات الأخوية و الصداقة بين مسلمي الجمهورية التركية ويهود تركيا (1492 – 1992م) حيث قام الأسطول العثماني بقيادة كمال رئيس بالتوجه إلى آسبانيا عام 892 هـ = 1487م . وقام كمال رئيس بضرب السواحل الإيطالية الجنوبية ثم دخل إلى المياه الإقليمية واستعاد السيطرة على مدينة "مالقه" مرة أخرى بهدف إنقاذ سكان مدينة إسبانيا من العرب واليهود فكما هو ثابت تاريخيًا فقبل سقوط آخر دولة للمسلمين فى الأندلس عام 897 هـ =1492م تم تصفية الدول الإسلامية التى تكونت فى الأندلس ونقلت مفردات الحضارة الإسلامية إلى كل ربوع أوروبا. وحتى سنوات (890 هـ – 896 هـ = 1485– 1491 م) كان المسلمون واليهود يتعرضون للإبادة الجماعية تحت وطأة الحرب الصليبية ومحاكم التفتيش ولم يكن قد بقى فى الأندلس من دول المسلمين سوى دولة بنى الأحمر وعاصمتها غرناطة. وقد قام الأسبان ودول أوروبا الأخرى بقطع جميع علاقاتهم وطرق مواصلاتهم وسبل اتصالهم مع البحر الأبيض المتوسط ومع الدول الإسلامية الأخرى وفى مقدمتها مضيق جبل طارق وذلك بهدف إنهاء حكم المسلمين فى الأندلس الذى دام 711 عامًا.

وبعد أن أسقطوا مدينة "مالقة" سنة 892 هـ = 1487 م . وبدأوا يستعدون للهجوم على غرناطة التى طلب حاكمها وملكها عبد الله بن محمد الحادى عشر المساعدة بشكل رسمى من الدولة العثمانية ومن السلطان المملوكى قايتباى. إكتفى الأخير بالتهديد بطرد وتهجير المسيحيين من القدس فى حالة وقوع هجوم مسيحى على غرناطة بينما قام السلطان بايزيد الثانى بجمع الديوان الهمايونى وتذاكر معهم حول الوضع. ثم تم

تكليف كمال رئيس بالتوجه نحو إسبانيا كما سبقت الإشارة.

خلال سنة 897 هـ =1492م، استسلمت مدينة غرناطة وتم إنهاء حكم المسلمين فى الأندلس. ولكن قامت هذه القوة البحرية بنقل ما لا يقل عن 300 من المسلمين واليهود من قبضة محاكم التفتيش وأفران الحرق ونقلتهم إلى المغرب والجزائر. يقول المؤرخ والأديب والشاعر التركى نامق كمال:

"قام الأسبان بعد استيلائهم على غرناطة بحرق الأهالى الذين لم يبدلوا دينهم بينما عندما فتحنا إستانبول أعطينا ووهبنا الحرية الدينية لجميع الأديان والطوائف. فى العام نفسه وصل الأسبان إلى أمريكا بقيادة كولومبس وكان انتصارهم فى الأندلس قد أسكرهم؛ لذا قاموا بإبادة ما يُقارب المليون من السكان. أما اليهود الذين كان عددهم يقارب الثلاثمائة ألفًا فقد خيرهم الأسبان بين الموت أو التحول إلى المذهب الكاثوليكى."

قامت الدولة العثمانية فى عهد بايزيد الثانى بتوطين اليهود فى الأراضى التابعة لها فى الوقت الذى رفضتهم سائر الدول الأخرى، وعاملتهم وفقًا لمتطلبات الشريعة الإسلامية. توجه اليهود إلى (سلانيك) و (أدرنه) و(إزمير) ومدن "فلسطين" و"الإسكندرية" و"القاهرة". وعاملتهم كأهل ذمة ومنحتهم الحرية الكاملة طوال فترات التاريخ العثمانى. فهل قابل اليهود هذا بمثله.. هل أحسنوا إلى الدولة العثمانية أم هم الذين سعوا إلى انهيارها...؟

1- استخدم المؤلف لقب "الإمبراطورية" وهذا مخالف تمامًا لحقائق التاريخ، فالدولة العثمانية دولة إسلامية كان المذهب السنى/ الحنفى هو السائد بين معظم ولاياتها الإسلامية. وتركت لغير المسلمين الحرية الدينية الكاملة فى ممارسة شعائرهم وفق آديانهم ومذاهبهم. لم يُلقب أى من سلاطينها بلقب إمبراطور بل كان يلقب بـ"السلطان" أو "الخان" أو "الپاديشاه" أو "الخليفة" حيث أن هذه كلها ألقاب إسلامية. أما إمبراطور أو قيصر أو خاقان.. فكلها ألقاب غريبة على الدولة العثمانية. ولم يذكر لنا التاريخ مؤرخًا عثمانيًا أو إسلاميًا واحدًا قد استخدم لقب "إمبراطور" أو "إمبراطورية" قاصدًا الدولة العثمانية. بل كانوا يستخدمون آل عثمان أو "السلطنة

السنية" أو"الدولة العلية" أو"الآستانة" أو الخلافة العثمانية المحروسة .

2- درج المؤلف على إطلاق لقب "الطائفة اليهودية" أو"الجماعة اليهودية" بدلًا من الملة اليهودية فى ثنايا صفحات هذا الكتاب.

3- رغم أن المؤلف أسهب فى الحديث عن شتات اليهود والعداء لهم فى كل مكان حلّوا به فى أوروبا وغيرها إلاَّ أنه لم يذكر أى إشارة عن حسن معاملة السلطان محمد الثانى (الفاتح) لهم ولجميع أهل الذمة إذ أصدر عقب فتح إستانبول عام (1453م=857هـ) منشورًا أمَّن فيه كل أهل الذمة على حياتهم وأموالهم وكنائسهم ومعابدهم. بل وعدهم ببناء كنائس ومعابد جديدة ولم يسمح بهدم أى كنيسة أو معبد بل لم يسمح بإزالة الرسوم من كنيسة الأياصوفيا وتم الاكتفاء بتغطيها. وحافظ على أسوار المدينة. بل وصل الأمر إلى دعوة كل من هاجر خارج المدينة إلى العودة والمشاركة فى إعمار مدينة إستانبول، وبناء أحياء خاصة بهم.

4- سبتاى سيفى:

ولد فى ازمير غرب الأناضول سنه 1626م ومات فى ألبانيا سنة 1675. هو مؤسس طائفة "الدونمة" فى تركيا. والده اكينازيًا يعمل بالتجارة.

كانت أمه تود أن يكون حاخامًا مدرس التناخ والتلمود والمعارف الباطنية فى اليهود على حاخام إزمير. استفاد من فلسفة القبالاه. ادعى أنه المسيح فى عام 1648م . واتبعه الكثير فى ازمير رغم رفض حاخام ازمير. ذهب إلى استانبول 1650 ثم عاد إلى ازمير 1659م بعد ثلاث سنوات توجه إلى مصر وفلسطين، ثم توج زعيًا فى اليونان. تزوج وهو فى اليونان بامرأة تّدعى هى الأخرى النبوة.

اتخذت الدولة العثمانية منه موقفًا 1666م واتهمته بنشر تعاليم مضادة للإسلام. فتمت محاكمته فى زمن محمد الرابع فى أدرنه. وجهت إليه العديد من التهم. وأمام السلطان أعلن توبته وأشهر الإسلام تحت اسم "مامات العزيز أفندى.

لم ينس أنه هو المسيح المنتظر فداوم نشر مذهبه بين أتباعه الذين طلب منهم دخول الإسلام. وهم الذين يتسمون حتى الآن بـ(الدونمة) أى المرتد. ومات سيتاى سيفى فى مدينة آلقون بولاية آلبانيا فى 30 أيلول 1675. ومازال لهم نشاط مباشر فى الجمهورية

التركية. ولعبوا دورًا مؤثرًا فى انهيار الدولة العثمانية. انظر:

موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية جـ5 الجزء الثانى باب . 2

5- الهولوكست: صـ26

مصطلح استُخدم لوصف الحكومية المنظمة من قبل حكومة ألمانيا وحلفائها لتصفية اليهود فى الحرب العالمية الثانية (1939- 1945م) ويعنى هذا المصطلح الحرق الكامل للقرابين المقدم لخالق الكون فى القرن 19، وأول استخدام لهذا المصطلح كان 1942م وحتى الخمسينات لم يلق انتشارًا واسعًا. ومع السبعينيات أصبحت كلمة هولوكست تستعمل حصريًا لوصف الإبادة الجماعية التى تعرض لها اليهود. ويستخدمة يهود اسرائيل للضغط التنفسى والمعنوى ضد الألمان لدفع تعويضات رغم معارضة النازيون الجدد، انظر:

6- الإشكناز:

يهود الإشكناز هم اليهود الذين ينحدرون من أصول ترجع إلى أوربا الشرقية. ثم استقر بهم المقام فى استخدام الأدباء بلا إشارة إلى ألمانيا، وإذا كان الاسم يطلق فى البداية على يهود ألمانيا إلا أنه بدأ يُستخدم للدلاله على اليهود الغربيين. يتحدثون اللادش. وهى مزيج من الألمانية والسلافية. يتحدثون الآن العبرية فى إسرائيل وهم غالبية اليهود المعاصرين.

7- يهود السفرديم:

هم الذين تعود أصولهم إلى يهود شبه جزيرة أيبريا. عندما طردوا منها وتوزعوا على شمال أفريقيا وآسيا الصغرى والشام وخضعوا للإدارة العثمانية وسمحت لهم الإدارة بإستخدام لغاتهم الأصلية هى اللدينو وتعتبر مزيج من اللاتينية والعبرية ورويدًا رويدًا تحدثوا لغات البلاد التى استوطنوها كالعربية والتركية والإيطالية. وتستخدم كلمة (سفرو) للدلالة على اليهود الذين عاشوا فى إسبانيا والبرتغال فى مقابل الاسكيناز الذين كانوا يعيشون فى دول أوروبا: انظر:(ويكيبديا)

8- محاكم التفتيش: صـ26

حرفيًا تعنى التفتيش عن البدع الهرطوقية. كانت عبارة عن ديوان أو محكمة كاثوليكية نشطت فى القرنين 15\16 مهمتها اكتشاف مخالفى الكنيسة ومعاقبتهم. وأما محاكم التفتيش هى سلطة قضائية كنيسية استثنائية وضعها البابا جيروجى التاسع، لقمع جميع جرائم البدع والردة وأعمال السحر. واستخدمت بشكل مبالغ فيه ضد اليهود والمسلمين المتحولين عن المسيحية. استخدمت لأهداف سياسية.

9- عثمان بك:

حكم فيما بين 1299-1424م ويُعتبر السلطان الأول للسلطنة العثمانية. وكان يُلقب بقرا عثمان لسواد شعر رأسه وحاجباه. وُلد فى سعوت عام 1258م. وتولى الحكم وهو فى الحادية والأربعين من عمره. توفى بداء النقرس. 1324م . ودفن فى بورصة. وقد تسمت الدولة باسمه.

أقام عثمان آغازى إمارته الحدودية فى شمال غرب الأناضول بالقرب من بيزنطة. قبل تحت حكمة "الغرباء" من التركمان. ووالده أرطغرل غازى هو الذى أوصى له بالحكم وأصبح هو "بك" قلبلة. وورث المساحات الشاسعة من دولة السلاچقة والدولة البيزنطية.

نصب عثمان غازى إبنه اورخان ليكون خليفته الفعلى انظر: سلاطين الدولة العثمانية، صالح كَولَن، ترجمة منى جمال الدين، دار النيل للطباعة والنشر. ط(1) 1431-2011 القاهرة ص .

10- محمد الفاتح:

هو محمد الثانى، حكم فيما بين أعوام 1444-1447م، ثم لفترة ثانية فيما بين 1451-1481م. هو إبن مراد الثانى وتلقب بعدة ألقاب. ولد فى أدرنة 30 مارس 1432م، حكم 13 عامًا فى الفترة الأولى و19 عامًا فى الفترة الثانية. توفى فى 3 مايو\آيار 1481م ومدفون فى قبر بالقرب من مسجده فى استانبول.

شكل فتحه لمدينة استانبول عام 1453م القضاء على الإمبراطورية البيزنطية ونهاية العصور الوسطى. أنشأ العديد من الحصون والقلاع لحماية دولته. وسمح للأرمن

واليونانيين واليهود.

11- السلطان سليم الأول 875\926هـ = 1470\1526 م:

لُقِّب بـ"باووز" الفظ. وهو تاسع سلاطين آل عثمان ابن بايزيد خان، حفيد محمد الفاتح ووالد سليمان القانونى جمع بين السلطة والخلافة بعد أن ضم الشام ومصر والحجاز. وسُع من حدود الدولة فى آسيا وأفريقيا. شمل خيرالدين بارباروس عايته، تولى العرش 918هـ حاول خلق جنسية عثمانية تشمل كل العناصر الإسلامية التى دخلت حوزة الدولة ليخلق بذلك تكتلًا إسلاميًا يصد به الصوفيين سنه 920هـ = 1514م فى موقعة چالديران، ولم يدفعه إلى ذلك إلا رغبته فى كسر شوكة الصوفيين لتعامهم مع البرتغاليين. وتوفى عن إحدى وخمسين سنة بعد أن قضى فى السلطة ثمان سنوات فقط وثمانية أشهر.

عند دخول سليم الأول إلى مصر 923هـ = 1514م كان الخليفة المتوكل على الله هو صاحب الحل والعقد، والأمر والنهى فى الديار المصرية.... ولكن بعد أن استقرت الأمور له، نقل الخليفة ومن فى معه إلى استانبول مع الآلاف من الفنيين، والحرفين المصريين وخلال المراسم التى تمت فى جامع الآياصوفيا تم التنازل عن لقب الخلافة، وجُبتها من قبل آخر الخلفاء العباسيين المتوكل على الله الثالث، وهكذا أصبح سليم العثمانى خليفة للمسلمين، وجمع بذلك بين السلطة السياسية والدينية فى البلاد. انظر، ابن اياس جـ5 حوادث 923هـ. وكذلك ؛ 214 المترجم.

C.I.S ،Osmanlı Padisahin Ansiklopedis

12- سليمان خان:

سليمان القانونى (900-974هـ = 1495-1566م) :

أعظم سلاطين بنى عثمان. ابن سليم الأول. اعتلى العرش سنه 926هـ لقب لعدله وكثرة القوانين التى سنها، وصلت الدولة العثمانية فى عهده أقصى اتساعها. لقبه الأوروبيون بالعظيم (Magnifique) وصلت فتوحاته إلى المجر، سنه 936هـ، وحاصر فينا غربًا. وسع فتوحاته فى آسيا فضم كل إيران وبغداد وأذربيجان ووصل إلى خليج

البصرة سنه 941هـ = 1534م. حول البحر الأبيض والأحمر إلى بحيرات عثمانية تحت قيادة خير الدين باربا روس. له عمارات فى كل العالم الإسلامى. مدة سلطنته 48 سنة. وكان السلطان سليمان القانونى: 1494-1566م=900-974هـ. عند وفاة السلطان سليم الأول، كان واليًا على مغنيسيا=ما نيبصه. تولى السلطنة ولم يتجاوز السادسة والعشرين من عمره بعد. وكاد أن يتابع انتصارات والده، ففتح بلجراد، وحاصر فينا؛ ولولا خيانة زوجته اليهودية روكسلانه= خرم سلطان، وصدره الأعظم إبراهيم باشا لتحولت النمسا إلى ولاية عثمانية. لقب بالقانونى لكثرة القوانين التى أصدرها لتنظم حياة الإمبراطورية العثمانية.

حول البحر الأبيض المتوسط، والبحر الأحمر، والبحر الأسود، وبحر مرمره إلى بحيرات إسلامية لم تكن الأساطيل الأجنبية تستطيع دخولها بدون إذن سابق، وقد اعتمد فى ذلك على الأمير الجزائرى خير الدين باربا روس الذى عينه قائدًا للأسطول العثمانى.

لم يغفل السلطان سليمان القانونى عن إنشاء الصروح المعمارية، من جوامع، وكليات الصحن ثمان، ودور الحديث، والجسور، والخزانات، والحمامات، والاستراحات فى شتى ربوع الدولة العثمانية.

كان للمدن الإسلامية المقدسة: مكة، والمدينة، والقدس مكانة خاصة فى نفس القانونى، فأوقف عليها الكثير من الأوقاف الخيرية، وولى عليها خير قواده، كفّل لها تطورًا معماريًا وحضاريًا، مازالت ماثلة للعيان حتى اليوم، فجدد الحرمين الشريفين، والمسجد الأقصى، وأمّن قوافل الحج المؤدية إليها وأقام المخافر والحصون والقلاع، والآبار، والمطاعم على طرق القوافل لخدمة الحجيج.

* * *

الفَصْلُ الثَّانِي

العصر الذهبي لليهود العثمانيين



الفصل الثاني
العصر الذهبي لليهود العثمانيين

تَنْظيم المُجْتمع اليَهودي في الدولة العثمانية:

عدد السكان اليهود في الدولة العثمانية:

كم عدد اليهود الذين تجمعوا معًا تحت سيادة السلاطين العثمانيين خلال فترة العصر الذهبي لليهود؟ إن الأرقام الحقيقية تعوزها الدقة، حتى بدأ العثمانيون أنفسهم ينشرون تقارير إحصاءات رسمية حقيقية صائبة بدأت في الظهور في أواسط القرن التاسع عشر، لكن من السجلات المسيحية العثمانية ولوائح قوائم الضرائب التي قدَّرها الزوار الأجانب، وتعد تقديراتهم محتملة وتقريبية.

وكان أكبر تجمع يهودي في الدولة العثمانية، ليس مذهلًا– ولكنه كان في استانبول– وهي المركز الإداري والمالي الرسمي والاقتصادي، وقد كانوا يمثلون نسبة أقل من مجموعهم في سالونيكا، حيث يشكلون فيها الأغلبية، وعندما مر [بنيامين Benjamin Abtudela] من القسطنطينية البيزنطية في سنة (1160م = 556هـ)، وجد فيها حوالي 2,500 من العائلات اليهودية (حوالي 17,500 شخصًا) من مجموع سكانها الكلي.

وتُبين إحصائية عثمانية بدائية للعاصمة في سنة (1477م=882هـ)، بعد ربع قرن من الفتح العثماني لها، أن عدد الأسر اليهودية (1,647 أسرة) (أي حوالي 11,529شخصًا) أو أحد عشر في المائة من المجموع الكلي للأسر التي تبلغ 16,326 أسرة (103.621شخصًا) وتضم أيضًا (9,486أسرة) و(4,891 من الأسر المسيحية) وفي عام 1489م=895هـ ، ارتفع عدد الأسر اليهودية إلى 2,491 (17,437شخصًا) فيما كان عدد المجموع الكلي لغير المسلمين (10,685أسرة) وذلك نتيجة جهود محمد الثاني الكثيفة لترسيخ أقدامهم في العاصمة.

وكانت الهجرة التالية لليهود من (إسبانيا) إلى استانبول (تقدر بحوالي 36,000 شخصًا)، ومن أوروبا الغربية والوسطى، بالإضافة إلى إعادة التوطين الاضطراري

لليهود من الأقاليم المفتوحة حديثًا في صربيا واليونان والعراق، وقد أحدث هذا التوطين ازدياد عددهم إلى 8,070 أسرة يهودية (56,490 شخصًا) في سنة (1535م=942هـ) أنهم صاروا خمسة في المائة من المجموع الكلي الذي يشمل (46,635 أسرة مسلمة و 25,292 أسرة مسيحية).

وقد صرح أشهر رحالة عثماني وهو "أوليا چلبي" [23] في سنة (1638م=1048هـ) أن السكان اليهود في إستانبول قد استوطن معظمهم حي (خاص كوي Has Köy) في المدينة، وقدر عددهم حوالي (11,000 أسرة يهودية) (77,000 شخصًا)؛ حيث يقول إنهم صاروا ضعف عدد السكان اليونانيين في ذلك الوقت.

ويبين دفتر سجلات الضرائب العثمانية لسنتي(1690–1691م=1102–1103هـ) أن عدد سكان الأسر اليهودية في استانبول كان (54,112أسرة) (أي315,784شخصًا) وهو أمر مشكوك فيه للغاية، حيث توضح سجلات الضرائب (عوارض Avariz) بنفس السنة، أن عدد الأسر اليهودية (9،642أسرة) أي (67,494 شخصًا) وأن الأسر المسيحية عددها (14,231أسرة) أي (99,617 شخصًا)، ويقدر الرحالة البريطاني (ريتشارد بوكوك) عدد اليهود في إستانبول في سنتي 1771–1773م بـ(100,000) ولكن بالنظر إلى أرقام عدد السكان التي نشرتها الإحصاءات العثمانية فيما بعد، يتضح أن هذا الرقم مبالغ فيه.

وفي (سالونيكا) جنوب شرق أوروبا كان يوجد أكبر تجمع يهودي وقد أخلوها تمامًا قبل الفتح العثماني لها عام (1430م=834هـ)، حيث يبلغ تعداد الأسر اليهودية بها (2,509 أسرة) أي (حوالي 17,563 شخصًا) وهو العدد المدرج والمسجل في المعبد اليهودي Synagogues سنة (1530م=937هـ)، وقد ارتفع عددهم إلى 23,001سنة (1518م=924هـ)، وفي سنة (1589م=998هـ) بلغ تعدادهم (23,942 شخصًا)، وفي سنة (1613م=1022هـ) كان عددهم (22,767شخصًا).

وعلى الرغم من وصول الكثير من اللاجئين خلال القرن التالي من وسط أوروبا وكذلك (أسبانيا)، إلا أن حدوث العديد من الأوبئة والكوارث واشتعال النيران، قد تسبب في ثبات عددهم السابق حتى نهاية القرن الثامن عشر، ومع ذلك فقد ظلت

(سالونيكا) من المدن التي تضم أكبر التجمعات اليهودية في الدولة العثمانية، حيث يؤلف اليهود أغلبية السكان بها، ويبلغ عدد الأسر اليهودية في مقدونيا Macedonia ومناستير Monastir (48) أسرة يهودية (467 شخصًا يشمل غير المتزوجين).

وتحوي مدينة (سكوبجه Skopje) (32) أسرة يهودية (أي حوالي 224 شخصًا) في (1544م=951هـ)، وازداد العدد إلى (228) شخصًا سنة (1597م=1006هـ).

ومن المجتمعات اليهودية الأخرى في الجزء الأوروبي من الدولة العثمانية، كان هناك (102) أسرة يهودية (أي 714 شخصًا) في بودا Buda بعد أن فتحها السلطان "**سليمان القانوني**"[24] بقليل، وبينما كان أغلب يهود (بودا) قد أرسلوا إلى استانبول وفيما بعد، فقد تناقص عددهم إلى (72) أسرة يهودية (أي حوالي 504 شخصًا) سنة (1546م=972هـ) هذا بالمقارنة بعدد الأسر المسيحية التي تبلغ (318)، ولكن ازداد عدد الأسر اليهودية إلى (122) أسرة يهودية (أي 854 شخصًا) في سنة (1566م=974هـ).

وقد بلغ عدد الأسر اليهودية في (تراقيا الشرقية Eastern Thrace) وأدرنة (231) سنة (1519م=925هـ) أي (1,624 شخصًا يشمل غير المتزوجين) بعد أن تم نقل معظمهم إلى استانبول، وارتفع عددهم إلى (553) أسرة يهودية (أي حوالي 3,907 شخصًا يشمل غير المتزوجين) في سنة (1586م=995هـ) نتيجة وصول لاجئين جدد من أواسط أوروبا، ولكن انخفض هذا العدد إلى (341) أي (2,532 شخصًا يشمل غير المتزوجين) في (1570م=978هـ) بسبب نزوح المتوطنين الجدد إلى سالونيكا واستانبول اللتين سرعان ما أصبحتا من أهم المراكز الاقتصادية والسياسية.

وفي (ألبانيا) يوجد أهم مركز تجاري وهو فالونا Valona حيث يوجد به أكبر عدد من اليهود المهاجرين من شبه جزيرة أيبريا Iberiah فارتفع عددهم من (97) أسرة يهودية بالمقارنة بعدد الأسر المسيحية وعددها (665 أسرة) في سنتي (1519-1520م=925-927هـ)، ومع ذلك، فقد حدثت ثورة الألبان المسيحية فيما بعد ضد العثمانيين بقيادة "اسكندر بك Scander beğ" الذي ذبح معظم مسلمي المنطقة ويهودها، وأُجبر الباقي على الفرار في أغلب الأحيان إلى استانبول وإيطاليا.

وفي (بلغاريا)، بلغ عدد الأسر اليهودية في "نيقوبولس 66 " (Nicopolis) خلال حكم السلطان "سليمان القانوني" (أي 492 شخصًا يشمل غير المتزوجين) وارتفع إلى (186) أسرة يهودية (1,389 شخصًا يشمل غير المتزوجين) في سنة (1579م=987هـ).
كانت توجد (21) أسرة يهودية فقط في (صوفيا) (أي 147 شخصًا) سنة (1544م=951هـ)، وانخفض إلى (126 شخصًا) خلال حكم "سليم الثاني"[25]، بينما كان عددهم في " ڤدين Vidin" يبلغ (31) أسرة يهودية (أي حوالي 217 شخصًا) سنة (1585م=994هـ)، وعددهم في (فلبه 32) "Alovdiv" (Filbe) أسرة أي (224 شخصًا) في سنتي (1519م و1530م=926 و 937هـ)، وفي عام (1570م=978هـ) بلغ عددهم (41) أسرة أي (287شخصًا).

وأصغر الجماعات اليهودية أيضًا كانت موجودة في (روسـچوق Rusçuk) وشُمْلَه (Şumla) وفارنا (Varna) وامتدادًا نحو الشمال إلى بلغاريا وفيينا، بالإضافة إلى الغرب أيضًا في كوستنديل (Kostendil) وساكوف (Samakov) وفراتسا (Vratsa) ولوم (lom).

وتوجد في (ترحالا) (19) (Terhala) (TriKkala) أسرة يهودية فقط (أي حوالي 103 شخصًا) في سنة (1506م=912هـ) ، ارتفع إلى (181) أسرة تشمل غير المتزوجين والأرامل، أي حوالي (1310شخصًا) في عام (1521م=928هـ)، وانخفض إلى (111) أسرة (828 شخصًا) تشمل غير المتزوجين والأرامل في عام (1601م=1010هـ).

وفي جزر (ايجيان Aegean) و(لينباتو Lepanto) و(اينه باختي 84) (Inebahti) أسرة يهودية (أي حوالي 605 شخصًا) يشمل غير المتزوجين والأرامل في سنة (1521م=928هـ)، وفي عامي (1571-1572م=978-979هـ) بلغ عدد الأسر اليهودية (120) أسرة (أي ما يشمل 896شخصًا) تشمل غير المتزوجين. وفي سنة 1597م بلغ عددهم (188) أسرة (1,383 شخصًا) تشمل غير المتزوجين، وكانت تعيش (42) أسرة يهودية (أي 294شخصًا) في چيوس (Chios) عام (1566م=974هـ)، وتوجد (144) أسرة يهودية أي حوالي (1,008 شخصًا) في (جزيرة رودس) خلال فترة حكم السلطان "سليمان القانوني".

وفي (بطراس 168) (Batras Blyabadra) أسرة (أي حوالي 1,213 شخصًا) تشمل غير المتزوجين والأرامل في سنة (1512م=918هـ)، وبلغ عددهم (252) أسرة يهودية (أي ما يشكل 1,812 شخصًا تشمل غير المتزوجين والأرامل خلال حكم السلطان "سليمان القانوني".

وفي (الأناضول) حيث لا توجد أية تجمعات يهودية كما هي موجودة في الأجزاء الشرقية والغربية من الدولة، ويعد أكبر تجمع يهودي كان في (بورصة) وهي المركز التجاري والإداري للأناضول، حيث يوجد بها (166) أسرة يهودية (1,162 شخصًا) سنة (1540م = 947هـ) وارتفع عددهم إلى 265 أسرة يهودية أي حوالي سنة (1551م=958هـ) بسبب أن العثمانيين أحضروا أعدادًا كبيرة من اليهود لتوطينهم في المدينة وفي سنة (1571م=979هـ) بلغ عددهم (683) أسرة (4,781)شخصًا.

تبين سجلات المسلمين القضائية أن عدد الأسر اليهودية في بورصة بلغ (504) أسرة (3,528 شخصًا) في سنة (1583م=991هـ)، ولكنه انخفض إلى (270) أسرة أي (1,890شخصًا) في سنتي (1618–1619م=1028– 1029هـ)، وإلى (141) أسرة (987 شخصًا) في سنتي (1696–1697م=1108– 1109هـ)، كما بلغ عدد الأسر اليهودية في (غاليبولي) (15) أسرة (107شخصًا) في سنة (1519م=926هـ)، وبلغ (23) أسرة (141 شخصًا)خلال حكم السلطان "سليمان القانوني"، وانخفض إلى (30 شخصًا) سنة (1600م=1009هـ).

وفي أنقرة بلغ عددهم فيها فقط (33) أسرة يهودية (231 شخصاً) سنة (1520م= 927هـ) ، وفي سنة (1570م= 978هـ) (61) أسرة أي (747 شخصًا). وفي (ماردينMardin)، كان يوجد (92) أسرة أي (644 شخصًا) سنة (1518م=924هـ)، وفي سنة (1540م=947هـ) بلغ عددهم (118) أسرة (826 شخصًا). وفي (مغنيسيا Manisa) كان يوجد (88) أسرة يهودية (649 شخصًا) تشمل غير المتزوجين سنة (1530م=937هـ)، ويوجد في "كفه Kaffa" وهي على الشاطئ الشمالي من البحر الأسود، (81) أسرة يهودية (579 شخصًا) تشمل غير المتزوجين والآخرين سنة (1542م=949هـ) خلال حكم السلطان "سليمان القانوني".

وبينما كان اليهود يعيشون في (إزمير) في العصور القديمة، فقد أبيدوا عن بكرة أبيهم بواسطة الاضطهاد البيزنطي قبيل الفتح العثماني، فلم يبق منهم على أحسن الأحوال سوى من كانوا في ميناء (إيجه Aegean) ولم يكن هذا بدرجة تلفت انتباه المستوطنين، ومع ذلك فقد كان يوجد بعض اليهود المستوطنين في (تيره Tire) و(مغنيسيا Manisa) قرب أواخر القرن السادس عشر، وكان هذا نتيجة هجرة المارانو (Marrano) من أسبانيا في القرن السابع عشر، وهجرة السفارديك (Sephardic) من سالونيكا نتيجة اضطهاد اليونان خلال السنوات الأولى في عشرينيات نفس القرن، وجاءت (إزمير) لتشكل أغلب الجماعات اليهودية.

وعودة إلى بداية المقاطعات الشرقية، انقسم السكان اليهود في اريتز إسرائيل (انقسم السكان اليهود في اريتز إسرائيل (Eretez Israel) إلى سناجق في (بيت المقدس)، و(غزة)، و(نابلس)، و(صفد)، وازدادوا بقوة، ووطدوا أقدامهم بعد الفتح العثماني، وبطريقة منظمة في ظل القوانين المتسامحة لليهود.

وطبقًا للرحالة الأوروبيين "مشولام ده فولترا Meshullam da Voltrrra" و"اوبديا دي برونتورا Obadiah di Bertimora "، فقد انخفض سكان القدس اليهود من 250 في سنة (1481م=886هـ) إلى 67 فقط سنة (1488م=894هـ) نتيجة حدوث فوضى في العشر الأواخر من الحكم المملوكي. وخلال هذه الفترة كانت توجد (199) أسرة يهودية (1,393شخصًا)، أو حوالي 20٪ من المجموع الكلي في القدس سنة (1525-1526م=960-961هـ) بالمقارنة إلى (119) أسرة مسيحية، (616) أسرة مسلمةً وفي عامي (1538-1539م=945-946هـ)بلغ عدد الأسر اليهودية 224 أسرة أي (1,587شخصًا) تشمل غير المتزوجين، وفي سنتي (1553-1554م=961-962هـ) أصبح 324 أسرة (2,282 شخصًا) تشمل غير المتزوجين والأرامل، ولكنه انخفض إلى (237) أسرة (1,671 شخصًا) تشمل غير المتزوجين، في سنتي (1562-1563م=970-961هـ)، وبهذا التعداد أصبح عددهم مساويًا تقريبًا لعدد السكان المسيحيين للمرة الأولى، ولكنه أقل بكثير من عدد المسلمين، وبلغ عدد الأسر اليهودية في صفد (223) أي (1,671 شخصًا) تشمل غير المتزوجين في سنتي (1525-1526م=932-933هـ)،

وفي سنة 1548م بلغ (716) أسرة أي (5,012 شخصًا)، وفي سنتي (1555-1556م=963-964هـ) بلغ (1,075) أسرة أي حوالي (7,525 شخصًا).

وانخفض عددهم إلى (957) أسرة يهودية (6,699 شخصًا) في سنتي (1567-1568م=975-976هـ)، وفي عام (1596م=1005هـ) بلغ العدد (976) أسرة أي (6,832 شخصًا).

وفي (غزة)، بلغ عدد الأسر اليهودية (95) أسرة أي (665 شخصًا) في سنتي (1525-1526م=932-933هـ)، ثم ازداد في سنتي (1538-1539م=945- 946هـ) ليبلغ (98) أسرة (701شخصًا) يشمل غير المتزوجين، واستمرت الزيادة في سنتي (1548-1549م=955-956هـ) ليبلغ العدد (115) أسرة (830 شخصًا) يشمل غير المتزوجين والأرامل، إلاَّ أن هذا العدد انخفض في سنتي (1556- 1557م=964 - 965هـ) ليصبح (81) أسرة (585 شخصًا) يشمل غير المتزوجين، واستمر الانخفاض ليصبح في سنتي (1596-1597م=1005-1006هـ) (73) أسرة يهودية (519 شخصًا) يشمل غير المتزوجين.

وفي الشرق الأدنى وجد الرحالان "ماشوللام دا ڤولتيرMeshullam da Voltrrral" و "اوبديا دي برتيمورا Obadiah di Bertimora " أن عدد اليهود بلغ خمسة آلاف يهودي تقريبًا في قاهرة المماليك في سنة (1481م=886هـ) و(1488م=894هـ) على التوالي.

وقد هاجر عدد كبير جدًا من يهود(أسبانيا) إلى (مصر) في بداية القرن الـ16 قبل الفتح العثماني، وليس لدينا العدد الحقيقي، وقد ذكر رحالة يهودي زار القاهرة عام (1541م=948هـ)، أن بها وحدها 21 معبدًا يهوديًا للجماعات (الرَّبانية Rabbanate) ، مشيرًا بوضوح إلى أن العدد الحقيقي ربما يتجاوز عشرة آلاف.

وفي (لبنان)، بلغ عدد الأسر اليهودية في "تريبولي" أي طرابلس حوالي مائة أسرة يهودية (حوالي 700 شخصًا) في سنة (1521م=928هـ)، ومعظمهم كان قد تم ترحيله من "سيسلي Sicily" أى صقلية.

وطبقًا لما رواه الرحالة "موشيه باشدا Mose Basda "، فقد أضاف أنهم كانوا تجارًا وحرفيين، ولهم أيضًا معبد واحد يجتمعون فيه باستمرار، وبيَّن "باشدا" أن المجتمع اليهودي في بيروت بلغ عدد الأسر فيه (12) أسرة فقط، كلهم من سيسلي، بينما بلغ في سيدون (25) (Sidon) أسرة يهودية كلهم من المستعربين (Musta'rabs).

وبلغ عدد الأسر اليهودية في (دمشق) (503) أسرة (4,040 شخصًا) يشمل غير المتزوجين والآخرين في سنة (1548م=955هـ)، وفي الموصل (Musul) كان عدد الأسر اليهودية (31) أي (180 شخصًا) في سنة (1505م=911هـ) ولكنه ارتفع إلى (105) أسرة (650شخصًا) في سنة (1558م=966هـ)، وقال أيضًا إنه كان يوجد في (بغداد) حوالي (25,000) يهوديًا في القرن السادس عشر، ولكن ليس لدينا الأرقام الحقيقية.

واستحضارًا لكل هذه الأرقام معًا، فإن واحدًا منها يبلغ المجموع التقريبي لهم 150,000 يهوديًا في الدولة العثمانية، وهو يمثل نسبة عالية في القرن السادس عشر، يمثل تقريبًا ما نسبته ثلاثة في المائة من مجموع السكان بالمقارنة إلى يهود (بولندا) و(ليتوانيا) (وعددهم 75,000) في ذات الوقت.

تنظيم المجتمع اليهودي:

على نَقيض ما هو سائِد في الغرب، فقد كان العثمانيون حقيقة أكثر تسامحًا تجاه الشعوب الأخرى ومعتقداتهم مما كانت عليه القوانين المعاصرة في أوروبا المسيحية.

وتنشأ المشكلة الرئيسة من أن السلاطين لم يكونوا يهتمون بقمع الرعايا غير المسلمين أو هدايتهم، وإنما اهتموا بتنظيمهم والسيطرة عليهم لكي يستطيعوا الحفاظ على النظام، وإطاعة القانون ودفع الجزية لهم، وكان السلاطين العثمانيون يفكرون في البداية أنه من السهل عليهم إخضاع اليهود والمسيحيين، وأنهم سوف يتبعون الأنماط التقليدية كما كانوا محكومين في الدول الإسلامية الكلاسيكية، وكان نموذجهم الحاضر لهم للتنظيم هو البقاء على عصر البيزنطيين، وكان "محمد الثاني" يأمل في البداية أن تُحكم استانبول لمصلحته بواسطة الإبقاء على النظام الرسمي المدني الرئيسي للبيزنطيين، فلم يمض سوى ستة أشهر على الفتح حتى اتجه السلطان في يناير سنة (1454م =858هـ) إلى الكنيسة اليونانية الأرثوذكسية المصدر الهام والوحيد للحكومة الباقية، وقد

كان بها بطريرك العهد البيزنطي وكان يشرف على هيئة القساوسة الذين كانوا يستخدمون للتحكم في رعيته، وبالاعتماد على هذه القوة للبطريرك الذي يقدم ولاءه للسلطان ويستخدم نفوذه لإخضاع اليونانيين للنظام، ولذلك عيَّن "محمد الثاني" البطريرك اليوناني الأرثوذكسي (جورج سكولريوس) "George Scholarius Gennadios II" ككاهن عالمي وكذلك كقائد ديني للجماعة الأرثوذكسية اليونانية وكان قائدًا لليهود، كما أن الأرمن قد أظهروا المساعدة، ولكن هذا كان مشكوكًا فيه للغاية، ولم يحدث أي تغيير من العهد البيزنطي، وبالنسبة للقساوسة اليونان كان الأرمن مثل اليهود هرطيقون (راديكاليون).

تنظيم المجتمع اليهودي وفعالياته:

التَّقْسِيم إلى قَاحَلات Kahals:

لم تبق الجماعة اليهودية العثمانية، سواء التي أطلق عليها اسم (الطائفة أو الجماعة أو الملة) كتنظيم فردي موحد عن طريق قائد واحد مثلما فعل أولئك الأرمينيون واليونانيون، وإنما كجمع محتشد مستقل، وكان يتم تنظيم هذا الجمع في مجتمعات تسمى (قَاحَلات Kahals PL.kehillot) (قبالا Kepella) (قاحالكدوش Kahalkadosh) وقد تكونت طبقًا للأصول القومية والقروية بل والمدنية لتنفيذ الأنشطة المميزة لكل طائفة حسب عاداتهم وتقاليدهم الشخصية. وعلى الرغم من ذلك فقد يختار الحاخام المحلي في بعض المدن والقرى أحيانًا في مراحل بداية انحدار الدولة في القرن السابع عشر، أبرز أعضائهم ليتولى رئاسة الجماعة (الحاخام) ويطلق عادة اسم: (راوكولل ravkolel)، (كولل Kolel) و(وروحا Ravha)، والذي يتزعم عادة طبقة الحاخامين عامة مثل (طائفة يشيڤا Yeshiva) أو المدرسة العليا، وفي "إزمير" وعدد من الأماكن الأخرى كان يُوجد حاخامان رئيسيان أطلق عليهما اسم (جادول– حاراوحا – ha rav ha gadol) أحدهما يتولى مسئولية القانون المدني والآخر مسئول عن الأنشطة الدينية.

وفي القرى الصغيرة، أو في المدن التي كان بها قليل من اليهود، كان هناك حاخام واحد فقط (قاحال Kahals)، ولكن في (استانبول) و(سالونيكا) و(إزمير) و(أدرنة) ومعظم المدن الأخرى التي كان يعيش بها كثير من اليهود، كان يوجد بها العديد من

الحاخامـات، وفي كـل مدينـة حـاخـام خـاص بهـا ومعبـد يهـودي ومستشفى ومقـابر ومدارس ومجازر وفي كل مدينة أعضاء مزودون بقيادة دينية ودنيوية.

وقد شجع حاخام العصر الحاضر على مثل هذه الترتيبات لكي يُضفي التجانس على حياة الجماعة التي تفرض شعائرها الدينية الصارمة مثلما تُفْرَض عليهـا دفـع الجزيـة منتظمة، ويقرر الحاخام (ديفيد بن أبي زمرة) أن مع فَصْل الجماعـات عـن أنـدادهم مـن رجـال القريـة ولغـتهم العامـة، كـان هنـاك أيـضًا قَطْـع مـشابه للقلـوب الورعـة، فلـم توحدهم صلوات تسبيح (تمجيد) الرب، ولكن لو كانوا في مدينة واحدة ولغة واحدة، عندئذ سوف يعم السلام فيما بينهم، وسوف يشعر كل واحد منهم أنه في بيته ويعـرف وضعه.

وفي العـادة، مثـل كـل القـاحلات (Kahals) التـي قـد تكونـت، كـان يُحـاول كـل مؤسسوها أن يؤكدوا استمرارهم وبقاءهم عن طريق موافقة موقعة من قبل الطوائف، محـذرين الأعـضاء الحـاليين أو القـادمين فـيما بعـد مـن تـركهم والالتحـاق بغـيرهم أو الانقسام أيضًا.

مثـل هـذه الموافقـات لم تكـن في الغالـب خاضـعة للرقابـة منـذ فـترة طويلـة ولهـذا تلاحقت مثل هذه التقسيمات الإضافية، وقد حذر القانون الإسلامي بناء معابد يهودية جديدة، سـواء عـن طريـق الـــقاحلات (Kahals) الجديـدة أو القديمـة، ويـسمح فقـط بترميمها أو إعادة بنائها.

ومع بداية حكم السلطان محمد الثاني، سُمح لليهـود بالعديـد مـن الاسـتثناءات مـن خلال إصدار أوامر سلطانية (إرادة سنية) تـسمح حتـى لأصـغر المؤسـسين بـأن ينقلـوا لمؤسسات دينية أعلى مع الاستمرار في مراقبة سيادة القانون، فقد أصبح كل منهـم نـواة لمجتمع يهودي مستقل (منعزل).

العُزْلَة الدَّاخلِية والمُجْتَمعات اليهودية الكُبْرى الرئيسة:

عاش اليهود العثمانيون في أحياء خاصة بهم تسمى (مَحَلَّه Mahalle) أو أحيانًا أحيـاء مقسمة، وكانوا نادرًا لا يخرجون منها فيما عدا خروجهم للأسواق. وكانـت مثـل هـذه العزلة الداخلية معروفة لكل الجماعات الدينية، وبمحض اختيـارهم الخـاص، ولهـذا لا

يمكن اعتبارها بأن فيها نوعًا من التميز أو التعصب، وقد أدى إلى هذه العزلة أنها لم تكن أمرًا مفروضًا ليس فقط بواسطة التقاليد الشرقية الراسخة التي فرضت التمييز بين الناس ذوي الأديان المختلفة، ولكنه أيضًا بواسطة الملاءمة العادية للحفاظ والتقيد بالتقاليد الدينية والاجتماعية والطقوس الدينية التي تنفرد بها كل جماعة.

ولقد امتدت العُزْلة إلى حد أن حاخامات اليهود العثمانيين كانوا مهتمين بأفضل الوسائل لمنع التحول أو الارتداد، فكانت هذه الوسيلة هي العزلة لإبعادهم عن أنصار الديانات الأخرى، فقد كان معظم الحاخامات يمنعون أو على الأقل يُعوقون كل اتصال يحدث بين اليهود والمسلمين لأن "معظم المشاكل ممكن أن تنجم عن ذلك، وإسرائيل شعب مقدس "إن ثمة مثالًا واحدًا يكفي لتوضيح ذلك، فاللبن الذي يَحْلبه المسلمون من البقرة، لا يمكن أن يشربه اليهود، إلا إذا كان اليهودي حاضرًا عندما تم حلبه، ويكون شاهدًا على أنه ليس هناك حيوانات غير نظيفة قريبة في ذلك الوقت يمكن أن تؤدي إلى تلويث اللبن. فمن الأفضل أن يكون كل شخص بعيدًا عن الآخر. وكعادة جميع الأحياء في الشوارع الضيقة والحارات، كان يعيشون في مبان متباينة الاختلاف في الأحجام والمستويات، يشكلون بذلك متاهة لا متناهية لا يمكن اختراقها إلاَّ بواسطة أولئك ذوي القرابة الحميمة.

إستانبول:

في استانبول كانت المستوطنات اليهودية الأولى قد شُغرت وأخليت في العصور العثمانية عن طريق إجلاء جماعة (اليهود الرومان Romantiote Jews) ناجية بذلك من الحكم البيزنطي ومتمركزة في المنطقة الواقعة من الخلف وإلى الشرق من (طوبقابى سراي) مباشرة، والمقام عليها الآن (يني جامع) "الجامع الجديد" كما كان الحال فى الأحياء العثمانية:"تخت قلعه" Tahtakale و"امين أونينو" Eminoninu و"باغچه قابى" Bahçekapı و"يميش اسكله" Yemiş İskele وفي "غالاطه" (Galata)، والواقعة على الشاطئ الآخر من (القرن الذهبى Golden Horn)، وأُعيد توطينهم عن طريق الأباطرة البيزنطيين حيث كان يقطن اليهود الرومانيون (رومانيو جويز) في العصور القديمة في حي (خاص كوي Has Köy) على الجانب الشمالي من خليج

(القرن الذهبي Golden Horn).

وقد استقر معظم المهاجرين اليهود القادمين إلى العاصمة من "الأناضول" والجنوب الشرقي من أوروبا، وخاصة من (أسبانيا) خلال حكم "بايزيد الثاني"، هؤلاء المهاجرون استقروا في الشواطئ الجنوبية لخليج القرن الذهبيGolden Horn بين الحي اليوناني المعروف باسم "فنار Fener" وأسوار المدينة في المنطقة المعروفة باسم (بلاط)، أما الهجرات اليهودية اللاحقة فقد استقرت على جانبي الخليج الذهبي Golden Horn ويخدمهم قارب صغير بانتظام حيث يمدهم باتصال مباشر بين "بلاط" و"خاص كوي"، وقد تركتهم في عزلة حقيقية عن المتخلفين منهم بالمدينة.

إن المجتمعات اليهودية التي عاشت في الخليج الذهبي Golden Horn خلف "طوپ قاپى" قد حل محلها بناء (يني جامع) و"سوق مصر" Mısır Çarşısı خلال القرن الـ17م حيث تحول المكان المعروف باسم القراءين Karaites إلى مكان يعرف باسم Kagithane (كاغيد خانه)، وتحول الرومانيوتيون Romaniotes إلى "بلاط" و"خاص كوي". واستمرت هذه المراكز الرئيسة في الحياة اليهودية باستانبول قرنين آخرين من الزمان، وفي القرن التاسع عشر فقط استطاع اليهود إحياء جزء من حركة التنظيمات الإصلاحية التي أدت إلى تحول أعضائه البارزين إلى الأحياء الأوروبية في (غالاطه) و(بك أوغلي) وضواحي "بو سبورس" الأوروبية التابعة لـ(اورته كوي Orta Köy) و(أرناؤط كويArnavut Köy)والضواحي الأناضولية التابعة لـ "قاضي كوي" Kadı köy و"قوزقونجق" Kuzguncuk وأخيرًا إلى جزر "مرمرة".

وفي (بلاط) كانت أكبر المجتمعات اليهودية وأكثرها ازدهارًا متمركزة في استانبول خلال معظم القرون العثمانية، وكانت هناك تقسيمات طبقًا للأهمية والثراء بالرغم من أن المفاهيم والآراء قد تغيرت بمرور الوقت.

إن حي (قره باش Kara Baş)يقع بالقرب من الخليج الذهبي Golden Horn خارج الحدود البحرية للمدينة، في المنطقة المعروفة بـ(جو ديوJudec – Spanish) الأسبانية باسم بلاط افيورا(Balat Afuera) أو بلاط الخارجية (External Balat) والتي يشغلها أفقر العناصر من سكان يهود "بلاط" خاصة الباعة الجائلين والصيادين.

وكانت هذه المدينة الموقع الرئيسي للموانئ اليهودية. وكانت (اسكلة=مرفئ) (سكالا دي لوس كايكيس ده يمشيSkala de los Kayikes Deyemis) بمثابة المنفذ الخارجي للمراكب التي تحضر الفواكه والخضروات من الأسواق الكبيرة إلى (أمين أونونوEminoninu). إن (اسكله دي آل نيياSkala de al nenyạ) المجاورة أو مصدر أخشاب التدفئة قد أعطت اسمها لشارع سمي باسم (اودوْن اسكله سوقاق Odun Iskele Sokak) (شارع اسكلة الأخشاب Wood Quai Street). واستمر ذلك لقرون طويلة. إن(سكالا دي لو كايكسSkala de los Kayikes) الواقعة في الاتجاه المقابل تمامًا لـ"خاص كوي". قد استغلت القوارب الصغيرة من نوع "قايق" ذات المجاديف والتي أبحرت تقريبًا بشكل مستمر بين الحيين اليهوديين الرئيسيين حاملة معها ليس فقط البضائع والبشر، ولكن أيضًا حاملة الجثث بعد أن امتلأت جبانة يهود "بلاط" في الربع الثالث من القرن التاسع عشر.

إن مرفأ (سكالا ديل ايستر كول Skala del estyerkol) اهتم بحمولات النفايات والفضلات في حين أن مرفأ "سكالا دي لوس وابورسSkala de los vapors " أضافت في القرن الـ19 اهتمامًا بالمحركات التي أبحرت خلال القرن الذهبي "جولدن هورن" بين الحي المسلم القريب التابع لـ (أيوب) و(غالاطه).

إن من بين المباني الهامة لـ(قره باش) الواقعة بطول شارعها الرئيسي (المسمى حاليًا باسم "دمير قابي جاده سي") من بين هذه المباني (غروسق Gerusk) ومعابد (بولياشنPulyashen)اليهودية وقد وجدت أساسًا بواسطة الرومانيوتس في العصور البيزنطية والمطلة على بحر "مرمرة" في المنطقة المعروفة بـ(لالونجا La Lonca) أو (كال دى سيانكو Kal de Seanico) أو (صِغرى Sigiri) ومعابد (إيلياون Elieaon) اليهودية، والتي كانت نجاتهم من الدمار تتضمن في حياتها أنه ربما أسست من أجل المهاجرين الأوائل الذين قدموا إلى استانبول خلال عهد "محمد الثاني"، وفي العصور الحديثة وبالرغم من أن معظم حى (قره باش Kara Baş) كان مدمرًا كجزء من مشروع تجديد المدينة حول القرن الذهبي Golden Horn خلال آواخر الثمانينيات، فإن المجتمع اليهودي أو مستشفى (اهايم)– والمبنية في أواخر القرن التاسع عشر– استمرت في

السيطرة على المنطقة الواقعة بين هذا الشارع و"جولدن هورن=الخليج الذهبي".

إن المدخل إلى بلاط الخارجية (Aryentro)أو بلاط داخل الحدود البحرية لليهود الأسبان (Judes . Spanish) كان قد تم عمله خلال بوابة مرفأ بلاط (La puerta da Balat) والذي يؤدي إلى القسم الاقتصادي الرئيسي المسيحي (قاواف خانه Kavafhane) أو شارع صانعي الأحذية – باللغة التركية – والمسمى بـ قانفا فانه Kanfafana – في لغة اليهود الأسبان– والمتجه من ناحية اليمين إلى (شارع القصاب القديم Eski kasap caddesi) (شارع الجزارين القُدامى)، ومن ناحية الشمال في محاذاة (لبلبجيلر Leblebiciler) شارع بائعي البقول، و(لاپجينجيلر Lapcincilar) (شوارع بائعي الصناديل)، وكان له أسوار وبوابات خاصة به والتي ظلت مشغولة بواسطة أصحاب المعامل أي المصانع ومحلات التجارة الصغيرة حتى اليوم الحاضر (الآن) بالرغم من أن معظمها لم يعد يهوديًا، وعند التقاء الشارعين الأخيرين السابق ذكرهما، يوجد المعبدان اليهوديان الرئيسان لـ"بلاط" و"يانبول" "Yanbol ،Balat" المبنيان في العصور البيزنطية عن طريق المهاجرين من "يانبولوYanbolu" في "بلغاريا"، وإلى الجنوب قليلًا أقيم (الاهرايدا Ahraida) والذي أقامه اليهود المهاجرون من "اوخريده Ohrid " في (مقدونيا) وبالقرب من معبد "يان بول Yanbol "كان يوجد الطريق الشعبي الرئيسي لـ"حمام بلاطBanyo de Balat " والذي سُمي الآن (فروخ كاخيا حمامي Ferruh Kahya hamami)= حمام الكخيا فروخ والتي كانت تفصل بين مباني الرجال والنساء التي استخدمت من أجل طقوس الاغتسال الخاص بالاحتفالات المتعلقة بالميلاد والزواج وأيضًا الوفاة.

إن الحيين اليهوديين خارج "بلاط" في الشمال (كاستورياKasturiya) و(ايشتيول İştipol)، قد تم فصلها عن "بلاط الخارجية Aryentro" بواسطة أحياء مسكونة بأجناس مختلطة معظمهم يونانيون قادمون من (فنار Fener)وأرمنيون قادمون من (قوم قابي kum Kapi) الواقعة على الشواطئ الشمالية لبحر "مرمرة". في هذه المنطقة تحديدًا كانت الصراعات تنشب بين هذه الجماعات وخاصة حين غزا ضباط إمبراطور لسيحيين الأحياء اليهودية وهجموا على جيرانهم اليهود نتيجة لاتهامهم بالقتل.

سالونيكا:

حينها كانت المجتمعات اليهودية في استانبول والتي قد سيطرت فقط على أجزاء من المدينة، ففي سالونيكا كان اليهود يمثلون أغلبية ساحقة للسكان، لذلك فإنهم انتشروا خلال معظم الأحياء على الرغم من أنهم تمركزوا غالبًا في تلك الأحياء القريبة من موانئ البحر على طول حدود المدينة في الحي الأوروبي (الإفرنجي) وفي الحي القريب من (هيبودروم Heppodrome . وشكل كبار السكان اليهود ثلاث مجموعات: الرومانيوس الأصليون، المتحدثون باللغة اللاتينية Griegos، وأضيف إليهم مهاجرون من بلغاريا والمهاجرون الاشكنازيون Ashkenazi القادمون من باڤاريا وأماكن أخرى من وسط أوروبا في منتصف القرن الرابع عشر والذين شكلوا القاعدة العريضة للمجتمع اليهودي حتى وصلت الهجرات الأسبانية والإيطالية، والذين كانوا يسيطرون هم من قبل وصول اليهود الشرقيين (السفارديم Sephardim) في أواخر القرن الخامس عشر.

في البداية كان اللاجئون الأسبان يأتون بشكل غير منتظم عبر البحر الأبيض المتوسط أو عبر الطريق اليابس عن طريق (إيطاليا)، يربطون أنفسهم بالرومانيوتس Romaniotes، ليس فقط لأنهم أقدم مجموعة يهودية، ولكن بسبب مقتهم للإشكنازيين (اليهود الغربيين) الذين كانوا ينظرون إليهم على أنهم متخلفون، في حين أن اليهود الآخرين كانوا أكثر تزمتًا في النظر للأحكام اليهودية عن أولئك الذين كانوا يتشبهون بالحياة الأسبانية، وتدريجيًا أصبحت الهجرات الأسبانية أكثر عددًا، ولكنهم أصبحوا عبئًا ثقيلًا على الرومانيوتس والذين كانوا حازمين نسبيًا. وفي البداية كان (الكاتالانينCatalans) يغادرون ليؤسسوا معابدهم الخاصة، ثم الكاستليانز Castillians وأخيرًا شكلت الهجرات الأسبانية المتبقية واحدة تحت اسم (جرش سفاراد Gerush Sefarad) أو القادمين والمهاجرين من(أسبانيا) آخذين الناس من جميع أنحاء المقاطعات الأسبانية، وسريعًا أقاموا معبدهم، وقد اضطروا إلى إعادة بنائه و(ترميمه) بعد ذلك.

ومن بين الإيطاليين في سالونيكا، كان الصقليون Sicilians تقريبًا حرفيين

متواضـعين أو حـدادين أو صـيادين، والـذين عاشـوا معًـا بعـد وصـولهم في سـنة (1479م=903هـ) ولكنهم لم يتمكنوا من بناء معابد، لذلك ظلوا لوقت طويل يجتمعون في بيت خاص للطقوس الدينية، قبل أن يبنوا أخيرًا معبدًا صغيرًا في منتصف القرن الخامس عشر.

أما يهود الكالابريز Calabraise الذين تم طردهم من "نابلس" مع اللاجئين الـذين جاءوا من "بويل Pouille" عام (1497م=903هـ)، لم يختلطوا مع غيرهم من الجماعـات الإيطالية في سالونيكا، بل إنهم كوَّنوا جماعة دينية خاصة بهم بقيادة "جاكوب بن حبيب Jacob ben Habib "، الذي كان قادمًا من البرتغال، وأقاموا مجتمعًا خاصًا بهم، وكـانوا هادئين أكثر من غيرهم.

وجـاء اللاجئـون اليهـود البرتغـاليون بأعـداد ضـخمة بدايـة مـن عـام (1506م=912هـ)، وكانوا مرتبطين بالمعابد السبعة الأصـلية الخاصة بـاللاجئين والتي كانت تفرض عليهم ضرائب كثيرة، وبحلول عـام (1510م=916هـ) عـادت مجموعة كبيرة منهم إلى اليهودية Judasim وتأقلموا تمامًا مع وطنهم الجديـد، وأقـاموا جماعة منفصلة أطلق عليها اسم (ليسبونLisbon) وشيدوا معبدًا جميلًا فاق المعابد القديمة في الحجم والروعة والديكورات بالإضافة إلى انضمام أعضاء أثرياء إلـيهم، فأضـفى كثيرًا من الأهمية عليه، ذلـك في حين أن جميع معابد اليهـود الشرقيين (بسالونيكا) كانت مقسمة من غير ائتلاف خلال القرن السادس عشر، لكـن الأسـوأ في هـذا الجانـب كـان "جيروش سيفارد Gerush Sefarad " المقَّدس حيـث كـان يـضم جميع المنفيين الـذين وصلوا أولًا من (أسبانيا) غير مبالين بأوطانهم الأصلية (وطـنهم الأم)، إن "جـيروش سـيفارد Gerush Sefarad" احـتفظ بـسجلات الـشغب والاضـطرابات، وفي أواخـر القرن الخامس عشر انفصل حوالي مائة من الأعضاء، وبـالطبع شـكلوا معبـدًا آخـرًا ثـم عادوا، ولكنهم ظلوا تحت إدارة مستقلة في المعبد المعاد توحيده.

وباقتراب القرن السادس عـشر، رحلـت جماعـة أخـرى لم تكـن راضـية عـن الـضرائب الأميريـة، وشـكلت منظمـة جديـدة مـع آخـرين انـضموا إلـيهم تـاركين بـذلك (جـيروش سيفارد Gerush Sefarad) منقسمة بذلك إلى ثلاث مجتمعات بجميع المقاييس العملية.

وفي عام (1510م=912هـ) تخطت المعابد الكاتلانيةCatalan التابعة لـ"سالونيكا" والمقسمة إلى اثنين، كاتلان القديمة ، وكاتلان الحديثة، تساؤل من الذي يجب اختياره لمنصب (ماربتزالتوراهMarbitz Torah) لهيئة (التلمود طره) هو"صمويل دي ميديان Samwel de Medina"، العضو الأكثر أهمية في المعبد وأحد القواد بسالونيكا اليهودية، ونجح في توحيدهم في عام (1540م=947هـ)، لكن المعبد تم تدميره خلال كارثة حريق سالونيكا في عام (1545م=952هـ). وتم إعادة ترميم المعبد بمساعدة مالية من "باروخ الموسنينو Barukh Almosnino" والذي ساعد نفوذه (وضعه) على البقاء في المنظمة لفترة من الوقت، ولكن بمجرد وفاته، اشتعل الخلاف مرة أخرى مؤديًا إلى انقسام الهيئة ثانية إلى (كاتلات) قديمة، و(كاتلات) حديثة، واستمرتا منفصلتين لقرنين من الزمان.

إن المعبد الإيطالي الأبوليني Apulian والمقسم إلى خمسة معابد مستقلة في عام (1550م=957هـ) وهم طبويل ونيف شالوم، ونيف تسه دكواوترانتو واستراك Pouille ، Neve Sha Lom، Neve etsedek، Astruc" Otrantoوكانوا جميعاً فقراء وضعفاء ، لم يستطيعوا الاتفاق على حاخاماتهم ولا قضاتهم. وبعد (1505م = 911هـ) كان معبد الصقليين (Sicilian) مقسمًا إلى طائفتين في نفس المبنى، كل منها لها خدماتها الدينية الخاصة بها، وتحتفل بطقوسها الدينية الخاصة بها، وتحتفظ بمصالح مؤسساتها وذلك حتى عام (1562م=970هـ) حينما انتقلتا إلى مبنيين منفصلين، معبد (ليسيون Lison) انقسم إلى ليسون القديم الأرستقراطي (الراقي)، وآخر أكثر ديمقراطية، وهو معبد (ليسون الجديد) عام (1536م= 943هـ)، واستثمر معبد ليسون القديم ثرواته في بناء معبد جديد ضخم علم (1560م=968هـ)، ولكن هذا المعبد تفكك عام (1570م=978هـ) نتيجة خلاف بسبب الحكم التعسفي للحاخامات.

وقد حاول حاخامات كل المجتمعات في سالونيكا منع هذه التفككات والانقسامات؛ لأنها تضر بمقدرتهم على ممارسة طقوسهم الدينية بالإضافة إلى احتياجهم العملي إلى جمع ضرائب من المجتمع، ومن ناحية أخرى كان ذوو المكانة بالتجمع يجتمعون في تلمود طوراه بسالونيكا ويهددون حقيقة بالطرد من المجتمع كل

الأعـضاء الـذين يكونـون مجتمعًـا جديـدًا أو معبـدًا، ولكـن هـذا كـان لـه تـأثير ضـئيل، واستمرت التقسيمات، ونتيجة لذلك كـان هنـاك في منتـصف القـرن الـسادس عشر مـا يقرب من ستة وعشرين قاحلات Kahals بسالونيكا وأربعة وأربعين في استانبول.

سرايفو (Sarajevo):

كانـت سرايفـو- عاصـمة البوسـنة العثمانيـة- أكـبر مركـز للحيـاة اليهوديـة في المستعمرات (الدانوبيـة Danubian) العثمانيـة، واشـتملت عـلى لاجئـين مـن اليهـود الـشرقيين القـادمين مـن (بينـسويلا الأيبريـة =Iberian Peninsula)، وكـذلك مـن (الاشكنازيين Ashkenazis) الهاربين من الإعدام في ألمانيا والنمسا وبولندا. كل هؤلاء قد بدأوا في الاستقرار عندما كان المجتمع المسلم سائدًا آنـذاك عـام (1551م=958هـ)، حينما قام الغازي "خسرو بك"، والذي رُقي لرتبة "باشا" فيما بعد، وكان حينذاك أمير سنجق، قـام ببنـاء "بورصـة بزسـتان Bursa Bezistan" أي (سـوق بورصـة للقـماش) الواسعة الانتشار بالقرب من مؤسسة التجـارة الرئيسة بهـا (بـاش چارشـى)- الـسوق المركزي- وهو مركز لتجارة الحرير بالاشتراك مع "بورصة" التي كانت حينـذاك تحـت سيطرة التجار اليهود القادمين من الأناضول الغربية.

قام الحكام العثمانيـون عـام (1577م=985هـ)- كمكافـأة لمساعدة اليهـود لهـم ضـد [الهاسبورجيين]- بالسماح ليهـود سرايفـو بـالعيش في منطقـة صـحية بالمدينـة، والـذي أُطلق عليها بعد ذلك اسم "الحي اليهودي" أو بالعيش في المنطقة المعروفة باسم "دائـرة سِياوَش باشا". وقد ظلت الأحياء اليهودية اللاحقة أيضًا متجمعة حول هـذا الـسوق، ويعيـشون غالبًـا في أحيـاء "بهلـوان أوروچ"=البهلـوان اوروچ و"فرهـاد باشـا" حتـى القرن التاسع عشر.

ومثل أي مكان بالدولة العثمانية كان اليهود البوسنيون قد حازوا استحـسان جمـاهير المسلمين نتيجة عملهم كأطباء وصيادلة وأيضًا تجار يوثق بهـم في الحـصول عـلى الجـودة وأسعار معتدلة، وعمل اليهود أيضًا كحرفيين، وسيطروا عـلى تجـارة الملابـس وصـناعة الأحذية والجزارة وصناعة الأخشاب والمعادن وكذلك صناعة الزجـاج والـصباغة مـن مختلف الأنواع.

وقد هاجر تجار (سراييفو) اليهود إلى الجانب الغربي عبر البوسنة إلى الشاطئ المالطي Dalmation وعبر الشاطئ الإدرياتي إلى (إيطاليا)، وأيضًا اتجهوا جنوبيًا إلى استانبول عبر (اسكوبيه) و(سالونيكا)، وظل حاخاماتهم ومعابدهم تابعة لهؤلاء في (سالونيكا)، حيث كان معظمهم يتم تدريبه حتى وصول الحاخام "ديفيد باردوDavid Pardo " عام (1752م=116هـ) والذي كان يمثل الحاخام الرئيسي لها، والذي قام بإعادة تنظيم "تلمود طوراه" وأسس مدرسة أحبار اليهود، التي لم تدرب فقط حاخامات (سراييفو) لتجعلهم أكثر اعتمادًا على النفس في سالونيكا وتؤهلهم لكي يصبحوا دارسين شرعيين رئيسيين تكون كلمتهم مسئولةResponse لها تأثير كبير، ولكنها أيضًا أصبحت مركزًا رئيسًا للطلاب الدارسين القادمين من شتى أنحاء الدولة العثمانية.

إزمير:

بينما كان اليهود يعيشون في العصور القديمة، كانوا يخرجون هاربين من القتل البيزنطي، لذلك لم يتبق أحد منهم في عهد الفتح العثماني.

والمجتمع اليهودي العثماني في إزمير تم تشكيله مؤخرًا نسبيًا فقط أثناء الربع الأخير من القرن السادس عشر، عندما كان اليهود الذين استقروا في "مغنيسيا" و"تيره" بعد الفتح العثماني لسوريا، يهربون إلى الشاطئ نتيجة الفوضى الناجمة عن المقاومة القبلية للبدو ضد السلطة المركزية والتي كانت فقط قد بدأت (تستشعر) نفسها في هذا الجزء من الأناضول، وقد انضم إليهم في السنين الأولى للقرن السابع عشر اليهود الشرقيون المهاجرون من (سالونيكا) نتيجة الحرائق المدمرة والطاعون والفوضى السياسية، والتي كانت قد بدأت تؤثر ليس فقط على هذه المدينة ولكن أيضًا على (الروم ايلي) أي إقليم الروم، ولحق بهم أيضًا البرتغاليون و"المارونيون= المورسكيون" الأسبان والذين كان مصيرهم الإعدام بسبب المناقشات التي أجراها الكاثوليكيون ضد أسلافهم منذ قرن مضى، وهؤلاء (المارونيون) شكّلوا ضدهم منظمة سميت في الأصل باسم (قاحالات =Kahallat) ولكنها انقسمت بعد ذلك إلى اثنتين، (بورتغال Portugal) و (نيفه شالوم Neve Shalom) مع بعض اليهود الآخرين الذين انضموا إليهم ولكن المارونيين (Marrons) استمرت سيطرتهم السياسية والثقافية.

فلسطين:

بعـد ضـم سـليم الأول عـام (1516م=922هـ) فلـسطين قـام الحكـام العثمانيـون بتقسيمها إلى أربعة سناجق: (القدس) و(غزة) (غزة ورام الله وليدا) و(نـابلس) (جبـل الشامي والجبل القبلي وقـاقون وبنـي صـعب) وصـفد (صـفد وتيبنـين وطـيره وشـقيف واكره وتيبرياس). مع الإبقاء على النظام والأمان وتطوير الزراعة والتجارة.

وقد نما السكان اليهود نموًّا سريعًا نتيجة هجرة الإشكنازيين مـن وسـط أوروبـا، والسفارديم (اليهود الشرقيين) من (پنيسويلا الأيبريـة Iberian Peninsula)، والمغاربـة مـن شـمال أفريقيـا، والمستعربين (أو اليهـود العـرب)، وقـد عاشـوا هنـاك في العـصور الرومانية، وأما الذين هاجروا من المقاطعات العربية الأخرى فكـانوا متـضمنين داخـل الحياة العثمانية.

ومع أن جميع البلدان والمدن في فلسطين استفادت من هذه الهجرات إلا أن "صـفد" كانـت الأكثـر تطـورًا، فأصـبحت المركـز الـصناعي والتجـاري الرئيـسي خـلال الـسنين الأولى لفترة الحكم الطويلة لـ"سليمان القانوني" (1520– 1566م=927– 974هـ)، وتـم تطوير أهم مركز يهودي بالدولة لـتعلم الطـرق الـصوفية والتأمليـة. وكـان أهـم مـصدر للثراء في "صفد" و"سيدون" يـأتي مـن التقنيـة العاليـة لـصناعة الـصوف، وتـأتي المـواد الخام غالبًا من (سالونيكا) و(استانبول) حيث كان يتم غزلها إلى ملابـس والتـي كانـت تُباع في جميع أنحاء منطقة البحر المتوسط عبر مينـاء "سـيدون"، وكـان يهـود "سـيدون" أيـضًا منغمـسين بـشكل كبـير في الزراعـة، إمـا بزراعـة الحقـول والمـزراع مبـاشرة أو يؤجرونها إلى المزراعين العرب بينما يقـضون معظـم أوقـاتهم في ممارسـة أنـشطة التجـارة والصناعة بالمدينة، وقد ساعد على ازدهـارهم فـيما يبـدو بـشكل كبـير مـؤازرة المـوظفين العثمانيـين المحليـين، والـذين كـانوا أحيانًـا يتـدخلون بـالقوة لحمايـة القـرارات الهوائيـة الصادرة عن محكمة "صفد" الحاخامية.

سوريا:

بعد الضم العثماني لسوريا، ازدهر وضع يهود دمشق ازدهارًا شديدًا، وبزغ عدد مـن العائلات التجارية، وانتعشت الأنشطة الثقافية والدينية، أما بالنسبة لليهـود المـستعربين

والقرائين Karaites اللاجئين من أسبانيا والبرتغال، فقد تم وصولهم بالفعل بعد سنة (1492م=898هـ)، ولكنهم قَدِموا بأعداد كبيرة بعد الضم العثماني وأصبحوا تجارًا وحرفيين، وبالإضافة إلى انتعاش مؤسساتهم الثقافية والدينية، عملوا على توطيد علاقتهم بجيرانهم في الأرض المقدسة.

وأسس الوافدون الجدد مجتمعات جديدة خاصة بهم، والتي لم تكن فقط تتعارض مع المجتمعات اليهودية القديمة، ولكنها أيضًا تتعارض مع اللاجئين من "سيسلي" أي صقلية والذين كونوا بدورهم مجتمعات مستقلة (منفصلة).

لقد حدث أخيرًا تآلف في القرن السابع عشر فقط بين الثلاث مجموعات في ردود أفعالهم تجاه التأخر العثماني وتبعياته (الانحدار العثماني).

مصر:

إن أحوال ازدهار اليهود المصريين قد تزايدت بشكل كبير بمجرد انتقال السلطة من أيدي المماليك (1250– 1517م=648– 923هـ) الذين يدين معظمهم بالمسيحية إلى العثمانيين بعد الضم العثماني الذي قام به السلطان سليم الأول عام 1517م=923هـ، وكان اليهود في القاهرة في البداية معرضين للسلب من جانب المسيحيين المهددين في الخدمات العثمانية، بعد رحيل المماليك الأوائل الذين دمر العثمانيون سلطتهم، وبعد عقدين آخرين من الزمن بعد الضم العثماني بواسطة الانكشاريين العثمانيين، كان التجار اليهود قادرين إلى حد ما على تأسيس علاقات تجارية مع الآخرين بالرغم من تعاملهم كعملاء بالنسبة لبيع وتسويق غنائمهم والتي من أجل العودة إليها طالبوا الانكشاريين بوقف اعتدائهم على الأحياء اليهودية.

وعلى الرغم من أن الولاة العثمانيين وثقوا باليهود أكثر مما فعل أمثالهم العرب المسيحيون، والذين كانوا دائمًا يعترضون ويثورون أو يخططون لثورات، كان اليهود يحتلون جميع المواقع الاقتصادية الهامة في كل من الحكومات المركزية والمحلية ويجمعون الضرائب والواجبات المعتادة والتي كانت تغذي الأساسيات اللازمة لازدهار اليهود اللاحقين، في حين ظل العثمانيون مسيطرين على مصر في القرن السابع عشر، وازدهر اليهود بالقاهرة ازدهارًا كمقرضين للمال= كمرابين وعاملين بالبنوك وتجار في المعادن

النفيسة وحدادين وبائعين بالمحلات. وكثير من اليهود عملوا كملتزمين للضرائب الفلاحية للدواوين العثمانية، ليس فقط لجمع الضرائب من المزارعين ولكن أيضًا يسيطرون على ديوان ملاحظة العُمَّال ويقومون بجميع الواجبات المعتادة في موانئ (الإسكندرية) و(دمياط) وهى أكبر مصدر للدخل في تلك المقاطعات.

وفي (الإسكندرية) والتي كانت أصغر وأقل أهمية في بداية الحكم العثماني، كان اليهود يشكلون عنصرًا فعالًا في السكان، يعملون كتجار ومترجمين للدارسين الأوروبيين والمسافرين والتجار الذين كانوا يمرون عبر المدينة في طريقهم إلى القاهرة وإلى البحار الشرقية مع اليهود أنفسهم، والذين كانوا يشاركون بشكل كبير في هذه التجارة العالمية إلى جانب تلك التي يمارسونها في المراكز العثمانية.

وحْدَة المُجْتَمعات العُثْمانِية اليَهُودية:

في أبراج بابل– حيث كان يوجد بها المجتمعات اليهودية خلال القرن بعد التجميع– كان اليهود الأسبان القشتاليون الذين أُطلق عليهم بصفة عامة (اللادينو Ladino) يمثلون القوة المسيطرة والتي جلبت المجموعات الإقليمية والعالمية تدريجيًا، وبإدراك واسع وليونة، استمر تسلل (تسرب) هذه المجموعات اليونانية والفرنسية والألمانية والتركية والعربية ولكن قدرتها على التكيف جعلتها تستطيع محاكاتهم جميعًا، وساعدتها بواسطة محاميها والذين سيطروا على المجتمع ثقافيًا واقتصاديًا إلى حد كبير، أكثر من منافسيهم. وأيضًا بسبب أن أماكن الأجيال الحديثة ذوي الأصل كانت أقل قيمة عن أسلافهم، وكان تأثيرها تجاه الوحدة يتم تشجيعه وتدعيمه، علاوة على ذلك، فحقيقة الأمر أن اليهود العثمانيين الآن يشاركون في الحكم العام لحضارة الشرق الأوسط وسلوك الحياة (طريقة الحياة) في حين أن المترجمين الشرعيين المفصولين كان يتم تجميعهم وإحضارهم معًا بشكل واسع بواسطة جَبْرِية القوانين اليهودية والقواعد والأحكام غير طريق الحاخام اليهودي "جوزيف كارو 1575 –1488" (Joseph Karoم) في "بيت يوسف" وملخصها "شولحان روخShulhan Arukh " والتي تم قبولها كمسيطرة على معظم المؤسسات في الحدود العثمانية وتحققت الوحدة العملية كلية لليهود العثمانيين عندئذ بالرغم من وجود الاختلافات الظاهرية الناجمة عن الجذور

السابقة التي ما زالت موجودة.

الإسْكَان اليَهودِي:

كان شائعًا في الخطط الإسكانية لليهود في (استانبول) و(سالونيكا) على الأقل (نظام) الـ(الكارتيجوCartijo) الموروث من أسبانيا مثل الخان التقليدي الإسلامي والتي أثرت في العصور التالية من قبل .. وقد كان هذا بناءً خفيضًا ملتصقًا حول فناء مركزي ويتكون من طابق أو اثنين أو ثلاثة في الارتفاع وعادة ما تكون بأسقف مَكْسِيَّة بالمطاط. وكان محل السكن والتجارة يختلط بعضها مع بعض أحيانًا مكونة بذلك قرية قائمة بذاتها.

وعبر الشوارع الخارجية كانت البالكونات والمصاطب ترتفع مقلقلة كأنها مستعدة للوقوع على الناس المارين بأسفلها. وكان السكان أنفسهم من أي شكل وحجم يزدحمون بشكل مكثفٍ عدا هؤلاء الأكثر ثراءً كنقص مستمر في الإسكان في مواجهة الهجرات المستمرة من اللاجئين من أماكن أخرى، كالعائلات المَصْحُوبة من أوروبا للتجمع واحدًا فوق الآخر مع واحد أو اثنن أو حتى ثلاث عائلات يتجمعون في نفس الحُجْرة حتى يكون هناك مساحة صغيرة تترك للتنفس.

وكانت معظم الأنشطة المعتادة تُمارس في خارج الأماكن المفتوحة والمصاطب أو في الساحات والشوارع الخلفية، وكان هناك القليل من الأثاث الدائم، ليس أكثر من أصغر إناء (وعاء) للطعام. والأكل نادرًا حتى في أوقات الازدهار، وكأن اللحم والزيت يتم شراؤهما في المناسبات الخاصة. وفي معظم هذه المباني لم يكن هناك مياه جارية أو مياه صالحة للشرب، ويتم الإمداد بمياه الشرب من أقرب خزانات عامة، وعلاوة على ذلك كانت الرقابة الصحية معدومة، علاوة على الحشرات والحيوانات التي توجد في كل مكان، ولم تكد الحرائق الصغيرة تشتعل حتى تصبح في وقت قصير محارق ضخمة، وكذلك الحال بالنسبة للأمراض التي تصيب أفرادًا سرعان ما تنتقل العدوى لتُصبح عامة، لذلك كانت معظم المساكن مجرد معسكرات متشابهة كمساكنهم حتى يظلوا بها مدة أطول ثم يكون مفروضًا عند تحسن الأحوال.

تكْوين المُجْتَمع ووَظائِفه:

إن طائفة اليهود أوملة اليهود العثمانيين تتضمن جميع القاحلات Kahals ، وقد نظمت بواسطة أعضائهم، وتجمعت في أحياء أمدتهم فوق أي شيء آخر بالحماية والأمن، وفي غياب الحكومات المحلية (المحافظات) كالموجودة في المدن العثمانية كان كل(قاحالKahal) مثل محافظة منفصلة (مستقلة) وكانت مسئولة عن تسجيل الأعضاء وتفرض وتجمع الضرائب وتتفق على الأنشطة الاجتماعية مع إبقائها على المؤسسات الدينية والاجتماعية والسياسية وتُعاقب الخارجين عن قوانينها وأحيانًا القوانين العثمانية وتقيم الحوارات الداخلية إن أمكن وتوصل هذه الضرائب للخزانة العثمانية، والتي تخصص للسلطان ووزرائه، وكانت تمثل أعضاءً من الحكومة وأعضاءً من الطوائف اليهودية الأخرى، وكانت تعزز القيادات الدينية والقضائية والثقافية وساعدت على دفع الازدهار الاقتصادي بين الأعضاء عن طريق تنظيم هؤلاء في مجموعات حِرَفية صغيرة غير القادرة على الحفاظ على نقابات الحرف الخاصة بهم، تقيد المنافسة بينهم في السعر والجودة ومحاولات الحفاظ على الاحتكارات من أجلهم ليس فقط ضد المنافسة بين أعضاء الطوائف اليهودية المختلفة ولكن أيضًا ضد جميع هؤلاء القادمين من الخارج بما فيهم من اليهود.

وشارك الـ(القاحالKahal) في الوظائف والسلطة على بعض المناطق مع أشخاص آخرين، والأكثر أهمية من ذلك أن النقابات المنظمة بواسطة الحرف والأنشطة الصناعية الأكثر أهمية والتي كانت مسئولة عن جودة المنتجات والأمانة فى التجارة وتثبيت الأسعار والنظام الداخلي.

وبالإضافة إلى ذلك كان هناك رؤساء الأحياء العثمانية والذين نظموا البوليس المدني (الشرطة المدنية) والتفتيش على الأسواق (والذي يُعرف الواحد منهم باسم محتسب) والذين ضبطوا أماكن الأسواق والشركات خاصة بالنظر إلى الأسعار والأوزان والمقاييس وجودة البضائع.

وأخيرًا كان هناك القضاة المسلمون الذين نظموا وجمعوا حقوق نقل الملكية جميعًا وتأجير العقارات والوثائق الشرعية واتفاقات المديونية والتبادل الاقتصادي ودفع

الضرائب، وأيضًا كانوا يعلنون وينقلون التعليمات العامة والمحلية للحكومة ويراقبون بعض الخدمات كتصاريح البنايات العامة وأسوار المدينة والطرق والكباري ونظافة المدينة وإمدادها بالطعام.

وقامت جميع الـ(القاحلاتsKahal) في المدن الرئيسة بتطوير المجتمع الرئيسي واللجان التي سميت بـBet Din Hagadol Or Ha – va'ad ha – Folelshehar Kehillot والمؤلفة من وفود من كل (القاحلاتKahals)، ولكن هؤلاء غالبًا ما كان اجتماعهم من أجل موضوعات خاصة بأهمية مشتركة مثل المشاركة في أعياد المدن ويبعثون الوفود للسلطان للحفاظ والإبقاء على الامتيازات الخاصة والبقاء على مجتمع (التلمود التوراة Telmud Torashs) ومحاكم (بيت الدينBet Din) منظمة مع مجموعات أخرى للدفاع عن المدينة ضد الهجمات الخارجية وأيضًا تعيين موظفين للمجتمع يطلق على الواحد منهم اسم الـ(كتخدا) أو (كخيا Kahyas) وفي العبرية Shtad la nim والذين كانوا مُعتادين على العلاقات مع الموظفين العثمانيين، وكان نفوذهم محدودًا في نفس الوقت والمكان وكان لديهم سلطة بسيطة لفرض قراراتهم على المجتمعات المتمردة.

فقد كانت المنظمة اليهودية الرئيسة في (سالونيكا) هي أكثر قوة وتأثيرًا عنه في أي مكان آخر، وخاصة في فترة الانحطاط، هناك كانت تعمل بداية تحت وصاية (التلمود التوراةTelmud Torah) بالمدينة ثم المجلس اليهودي المتعدد الجنسيات (الفيدرالي) مطورة القواعد والمفاهيم التي تنطبق على كل القاحلاتKahals من أجل مصلحة المجتمع كله وعلى الجانب الآخر كانت القاحلاتKahals والمعابد أكثر من الأشخاص المجمعين هي التي سيطرت على النظام.

وخلال القرن الأول من العصر الذهبي احتفظ كل (القاحال Kahal) في المدن الرئيسة بحيها المنفصل الخاص بها، وهي عادة منفصلة عن الأحياء الأخرى بواسطة الأسوار العالية والبوابات والتي كانت تغلق أثناء الليل وتحرس طوال الوقت.

وفي عصور لاحقة بالرغم من أن الحرائق العديدة والفيضانات كانت تقصم الفواصل القديمة كانت الأحياء المحاطة بأسوار تشمل المسلمين والمسيحيين، وكذلك اليهود، وكل واحدة منهم مركزة في منطقة بغير انفصال طبيعي فعلي. والـ(Kahals)

نفسه أبقى على الشوارع ورتب النظافة والإضاءة من أجل كل شارع بالرغم من أن هذه الخدمات كان يقدمها أصحاب المنازل والمحال أنفسهم ... ومراقب الليل كان يعمل ما بين وقت الغروب وحتى الشروق لحفظ الأمن بعد الظلام، يضيء ويوزع مصابيح الشوارع، يبحث عن اللصوص والسارقين، يراقب النار وينادي عاليًا للإنذار عند الضرورة، والحماية من التهديدات الأكثر جدية مثل هجمات الانكشارية والغوغاء والمسيحيين من الخارج، عادة مزودة برشاوى منظمة تُعطي للإنكشاريين والخلايا العسكرية الأخرى، وأكثر حرصًا على عمل شبكة من الأنفاق السرية والتي تؤهل السكان للهرب إلى المنازل المجاورة أو تحت الأسوار وخارج المدينة بالكلية حسبما تقتضي الحاجة.

والمؤسسة الهامة من الناحية العملية تم الحفاظ عليها بواسطة القاحال Kahal من أجل مصلحة أعضائها، وكانت حق الملكية اليهودية التقليدية المعروفة باسم (هازكاHazakal) والتي تطورت بداية في أوروبا خلال العصور الوسطى والتي قدمها التشريع الاجتماعي في الدول العثمانية المستقلة المشيرة خاصة إلى الحق في اتباع شئون خاصة وتحديد المنافسة بين اليهود في نفس الشأن (في نفس الأمر)، وحتى أكثر أهمية في وقت حين كان التدرج الكبير في الهجرة قد شكلت عجزًا قاسيًا في السكان، وحق اليهودي في الحفاظ على الأرض المؤجرة في ملكية المملوكة لغير اليهود المستأجرين دائمًا من الغير بإيجار أعلى أو طرد وذلك كنتيجة للضغط من اليهود الآخرين الراغبين في اتفاق وتسوية ولم يحاول يهودي طرد أخ له في الدين من منزله أو محله Cartip، إذا كان هذا المبنى يخص مسلمًا. كل يهودي استأجر طلب الحق في الانتفاع بهذا المكان المؤجر، والحق يمكن ضَياعه بعد ثلاث سنوات من عدم الاستخدام، أو عندما يتوقف المستأجر عن شغل المكان بإرادته الخاصة، كما أنه يَفْقد الحق دون انتظار ثلاث سنوات إذا ترك المدينة دون توقع العودة.

وجاءت أغلب الصراعات عندما باع الملاك المسلمون العقارات لليهود، حيث أصبحت حقوق (الحازاقHazaka) تُدار بواسطة اليهود من الملاك الجدد، والذين يحاولون إلغاء حقوق تلك (الحازاقHazaka) وشغل العقارات لاستخدامها

بواسطتهم أو إيجارهم مرة أخرى بإيجارات عالية بطرد الشاغلين لها.

ومع ذلك، وبصفة عامة فإن نجاح (الحازاقHazaka) تم تأكيده بوضوح على مدار قرون بسبب روح التضامن والنظام الاجتماعي الموجود في (القاحالات Kahals) والذي يُعتمد على أن تعلو مصلحة الجماعة على المصلحة الفردية.

وبينما كان الملاك المسلمون يتوقعون هذا التنافس على الزيادة بين المستأجرين اليهود، إلاَّ أن هذا لم يحدث حيث أن نظام (الحازاقHazaka) يشبه المبدأ الإسلامي القديم "المُعَامَلَة العادِلة" والتي سادت في أغلب أوجه التجارة في الحياة الشرق أوسطية.

وقام الـ(الحازاقHazaka) بتدريب وفحص وترخيص المَجَازِر (shohet,P1. Shohetim)، وصُنَّاع الجبنة والاهتمام برفعة أخلاقهم بمقدار الاهتمام بمدى معرفتهم بكيفية إعداد منتجاتهم طبقًا لمتطلبات مراسم (القوشير Kosher)، فمثلًا فحص السكاكين الخاصة بهم للتأكد من حدتها حتى يستطيع أفراد الحي من استهلاك المنتجات الناتجة بناءً على الثقة من نقاء هذه الطقوس.

وكانت إجراءات التفتيش تتم بواسطة الحاخامات بوجه خاص وكانت العقوبات الرادعة تقدم على أي مخالفات.

وكان الـ(القاحالاتKahals) يمتلك سلطات واسعة على أعضائه والتي هى في نفس الوقت تُمثل حقوقًا لهم، ومتى وُجد نزاع بين المجتمع والفرد، كان من المفترض أن يكون المجتمع على حق إلاَّ إذا استطاع الفَرد إثبات العكس.

كانت الحاجة في الحفاظ على تدفق الدخل الكافي في مواجهة النفقات، تدفع الكثير من الجاليات إلى ممارسة رقابة صارمة على الأفراد، ليس فقط لضمان مدفوعات منتظمة منهم ولكن أيضًا لمنعهم من الابتعاد أو الانضمام بـ(القاحالاتKahals) وما يترتب على محاولات المغادرة هذه من خسائر مالية.

لذا فقد تم فرض عُرْف اجتماعي من شأنه إجبار الأفراد على البقاء للعمل في إطار (قاحالاتKahals) أجداده ويقبل قرارات قادته والأغلبية بصرف النظر عن مشاعره الشخصية.

وكـان لكـل (قاحـالاتKahals) معابـده، وحاخاماتـه، والمدرسـين، والمـدارس الابتدائية المسماة بـ"تلمـود التـوراة Talmud Torahs" والتـي تُـدار بواسـطة الجاليـة أو "Heders" بجانب المستشفيات الخاصة والمدافن والمؤسسات والجمعيات الخيرية.

وغالبًا ما يكون له أيضًا (بيت دينBet-Din) أو هيئة قضائية عُلْيَا مكونة مـن قـضاة (Dayyans) يتم اختيارهم من بين أعضاء الجالية الأكثر تعليمًا.

وعمومًا في قرون الانهيار فإن العديد مـن (القاحـالاتKahals) قـد حـافظوا عـلى معابدهم واستخدموا المحاكم العامة والمستشفيات والمقابر.

4 – الحَاخَام الرَّابع:

كـان كـل (قاحـالاتKahals) عبـارة عـن وحـدة إداريـة قانونيـة، ينتخـبُ أعـضاؤه الحاخام الخاص به والذي كان بمثابة العُمدة والقائد الروحي للحي في حالة غيـاب أي سلطة محلية، وكان أفراد الجالية يلزمون أنفسهم بعـدم الاستماع لأي دروس في التـوراة عدا ما يلقيها هو، وأن يطيعوا أوامره في كافة الأمور سواء الدنيوية أو الدينية.

وكان الحاخام بالطبع يعتبر إمامًا للحشود المجتمعة للصلاة، لذا فإنه يجب أن يكـون مـتعلمًا، رزينًـا، وقـورًا، وخبـيرًا بكافـة أوجـه القـانون الـديني، وحكـيمًا مثـل "دانيـال Daniel" وفوق الشبهات في كافة الأمور.

وكان من المُحتم عليه أن يكـون مُتزوجًـا لـيس فقـط لكـي تَـأُم زوجتـه النساء في مجمـع الصلاة ولكن حتى يكون الرِّجال في جماعته على ثقة من أنه سـوف يـصون زوجـاتهم أثناء الطقوس الدينية. كان– الحاخام– يُباشر في المعبد اليهـودي كافـة الخـدمات، مـن حفـلات الزواج، مراسم الجنازات، وحفلات الختان وكان يلقي الدروس الدينية المتعلقة بالقـانون، ويشتق منها الدروس الأخلاقية بِغرض التعليم والتهذيب لحشود المصلين.

وكـان أيـضًا بمثابـة رئـيس المعلمـين لمـدارس الحـي وإضـافة وظيفـة (مراعـاة التـوراةMarbitz Torah) وبالتـالي يبـاشر إدارة المدرسـة الإبتدائيـة العامـة في الحـي والجامعـة (Yeshiva) حيـث يوجـد الطـلاب الأكـبر سـنًا والبـالغين الـذين يواصـلون دراسات عليا تلمودية (Talmudic) بجانـب دراسـة علـوم الحـساب والفلـك والعلـوم الطبيعية.

وكان الحاخام يرأس لـ(بيت دينBetdin) أو المحكمة الجنائية وبذلك أدى وظيفتين أساستين أولهما أنه كان الداعية الأساسي للقانون ليس فقط مفسرًا=(Responsa) لترسيخ مسائل قانونية ولكن أيضًا يُمارس سلطة تشريعية عند الحاجة وإطلاق المعدات الحربية (Takkanot) أحيانًا بنفسه وأحيانًا مشاركة مع أهل الثقة من الجالية، والعلماء القانونيين.

وبالإضافة إلى ذلك، كان يقوم بتسوية الخلافات مع القضاة Dayyanim) ، ويُقدم الجزاءات على الذين يُخالفون القانون أو الذين يفشلون في أداء الالتزامات أو دفع الضرائب.

وكان يُوَقِّع عقود الزواج وقسائم الطلاق، ويدير مواريث الأرامل والأيتام. ويمكنه إقامة مختلف درجات العقاب– عدا فيما يتعلق بمخالفة القوانين التجارية والصناعية– وتتضمن الغرامات والعقاب الجُسماني بالفلقة "Malkut" "Bastonnado"، والمحدد بالقانون اليهودي لا يزيد عن 39 ضربة والتي تتم عادة بواسطة الشماس Shamash أو في حالة غيابه بواسطة أحد مدرسي "تلمود التوراة" أو السَّجان في سجن الحي.

وبالنسبة للجرائم الخطرة التي تتطلب جزاءات شديدة، فإنه كان يتم حضور المسئولين المسلمين حتى لا يخالف اليهود قانونهم الخاص.

وبذلك كان ضابط النظام المسلم (الجاويشÇavuş) يرسل من قِبل القاضي المسلم بناءً على طلب الحاخام لإقامة قصاص يزيد عن 40 ضربة بالفلقة، والتي كانت تصل إلى 200 فلقة في أوقات معينة والتي تسبب ألمًا شديدًا ليس للمجرم فقط، ولكن أيضًا للأعضاء الآخرين من الحي الذين يكرهون رؤية الخارجين وتدخلهم في شئونهم التجارية حتى لو كان الأمر صادرًا من الحاخام.

وكان العقاب الأقصى الذي يُمكن للحاخام إقامته هو العزل Herem أي الحرمان من عُضوية الجالية، وسَحب ثقتهم منه، وهذا العقاب تم فرضه على أعضاء كان يدلون بشهادة زور في المحكمة، أويتجاوزون بشدة عن تطبيق واجباتهم الدينية أو الذين أغضبوا الحاخام بأي وسيلة.

وكان هذا العقاب أقْصَى أنواع العقاب، لذا نادرًا ما يجري تطبيقه. بتعبير أدق فإنه والعَزْل (Herem) كان يعني أن الشخص المعزول ممنوع من دخول المعبد، ومن اعتباره واحدًا من العشرة اليهود الذين لا غنى عنهم في النخبة (Minyan) المَطْلوبة لأداء الصلوات اليومية وخاصة في وقت تناول أي وجبة غذائية.

- ولا يمكن لاي يهودي أن يأكل معه فقد أصبح خبزه وخمره ملعونين.
- ولا يمكن لأي أحد استخدام تَميمته (Mezuza) ، حِجَابه، أو يتلقى صَداقات منه، أو حتى يقرأ كتابًا يخصه.
- وأطفاله لا يمكن خِتانهم أو يُقبلوا بمدارس الحي.
- ولا أحد من اليهود يمكنهم زيارته أو حتى تعزيته، عَدا أقاربه وخُدَّامه فيمكنهم الإتصال به.
- وكان يتحتم عليه أن يلبس كليًا ملابس سوداء ويعيش كراهب ولايُسمح له بقص شعره.
- وإذا تُوفى– أثناء فترة العزل هذه– فلا يُدفن بموجب مراسم الحاخامات، ويتم وضع حَجر لتعليم قبره بعلامة، ولا تُوضع سارية نقوشًا عليه، وجرى العرف في الجالية أن يتم رجم قبره.
- ولك أن تتصور مدى الرعب من هذا العقاب لو طبق بصرامة.
- وعادة لم تكن الأمور لتصل إلى هذا الحد.
- فقد كان إجراء التكفير من الخطايا بسيطًا جدًا. فبعد ثلاثين يومًا يمكن للشخص المعزول أن يأتي أمام الحاخام ويعترف بخطئه.
- وإذا ما أبدى الندم بدون تحفظ يُمكن للحاخام العفو عنه قائلًا: "إنني أعفو عنك وليسامحك الرب"، وبذلك يمكن السماح له بالعودة للعضوية الكاملة في الجالية.
- والحاخام "دافيد بن آربى زِمْرَه" David Ibn Abi Zimre يعطينا فكرة عن بعض الحقوق والالتزامات والآراء القانونية في القرن السادس عشر، وسلطات الحاخامات العثمانيين في المعابد اليهودية.

1 ـ مرافقة العريس، والأب الذي أنجب طفلًا وليدًا، وزيارة الأسرة التي تحدث فيها حدث سعيد أو بيت المتوفى للتَعْزية.

2 ـ أداء مراسم الزواج وتفويض حالات الطلاق.

3 ـ العمل كقاض بين أعضاء الجمع اليهودي.

4 ـ وعظ العامة في المعابد وعند الجنازات.

5 ـ يتم استدعاؤه في الحَرَم القدسي للقراءة على الجموع المحتشدة تراتيل النبي موسى (عليه السلام) Song of Moses ووصاياه العشر.

6 ـ عزل وإبعاد الأعضاء من الحي للمحافظة على هيبة مراسيم الحاخامات والمجتمع.

وأعضاء الجموع اليهودية في المقابل عليهم الوفاء بالالتزامات التالية تجاه الحاخام:

1 ـ إظهار الاحترام والتبجيل اللازم تجاه الحاخام في داخل وخارج المعبد.

2 ـ ومظهرًا لهذا الاحترام، بعد أداء الصلاة عليهم الانتظار، وأن يخرج الحاخام أولًا من المعبد.

3 ـ وتأييد قراراته أيًا كانت.

بعض الحاخامات كانوا يُعْرَفون بـ"حبرHaber" المدنية (friend of the city) وهذه الصفة تعطيهم السلطة على الأموال الخيرية المخصصة لجموع الصلاة، وإدارتها، وبالتالي التصرف في كل شيء يتم التبرع به للمعبد في إطار الحدود المكررة.

ولكن الحاخام يُعطي فقط هذه السلطات إذا ما أوفى بالشروط التالية، وطبقًا لما ذكره الحاخام "دافيد آبي زمرهDavid Abi Zimre":

1 ـ أن كافة الملكيات والإيراد الخيري التي تم جمعها وتوزيعها قد منحت له قيادته وحكمته.

2 ـ إذا ما تم الاعتراف به كقائد للجيل.

3 ـ إذا ما كان مقيمًا بصفة أكيدة في المدينة أو الحي.

4 ـ أن يَحْظى باحترام المانحين ويتمتع بثقتهم في حسن التصرف في تبرعاتهم.

5 ـ أن يعتمد عليه دائمًا الفقراء في المدينة أو (القاحالاتKahals).

6 ـ أن لا يتسلم الصدقات بنفسه لكي لا يتشكك فيه أحد بأنه قد أخذ شئ لنفسه.

والحاخام الذي اعتبر "حَبْرًا Ir" أيضاً له السلطة أن يقول رأيه في حالة نشوب أي نزاع طائفي، وأن يستخدم المال الخيري لأغراض عامة أخرى بعد أن يتم إجابة متطلبات الفقراء، ويترك بقية الإيراد الخيري لأغراض خيرية أخرى.

ولكن إذا كان الحَبْر بَخِيلًا على الفقراء وفَشل في تلبية رغباتهم، واستخدام أموال الصدقات لشراء أشياء ديكورية للمعبد لكي ينال استحسان الجالية، فإن هذا الرجل لا يمكن أن يطلق عليه حبرًا "Ir" ولكن Gozelir (حرامي المدينة) Robber of the city لأنه لم يسرق الفقير فقط، بل سرق الغني الذي قصد بمساهمته الخيرية الفقراء فقط.

وكما رأينا فإن الحاخام بمثابة رئيس الكَهنة المسئول داخل منطقته، ومَسْئول عن الحكومة المركزية، أو على الأقل وكيلًا عنها في موقعه.

وفي هذا الأمر كان لا بد له من مُعِين. فكان (الكاهن Secular) في كل (القاحالات Kahals) بمثابة قائد يعمل تحت إشراف الحاخام، يتم اختياره بواسطة مجموعة "Barnassim"– مجموعة مختارة من الذين تم ترشيحهم للمجلس الحكومي المَعْمَد Ma'mad بواسطة أعضاء الحشود المُجْتمعة في لقاء عام– وممثلين من كافة الطبقات والطوائف للتأكيد على نظام الديمقراطية الذي يسعى إلى مساواة بين الجميع، وتتحقق فيه جميع المصالح.

في الأيام الأولى، عندما كان لا أحد يملك مالًا كثيرًا، وأخيرًا أثناء فترات الغنى والازدهار تم الاحتفاظ بمشاركة المجتمع كله في الحكم على الأقل بصورة جيدة خلال القرن السابع عشر.

واستمرت قيادة المجتمع اليهودي لكي تحيا بأفكار المساواة والعدل والسلام و بذلت كل الجهود لإقامة سيطرة بمجموعة واحدة والمقاومة بضراوة. (لتحقيق هذا الهدف).

ولكن عندما حل البؤس أثناء انهيار الدولة العثمانية، وقع عبأ الضرائب على الأقلية من الأغنياء، وفي أوقات كانت فيها الجالية تحت نير الهجوم، وشدة الإحساس بالحاجة

إلى سلطة قوية كانت الحكومة الشعبية تعمل فقط نظريًا في أغلب الجاليات.

كان الأغنياء القليلون قادرين على الحكم دون الاستشارة أو حتى ذكر الخلفاء لهم كما يتطلب الأمر. وكنتيجة لذلك، فبحلول القرن الثامن عشر، اكتسبت الحكومة الكميبونية (الاشتراكية) صبغة حكم القلة الأرستقراطية، مع سيطرة حاخام- يشاركه قادة مؤلفون من جماعة صغيرة من الأسر الغنية- وجماعة المؤمنين الذين يقبلون الموقف باحتجاج بسيط حيث لم يكن أمامهم أي بديل.

وعلى الرغم من كل القوانين واللوائح بالإضافة إلى طبيعة منظمة الجالية، فإن الحاخام كان بلا منازع له مطلق الصلاحية، أولها أنه لم يكن يُوجد أي تمييز بين الحاخامات. فكان لكل منهم سلطة فقط في نطاق حشوده للصلاة وليس في نطاق صلاحيات الحاخامات الآخرين، إلاَّ إذا أقنعتهم مكانته الاجتماعية بقبول حكمه.

وعلى الرغم من أن جميع الأعضاء يكنون له الاحترام والطاعة، إلاَّ أنهم عادة ما يكون لديهم روح مستقلة وناقدة في أن يتركونه يعمل دون رقابة أو اعتراض.

فعباءة التدين التي تُغَطِيه لم تكن- في نظرهم- تُغْطِيه أي نوع من الحصانة أو العِصْمة.

وكانت غالبية الجموع- وخاصة الـ(مارسكيين Marrons)- السابقة لديهم نفس الروح القوية للتشكك والاستخفاف بشأن حاخاماتهم، نفس الروح التي تعاملوا بها سابقًا مع الكهنة والرهبان الذين تم التعامل معهم في أسبانيا.

وهناك دائمًا أفرادًا يعترضون على قرار الحاخام، بغض النظر عن هذا القرار أيًا كان أو أيًا كان مضمونه.

وكان المَيْل للجدل والمُعارضة وحتى التَّعْوِيق قويًا جدًا بين اليهود العثمانيين- كما سبق أن رأينا في مناقشة الأقسام بين الحشود- وكَان هناك القليل من السلام لأغلب الحاخامات في أغلب الأوقات. {نادرًا ما كان ينعم الحاخامات بالراحة} حيث أن بعض الأعضاء- بالاشتراك مع الخارجين أحيانًا الذين يحضرون لحسم المنازعات- قد حاولوا منع الحاخامات من مواصلة خطبة الوعظ وتأدية واجباتهم.

وقـد سـاهمت سـلطة العثمانيـين بالفعـل إلى حـد مـا في زيـادة المكانـة الاجتماعيـة للحاخامات بإعطـائهم الاحـترام الرسـمي والـسلطة، وخاصـة سـلطة منح التـصاريح الخاصـة للتجمعـات اليهوديـة الـذين يريـدون الـسفر أو مخالفـة الموانـع الإسـلامية مثـل الركوب على ظهر الحصان، واللبس مثل أي مـسلم، أو الحـث عـلى الجهـاد ولكـن كـان ذلك فقط مجرد شيء من قبيل المساعدة، ولكن هذا كان فقط خـلال أوقـات محـددة كـان فيها الأشـخاص المعينين في حاجـة إلى مـساعدة الحاخـام. لكـن بقيـة الوقـت كـان يحيـا (الحاخام) حياته لنفسه.

والحاخامات الذين كانوا أكثر نجاحًا كـانوا أولئـك الـذين أدركـوا أنهـم بكـل بساطة لا يمكنهم فرض إرادتهم، والذين عرفوا كيفية الاحتفاظ بـاحترام التـابعين لهم عن طريق القدرة، اللباقة، والنشاط، وأحيانًا عن طريق الإنفاق الحر من مالهم الخاص، مما أتاح لهم إقامة شيء من النظام والانضباط حولهم على الأقـل لفـترة مـن الوقت.

5- مُديرو الجالية والقانون Community Administrators and The Law:

الطبقة المنتخبة التي تُدعى "الـپارناسيمParnassim "- والتي تُساعد الحاخامـات في تنفيـذ شـئون الـKahals الإداريـة والماليـة- تُشير أحيانًـا إلى تواضـع مـا يُطلـق علـيهم "عظـماء القاحـالاتKahals أوGreat men of kahals " والـذي جـرى العـرف عـلى تحديدهم بسبعة أشخاص على الرغم مـن قلـة الـذين يخـدمون مجلـس الجاليـة (المَعْمَويـة ma'mad).

وبينما يسمح للجالية أحيانًا بترشيح خلفائهم، فإن هؤلاء الخلفاء يجب اعتمادهم من قِبل الأغلبية في اجتماع عام، حيث أن الشخص غـير المقبـول بالنـسبة للجاليـة لا يمكـن تسميته (Parnas).

وعلى الرغم من أن لهم الحـق في إدارة (القاحـالات kahals) فـإن علـيهم الاسـتماع إلى نَصيحة الأفراد المشهود لهم برجاحـة العقـل في الجاليـة قبـل تنفيـذ القـرارات، وعـلى الرغم من ذلك فبمجرد عقد العزم على تنفيذ هذه القرارات بواسطة غالبيـة الأصـوات فإن المنشقين كان عليهـم الابتعاد أو المعاناة من عقوبات شديدة.

(الپرناسيم Parnassim) يُدير شئون الـ(قاحالات kahals) طبقًا للقانون اليهودي (halakhah) والعرف (haggadah) بالإضافة إلى لوائِح أو أوامر الجَالِية (Takkana,p1 takkanot) والاتفاقـــات (haskama أو askama والجمـــع hashamot أو askamot) ويعتمد الأخير علىTakkanot التلمود 1305،1335 Aragon، 1432 Castile .

وبالنسبة للمشاكل التي لا يتضمنها القانون أو الاتفاقات المَوْجودة أو المُبْتَدِعة نتيجة ظروف جديدة، فإن (الپارناسيمParnassim) قد سن لوائح جديدة اكتسبت قوة للقانون يعادل أوامر الـhalakhah طالما تم قبولها بواسطة الجالية والحاخامات واعتمدها علماء (halakhic) الذين عليهم التأكيد أنهم لم يبتعدوا عن المبادئ العامة للعدالة التي أقرها النظام اليهودي القانوني.

وقد تم تفسير التلمود وقوانين الـ(الحالاقاه halakhah)،(التَّاقّنَاوتTakkanot) ولوائحه بواسطة علماء قانونيين مشهورين في وقت المسئولية"Responsa" أو الإجابات على الأسئلة القانونية والتي يعتمد تأثيرها على سمعة وهيبة الذين أصدروها مع آراء وقرارت أغلب الحاخامات ذوي التأثير والتي تُنشر وتُتبع أكثرها كقواعد للقانون.

وهذه الـ Responsa تمدنا بمعلومات فعلية ملموسة عن كيفية حياة اليهود العثمانيين، ومشاحناتهم بشأن الملكية والعلاقات الشخصية، والاحتكارات، وعدم الأمان على الطرق وقيمة العملة، ومشاكل الضريبة، وما شابه ذلك.

وقد اهتمت القوانين واللوائح، Responsa بالعديد من الأمور، مثلًا منع مغادرة أحد للـ(قاحال kahal) والانتقال إلى (قاحال kahal) آخر في نِطاق الحدود المقررة لعقود العضوية الأصلية، وتعيينات الحاخامات ومدرسي التلمود والتوراة وشروط تعييناتهم وأنشطتهم، وحدود المنافسة في السعر والنوعية بين الحرفيين اليهود أو ضَرِيبة الفلاحين، واتباع الحقوق الدائمة لـ(الحازاقاه hazaka) لأعضاء الجالية لاستئجار الممتلكات المملوكة لغير اليهود من منازل ومحلات، ومنع إقامة اليهود للدعاوى القانونية في محاكم المسلمين والمسيحيين، وتنفيذ قوانين الجِزارة ومراسيمها الخاصة بها واتخاذ اللازم ضد المجازر غير المرخصة والجزارين، ومنع لبس الملابس الغالية والحلي الذهبية للنساء.

وقـد أقـاموا معـايير تُجاريـة للأسـعار والجَـوْدة بالإضـافة إلى شروط العَقْـد المتعلقـة بالتجارة وخاصة لأعضاء المجمع الـذين لم يكـن لـديهم أي نقابـات خاصـة بهـم لإدارة مثل هذه الشئون.

وقد نظموا معايير الضريبة الخاصة بالجالية وخاصة تقـديرات الـضريبة لرسـم رأس المال الذي كان المصدر الرئيس لدخل الجالية وأقاموا الالتزامات الـصارمة لكـل عـضو للمساهمة في مساعدة الجالية للفقير.

ونظموا الألعاب وأنواع التسلية والاحتفالات. وحدَّدوا الـشكل المطلـوب واللـون الخـاص بـالملابس التـي كـان النـاس يرتـدونها، وطـول وشـكل لحـاهم وشـواربهم وتسريحات شعورهم، وكميـة وقيمـة الحُلِي والملابـس التـي يمكـن للنساء ارتـداؤها في الأمـاكن العامـة أو الخاصـة وعـدد الأفـراد المطلـوب اسـتدعائهم للمأدبـات وأنـواع التـسلية، وعـدد الـشهود المطلـوب تواجـدهم في حفـلات الـزواج والطهـارة والمراسـم الأخـرى، وحجـم المقـابر والأضرحـة وشـكلها والكتابـة عليهـا، وعـدد الـساعات المخصصة لـ "يوم السبت Sabbath"، وكذا نِظام ووضع المراسم التي تتخذ أثناء المأدبة والإتيكيت الخاص بذلك لكل عضو في الاحتفـالات العامـة والـشعائر، وكـذا الـشكل الـدقيق للحـوار والـسُّلوك في المعـاملات مـع بعـضهم الـبعض ومـع (المِلـل millets) الأخرى.

وحـدَّدوا نـصيب الأرملـة مـن الإرث للـزوج المتـوفي، وحـدَّدوا اسـتيراد الخمـور والمشروبات الكحولية الأخـرى لـيس فقـط لتـأمين الـسوق للمنتجـين المحليين ولكـن أيضًا لمنع اليهود من إغضاب المسئولين المسلمين عن بيع هذا المنتج للمـسلمين والـذي يُعتبر ذلك محرمًا تمامًا بالنسبة لهم.

وأيضًا فرضوا على الحاخامات– باعتبارهم ضيوف إلزاميون في كافة الاحـتفالات– لكـي يحـذوا مـن أيـة تجـاوزات أثنـاء تواجـدهم فى التقَّانـه أو الخاصـقامه (takkana) أو (haskama)ووصـف المشكلة، مع النظام المتبع في حلها ويُقدم تهديدًا بالعزل أو العقاب السماوي في الآخرة لأي شخص يخالف ذلك.

ويـذلك فـإن الأعـضاء كـانوا تحـت رقابـة دقيقـة للمجتمـع في أغلـب الأنـشطة والإجراءات في حيـاتهم اليوميـة، أكثـر تمامًـا ممـا كـانوا تحـت حكـم الـسلطان وطبقتـه الحاكمة والذين كانوا بشكل عام لا يتدخلون في شئونهم طالما أن النظام يسير في مساره الطبيعي.

بالإضافة إلى أن القانون اليهودي ونظم المجتمع وعاداته، وكـذا القـرارات القانونيـة والتشريعية فقد أسسوا ما يَرْقى إلى دستور قانون وتشريع. والتي نظمت بتفـصيل كبـير كافة المجالات الدينية، الاجتماعية والاقتصادية للحياة في كـل مجتمـع يهـودي بالإضـافة إلى (الـمِلَّة millet) ككل.

وقد حاول (قاحال kahal) سريان مفعـول هـذه القـوانين التـشريعية بطريقـة مراقبـة الشرطة للتأكد من صحة تطبيق هذه الإجراءات سـواء في المعبـد أو المدرسـة أو الـسوق أو المنزل.

وتم فرض جزاءات مختلفة مثـل الــ herem "العَـزْل"، niddui و"المَوانـع" بواسـطة محاكم (بيت دين bet din) وبواسطة الحاخامـات ضـد هـؤلاء الـذين تجـاوزوا القـوانين واللوائح أو تجاوزوا قراراتهم وتعليماتهم.

وتم إعداد السجون في مباني المَعْبد اليهودي وعادة في الأدوار الأرضية مباشرة تحت الملاجئ (الحرم المقدس)؛ وذلك لمعاقبة الأعضاء الذين خالفوا اللوائح والقوانين، بينما المخالفون لقوانين السلطان، وهـؤلاء الـذين يتطلـب تنفيـذ الأحكـام علـيهم بعقوبـات أشد أو طويلة يتم تحويلهم إلى البوليس العثماني والسجون.

6 – تجميع المعابد، والمباني، والتنظيم والإدارة:

Synagogue Congregations، Buildings، Organization، and Administration.

حملت مجتمعات المعبد– التي أسست خلال الدولة العثمانيـة– بـصفة عامـة أسـماءها بواحدة من الخصائص التالية:

1 ـ مكان المنشأ palace of origin :

لقد سُمي الكثير من المعابد على اسم المكـان الـذي وفـد منـه المؤسـسون، وخاصـة

خلال الحكم البيزنطي، وبداية العصور العثمانية مثل معابد المهاجرين المكيدنيين في مدينة بابل (Balat) :

معبد (Ahrida أهريدا) نسبة للمهاجرين من (اوهاريدOhrid).

معبد(Siroz سيروز) نسبة للمهاجرين من (سازر Serez).

معبد Verya)وريا) نسبة للمهاجرين من (ورياVerya).

معبد(Inoz اينوز) نسبة للمهاجرين من (أنزEnez).

معبـــدDemotika، Üsküb)أُســكوب، داموتيــف) نــسبة للمهــاجرين مــن (اسكوبزSkopje).

معبد (Selaniko سلانيكو) نسبة للمهاجرين.من (سلانيكSalonica) .

معبد (Kasturiye كاستوريا) نسبة للمهاجرين من (كاستورياCastoria).

معبـد (İştipol اشـتيبول) نـسبة للمهـاجرين مـن(اشـتيب أو اشـتيبول İştıpol or İştıb).

مَعْبـد (جهـان(Chan نـسبة إلى (جيانـا مـن تزيانـا Ciana From Tezyana) تـم استخدامه من قِبل الرومانيين في عهد الإمبراطورية البيزنطية، وتـم الاستيلاء عليـه في القـرن الـسابع عـشر بواسـطة الـ"سـفرديم Sephardim" وأصـبح في عـام (1908م= 1326هـ) مقرًا لـ المحكمة الدينية الرئيسة "بيت دين – Bet Din".

ولقد أُسست المَعابد في بابل بواسطة المهـاجرين مـن "بلغاريـا Bulgaria " وشـملت معابـد "يـانبول Yanpol" المهـاجرين مـن "Yanpolu" و "نيكـوپولـيس Nikopoli" المهـاجرين مـن "نيكـوپولـيس Nicopolis" عـلى حـين أسـس القـادمون مـن "صربيـا Serbia" معبد "بلغراد Belgrad".

أسـس المهـاجرون الأسـبان معابـد (آرجـون Argon) و (قاتـالا Katala) في كـل مـن (خاصكوى (Has Köy) و(أدرنة Edirne)، معبد (قارودف Kardova) خاص بـ (خاصكوى Has Köy)، ومعبد (توليدو Toledo)خاص بـ(أدرنة (Edirne، "ومنيسا Manisa).

خـلال الفـترة (1520م=927هـ) فـإن المهـاجرين مـن "البرتغـال" شـكلوا جاليـات

منفصلة من (لشبون، و اڤورا و البرتغال"Lisbon، Evora and Portgal"، في استانبول، ومَعْبد "البرتغال " الخاص بمدينة "أدرنه Edirne".

والمهاجرون من "إيطاليا" أسسوا في "بابل" معابد (إيطاليا) (ItalyItalia) و(قالاروس Calabria) (Calavers) و(صقلية Sicilia)(Sicily)و مسّينة (Messina) (پولهPulia Pouille) أما أولئك القادمين من (ماجوركاMajorca) فقد أسسوا معابد في (مايورMayor) الخاصة بـ"خاصكوى Has Köy" و "بورصه Bursa" و "إزمير Izmir".

2ـ وسيلة الوصول إلى الدولة العثمانية Method of arrival in Ottoman Empir :

بَعْض المَعابد أُشْتُق اسمها من الوَسيلة التي جاء بها المؤسسون إلى الدولة العثمانية، فمثلًا في استانبول كان في معبد (كندى گلينKendi Gelen)، والمؤسس بواسطة هؤلاء الذين جاءوا من أوروبا الوسطى بمحض إرادتهم، على عكس المنفيين إجباريًا من أسبانيا، وكُوِّن المنفيون(Sürgünlü" (deported" بواسطة الذين أجبروا على إعادة الاستقرار في استانبول عقب فتحها بواسطة السلطان "محمد الثاني"، ومعابد (غروش سفرادGerush Sefarad) لبابل و أدرنه وبورصة، والمؤسسة بواسطة الذين أُجْبِروا على مغادرة شبه جزيرة (ايبرياIberian).

3ـ اسم الموقع العثماني Name of Ottoman Locale :

سَمَّى البعض معابدهم باسم المكان الذين استقروا فيه أو المبنى الذين عاشوا فيه مثلًا في استانبول (قالايجى باغچه Kalaycı Bahçe) (خاصكوى Hasköy) (الحى الجديد Yeni Mahll) (زيرَك Zeyrek) و (جبالى Cibali) و (چورابچى خان Corapcihan) و(سيركه جى Sirkeci) و(اونقاپانى Unkapani) و (باليق پازارى Balik Pazari) و (باقير خوى Bakir Köy).

4ـ مِهْنَة المؤسسون Profession of founders :

البعض استخدم مهنة المؤسس الأساسي أو المؤسسون مثلًا (Tofre Begadim)، أو معبد "التَّرْزِية"، والمؤسس في "جالاتا" بواسطة يهود Ashkenazi من ألمانيا.

والـ(Cuhaci Cakaci التركـي) أو مَعابـد القماشـين في (طاطا مينارهTata Minare) وقسم (ڤودينا Vodina) لبابل.Kal de Los Kasapesو معبـد الجَزَّارين، ومعبـد صُنَّاع السلات Kal de Los Kufeci، ومعبد الحَمَّالين (Kal de Los Hammales) وهـو معبـد البوابين ومعابد في (أدرنةEdirne).

5 ـ أسماء المؤسسين أو المانحين Name of founders or donors :

هناك عدد قليل من المعابد التي أسسها الأثرياء أو الأسر وكانـت عـادة تحمـل أسـماء المانحين (المتبرعين) بها مثل معبد الـ(هامونHamon)في (خاص كوى Has Köy) والـذي كـان يحمـل اسـم أشـهر الأطبـاء الـذين خـدموا في محـاكم "سـليمان القـانوني Kanuni Süleyman " وسـليم الثـاني بعـد الهجـرة مـن غرناطـة، وفي (قوزغونجوقKuzguncuk) في "أنطاليا" وعلى جانب بحر البسفور (مِدراش آزاريا Midrash Azraya).

في إزمـير.. معبـد (صونـسينو(Sonsino (الغـازى Algazi)– (واللـذان سُميا باسـم الحاخـام سـلمون الغـازي بعـد القـرن الـسابع عـشر Beth Hillel)– و Beth Hillel Palacci (والذي سُمي في القرن التاسع عشر على اسـم أشـهرحاخام فى إزمـير(Izmir Hayim Palacci)، و "بثاها ليـڤـيBath ha – levi" والـذي سـمي باسـم (Nesim Halevi Baryakelli)، و "بث إستيرBeth Esthaer" (الذي سمي باسم زوجة المذكور آنفًا، والتي توفيت صغيرة).

· ومعابد في (مدراش دونيوسMidrash Dunyos) (والذي سمي فيما بعد باسم مختار جلابون بالاسجىMukhtar Celebon Dunyos) الذي تبرع ببيتـه ليكـون معبدًا)، وفي (جناق قلعةÇanakkale) معبد (هاليوHalio) (والذي سمي فيما بعد باسم (مركادو ألى هوليوMerkado Elie Holio) الذي تبرع ببيته بدلًا من معبد محروق).

وأيـضًا معابـد (جيواريـتCiveret) أو (سـنيورالSenioral) والـذي أُسـس خصيـصًا للنساء في استانبول وإزمير بواسطة "دونا غرجيدDona Gracid).

وعـلى جزيـرة (رودسRhodes) معبـد (قاحـال تيقُّـوم هـازُّوت Kahal Tikkum

Hazzot) وسميت أيضًا (كليو دى لوس ڤيكوسKeilo de Los Vicos) (معبد الأغنياء). و (قاحال قاموندوKahal Kamondo) والذي أسس في (1865م = 1282هـ) بواسطة أسرة الكومندو المَصْرَفية في استانبول.

6 ـ الخَصائص المُمَيِّزة Distingushing characteristics :

بعض أسماء المعابد أكد خاصِّية معينة والتي اختلفت عن بعضها البعض مثلًا (قال ياخانKal Yashan)(معبد قديم) (قال حداش Kal Hadash (معبد جديد) في (چانوق قلعةCanokkale) و (بولى حداشPoli Hadash) (معبد المدينة الجديدة (في استانبول، Kal Yashen-Kal (معبد قديم أو أقل مستوى)(Kal Hadash Kal de ariva) (معبد جديد أو معبد عالي) في (تيرهTire) (Kal de Abasho) (معبد متوسط) في (آيدينAydin)، Kal de Abasha (معبد أدنى سمي ((Beth Yu'akov)، Kal de Ariva) معبد عالي سمي (ويراىVirane) في (قوزجونجوق Kuzguncuk).

7 ـ هدف وغرض التأسيس Aim or purpose of foundation:

بعض المعابد سُميت باسم الهدف الخاص أو الغَرض الذي أسست من أجله، مثلًا Etz Ha Haim (شجرة الحياة)، وهو الاسم الذي أُعطي للعديد من المعابد العثمانية، متضمنًا تلك المعابد التي أسست بواسطة اليهود الذين ساعدوا الغازي "أورخانOrhan" في (1324م=725هـ)، والتي مُنحت لهم كمكافئة، وتلك المعابد في إزمير و(مانيساManisa) بقيتا (من عصور البيزنطيين، فى (قصبانTurgutlu) (طورغوتلى Kasaba) و(أورطه كوىOrtaköy) و(قوزغونجوق (Kuzguncukو(قال دى آباشو (Kal de Abasho.

ومعابد أخرى من هذا النوع شملت:

مَعْبد (سبات ليڤSibbat Lev) (فرحة في قلبي) في (مانيساManisa).

مَعْبد (مكوت حاييم Mekot Haim) (مصدر الحياة) في (چناق قلعهÇanakkale).

مَعْبد (خاصت لى اوراهامHaset Leavra'am) (طيبة إبراهيم) في (بيوك آضهBüyükada).

مَعْبد (جنت ورادبمGinat Veradim) (زهرة الحديقة) بـ(إزميرEzmir).

مَعْبد (هداشHadash) (الضوء الجديد).

مَعْبد (اسكى نازىAshkenazi) قرب (يوكسك قالديريمYüksek Haldirim) في استانبول.

مَعْبــد (همــدات اسرائيــل Hamdat Israel) (عاطفــة إسرائيــل) في (حيــدر پاشاHaydarpaşa) ، (بيكورهوليمBikur Holim) في إزمير.

معابـد (شــالوم Shalom)((الـسلام) لمـدن (ايجـهAegean) في بورصــة و(مانيـسا Manisa) و(تورغوتليTurgutlu) و(ميلاسMi Las) و(رودوس1593) (Rhodesم = 1002هـ) في إزمير.

مَعْبد (نيـڤاسالومNeva Salom) (بيت السلام) في (غالاطهGalata).

مَعْبــد (شــعار شــايمAshamayim Sha'ar) (بوابــة الــسموات)، في صــنجق (الصانجوقAlsancok) في إزمير.

مَعْبـد (قابـل رنـاط هامهـاKabel Rinat Hameha) (إلاهـي أقبـل عبـادة النـاس) والمؤسس في(فاكوFaco) في عام (1985م = 1406هـ).

8ـ أغراض أُخرى:

كما كان يوجد أيضًا معابد في المحليات المحيطة والتي كانـت تهـدف لتجميـع اليهـود معًا، والذين يمثلون أسس عِرقية مختلفة مثلًا هؤلاء الذين يعيشون على طـول البـسفور عـلى الجانـب الأوروبي في (بـشكيتاش Beşiktaş) و (قـورى چشـمه Kuru Çeşme) و (بيورك دَرّه Büyükedere) و (ببك Bebek) و (بيكوز Beyköz).

وكانت ملامح المجتمع اليهودي وحياة الأفراد في كل حي يعكسها معابـدها الحـورا (Havra)، والتي كانـت مركـزًا لنـشاطات (القاحـالKahal) لتخـدم لـيس فقـط لمكـان عبادة ولكن أيضًا للتعليم والاجتماعات العامة والمجموعات، وأنشطة أخرى.

وبالتالي كان المعبد هو المكان الذي كان فيه مَعْمَد(ma'mad) يُقابل، ويُشرع ويعلـن لوائحه الخاصة به، وكانت المعابد أيضًا يتم فيها انتخاب (الپارناسيمParnassim)، كـما

كان المعبد مكانًا تعقد فيه محكمة "بيت الدين" جلساتها، وتُعلن فيه أحكامها، ومحرماتها، وتُمنح الهدايا للمتبرعين، وتقام حفلات الزواج والخِتان للأطفال، ويتم فيها أيضًا الإعلان عن حالات الطرد أو الرفض.

وكانت مَدارس الحي موجودة في مبنى المعبد أو ملحقة وكان البدروم للمعبد عادة هو موقع سجن الحي.

وحيث كان يوجد كثير من الجاليات في المدن العثمانية الرئيسة، فكان معظمها به حالات عضوية صغيرة، في استانبول لا يوجد أكثر من 125 رئيس أسرة في (غروش سفارادGerush Se Farad) وكان في سالونيكا أكبر تجمع 315. وكانت منشآتهم غالباً صغيرة جدًا ومتواضعة.

وفي حالات كثيرة، أَجَّرت التجمعات الأصغر حُجْرات لإجراء أنشطتهم الدينية والدنيوية، ومع ذلك فالأغلب نجحوا في بناء أحيائهم الخاصة بهم، بعضها بسيط والبعض كبير وضخم.

وكانت المعابد العثمانية عادة عبارة عن مبانٍ مستطيلة، مبنية من الحجر، مجصص بالضغط أو بالخشب، ذات أسقف خشبية واقعة في قلب أحياء اليهود، ومحاطة بواسطة منازل متصلة بشوارع ملتوية أو ملفوفة {حواري}، بعيدًا عن الشرايين الكبرى للبلاد، ومدفونة {منعزلة} بعيدًا عن العالم.

وكانت تخدم كأماكن للصلاة (Beth Knesseth)، والدراسة (Beth Midrash) والاجتماعات (Beth Knesseth).

وكان أغلبها محجوبًا عن الشوارع بحوائط عالية ومحلات وغير ذلك، ولكن كان جميعها به أفنية داخلية، بنافورة وحمامات للغسل الشعائِري لليد قبل أداء الصلوات تشبه كثيرًا مساجد المسلمين، وذات شبابيك مفتوحة من الحرم إلى السموات، لذا كانت تُضاء طبيعيًا، والعابد يمكنه رؤية السموات، والتي تعتبر ضرورة لاستلهام التقوى والورع خلال الصلاة.

وكانت الحرم نفسه بسيط نسبيًا على الرغم من طلاء وتزيين بعضها برسومات

ونقوش، وكانت الأرضية الحجرية مزينة بالسجاد التركي السميك.

وعامة تجنب اليهود العثمانيون الديكور الخارجي للمعابد لتجنب لفت الانتباه. وكان التقشف قد منع الإفراط في هذه الزينة سواء للحوائط الخارجية أو حتى الداخلية للمعابد وخاصة مباني (الإشكينازىAshkenazi).

ومع ذلك فمنذ العصور الأولى، فإن تجمعات الـ (الغروش وقاتالان Gerush، Catalan) ولشبونة أنشأت نماذج معمارية فخمة، وتذكارات فاخرة والتي عرفت بـ"بيوت الرب" في Cardova ،Toledo ، لشبونة.

وكانت المَعابد البرتغالية في لشبونة، والبرتغال (ايـڤورا Evoral ، ليـڤـاثLiviath) يوجد بها أيضًا زينة داخلية مع أنواع من السجاد الفاخر، وتطريزات على الكنفا لتذكر بكنائس الكاثوليك التي كان يتعبد فيها (المارونيين=المورسكيينMarranos).

وكان "قوس السماء المقدس" (Sephardic Hekhal) والذي شمل كتب التوراة، وكان بالتالي يعتبر أقدس مكان في المعبد، أقدس من (Scrolls)، وكان هذا القوس يوضع باستخفاف على الجانب المواجه لمدينة "القدس– Jerusalem"، ذو أبواب للمدخل موضوعة على الجانب المقابل.

وبالتالي لم يكن مفروشًا بزينته بأشكال حيوانات لأسباب متعلقة بـ "الوصايا العشر". فقط الـ"قاتالاينون Catalans" الذين لم يكونوا راشدين بما يكفي، ومتجاهلين التحريم، فقد حفروا على حوائط معابدهم السحالي/ الشديات والتي مقتها بشدة اليهود المتعصبون دينيًا.

وكان منبر الوعظ The pulpit والذي يقرأ التوراة، The Teva (Ashkenazi berma) هو المكان المزين بصورة مجسمة من المعبد، وكان أحيانًا محاطًا بأعمدة تدعم السقف القبي، ويقع في المركز حتى يتمكن كل العابدين من الرؤية والسماع، ولكن في بعض المعابد كان المنبر قريبًا من الحائط الخلفي لـ(آهريدا بلاط وياقوڤا قوزجونجوقYa'akova of Kuzguncuk ،Ahrida of Balta).

وكان أغلب المعابد بها صَومْعَة أصغر للعبادة قريبة عادة في داخل الفناء (The mid

rash) والتي كانت تُستخدم للدراسة اليومية للتوراة بالإضافة إلى الأغراض الدنيوية والغير المناسبة في المعبد نفسه.

ولم يسمح للنساء بالصلاة مع الرجال، ولكن عوضًا عن ذلك كان يمكنهن الاتصال عن طريق مكان مستقل ملاصق، أما في الغرفة الخلفية التي لها صلة بالمعبد من خلال شبابيك صغيرة أو من خلال فتحات في حائطها.

وكانت الأرضيات عادة مصنوعة من الحجر أو الخشب، مع بسط المصلين بالخارج سجاجيد أو حصير قش أثناء أداء صلاتهم والتي تشبه سجاجيد المسلمين في مساجدهم.

وكان يُوجد شبابيك بسيطة عديدة من كل الجوانب ولا يُوجد بها ديكورات عدا اللمبات المعلقة. وفي أغلب الأيام كانت احتفالات عديدة تُعقد في نفس الأوقات في أركان مختلفة من المعبد والفناء. وكانت تُوجد ضوضاء وصخب بسبب قيام المتعبدين بأداء أعمال مختلفة.

وقد اشتكى الحاخام "داڤيد ابن زمرا David Ibn Zimral " من أن العديد من المتعبدين قد اتبعوا الأسلوب السيء بالحديث أثناء قراءة التوراة وبالتالي يعيدون الكلمات من القلب بعد القراءة، وهو ما يُحدث نوعًا من الفوضى في السماع حيث لا يستمع أحد للصلاة أو لقراءة التوراة.

ولقد اعتبر من قبيل الشرف الجلوس قرب الـ(قاحال Kahal) حيث يحجز هذا المكان عادة للرجال المؤهلين للتعليم، أو أصحاب الثروة والمساهمات، أو كبار السن.

وكانت أماكن القاعات تقسم إلى مَقْصورات يتم بيعها للأسر التي تتحمل تكاليفها وبذلك أصبحت ملكية دائمة تحتفظ بها (الحازاقات hazakas) ويمكن توريثها للأبناء الأكبر، ومع ذلك انتقد "الراهب داڤيد زمبر Rabbi David Zimber " هذا الإجراء معلنًا أن هذه التوريث للمواقع المفضلة يجب أن يُسمح بها فقط إذا كان الأبناء أكفاء للجلوس أمام الأكبر سنًا، وأن يكون الرجل أكثر الرجال علمًا، وإذا لم يكن الأمر كذلك، فإن الجالية يجب عليها إجباره على بيع المقصورة والتصرف فيها بنفسه إذا لم يُوجد المشتري المؤهل لذلك.

وضمنت الجالية الكثير من دخلها من بيع هـذا الحق لأداء وظائف معينة مفيدة خلال دورة (كورس) الخدمات مثل حَمل القوائم المقدسة وإضاءة شمعات الـSabbath في المعبـد وغـير ذلـك، وكـل هـذه اعتُبرت مـن الأمـور والأعـمال المبجلّـة والكريمـة (Mitzvash) والتي تُوفر رصيدًا دائمًا في عيون الجالية.

وكـان المُـدراء والقـائمون عـلى خدمـة المعبـد (جِـسْبرgisbar) وجمعهـا (جـسباريمgisbarim) مـسئولين عـن صيانة ونظافـة المبنـى. فهـم الـذين يُـصرحون ويُشرفون أو ينفذون خدمات المعابد كلها وتتضمن عمليات الختـان وحـالات الـزواج وحالات الدفن.

وكانـت القـرارات تُؤخـذ بالأغلبيـة، والأقليـة تُـسلم برغبـة الأغلبيـة دون مناقـشة. gisbarim = الجسباريم يمثل قائد الترتيـل (Contor ،hazzam) "hazzanim " والـذي قام بالترتيل للصلاة، والقراءة من التوراة، مع إعلانـه الـزواج وصـلوات العـزاء، بينما الحاخام– الذي يقوم أيضًا بالخطابة ويُقدم الوعظ كل صباح (Sabbeth)– يقوم بقـراءة خدمة إضافية على تفسيرات التوراة بالإضافة إلى الوصايا العشر وتراتيـل النبي موسـى "عليه السلام".

وحِفْـظ (الـصوفرSofer) أو المُخَطـط لكتـب التـسجيل للحـي وحفـظ مكتبتـه عنـد وجـود مخطط. ويعتبر (الشماس) أهم مسئول في المعبـد هـو البـديل والـذي يتـولى القيـام بكل شيء لم يقم به المسئولون الآخرون وهـو الحـارس الرئيـسي للمعبـد، والمسئول عـن فتح وغلق الأبواب والمحافظة على الأمن العام.

وفي يـوم الجمعـة وأمـسيات الأجـازة، وعنـد غـروب الـشمس، يجـوب الأسـواق اليهودية والأحياء ويُخبر الحرفيين وأصحاب المحلات والمشترين والرجال في منازلهم أو في الشوارع بأن يأتوا للصلاة فيما يشبه كثيرًا "المؤذن" في مساجد المسلمين الـذين ينادون للصلاة من على المآذن.

ويقـوم الـشماس بتنظيـف "تـابوت المعبـد" ويغـير سـتائره في الأجـازات. ويـضع الشموع "اللمبات" في المعبد ويشرف على أماكن العبادة، وجوقة التراتيل.

حينما تبدأ طقوس المعبد، في البدء فإنه يُحافظ على هدوء المصلين، ويُرتب خدمات الصلاة، ويقوم بالمرور بين المصلين لاختيار أولئك الذين يحظون بشرف الخدمة بفتح التابوت المقدس، وإخراج ألواح التابوت و قراءة الأجزاء المختارة وما شابه.

وفي أحيان كثيرة، يقوم برئاسة المعبد أكثر مَنْ في الاحتفالات والمراسم، ويتلو على الحاخام ما يجب عمله، وكان يجب أن يكون متعلمًا، لأنه كان يُساعد الحاخامات في تطبيق القانون وعمل الاستعدادات اللازمة للاحتفالات ويعمل أحيانًا كمدرس.

وفي المجتمعات الأصغر كان أيضًا رجل الإصلاح مشرفًا على مطابخ الشُربة وبيوت الإحسان وحتى حافر المقبرة. وكان الشماس هو رسول الـ(كاحال Kahal) يقوم بعمل الاتصالات مع الأعضاء بالإضافة إلى المسئولين في الحكومة العثمانية.

وهو يعتبر الموثق العام وموظف المحكمة ومسجل المحكمة فهو الذى كان يجلب أطرافًا وشهودًا للمحكمة، وكان يجعل الحاضرين هادئين أثناء إجراءات المحاكمة. وكان هو بمثابة رجل البوليس للمعبد وينفذ أحكام بيت الدين، ويقيم أنواع العقاب الجسدي بالأصوات أو أحزمة الجلد، ويقوم بحجز المذنبين في سجن المعبد و يخرج في الشوارع كمنادي للإعلان عن الإجراءات الجديدة التي شرعها المجلس، أو الأحكام الصادرة من بيت الدين، وكان يوزع الدعوات للمراسم الكَلْمُونية (ذات العلاقة بالطوائف والشعب). وكان أيضًا يجمع الضرائب المستحقة على الأعضاء ويوبخ الذين لم يدفعوها في الوقت المحدد وكاملة عندما تطلب منهم، وكانت غرف الدراسة قريبة من المعبد، والتلمود والتوراة للأطفال والبالغين الـYashiva والتي كان بها مكتبة الحي.

وتم عمل مظلة محجوزة للتجمعات للأعمال المدنية وخاصة التند (المظلات) لجلوس التجمعات للأعضاء النشطين المتابعين لخدمات الصلاة، حيث يتم فيها شرب الـ(رَّقِيRaki) المُخَمر ويأكلون البيض المقلي أثناء مناقشة المسائل التلمودية أو يرفع التعليمات الرسمية من الـ(مِدْراشMidrash).

نَشَاطات الإحْسان/ أَعْمال الخَيْر للمجتمع:

يستوجب الإنجيل (الكتاب المقدس) على كل يهودي ممارس لدينه أن يُقدم الإحسان (Zedakah) "الصدقة" للفقراء والمحتاجين (المعني فقط) "إذا كان بينكم

شخص محتاج أحد إخوانكم، في وطنك أو أرضك والذي يقر الله إعطاءه، لا تكن قاسيًا في قلبك في أن تقفل يدك عن هذا المحتاج، ولكن افتح يدك إليه وأقرضه بالكفاية لقضاء حاجته التي يحتاجها" (ثات 15– 70– 10) .

وبالتالي كان كل يهودي مُلزمًا شرعًا بالمساهمة بها يستطيع الإحسان به، حتى هؤلاء الذين يأخذون التبرعات، بسبب وجود شخص ما دائمًا في حاجة أشد.

وهؤلاء من ذوي الإمكانات، يُفترض التبرع على الأقل بِعُشْر ثرواتهم وبحيث لا تكون أكثر من الخمس حتى لا يتم إفقار العاطي (سلب ثروته).

ولتجنب إحساس المستلم، للإحسان بالخجل أو مدح العاطي علنًا، فإن هذه التبراعات تُوزع عن طريق المجتمع اليهودي.

وكان (الكاحالKahal) عليه واجب تنفيذ التزامه الشرعي نحو أعضائه بتقديم الإحسان عن طريق الجمعيات الخيرية (الحوراء hevra) واستدعاء (البكور حوليمBikur holim) إذا ما تضمن زيارة ومساعدة المريضhakhanasat kallahوعند تقديم المهور للعرائس الفقراء، Sandak(السنداق) والذي يجري ترتيبات عمليات الطهارة للذكور "halvar at hen" أو (الجميلوت حصاديلمgemilut hasadilm) الذي يقدم العروض لرجال الأعمال أو الحرفيين.

والمنظمات الأخري كانت تقوم بتَوْفير الإمدادات/ الإحتياطات المنتظمة للغذاء والمال وتوزيع الملابس على الفقراء؛ حيث كان يتم دفع كل ذلك في بيوت مال "خزائن منفصلة" يحتفظ بها الحي.

وخلال القرن الأول لليهود العثمانيين كان كل (القاحالKahal) قادرًا على توفير تسهيلات ومرافق المستشفى الخاصة به حيث العديد من الأطباء متواجدين بين المهاجرين (اللاجئين) القادمين من شبه جزيرة (ابريان=ايبريا).

وفيما بعد وعندما أصبح الأطباء المتواجدون قليلين، والتمويل المالي للأفراد والمجتمع محدودًا، تم إنشاء مستشفيات على اتساع المدينة بدعم مالي من الأعضاء الأثرياء، والذين عادة يتركون الأساسات لهذه المستشفيات لتوفير التمويل المستمر {سيولة} على الرغم من جمع مصروفات إضافية ورسوم للخدمة الذين كان لهم قدرة على الدفع.

وبنفس الطريقة كانت الترتيبات المنفصلة لـ(الكاحال Kahal) لرعاية الأيتام، قد استبدلت فيما بعد بواسطة الجالية ببيوت لرعاية الأيتام، تُرِكت أيضًا للمساهمات المستمرة من أفراد المجتمع.

مدافن الفقراء:

كان (مدفن الفقراء) أهم الأنشطة الخيرية لكل المعابد، وأهم واجبات اليهود المتدينين حيث يتم إمداد كل مشترك بميزة خاصة في عيون القانون، وبذلك كانت أجلُّ مهمة هي مد يد المساعدة لتوفير مدفن ملائم للفقير.

وكان هذا الالتزام يُقدم من قِبل جمعية مدافن خاصة للإخوة اليهوديين (hevra Kaddisha) والملحقة بكل معبد خلال العالم اليهودي.

وقد تضمن ذلك متطوعين وهم الذين تحملوا هذا الموقف، ويحملون شرف مهمة غسل ودفن رفات كافة أعضاء المجتمع المتوفين طبقًا للشعائر الدينية الصحيحة، وعمل ذلك دون مقابل للفقراء.

وكل معبد احتفظ بنوع من التنافس بحقه في دفن أعضائه ورفض كافة الاقتراحات التي هددت حِرْمانه من ذلك الحق لأي فرد يتعلق ويرتبط بهذا المعبد بأي حال.

وكانت العْضوية في الجمعية ذاتها قد اعتبرت من أحد العوامل المُشَرِّفة يمكن لأي عضو أن يمتلكها، ويفترض أن تُعطى كمكافأة لهؤلاء الذين أدوا الأداء الأفضل في تنفيذ أنشطة المجتمع بالإضافة إلى مقابلة المستويات العليا من المجتمع في مجالات أخرى.

والأعضاء (الروحاتِزم Rohatsim) لجمعية دفن الموتى تضمنت أفرادًا من مختلف طبقات المجتمع الذين اتحدوا دون تمييز طبقي أو ثروة وعمله دون أي تعويض مقابل للخدمة لله ﴿ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ﴾ [البقرة:207] .

وكافة المساهمات التي قدمها المؤمنون ذهبت إلى خزانة الدفن الخاصة (بيت المال) والذي دفع كافة مصروفات الجمعية، وبطبيعة الحال، كان الأعضاء يجتمعون في المعبد في "التندة" كل يوم سبت وأيام الاحتفالات بعد صلاة الصبح لمناقشة موضوعات

التوراة والتلمود، أو في متابعة المناقشات المستمرة لسماع الخطابة الملهمة والصلاة من الحاخام وشرب الأوظا"Uza"وهى مشروبات روحية في نفس الوقت.

وأكل بيض مقدد (ghevo enhaminado) وفطيرة من الجبن (enhyusa) قبل بدء أعمالهم. وكان يتم عقد مأدبة خاصة مرة كل عام في منزل رئيسهم، ومرة كل سبع سنوات في احتفال لمدة أسبوع، وكل ذلك على حسابهم.

وبسبب وضعهم الخاص المشرف في المجتمع، كان الروحاتيزمrohatsim أكثر نشاطًا وكان لهم تأثير أكثر في المجتمع من مجرد اللقب. ووظيفتهم الإسمية والمحددة وحدها سوف تُوضع وتؤثر في إدارة سياسات المعبد.

وكان يتم استشارتهم عادة من قبل (البارناصيزمBarnassim) بشأن المشاكل المهمة، وكانوا يمثلون واحدة من المجموعات القليلة في المجتمع التي يتم إعفاء أعضائها من كل الضرائب بما فيها ضريبة الرؤوس.

كانت مراسم الدفن لليهود أنفسهم- سواء التي تنفذ على حساب الأسر للمتوفى أو للفقير بلا أي مصروفات- كانت تنظم بواسطة المراسم الخاصة وعادات كل تجَمع (معبد)، والذي يحدد بكل دقة الحقوق والالتزامات للأسرة وشكل الكفن، وحجم المادة التي يتكون منها النعش، والمصروفات المقرر دفعها عند الطلب، وصلاة التعزية المقرر تلاواتها بعد سنة وشهر من الدفن.

وقدموا أيضًا حلولًا للمشاكل المعقدة مثل اشتراط الأرملة بدون الأطفال {التي لا تعول} أن تُدفن بمدافن زوجها؛ لعدم استرداد المهر عقب موت زوجها، أو أن يتم ذلك بواسطة معبد أبيها لو كان يملك.

وكان يفترض دفن أعضاء الأسرة الواحدة بالقرب من بعضهم البعض قدر الإمكان، ما عدا هؤلاء الذين ماتوا من الطاعون، والذين من الطبيعي أن يتم دفنهم في أقسام بعيدة خاصة لمدافن المدينة.

والغريب أو الضيف الذي تَوفى ودفن أثناء وجوده في المدينة، يجب أن يتم ذكره في الصلوات وذكر إخلاصه بعد شهر أو عام.

فداء الأسرى والعبيد:

سمة (الميتزاحMtizah) هامة أو عمل خير كان متوقعًا من كافة اليهود الطيبين هو ذلك الالتزام بفداء الأسرى أو العبيد اليهود، وذاك لإنقاذهم من العذاب أو الخزي. وقد بدأت تلك العادة في عصور الرومان عندما تم نفى اليهود من الأرض المقدسة، وكان الكثير منهم يئن من العبودية.

وفي القرنين الثاني عشر والثالث عشر، كان أغلب العبيد اليهود هم هؤلاء الذين تم أسرهم بواسطة الصليبيين الغازين وهم في طريقهم من وسط أوروبا إلى الأرض المقدسة.

وفي منتصف القرن السادس عشر وما بعده تم استعباد اليهود من قِبل القراصنة من المسيحيين والمسلمين في البحر المتوسط، والذين سجنوهم في أماكن مثل الجزائر وتونس ونابلس وكانديا، وبيعهم في سوق العبيد ما لم يتم فداءُهم في غضون مدة معينة.

وكان فرسان مالطة لديهم فظاعة خاصة في هذا الشأن بعد استقرارهم هناك بواسطة الامبراطور تشارلز الخامس إمبراطور "هاسبرجHabsburg " والبابا "كلمنتClement " السابع في عام (1530م=937هـ)، والذين كانوا يحتفظون بمنظمة قرصنة متطورة جدًا ذات رسالة سامية بالنسبة لهم للحرب المسيحية ضد اليهودية والإسلام.

وقد كان هؤلاء القراصنة يعملون في كل أنحاء البحر المتوسط، يستولون على السفن ويسرقون شحناتها ويستعبدون الركاب وتشتد معاملاتهم بصفة خاصة عندما يجدون يهودًا أمامهم حتى لو تم عرض الفداء لهم.

وعندما ينزلون على أي ميناء، فكان أول عمل لهم والثابت هو نهب الحي اليهودي، يعتقلون ويسرقون ويقتلون ويحملون بالقوة كافة السكان الذين يمكن بيعهم كعبيد.

وكانوا يطلبون مبالغ فداء باهظة للأسرى اليهود ومعاملتهم معاملة سيئة أثناء فترة الأسر للاستمرار في نهبهم، والاستيلاء عليهم وذلك منذ وصول نابليون بونابرت إلى

مالطـة عـام (1798م=1213هــ) وتبعـه البريطـانيون الـذين تولـوا الـسلطة عـام (1800م=1215هـ).

وكـان هنـاك أمثلـة عديـدة مـن هـذا النـوع؛ حيـث جـاء الأسـطول الكبـير للجامعـة المقدسـة (الرابطـة المقدسـة) التـي نـشأت ضـد العثمانيـين الأتـراك تحـت قيـادة "آنـدريا دورياAndria Doria " في الفـترة مـا بـين (1542م و1544م =949 هـ و951هـ) والـذي أُسر فيهــا العديــد مــن اليهــود التــي تــم ســجنهم وبــيعهم في ســوق العبيــد في "جوروم"Corom وفي عصر "بطروسBatros " و "زانثا Zantha".

في أواخر القرن السابع عشر، فإن الكثير من اليهـود الـذين لم يتم ذبحهـم قـد أُسروا وتم استبعادهم أثناء عمليات التمـرد الفظيعـة لـ"زابوروجيان جاشـاق Zaborogian Cassak "، التـي قادهـا "بوغـدال شـمياBoghdal Chmie في الفـترة (1648– 1649م = 1058– 1059هـ) ضد نبلاء بولندا.

وكانـت المجتمعـات اليهوديـة في أنحـاءٍ كثـيرة، بـما فيهـا هـؤلاء اليهـود مـن الدولـة العثمانية كانوا يعملـون معًـا لفـداء العبيـد اليهـود، وفـرض ضرائـب كثيرة علـيهم لهـذا الغـرض مـع ضريبـة اللجـائي "Pdidionsh" التـي أنـشأت لِمُساعدة المهـاجرين الجـدد للأرض العثمانية من شبه جزيرة (ابريان = ايريبا).

وكانت مراكـز الفـداء الرئيـسة موجـودة في فينيـسيا وسـالونيك، وبمقتـضى القـانون اليهودي فإن الأسرى النساء من اليهود كانوا يُفضلون على الرجال في تقديم الفداء.

واختلفت أسعار الفداء (الفدية) طبقًا لعمر وأهمية الأسير. واتفق اليهـود على دفـع قيمة سـوق مناسـبة لتجنـب طلبـات الفـداء الباهظـة بواسـطة القـائمين بـالأسر. والتـي كانت الوسيلة المفضلة لفرسان "مالطة". خاصة أن اليهـود كـانوا يـدفعون مبـالغ فـداء عالية للأسرى اليهود– بحوالي عشرة أضعاف من قيمة السوق لـلأسرى غـير اليهـود– بسبب شعور المجتمع بالمسئولية تجاه أعضائه.

وكانت فدية العذارى أغلى من النساء الأخريـات، ولـذلك اهـتم القـائمون بـالأسر بحماية الأسرى النساء لديهم بصفة خاصة وتجنـب أي علاقـات جنـسية معهـم لكـي لا يقللن من قيمتهن.

واليهودي المأسور مع كل من أبيه ومُدَرِّسِه كان يُسمح له بالفداء عن نفسه أو لكي لا يخرج ويجد الفداء للآخرين، ولكنه اضطر إلى أن يفدي مدرسه قبل أبيه لأن أهمية الأول للمجتمع أكثر على وجه العموم.

وكانت الأهمية المرتبطة بهذه الأمور تُفرض بواسطة النظم الذي يستخدمها "القاحال Kahal" في تخصيص المال للإنسان أو بناء أو توسيع معبد لفداء هؤلاء الأسرى، وقد استمر ذلك إلى أن تم إلغاء نظام الاستعباد بصورة كبيرة خلال القرن التاسع عشر، غير أن بعض الأفراد تم أسرهم خلال هجوم وقتل حيث تم أسرهم بواسطة لجان مخصصة لهذا الغرض.

التَّعْلِيم اليَهُودِي:

يُعتبر التعليم الابتدائي هو الالتزام الشخصي للأب الذي يقدمه لأبنائه بواسطة رسم مدفوع.. يؤديه شخص متعلم في الحي.

واهتم المجتمع فقط بالتعليم الابتدائي للأطفال الفقراء الذين لا يستطيعون تحمل الدفع، ولهذا الغرض تم دعمهم من قِبل الكيميون اليهودي المدعم بتعليمات التوراة والتلمود، وكانت هذه المدارس بالطبع قريبة من المعبد أو ملاصقة له.

وكان أغلبها يُعلم اللغة العبرية والصلوات والتوراة مع ترجماته وتفسيراته، وقد استخدمت النسخة العبرية "Rashi" التي أُستخدمت لليهود الأسبان من قِبل اليهود السفارديم، وكذا الأسس الخاصة بعلم الحساب والتفاضل.

والطلاب هؤلاء الذين لديهم وعي فكري، كان يتم السماح لهم في الدخول لفصول خاصة لدراسة التلمود كنوع من التعليم الثانوي لتعلم مبادئ علوم القضاء، والعلوم الدينية، والتي تهيئ لاختيار قلة منهم للتعليم العالي في مؤسسات أعلى أو "يشيفات Yashivas".

وكان يتم تنظيم تلك المدارس وإدارتها من خلال الحاخامات المحليين والمتعلمين الآخرين حيث كانوا يدعمون جُزئيًا من المجتمع من قِبل الأفراد الأثرياء والطلاب أنفسهم.

وكان عصر الازدهار في نظام التعليم لليهـود الـذين عاشـوا في عـصر العثمانيـين لـه ملامح بارزة حيث نُظمت عدة (يشيڤاتyeshivash) في كـل أنحـاء الدولـة وخاصـة في سالونيكا– استانبول– صاقذ، حيث قُدِّم أساسًـا قويًـا للتطـور الفكـري الـذي أثـرى اليهودية العثمانية في السنوات الأخيرة للقرن السابع عشر.

الضرائب والتمويل:

كان أعضاء (ملة millet) اليهود يدفعون نَوْعين مـن الـضرائب، تلـك التي يطلبهـا بيت المال العثماني والأخرى للحي (المجتمع).

وكانـت أهـم الـضرائب المفروضـة هـي ضريبـة الـرؤوس أوCizye "جزيـة" والتـي تفرض سنويًا بموجب ثلاث مبالغ "عالية– وسط– منخفضة" طبقًا لـدخل كـل رأس في البيت.

بالإضـافة إلى ذلـك، كـان هنـاك ضرائـب متنوعـة مثـل ضرائـب الجـمارك– ضرائـب عقاريـة– التـي كانـت تفـرض لتمويـل الجيش وضريبـة الخـراج عـلى المنـتج الزراعـي وضريبـة "rav Akçesi" " ضريبـة الحاخـام " والتـي كانـت تـدفع نيابـة عـن المجتمـع بواسطة "موسى قـاپـصـالي Moses Capsali" والتـي كانـت تُـدفع عقـب توقـف تعيـين الحاخامات الرئيسيين، وكانـت ضريبـة الجيش(Ordu Akcesi) تـدفع لـصيانة الجـيش، وضريبـة (رسـم قـسمت Resm Kismt) لحـصيلة المـيراث، وضريبـة "Celbakcesi" لصيانة الأساطيل الملكية "السلطانية".

وقد كان يتم تقدير كل تلك الضرائب وجمعها بواسطة قادة (الملـة millet) نيابـة عـن بيت المال "الخزانة"، وكان القادة العثمانيون يتدخلون إذا لم يـدفع الفـرد الـضريبة لتسد الجالية هذا النقص.

وبالإضافة إلى ذلك فإن العثمانيين طلبوا من الجالية اليهودية تقـديم عـدد معين مـن الرجـال للأعـمال الـشاقة "Corvee" وذلـك لبنـاء الحُـصون وحفـر المتـاريس، وتـسوية التلال وحراسة المكاتب الحكومية والمحاكم وإضافة جنود جدد للجيش.

غـير أن اليهـود مـن النـبلاء البـارزين خاصـة الأطبـاء والدبلوماسـيين الـذين كـانوا

يؤدون خدمات هامة للسلطان كان يتم إعفاؤهم من هذه الضرائب ليس فقط لهم ولكن أيضًا لمن يخلفونهم.

واليهود الذين يحتفظون بضرائب المزارع "Iltizim"."الالتزام". والمحددة من قِبل الخزانة "بيت المال" كان يُدان بأجزاء من أرباحهم إليها كجزء من الشروط المتعلقة بتعيينهم، ولكن هذه كانت التزامات فردية لم تهتم أو تلتزم بها الجالية.

كانت أغلب مؤسسات المجتمع "الملي"– مثل المعابد (التلمود، التوراة) والمستشفيات، ودور رعاية الأيتام التي تُشبه مؤسسات المسيحيين والمسلمين والتي كانت تمول عن طريق الدخل من هذه المؤسسات الدائمة والتي تُسمى "الوقف Vakif"– تُمول من قِبل المسلمين و Ekdesh في العبرية.

كانت تُفرض ضرائب منتظمة على كافة أفراد الجالية. وذلك لتمويل أنشطة المجتمع الحالية.

كان من أهم الضرائب السَّنَوِيَّة ضريبة رأس المال– التي أطلق عليها Pesha في "سالونيك"، و aritha في "استانبول"، وأماكن أخرى في الدولة العثمانية– والتي قُدرت وجُمعت بواسطة لِجان في المجتمع مكونة من مسئولين يطلق عليهم "المقدرين meharehim"، والذين تم تعيينهم بواسطة مجلس الحي (معمدma'mad) فيما بين الأعضاء المعروفين بأمانتهم وعدلهم.

وكانوا مُكَلَّفين بعمل تفاصيل للحسابات، والممتلكات لكل عضو، لضمان التقدير العادل والدقيق في الضريبة.

وكانت قراراتهم تُلزم عند الضرورة بواسطة شرطة الجالية "Shohet، Plshohaetim" وكانت عادة من الجنسيات الأجنبية، لكيلا يتهم بالمحسوبية للأقارب في الجالية.

أغلب المبالغ المالية من الـ(أريثةaritha) كانت تنحى جانبًا بغرض تسديد ضريبة الرؤوس عن أعضاء الجالية، وبقية المبالغ تضاف إلى الحساب الجاري.

دائمًا ما كانت الحكومة تُعدل من التزامات ضريبة "الرؤوس" على الجالية طبقًا

للعدد المقدم من أفرادها، وكل عشر سنوات ترسل الجالية "المقدرينmeharehim " لعمل تقديرات جديدة عن ثروة أعضائها، وبناءً عليه يتم تحديد ديونهم لـ"أريثة aritha".

بالإضافة إلى ذلك كانت هناك ضريبة الـ"كَسْبَه Kisbe" وهي ضريبة نسبية على الدخل.

وعمومًا، فإن أطول فترة إقامة الفرد داخل حدود الـ(قاحالKahal) ، وثروته، وقدرته على الدفع، هي التي كانت تُحدد التزامه بالمشاركة المالية للأنشطة الكيمونالية والخيرية.

أما هؤلاء الأشخاص الذين وصلوا حديثًا إلى الجالية، يتم إعفاؤهم فقط حتى الشهر التالي.

والإقامة لمدة 30 يومًا كان يترتب عليها أن يلتزم الفرد أن يُقدم عنها تبرعًا للمطبخ الكيمونالي. والإقامة لمدة ثلاثة أشهر كانت تضيف التزامًا بالمساهمة للصندوق الخيري العام بالحي. والإقامة لمدة ستة أشهر كانت تضاف على الفرد تكاليف توفير الملبس المجاني للفقراء. والإقامة لمدة تسعة أشهر تقتضي دفع مساهمات لصندوق الحي لتغطية تكاليف الجنازة للفقير. بينما الإقامة المستمرة لمدة عام أو شراء بيت في أي وقت كانت تُغير وضع الفرد ليُعتبر ساكنًا دائمًا يخضع إلى الضرائب الكيمونالية، وعليه بقية المساهمات والوجبات الأخرى.

إذا ترك الفرد الجالية، فإنه ملزمٌ بدفع كامل التزاماته عن السنوات السابقة حتى لو كان تاريخ الاستحقاق جاء بعد رحيله.

حيث أن كل (قاحالKahal) كان مسئولًا عن رعاية فقرائه، ولم يكن أعضاؤه أحرارًا في تقديم الإحسان الشخصي أو المساعدة في الأعمال الخيرية للـ(قاحالات Kahal) الأخرى عدا في حالات نادرة عندما تتحد المجتمعات العديدة بأغراض خاصة محددة.

حيث كانوا عُرضة للجزاءات التي تتراوح بين الغرامات، والسجن في سجون

المعابد، أو النفي إذا ما فشلوا في الوفاء بالتزاماتهم.

وكانت أغلب الضرائب الأخرى المفروضة من الحي، هي ضرائب مفروضة بشكل غير مباشر.

كان من بين أهم هذه الضرائب ضريبة "غابيلاه gabilah"– وبالعثمانية gabelle ، وبالتركية الحديثةgabella – والتي تُفرض على بعض البضائع مثل اللحوم، والخمور، والجبنة، والمنسوجات وذلك لتوفير خدمات خاصة مثل التبرعات الخيرية، والفدية للمسجونين، والهدايا لجامعي الضرائب العثمانيين والمسئولين الإداريين والقانونيين.

أما الأطباء، والحاخامات، ومَسْؤولي المعبد وكل الذين عاشوا أو عملوا في الـ(يشيوا Yeshivas) كان يتم إعفاؤهم من كافة الالتزامات الضريبية، حيث إنهم يكرسون معظم وقتهم للدراسة والدين.

ولقد شاركهم في هذه الإعفاءات أفراد الأسر (الذين كان أجدادهم قد منحوا إعفاءات دائمة بواسطة السلاطين السابقين مُقابل خدمات جليلة أو عظيمة النفع للبلاد)، والأفراد المختصين بجمعيات دفن الموتى.

وكان المقيمون النظاميون فَقط والذين كانوا أعضاءً للجالية هم الذين يُطلب منهم دفع الضرائب، وكذلك كافة الزوار، والرحَّالة، وغيرهم، والذين تم إعفاؤهم حيث كان مفروضًا أنهم يخضعون للضرائب بواسطة جاليتهم.

بالإضافة إلى الفروض الضريبية في المجتمع، فإن اليهودية العثمانية قد اعتبرت نفسها الخازن لـ"آرتز إسرائيلEretz Israel " والتي كانت تجمع وترسل ليس فقط مساهماتها، ولكن أيضًا مساهمات المجتمعات اليهودية في أغلب "أوروبا" والتي تضيف التزامًا إضافيًا لدفع الديون المستحقة بواسطة اليهود في القدس، حيث كانت تُفرض ضريبة أسبوعية إضافية "Para" على كل يهودي في الدولة، وفي غرب أوروبا.

اليَهُود في المُجْتَمع العُثْماني:Jews in Ottoman Sosiety :

على الرغم من أن الإسلام قد صنَّف اليهود والمسيحين– على سواء– بأنهم من غير المؤمنين (كفرة– كافرKâfir)(*)، أو باعتبارهم رعايا يتم حمايتهم "أهل الذِّمة Zimmis"

إلاّ أن العثمانيين في أغلب الأحوال قد طبقوا هذا المصطلح على المسيحيين فقط. وكان نادرًا ما يُستخدم الاسم لليهود، والذين احتفظوا بمكانة مميزة نسبيًا والتي وفرها لهم السلطان "محمد الثاني".

وفي الحقيقة، وليس في القانون، فإن هذا، قد أعطاهم حرية عمل أكْبر، وأعفاهم من العديد من القيود المفروضة على المسيحيين وبات واضحًا احتفاظهم بالسيطرة المالية، والاقتصادية على المسيحيين، تلك السيطرة التي منحها لهم "السلطان الفاتح"، وهو موقف دام حتى تم تغييره في أواخر القرن السابع عشر بمساعدة كل من الدبلوماسيين الأوروبيين المسيحيين، والتجار.

وعلى الرغم من التقاليد المناقضة، كان اليهود يُخْدمون بصفة منتظمة كشهود في المحاكم العثمانية المسلمة دونما تمييز أو انتقاص من شهاداتهم.

ودفع اليهود التزاماتهم الضريبية للعثمانيين وكذلك لقادة الـ(الملة millet) التابعين لليهود، وليس لجامعي الضرائب الحكومية، بذلك كان لهم اتصال بسيط أو سلبي مع أفراد الطبقة الحاكمة، وهو الأمر الذي أثار كراهية المسيحيين عبر القرون.

والعثمانيون في الحقيقة، قد ألغوا أغلب القوانين التمييزية الفعلية الخاصة بإنفاق الأموال، والتي فُرِضت على اليهود من قِبل البيزنطيين، وتلك القوانين القليلة والتي فُرضت نظريًا أكثر مما كانت تطبق بشكل فعلي.

التَّحَوُّل إلى الدِين الإِسْلاَمي: Conversion to Islam :

أي فرد له القدرة، أو الحظ، من الممكن أن يَرْقى إلى "الطبقة الحاكمة" ولكن لكي يفعل ذلك عليه أولًا أن يكون مسلمًا. وتغيير الديانة كان مباحًا فقط لغير المسلمين.

لابد من وجود واحدٍ مسلمٍ في (ملة Millet) المسلم.

ومع ذلك، وحتى في عملية تحْويل الديانة، كان اليهود ينالون مكانة أرفع من مكانة المسيحي الذي غيّر ديانته.

وحيث أن الأخير (المسيحي) كان عليه أن يستبدل اسمه المسيحي باسم مسلمٍ، وإطلاق اسم "عبد الله" على أسماء آبائهم المسيحيين، مثلًا "أحمد بن عبدالله"، بينما

اليهود المُحَوَّلون يُسمح لهم بالاحتفاظ بأسمائهم وأسماء آبائهم مثل "إسحاق بن إبراهيم" في عملية لجعلها أسهل للمؤرخين لمتابعة وظائفهم من الطبقة الحاكمة.

ولكن بصرف النظر عن الفُرص المُقَدَّمة لهؤلاء الذين سعوا في أن يصبحوا أعضاءً في الطبقة الحاكمة، وبالنسبة للمرأة غير المسلمة التي تتزوج رجل مسلم، لم يكن هناك ضغط بسيط للتحول إلى مسلمة.

وفي الحقيقة، فإن عملية تغيير الدين لم تلق تَشْجِيعًا على كافة الجوانب، وبالنسبة للقادة الدينيين اليهود كان يتعيَّن عليهم منع ذلك، لا لسبب آخر غير أنه يكلِّف خزائن (بيوت المال) الخاصة بـ(القاحالKahal) العائدات من الأموال التي يحتاجونها لتمويل خدمات المجتمع.

وكان العثمانيون أنفسهم راغبين في تأكيد التحول من دين لآخر؛ حيث أنه كان يُكَلِّف الخزانة الدخل الكبير الذي كان يتلقاه من ضريبة الرؤوس (Cizya) "أي الجِزْيَة"، والتي تسبب مشاعر غاضبة بين أفراد الملل "millet" وخاصة أنه يأخذ حيزًا أكبر من المعتاد حينما تتزوج سيدة مِنْ(مِلَّةmillet) معينة من رجل مِنْ مِلَّة أخرى؛ حيث كانت تتعرض للضغط لتغيير دينها، والالتحاق بجالية زوجها، وتعتاد أن تكن عداءً شديدًا وامتعاضًا لديانتها السابقة من أي شئ آخر.

وإذا تدخلت الحكومة العثمانية في مثل هذه الأمور، فإن عليها ألاَّ تُشجع مثل هذه التحولات للإسلام بسبب تأثيراتهم المزعجة على الهدوء الاجتماعي، وعندما تَحْدث بالفعل، فإنها تدفع الأطراف المرتكبة لهذا العمل إلى النفى إلى الأَجْزَاء البعيدة من الدولة لكي يتم إخماد مظاهر الاستياء التي نتجت من ذلك.

وأنه كان من صالح السلام الاجتماعي فوق كل ذلك، أن يتم حفظ النظام المِلِّي خلال قرون الحكم العثماني، ليس من أجل التمييز ولكن بالأحرى، لنوع الانفصال للمجموعات المعادية غير المسالمة والتي كانت في حاجة لمنع الفروق الدينية والاجْتماعِية من اقتحام هذا النوع من الصِّراع والذي لعنه الشرق الأوسط الجديد بصفة متكررة.

نُظُم اللِّبْس والإجراءات المتبعة Clothing Regulations and Practices :

غلب التخصيص على إجراءات اللِّبْس العثمانية، وكانت هذه الإجراءات فقط لكي يتم تَمْيِيز الوظيفة والحالة الاجتماعية لكل فرد في النظام العثماني وهو إجراء متخذ من قِبل البيزنطيين.

وقد طُبِّقت ليس على دين أو مجموعة معينة ولكن لكل أفراد الطبقة الحاكمة والأفراد التابعين لكافة الأديان.

كافة أفراد مجتمع العثمانيين، كان عليهم لبس ملابس ذات قماش معين وألوان، تبعًا لطبقتهم، والمِلَّة، والوضع الاجتماعي، بالشكل واللون المُحَدَّد لغطاء الرأس والأحذية والتي كانت ذات أهمية خاصة لكي تُبين الحالة الاجتماعية لكل فرد وتمكن الآخرين من التعامل معه بناءً على ذلك.

فالملبس بالطبع لم يكن موضوعًا يخضع لأفضلية الفرد أو ذوقه، ولكن كان بالأحرى عنصرًا ضروريًا في قواعد السلوك السليم للمجتمع العثماني.

وحتى اللِّبس، اختلف في شكله بين أعضاء الأسرة الحاكمة طِبْقًا للمؤسسة التي ينتمي لها الفرد، بالدرجة التي يكونُ فيها علو منصبه ودرجة قُرْبه من السلطان.

ومع ذلك، كان الإجبار في الأغلب لينًا وسهلًا أكثر بالنسبة لليهود وأكثر من المسيحيين؛ حيث كان الإلزام التَّعَسُّفي ضدهم يتم المعاقبة عليه بواسطة السلاطين.

واختلفت إجراءات اللِّبس للأفراد والمجموعات بشدة في مختلف الأماكن والأوْقَات، لدرجة كان يصعب بها تحديد ما هو مطلوب بالنسبة لليهود أو أي مجموعة أخرى.

ومع ذلك وبصفة عامة، كان اللَّون الأحمر مَحْجوزًا للمسلمين حيث كان يُعتبر أنه شخص مُقَدَّس بواسطة العرف/ التقليد الإسلامي، ولبس المسلمون أيضًا اللون الزاهي/ الساطع، وبِدَلًا ذات ألوان متعددة في مناسبات عديدة. والطرابيش للمسلمين كانت عادة ذات لون أبيض (لعله يقصد العمامة) وكانت أحذيتهم صفراء.

وكان يسمح للمسلمين بصفة عامة في إدخال مواد إضافية في بِدَلهم والطرابيش

أكثر من الآخرين، وأيضًا لبس المسلمون الأقمشة/ الرقيقة بينما لبس اليهود ملابس أكثر متانة وخشونة، ولكن معظم الإجراءات نَبَعت من رَغْبة قادة المِلَل في تجنب العروض التفاخرية في اللبس، ولتمييز أتباعهم عن أعضاء المِلَل الأخرى أكثر من كونها مفروضة عليهم لضغط ديني أو بجبر من قِبل الأسرة الحاكمة.

ومن المستحيل تقريبًا إقرار بوجود زي محدود لليهود، ولكن عمومًا كانت الألوان المَحْجُوزة لليهود من النوع الأكثر قتامة من تلك المُقَرَّرة للمسلمين، ففي الغالب الملابس سَوْداء أو حمراء داكنة والذي كان يستخدم غالبًا في الأحذية هو اللون الأحمر الداكن.

وكان الرجال من اليهود غالبًا يلبسون سُتْرَة داكِنة ذات أكْمام واسعة فَوْق قفطان مُخَطط، أو بَنْطلون (Şalvar) واسع ومُلْحَق بِشال مَلْفوف.

وعلى رؤوسهم طَواقي أسْطِوانِيَّة واسعة من أعلى مع بَرْنيطة ملونة على الجانب الأدنى.

وكانت النساء اليهوديات في الشارع يلبسن عباية طويلة بسيطة داكنة، ذات شلوار واسع، يُغطي رؤوسهن ولكن في بيوتهن كُن يَلْبَسْن الأرواب، القمصان وبنطلون طويل يشبه الرجال، ويختلفن أساسًا في أغطية رؤوسهن.

ومن ناحية أخرى، كان يتم تجاهل هذه العادات حيث لوحظ أن اليهود كانوا يلبسون طرابيش بَيْضاء وأحذية حمراء في أماكن مختلفة.

والمهاجرون اليهود من أسبانيا حاوَلوا الاحتفاظ بعاداتهم في لبس بِدَلِهم المَحَلِّية القديمة بصفة خاصة؛ لتأكيد مستواهم الفكري والثقافي والاقتصادي بالنسبة لمجتمعات اليهود العثمانيين الأخرى، وذلك بدلًا من العباءة الطويلة التي كان يرتديها غالبًا غير المسلمين من رعايا السلطان عند وصولهم لأول مرة خلال القرن الخامس عشر وقد لَبسوا الـ"كابِرونه Caperone" الأسباني وهي مِعْطف خَفيف من الصوف، بينما رفضوا لبس الكاب الأصفر والمفروض لِبْسه من كافة اليهود في هذا الوقت.

كما احتفظت المجموعات اليهودية القادمة من وسط أوروبا، إيطاليا وفرنسا بالبِدَل

التي كانت تُلْبَس عادة في الأوطان التي جاءوا منها.

واتخذ الآخرون خطًا مُختلفًا عن الزي الرسمي المطلوب، أو لَبِسوا مَلاَبس مُخَصَّصة لأفراد من الأسرة الحاكمة أو المِلَل الأخرى.

وقد صدرت أوامر سلطانية عديدة في أواخر القرن السادس عشر نتيجة لشكاوى اليهود من أنه مطلوبٌ منهم لبس ملابس تختلف بصورة ملحوظة عن البِدَل التقليدية لهم، وشكوى الآخرين أن اليهود كانوا يَلْبِسون بِدَلًا تخص الرعايا المسلمين، والمسيحيين، والرجال العسكريين (الفرسان) وكان مطلوبًا من رجال اليهود لبس العبايات (Ferace) أو البِدَل الكاملة (Yasamak) ذات القُماش الأسود مع بلوزات من قماش منقط، ملون أكثر من الحَرير، وأحزمة من القطن المختلط ومادة الحَرير لا تُكَلِّف أكثر من 40 آقچه«» "akces" وطواقي ليست كبيرة من القماش الأخضر المائل للزرقة دون أي جزء من بدلهم. أما طرابيشهم يجب أن تكون زَرْقاء وصَغِيرة نسبيًا، لا تُشبه ما يرتديه المسلمون أو المسيحيون.

وفيما بعد تم منع المسيحيين واليهود معًا من لبس "الطربوش" مطلقًا وطُلب منهم بدلًا من ذلك لبس طَواقي حمراء أو خضراء أو زرقاء لليهود، وسوداء للمسيحيين.

وفي هذا الصدد، كانت أحذية اليهود سوداء وواسعة نسبيًا، وبدون التبطين الداخلي المستخدم للمسلمين، ولكن مؤخرًا تم تغيير ذلك في لبس الصنادل البيضاء والحمراء.

وكانت بناطيلهم لابد أن تكون خَضْراء أو زَرْقاء، وإذا لبسوا الياقات، فيجب أن تكون مستقلة من الساتان أو القطن.

ولم يُسمح لنساء اليهود بارتداء العبايات مطلقًا خارج بيوتهن، ولكن وفق القانون اليهودي كان مفروضًا عليهن لبس أرواب (تنورات jube) مَصْنوعة من القطن.

وبنطلوناتهن لابُد أن تكون فقط زرقاء اللون، ولم يُسمح لهن بلبس الأحذية. ولكن وفق القانون اليهودي كن يلبسن الصنادل، ولم يُسمح لهن بارتداء قِلادات مطرزة كتلك التي ترتديها النساء المسلمات، وإذا حدث هذا، أن تكون القلادات من القطن وليست من الحرير أو أي قماش آخر.

خلال معظم سنوات القرن السادس عشر، وبصرف النظر عن هذه النُّظم، فإن يهود استانبول الرومانيين من الرجال عادة كانوا يلبسون الطربوش الأصفر، ولكن يهود السفرديمSephardic القادمون حديثًا، والذين تَخلوا عن لباسهم الأسباني، فقد لبسوا طواقي حَمْراء على شكل قوالب السكر.

وطُلِب من اليهود عامة لبس الملابس الداكِنة، أما في يوم السبت والمناسبات الدينية فيُسمح لهم بارتداء ملابس ذات لون فاتح، فقط في داخل أحيائهم. واحتفظ المسلمون باللون الأخضر.

العديد من اليهود استمروا في لبس البِدَل المُخَصَّصة للمسلمين، متضمنة (قالباقKalpak) (قلنْسِوة ذاتإطار من الفرو) أو Kavuk (قلنسوة مستديرة مزودة بقاعدة من القطن مزينة بـ (موصلين = القشيبMuslin) وملابس مختلفة من بينها ملابس خضراء.

ولبَس الحاخامات البَدلْة الدِّينية الداكنة، المُعْتاد لبسها في أوروبا، وكان يتم غالبًا إصدار وإعادة إصدار النظم الجديدة بواسطة المجتمع اليهودي والسلطات العثمانية لتمييز الملابس بين مختلف الجماعات، ولكن كانت هذه الأمور لا تلق احترامًا عند خرق القوانين أكثر من أي شئ آخر، ولذلك كان يتم التَّكرار باتباع الإجراءات ولكن بتأثير قليل.

وفي القرن الثامن عشر في استانبول، وعندما اقتربت تجمعات اليهود المختلفة بشكل كبير عما كانوا من ذي قبل لِبس أكثر الرجال من اليهود الطرابيش البَنَفْسِجِيَّة والبِدل السوداء، والشباشب البنفسجية.

ولبست النساء من اليهوديات بدلًا طويلة، من الأحمر الداكن بلا أكمام، محددة بـ(بليزةBelisse) مخططة بالفرو، ماعدا في استانبول حتى يتم استبدالها بالجواكت الواسعة، لذا كانت تُصدر الأوامر مرة أخرى وتطلب منهن ترك ملابس المسلمين والالتزام فقط بالملابس، والموديلات، والألوان المخصصة لهن، وتضمن الملابس الخارجية المُلَوَّنة بالأزرق أو الألوان الداكنة الأخرى و(القَلاَبِسKalpaks) قصيرة.

كانـت نظـم الملابـس المَفْروضـة عـلى اليهـود – بواسـطة كـل مـن (الملّـةmillet) و(القاحالKahal) – أكثر جدية ، وصرامة من أي شيء آخر تفرضه الدولة العثمانية.

حتى الجاليات اليهودية نفسها لم تشجع العـروض الخارجيـة لاسـتعراض الثـروة أو الفخامة سـواء في منـازلهم أو شـوارعهم، لـيس فقـط لمنـع الحسـد مـن جانـب الأعـضاء الآخرين من السكان– وبخاصـة المسيحيون– ولكـن أيضًا لتميز اليهـود مـن أعـضاء الـ(الملةMillet) المسيحية الذين اعْتبروا أقل مستوى.

كما أن اللوائح الحاخامية كانت تَمْنع النساء اليهوديـات مـن لـبس أي جِلْبـاب مُلـون بالأخضر أو مُطَرَّز بخيوط المعدن أو الفراء الغـالي، وهـؤلاء المخالفـات للتحـذيرات في الحي يتعرضن لعقاب شديد بواسطة الحاخامات.

القيود الاجتماعية في الأخـري في المجتمـع العثماني Other Social Restrictions in Ottoman Society:

في النظام القانوني للعثمانيين كان يُوجد العديـد مـن القـوانين واللـوائح التـي مَنَعـت العديد من الأعمال، ولكن إن كان المَنع في المجتمعـات الأخـرى يَعْنـي أن هـذا الأمـر لا يمكن تنفيذه، وأنه لو تم عمله رغم القانون، فإنه يستوجب عِقابًا صَارِمًا، فإن المجتمـع العثماني استخدم مصطلح (المنعYasak) ليَدُل فقط على أن الفرد يمكنه المخالفة إذا دفع المقابل (الغرامة).

وكـما في الـدول الإسـلامية الـسابقة سـاد العُـرْف أن غـير المسلمين لا يمكـنهم حمـل السلاح وبالتالي لا يخدمون في الجيش.

وقد اعتبر ذلك عبئًا أو دليلَ التميز بواسطة أَغْلب اليهود والمسيحيين الـشُّبان، ومـع ذلك كانوا أسعد حـالًا بـأن يـدخلون مجـال العمـل بـدلًا مـن القِتـال في ميـدان المعركـة، وكانوا يدفعون تلقائيًا ضَرِيبة الرؤوس المُجَمَّعة مقابل هذا الإعفاء.

وكان هناك نُظُم خاصـة بتحديـد ارتفـاع وإصـلاح البيـوت، والمعابـد وبنـاء الجديـد منها، ولكن وحسب ما ذكرنا كان يُسمح لليهـود بـالهروب مـن هـذا المطلـب في أغلـب الأحيـاء بإصـلاح وتوسيع، أو حتـى استبدال البيـوت القديمـة ودَفْـع الرَّسـم الخـاص

بذلك إلى قاضي الحي الذي يُوجد به المبنى.

وكل راعي من رَعِيَّة السلطان، وبِصَرْف النظر عن دِينه، كان يَخْضع للوائح الخاصة بالبناء من نفس النوع، والتي حددت ليس فقط ارتفاع وتكوين البيوت ولكن أيضًا المسافات فيما بينها حتى يقلل الخسائر الناتجة عن الحريق والكوارث الأخرى.

وعلى الرغم من أن المساجد وبيوت المسلمين كان يُسمح بارتفاعها إلى حد ما أكثر من مساكن اليهود والمسيحيين فهذه القيود يمكن أن تكون ويمكن الهروب منها بضمان التصريحات الرَّسمية، والتي تتم عن طريق الرَّشَاوي والتي كانت منتشرة ومطبقة بصفة منتظمة لكافة الأغراض العَمَلِيَّة التي من أجلها تم دفع هذه الرسوم، وبالتالي ترك القيود سارية نظريًا فقط.

وحتى الموانع ضد بناء بيوت اليهود والمسيحيين والمحلات قُرْب المساجد كانت تَسير بجانب إجراء مَنْع بناء بيوت المسلمين ومحلاتهم قرب معابد اليهود أو الكنائس.

وكنتيجة لذلك، وعلى الرغم من اللوائح الرسمية، فإن العديد من المعابد اليهودية بُنيت خلال العهد العثماني، وكان الأمر هو نَفْسه مع الإجْراءات المَفْروضة على مواكب المَوْتى ودفْنِهم.

وكانت هناك إجراءات تُملى على الناس من مختلف الطبقات والمستويات و ما يجب عليهم اتباعه أثناء معاملة بعضهم البعض، وأثناء مرورهم في الشوارع، وطُبقت على الجميع لمنع الخلافات بين مختلف أعضاء المجموعات ولايمكن اعتبارها تمييزًا ما لم يعتبر شخصًا أنه مميز على الآخر أو مجموعة على الأخرى.

ولفترة طويلة من الوقت كان يُمْنع غير المسلمون من الركوب على ظهر الخيل في المناطق الحضرية أو استخدام البروشة (مركب ذو مقعدين وغطاء قابل للطي) لأكثر من ثلاثة مقاعد فى كل مرة {three sets of pars} ولكن اليهود سمح لهم بالهروب من هذه البنود والسماح لهم بركوب البغال (bargirl).

وخضع اليهود إلى القيود في الحمامات التركية Hammams مثلًا، عادة استخدام الفوطة الطويلة لتغطية الجسم بعد دخول ومغادرة الحمام، بالإضافة إلى أن الأشياء

الأخرى التي يستخدمها غير المسلمين لا يمكن استخدامها بواسطة المسلمين، وبالتالي من أجل التمييز بين المسلمين وغيرهم في الحمام، حيث يمكن للأخير فقط لبس الصنادل الخشبية = (القبقاب).

وهذه كلها أمور فقط نَظَرِية وشكلية يُمكن تجاوزها كما هو الحال بإعادة إصدار هذه الأوامر.

وتم منع غير المسلمين من بيع القَهْوة في استانبول ومن مُمَارسة حرف معينة محجوزة لأعضاء المِلل الأخرى، ولكن كان هذا جزءا من نظام عام احتكر فيه أفراد من كل مِلْة وظائف معينة فمثلًا الأرمينيين واليونانيين لهم الحق الوحيد لبيع البَسْطرمة، واحتكر اليهود تِجَارة الذهب وصِنَاعته والخياطة وصناعة الورق والطرابيش، الأرمينيون صناعة الأنسجة والنقش على الذهب، واليونانيون المارونيون نجارين وعمال صِناعة الذهب وتَزْيِية وصُنَّاع طرابيش، وقد تغير ذلك بمرور الوقت.

وكان شراء والاحتفاظ بالعبيد المسلمين بواسطة غير المسلمين مَمْنوعًا من حيث المبدأ، ولكن يمكن عمل تصاريح خاصة والاستثناءات الخاصة (للمارونيينmarrons) الذين أحضروا عبيدًا معهم من أسبانيا.

ولم يوجد قانون لِمَنع اليهود من الاحتفاظ بغير المسلمين من العبيد أو يمنع المسلمين والمسيحيين من الاحتفاظ بالعبيد من اليهود.

واليهود والمسيحيون الذين لديهم بالفعل عبيد، مطلوب منهم دَفْع ضريبة رؤوس إضافية عليهم، وبالتالي إقرار ما هو غير قانوني ، والتي يتم تجاهلها من قِبل مسئولو جمع الضرائب في تطبيق عقاب قاس على من دفع الغرامة أو الرشوة.

وعمومًا كان اليهود يُفَضِّلون استئجار الخدم، حيث أن مؤسسة الرق غير متماشية أساسًا مع عاطفة الكرامة البشرية التي كانت موروثة في اليهودية، وأن تحرير العبيد كان يُعتبر عملًا خَيِّرًا بصفة خاصة، طالما أن الإبراء من العبودية قد تحقق شعائريًا وأمام شهود.

وعندما كانت تُوجد حالات/ قضايا في المحكمة وتتضمن مسلمين، فكانت تتم

مناقشتها في محاكم المسلمين.

والتي تتضمن يهودًا كانت تتم في محاكم (بيت الدين Bet Din) وهكذا، وعندما ظهرت قضايا تضمنت أعضاء من مِلَل مختلفة، فعليهم تسويتها في محاكم إسلامية، ما لم يتفق الأطراف المعنية على عرضها على مكان آخر في المحاكم الإسلامية أو غير الإسلامية.

وبالنسبة للعثمانيين، فإنهم يرون أن الأطراف المعنية لديهم الحرية لاختيار المحاكم التي تعطيهم أفضل حكم ممكن.

وبسبب قَسْوَة المحاكم الـ (حاخاميةRabbinical) في موضوعات معينة، فكانت هناك بعض قَضايا يلجأ فيها اليهود للتعامل مع قضاياهم لدى محاكم إسلامية إذ أن تطبيق الشريعة الإسلامية في الاقْتِصاد والأمور الاجتماعية وتتضمن المواريث والزواج والطلاق والمنازعات داخل الأحياء اليهودية؛ مما أثار حفيظة الحاخامات الذين يصدرون قرارات تهدد بالنفي من البلاد بالنسبة لليهود، والذين تجنبوا المحاكم الـRabbinical في هذا الموضوع.

حتى في القضايا التي تَذْهب للمحاكم الإسلامية، فبينما كان للشهود المسلمين وزن أفْضل من غير المسلمين أو النساء، فيما يتعلق بالشهادة. وبفحص سجلات المحكمة يُوضح أن الشهادة قد تم قبولها دون اعتبار للدين ولديانة الشهود، وأن الشهود والأحكام كانت في أغلب الأحيان عادِلة جدًا ودون تمييز، وهو الأمر الذي كان شائعًا في الغرب.

وكانت حالات التمييز محدودة، وكانت القوانين تُطبق على المجموعات، وكانت أكثرها لمنع الصراع بين الأفراد والمجموعات أكثر منها لإظهار مشاعر التفوق أو التقليل من شأن الآخرين.

كان هذا هو الأسلوب المتبع مع رعايا السلطان، والذين يتقبلون الحكم بشيء من التذمر والشكوى.

عند حدوث ظُلم في الأحكام، فإن النظام العثماني في العصر الذهبي يُفْضِي بهذا

الأمر إلى نفس القادة بالمِلَل المختلفة لإتخاذ الرأي حيث تكون سلطتهم على أتباعهم مُطْلقة إلى حد بعيد أكثر من تلك السلطة التى على أعضاء السلطة الحاكمة لرعايا السلطان، وحيث يوجد علاج لهذا التعسف من جانب العثمانيين أو قوانين الملة.

الاضطهاد المسيحي للقوانين اليهودية العثمانية

:Christian Persecution of Ottoman Jews

كان اليهود العثمانيون على علم تام بمجموعة المصالح بينهم وبين المسلمين بصفة خاصة فيما يتعلق بالمسيحيين، لأنه إذا كان هناك اضطهادا لليهود في الدولة العثمانية في أوج قمتها وسلطانها، فإن هذا لم يتأت من الحكام العثمانيين ورعاياهم المسلمين ولكن بالأحرى من الرعايا المسيحيين، ليس فقط بالمرارة التي سببها فرض الحكم الإسلامي في أراضٍ كانت لعدة قرون ملكًا للمسيحيين ولكن أيضًا- وبصفة خاصة- بالفروض الموضوعة في الحياة الحَضَرِية وخاصة في المجالات المالية والصناعية والتجارية والمسيطر عليها اليهود والذين جعل أغلب المسيحيين أن يستمروا تحت هذا الإذلال.

وقد تصاعد هذا الشعور، بمعرفة أن اليهود قد ساهموا بصورة كبيرة في الفتوحات العثمانية في مراكز الحضارة المسيحية، لدرجة أن الحرفيين اليهود وخاصة المارونيين marrons كانوا يساعدون في تطوير المسكات muskets والمدافع، وكل أنواع التسليح الأخرى، والتي ساهمت بنجاح في إبعاد حملة الصليب المسيحي عن التمكن من الأتراك، مما جعل اليهود يدعمون بشدة استمرار الحكم العثماني بسبب تأكدهم أنهم سيكونون عُرْضة لاضطهاد متجدد إذا انتهت الدولة العثمانية.

وقد أثار القادة المسيحيون بِصفة مستمرة حَفِيظة السلطان ووزرائه ليحمل على تقديم حقوقهم والمزايا الممنوحة لهم على حساب المُجْتمع اليهودي، بدون الحاخام الأكبر لهم والذي يمثلهم، فقد كانوا يعتبرونه عرقلة تقاوم تقدمهم.

وقد أصر البطارِكة بعنف وثورة كبيرة بأنهم يجب أن يُعطوا الأسبقية في الحفلات والمراسم العثمانية الرسمية بدلًا من الحاخامات الرئيسيين لمدينة "استانبول"، وأخيرًا تحقق هذا الهدف في 1697م نتيجة للضغط الفرنسي والإنجليزي في المَحْكمة العثمانية.

وبتزايد المجتمع اليهودي في الدولة العثمانية في العدد، والنفوذ، والازدهار خلال القرن السادس عشر، فقد تابعهم سلسلة طويلة من الهجوم بالقتل والاضطهاد عن طريق المسيحيين الذين كانوا (يتحرشون) بالمسلمين دائمًا عندما يستطيعون، وعلى الرغم من المساندة، واستغلال النفوذ من جانب أوروبا، إلاَّ أن حكم العثمانيين قد أحبط محاولتهم بسرعة وبصفة شاملة بقدر الإمكان.

وكانت اتهامات القَتْل الشَّعائِري (Ritual murder)، والتعدي مُوَجَّهة ضد اليهود، وتتم بواسطة الرعايا المسيحيين العثمانيين للسلطان بدءًا من السنوات الأولى للقرن السادس عشر.

وكان أشهر وأول هذه الاتهامات قد حدث في مدينة أَنْطَاكِيَّة الوسطى لـ (أماسيا)Amasys ، ربما في عام (1530م = 939 هـ) عندما ذاع اتهام بواسطة كاهن أرمني ونبلاء ذكروا أن سيدة أرمنية قد شاهدت مذبحة يهودية لطفل أرمني لكى يُسْتَخْدم دمه في عيد الصفح (Passover feast) .

وتابع ذلك استمرار أعمال الشغب عدة أيام، وأعمال السلب والنهب والهجوم على اليهود، وقام العامة من الأرمينيين بتخريب الحي اليهودي بالمدينة، يضربون الرجال والنساء والأطفال على السواء.

وأقنع النبلاء الأرمن الحاكم العثماني المحلي= الوالى بسجن عدة قادة يهود بما فيهم الحاخام "يعقوب آوايو =Yakub Avayu" الذي أُتهم بالإشراف على إراقة الدماء.

وقيل أنهم بعد أن تعرضوا لعذاب شديد أنهم اعترفوا بجريمتهم، وتم شنقهم، وفيما بعد، ومع ذلك، فإن الطفل الأرمني الذي كان مفروضًا أنه قد قتل، شُوهد فيما بعد، وعاقب الحاكم العثماني= الوالى الجديد المتهمين الذين اتهموا بقتله، على الرغم من أن هذا لن يجدي مع اليهود الذين عانوا كثيرًا من جراء هذه التهمة.

وبعد ذلك بفترة وجيزة، حدثت حالة هجوم قَتْل شَعائِري مشابهة في (طوقاتTokat) حيث تم تخريب ونهب حي يهودي في الأسبوع ما قبل عيد الغربيين (عيد الفصح) وكانت هذه المرة بواسطة اليونانيين.

ومع ذلـك فعنـد هـذه الحالـة، فـإن الطبيـب الشخـصي للـسلطان "موشـى هـامون Moshe Hamon " أقنعه بإصدار فرمان Ferman يَمْنع تورط المسئولين والقضاة في أي من هذه الحالات مستقبلًا وخاصة من معاقبة اليهود المتهمين بجرائم القتل الشَّعائِري، ويَطْلب بعرض كل هذه الحالات أمام السلطان والديوان السلطاني في استانبول، حتى يتم إعداد العـدل الـصحيح خـارج هـذا الجـو العـاطفي الـذى تنتجـه الحالـة الهـسيتيرية للسكان من المسيحيين المتعصبين.

وخلال العقود التي تلت ذلك وعندما استأنف المسيحيون هجومهم على اليهود، أو لهذا السبب عندما أظهر المسلمون تحيزهم لليهود، فإن الحكومة العثمانية كانـت تتـدخل بشدة لأسباب اقتصادية، وليس لأي سبب آخر، لكي يستمر اليهود في العيش في أمـان أكثر استمرارًا لذلك الأمان الذي منح لأقـرانهم/ إخـوانهم في الـدين والـذين ظلـوا في أوروبا.

ولم تكن حالات القتل الشَّعائِري في أنطاكيا والروميلى متكـررة مثلما أصبحت فيما بعد، في القرن التاسع عشر. ولكن يُوجد حـالات هجـوم مـن وقـت لآخـر أساسًـا مـن الرعايا المسيحيين أو المسيحيين الـذين تَحَوَّلـوا إلى الإسـلام ليُـصْبحوا أعـضاءً في قـوات الجيش العثماني.

وبـذلك ففـي عـام (1633م=1043 هــ) كـان اثنـان مـن الإنْكِـشارِيين والمحـولين= الديڤشيرمه حديثًا من الأرثوذكسية اليونانيين قد اتهموا اليهود بقتل طفل مسيحي قبل عيد الفصح بستة أيام، وفقط بسبب تدخل السلطان "مـراد الرابـع Murad IV " نفـسه هدأت الأمور في العاصمة وأجزاء عديدة من "أنطاليا".

وكانت هناك حالات قتل شَعائِري أيضًا في "القدس"، حيث كان وجود المسلمين واليهود في مناصب السلطة، والنفوذ شـيئًا أثـار عـداء العامـة مـن المـسيحيين، والكهنـة المسيحيين.

وبينما كان الموظفون المحليـون عـادة مـا يـسترجعون النظـام تمامًـا وبـسرعة، إلاَّ أن اليهود شعروا بعدم الأمان لدرجة أن معظمهم تركز خارج المدينة وبخاصـة في (صـفد

Safad)، و(تبرياس Tiberias). والمكان الوحيد في المجتمع العثماني المُسلم الذى تم فيه مُمارسة التَّفْرِقة ضد اليهود كان في المناطق (الكُرْدِية Kurdish)لشرق أنطاكيا، حيث كانت القبائل الكردية يحكمها قادة إقطاعيون، والذين سلبوا المناطق السَّكَنية للمسلمين والمسيحيين واليهود على السواء.

نتيجة لذلك، فإن موقف اليهود– مثل الآخرين المتوطنين في المنطقة– كان فقيرًا جدًا، وبينما كان عدد قليل من اليهود في الحضر يشتغلون في التجارة والصناعة، حيث كان يوجد هناك عددٌ من الفلاحين اليهود، كانت الأمور المَصْرفية تُدار من قادة عشائريين أفضل من اليهود، وإن كان أغلب اليهود قد عاشوا في فقر مدقع.

الأوبئة والحرائق:Plagues and Fires :

إذا كان أي شئ قد جَمَع مجتمعات اليهود المختلفة معًا في العصور العثمانية، فإن هذا الشئ هو الحرائق والأوبئة التي ابتليت بها هذه التجمعات الحَضَرية في مناسبات عديدة والتي أثرت على الأفراد من كافة الطبقات والأجيال بصرف النظر عن أماكن تواجدهم.

فقد تحطمت أقسام كامِلة من المُدن الكبرى للدولة بسبب النيران الواسعة التي انتشرت سريعًا بين المباني، والتي كانت في أغلب الأحيان مبنية من الخشب.

وانتشر التيفود، والكوليرا، وأمراض أخرى مشابهة، بسهولة– وتحولت إلى أوبئة منتشرة في أنحاء المدينة– والتي لم يستطع حتى الأغنياء إيجاد مخرجٍ منها.

تم اتخاذ كافة إجراءات الوقاية، والعزل في المنازل، أو الابتعاد عن المدن، واللجوء إلى القرى أو الجِبال لشهور، وترتيبات نقل ودفن الموتى، ولم تعرف بعد ذلك الوقت الضروريات الفعلية للحجر الصحي والعدوى، وبالتالي كان يحمل على الأعناق آلافًا من الناس من كافة الأديان في كل مرض، ولم يستغرق الأمر طويلًا حتى تنشر الجالية شائعات عن "القتل الشعائري"، وتتهم اليهود في إشعال الحرائق، والتسبب في الطاعون والأوبئة الأخرى بواسطة تسميم مصادر مياه الشرب، وهو ما أدى بصورة حتمية إلى حالات قتل جماعي جديدة، أحيانًا بواسطة المسلمين الذين يحرضهم المسيحيون لكي يدفعوا الأخطار.

الحياة الإجتماعية والاقتصادية لليهود في العصور العثمانية

: Jews Social and Economic Life in Ottoman Times

لعب اليهود دورًا حيويًا في الحياة الاقتصادية للدولة العثمانية في عصرها الذهبي، وهي مساهمة لها دلالتها على اعْتبار عددهم القليل بالمقارنة بالمجموعات الغير إسلامية الأخرى بين رعايا السلطان.

الأطباء اليهود ورجال البنْوك اليَهُود:Jewish Physicians Bankers :

أولًا وقبل كل شيء: كان هناك هؤلاء اليهود الذين أثروا من خلال غناهم وعلمهم أن جعلوا أنفسهم من الناس الذين لا يستغنى عنهم السلطان وقادة الطبقة الحاكمة مثل الأطباء، الماليين (الممولين) والمستشارين السياسيين والدبلوماسيين، في نفس الوقت كانوا يستخدمون تأثيرهم لمساعدة وحماية إخوانهم في الدين الأقل نفوذًا، وفي حالات كثيرة أكثر مما يفعله القادة الرسميون.

حياة اليهود الاجتماعية والاقتصادية

(في عهد الدولة العثمانية)

لعب اليهود دورًا هائلًا في الحياة الاقتصادية في الدولة العثمانية في عصرها الذهبي. وكان لهم إسهامٌ ملحوظٌ رغم أعدادهم القليلة بالمقارنة بالمجموعات الأخرى التي لا تدين بالإسلام كرعايا للسلطان.

الأطباء اليهود وأصحاب المصارف:

قبل كل شيء كان هناك اليهود الذين ألقوا بثرواتهم أو معلوماتهم جاعلين من أنفسهم عنصرًا لا غنى عنه للسلطان وللقادة من الطبقة الحاكمة، مثل الأطباء والرأسماليين (خبراء المالية) ومستشارين سياسيين ودبلوماسيين، وفي نفس الوقت كانوا يستخدمون نفوذهم في مساعدة وحماية الأقل منهم نفوذًا من إخوانهم في الدين اليهودي في كثير من الحالات لحد لم يستطع رؤوساء الموظفين الوصول إليه. ومن بين الأطباء والذي كان له تأثيره ونفوذه وكان قد خدم في الأزمنة الأولى للحكم العثماني هو إسحاق باشا Ishak pasha وكان رئيس الأطباء في عهد مراد الثاني (1421– 1451)

والـذي أطلق عليه لقب جاليون (Galeon)– Galen– و"يعقوب أفندي الفينيسي (Maestrojacobo) –Venetian Yakub Efendi". وكان طبيب "محمد الثاني الفاتح"– الذي قاوم محاولة الفينيسيين لجعله يقوم بقتل السلطان أو على الأقل يقنعه بمهاجمة روما لكي يزداد النفوذ الفينيسي في شبه الجزيرة الإيطالية.

ومعظم الأطباء المؤثرين (وأصحاب النفوذ) في خدمة العثمانيين كانوا أعضاءً لأسرة هامون (آمون) (Amon Hamon) والتي سيطرت على الحكم العثماني وجالية اليهود في استانبول خلال القرن السادس عشر. ونُظِّمت الأسرة الحاكمة (المهيمنة) بجوزيف هامون Joseph Hamon الذي ولد في غرناطة Granada في 1450م تقريبًا، والذي هاجر إلى استانبول أثناء حكم السلطان محمد الثاني وخدم كطبيب خاص بالسلطان بايزيد الثاني وسليم الأول. والأسرة الحاكمة (المهيمنة) وصلت ذروتها وقت ابنه "موشي هامون Moshe Hamon" (1490 –1567م = 896– 975هـ) والذي أصبح الطبيب الخاص بالسلطان سليم الأول والسلطان سليمان القانوني بين عام (1490م إلى 1554م = 896 هـ إلى 962 هـ) . وإذا استمرت طقوس قتل ومهاجمة اليهود آماسيا وطوقات حتى عام (1530م = 937هـ). فقد أخذ موشي هامون الأمان (الضمان) بفرمان سلطاني مزود بحماية حكومية ضد هذه الإفراطات التي يمكن أن تظهر ضدهم في المستقبل. كما أنه أيضًا اهتم بالمدارس كما أسس وجود أعمال ليعمل بها عدد من العناصر اليهودية المثقفة الهامة واهتم بالعلماء التلموديين تعاليم في ذلك الوقت.

ومنهم "جوزيف بن سُليمان تيتازاك Joseph Ben Solomin Taitazak" و"صاموئيل هاليفي (هالوي) بن حكيم Samuel Ha-Levi Ibni Hakim" والذي كتب بنفسه عددًا من الكتب عن العقاقير والأدوية.

لقد مارس "موشي هامون Moshe Hamon" تأثيرًا بنفوذه الذي كان له اعتباره في المجتمع اليهودي الرئيسي في الدولة في ذلك الوقت، مستخدمًا اتصالاته بأعضاء في الطبقة الحاكمة للدولة العثمانية لتأمين المعتقل، وإحضارهم لبعض الموظفين اليهود المرتشين من سالونيك Salonica إلى استانبول بغرض إنهاء النزاعات المزعجة لهذا المجتمع. وقد خدم عند السلطان كدبلوماسي مع كثير من السفراء الأوروبيين ذوي

الأهمية في استانبول. والعمل على نشر السلام في فينيسيا في (1540 م = 947 هـ)، قد تدخل أيضًا في عام (1552م = 960 هـ) بنجاح لتأمين التصريح بإرسال أغلب ثروة أصحاب المصارف اليهود المارونيين البرتغال المهاجرين حديثًا وهم "دونا جراسيا منديس Dona Gracia Mendes" وابن أخيها "دون جوزيف ناسي (Don Joseph Nasi" وإلى هذا الحد يسر لهم إمكانية الصعود (الوصول) إلى البلاط السلطاني خلال العهد اللاحق للسلطان "سليم الثاني".

وأخيرًا سقط "موشي هامون Moshe Hamon " بقوته وذلك بسبب خداعه للبلاط السلطاني. لكن ابنه "جوزيف هامون" استطاع الحصول على تأثيرات فعالة عند بلاط السلطان "سليم الثاني" بمساعدة دون "جوزيف ناسي". ومع ذلك من المحتمل أنه لم يمتد نفوذه مثلما فعل والده.

وفي عام (1568م = 976 هـ) أمّم تجديد الامتيازات الممنوحة في الأصل ليهود سالونيك من قِبل السلطان بايزيد الثاني، وفي نفس الوقت حصل على استثناء دائم من الضرائب العثمانية لنفسه ولسلالته والذين منحوا اسم "أولاد موسى". وأيضًا كان عضوًا لجماعة الثقافة العبرية ثم أصبح عضوًا فعالًا في سالونيك واستانبول. والارتباط بالشعراء مثل Sa'adia Longo و Yuda Zarko و Absalon Almoz Linos ونشر بعض أعمالهم.

وبالإضافة إلى هؤلاء الأطباء الذين اشتهروا بمرافقتهم لبلاط الدولة العثمانية وتأثيرهم على السياسة العثمانية، كان منهم الكثير الذين جاءوا من مدارس طبية من سلامانيكا Salamanica وليسبون Lisbon ʻلى سالونيك Salonica واستانبول وأماكن أخرى من الدولة. والذين أدخلوا التقدم النهائي في العلاج الطبي في الغرب. وفي نفس الوقت دون أي حدود والتكتم على أبحاثهم كما كان يبدو بأنهم أجبروا على ذلك في الغرب بسبب خوفهم من اتهامهم بالهرطقة.

وعادة وبعناية البلاط العثماني، هم طوروا علوم التشريح والجراحة وذلك أبعد من حدود التدريبات (الممارسات) التي كانت في غرب أوروبا (أوروبا الغربية) في ذلك الوقت، وجَعْل الدولة العثمانية قائدة (رائدة) في العلوم الطبية وذلك أثناء تزويد الدولة

العثمانية لكل الأديان وذلك بأعلى مستوى للعلاج الطبي لتكن جاهزة لمعاصرة أوروبا. القليل من العائلات العثمانية لم يستعينوا بأطباء يهود لأي سبب عنصري، وكانت تدريباتهم البارعة (التي تتطلب مهارة) تقوم على استعدادهم (رغبتهم) للذهاب إلى علاج المرضى في منازلهم حتى أثناء انتشار الأوبئة. وإحضارهم من المجتمع اليهودي باحترام وثناء على الأقل من المسلمين.

وبعض الأعداد من أصحاب المصارف اليهود عملوا على إحضار أغلب رؤوس أموالهم إلى الدولة العثمانية من أسبانيا والبرتغال، فقد عملوا على ربط جميع الأعمال المثمرة للوصول إلى المشاريع المالية، ليس فقط في الدولة لكن في كل أنحاء أوروبا استثمارات هائلة وتجارة. وقد احتكر اليهود دار صك النقود العثمانية والجمارك وخدموا كمقرضين للأموال وضرائب الفلاحين، وقد حصلوا على ثروات هائلة أثناء توسيع السيطرة على الإدارة المالية العثمانية والنظام الاقتصادي، وبالرغم من أنهم في هذه العملية شكلوا أنفسهم على التواجد في النظم الاقتصادية العثمانية أكثر من إحضار (نزعات) ميول تجارية معهم في أوروبا.

دونا جراسيا منديس (Dona Gracia Mendes) ودون جوزيف ناسي (Don Joseph Nasi):

من المحتمل أن يكونا من أكبر الشخصيات البارزة من أصحاب المصارف اليهود، وقد خدمت في الدولة العثمانية خلال القرن السادس عشر. وذلك أكثر من منديس Mendes (الذي أصله Benbanaste والذي وجد عن طريق (Marrano Converso)، الذي كان لاجئًا من البرتغال. و"دونا جراسيا منديسDona Gracia Mendes" (1510– 1568م = 916– 976 هـ) عرفت باسم السيدةLa Senora. أوGiveret والتي– بعد موت زوجها "فرانسيسكو منديس Francisco Mendes" (ناسي Nasi) في عام (1537م = 944 هـ) أصبحت الصرافة الرئيسة وذلك على مسئوليتها الخاصة في البرتغال. والقيام بعمل قروض لملوك (عواهل) مهمين مثل إمبراطور "الهسبورج" "تشارلز الخامس" و "فرانسيس الأول" في فرنسا وذلك قبل وبعد نفيها عن وطنها بسبب التحقيق. وبعد الإقامة الطويلة في بلجيكا (Belgium) وإيطاليا وبترتيبات

خاصة من قبل ملك أسبانيا كانت قد صرحت علانية عن ارتدادها وتحولها من الـدين المسيحي وتغير لقبها، واستأنفت علانية ممارسة الديانة اليهودية ووصلت إلى اسـتانبول في (1553م = 961 هـ) وبتحويـل أغلـب ثروتهـا مـن البندقيـة عـن طريـق نفـوذ الطبيـب "موشي هامون Moshe Hamon".

و"دونا جراسيا Dona Gracia" قد حصلت على نفوذ اقتصادي في الدولـة العثمانيـة بسرعة هائلة، وذلك بإنشاء وحدة بين اليهود والمسلمين في تجارة الحنطة والـورق والصوف الخام والبضائع الأوروبية.

وقد حصلت على نفوذ سياسي في البلاط العثماني حيث جعلت السلطان "سليمان القانوني" في عام (1556م = 964 هـ) يتدخل مع "بـائول الرابـع" للـدفاع عـن زملائهـا المارونيين والذين سجنوا في Ancona ولضمان إطلاق سراحهم، تقطع الدولة العثمانيـة تجـارة البحـر المتوسـط والتـي كانـت قـوام الحيـاة بالنسبة لازدهارهـا (بالنسبة للـدول الأوروبية) وذلك بإطلاق سراح اليهود.

وكان يعتبر هذا الوقت الذي ارتبطت فيـه "Dona Gracia " بـابن أخيهـا " Joseph Nasi"(1524– 1579م = 931– 987 هـ) والذي عملت معه عن قرب حتى وفاتها. وقد ولـد في ليسون Lison باسـم Joao ابـن Mendes Miqueez)) (Samuel Agostinho) بروفيسور (أستاذ) المارون للطب في الجامعة.

وقد تربى Joseph عنـد Dona Gracia بـسبب وفـاة والـده في (1525م = 932 هـ) وذلك عندما كان عمره سنة واحدة وقد هاجر معها إلى Antwerp في عـام (1537م= 944هـ) وتزوج ابنتهـا Reyna وقد تخرج من جامعة (لـوفـيانLouvain وبعـد ذلـك التحق ببنك (مصرف) عائلة Mendes والذي بسببهم أصبح من الأصـدقاء المقربين لـ "تشارلز الخامس Chales V" وإمبراطور هولندا "ماقسملين". وفي عـام (1547م= 954هـ) ارتبط بالكثير من المارونيين البرتغاليين الذين هربوا من التحقيقات إلى البندقية ثـم إلى اسـتانبول، وعنـدما وصـل إلىالمبشركة التـي تتكـون مـن 500 مـاروني آخـرين في 1554م، لحق في فترة وجيزة عمته، وعلانيـة تخلـص مـن الكاثوليكيـة وأسـتأنف الديانـة اليهوديـة. وفي (1566م = 974 هــ)، وبمـساندة والدتـه، زوجـة سـليمان الملكـة الأم

Roxelana وكان متهمًا ضد معارضة الوزير الأعظم "محمد صوقولي Mehmed Sokullu" والذي ساند منافسًا الحفل اليوناني والذي أقيم بمعرفة ميخائيلCatacuzene Michael والذي تمنى أن ينصب بدلًا من اليهود وليثبت نفوذه في البلاط العثماني، عدم نجاح المساندة لترشيح عرش سليم لأخيه غير الشقيق المنافس الأمير بايزيد.

ومع دونا جراسيا ودون جوزيف طورا ثروة هائلة عبر شبكة العمل لمشاريع دولية، وقد استخدموا معظمها لمساعدة المجموعات اليهودية العثمانية (Ottoman Jewish) وذلك بإسكان وإطعام اللاجئين الذين قدموا حديثًا بتطوير مراكز جديدة كبيرة لمستوطنات يهودية وتعليمهم عند "طبرية" و "صفر" في الأراضي المقدسة. وذلك بصناعة الحرير والصيد والزراعة وهي أسس اقتصادهم، وأصبحت "طبرية" مركزًا جديدًا لمستوطنة يهودية ونشاطًا ثقافيًا. وأسس Yeshiva الجديد عن طريق دونا جراسيا لتمويل الطلاب والعلماء (طلاب المنح) عن طريق اليهود في جميع أنحاء العالم.

وشجع دون جوزيف أيضًا الدولة العثمانية على مهاجمة قبرص، وأنجز ذلك في 1570م وعلى الأقل لتصبح ملجأ لليهود القادمين من أوروبا. وبعد هزيمتها ونفور اليهود لمغادرة الأرض المقدسة أدى إلى البديل وهو استيطان التركمان وقبائل الأكراد في غرب الأناضول.

ولتقدير خدماته التي قدمها للبلاط العثماني عين السلطان "سليم الثاني" دون جوزيف" أميرًا أي دوقًا على جزر Naxos وجزر (Andros Cycliad، Paris، Antiparos، Milosira and Satorin).

وبالسيطرة على كل ضرائب المزارع وبإعطائه الاحتكار على تجارة النبيذ بين كريت ومولدافيا و Wallaching و(شمع العسل) مع بولندا.

وأصبح اليهود الأشكناز Ashkenazi Jews عملاءهم، وبالنتائج المربحة، كان باستطاعته مقاومة تحديات المنافسين اليونان والأرمن وذلك باستحسانات السلطان لهم ولشعوبهم.

"دون جوزيف Don Joseph" وهو في ذروة قمته شيد أماكن فخمة لنفسه وعائلته في Belvedere على سواحل البسفور بجوار أورطة كـوي *Ortaköy* الحديثة، ورفه عـن نفسه بإسراف ولقب نفسه باسم "Joseph Nasi Dei Gratia Dux Aegi Pelegi، Domunis Andri".

وبعد وفاة "دونا جراسيا Dona Gracia" طور "دون جوزيف Don Joseph" ثـروة أكبر ونفوذ سياسي واقتصادي أوسع في جميع أنحاء أوروبا كما كان في الدولـة العثمانيـة. ومثـل "مـوشي هـامون Moshe Hamon" فى أوائـل القـرن أصـبح عمـيلًا دبلوماسـيًا للسلطان يحقق له أهدافه الخاصة لنظيره الأجنبي في المفاوضات التي تجرى مع كبـار الملـوك في أوروبـا، ففـي عـام (1550م = 957هــ) قـد ورط الجهـود العثمانيـة لإنقـاذ المارونيين وبعد ذلك لكونهم مضطهدين في البندقية. وفي عام (1562م = 970 هـ) كـان المتحـدث الرئيسي في المباحثـات (المفاوضـات) بـين الدولـة العثمانيـة وبولنـدا وفي عـام (1569= 977هـ) استخدم تـأثير الدولـة العثمانيـة لمساعدة الرجـال البـارزين في هولنـدا الذين ثاروا ضد الملك فيليب الثـاني الأسباني تحت زعامـة William of Orange. عـلى الأقل الجزء الباقي للتحقيق عن عدم تحطيم المجتمع والاقتصاد كـما حـدث في أسـبانيا وأوضاع امتلاك (هابسبورجHabsburg).

وأيضًا توسط بين الاتفاقيـة التـي وقعـت في أكتـوبر لـنفس العـام وهـي بـين سـليم الثاني وملك فرنسا تشارلز التاسع.

<u>سولومون بن نثان أشكنازي Solomon ben Nathan Ashkenazi :</u>

في أواخـر القـرن الـسادس عـشر نجـح "سـولومون أشـكنازي" (1520– 1602م = 927– 1011هـ) فى الحصول على لقب "دون جوزيفDon Joseph) ويعمل كمستـشار أساسي لمجموعة من السلاطين أولهم "سليم الثاني" وآخرهم "مـراد الثالـث" (1574– 1595م = 982– 1004هـ) وقد ولد في "ودين" في إيطاليـا عـام (1520م= 927هــ) وقـد تلقى تعليمه الطبي في Pavoda قبل دخوله في خدمة الملك البولندي سيجسموند الثـاني في Cracow وعنـدما انتقـل إلى اسـتانبول في عـام (1564م= 972هــ). التحـق بخدمـة السفير البندقي (الفينيـسي) "مـارك أنتونيـو بابـارو Marc Antonio Barbaro" كطبيـب

وكمترجم. وبعد ذلك حصل على الوظيفة عند الوزير الأعظم "محمد صوقللي Mohmed Sokolly" خلال الوقت الذي تمكنت فيه الدولة العثمانية من الحصول على قبرص من البندقية في (1570م = 978هـ). ثم أصبح فيما بعد طبيبًا ومستشارًا للسلطان "سليم الثاني"، وهكذا كان النجاح في الدور السابق من قِبل عائلة Mendes . وفي عام (1574م= 982هـ) كانت معاهدة السلام بين الدولة العثمانية والبندقية والتي أنهت الحرب التي كانت بدأت بالإغارة من قِبل الدولة العثمانية على قبرص علامة أخرى على نجاحه.

وفيما بعد أصبح سفير الدولة العثمانية في البندقية لعدة سنوات وهو الذي ساعد اليهود المحليين (العامة) بنجاح ضد الاقتراحات التي وضعت لتحقيرهم كما كان معمولًا بها في إيطاليا. وفي عام (1583م= 991هـ) توسط في النزاعات التي قامت بين النواب البريطانيين والفينيقيين في استانبول وفي عام (1586م= 994هـ) استخدم اتصالاته في أوروبا لإحلال السلام بين الدولة العثمانية وأسبانيا. وقد وقّع بنفسه المعاهدة بمناصفة مع السلطان (شريكًا للسلطان). وفي عام (1591م = 1000هـ) تدخل في (مولدوفيا Molovia) لتأمين انتخاب "إيمانويل آرون Emanule Aron" وهو أحد السكان الوطنيين (لفويفودا Voyvoda) وقد اتضح بالفعل عودة الرشاوي الأساسية.

واستمر تأثير (نفوذ) Ashkenazi على البلاط العثماني حينما كان يعمل كطبيب ومستشار للصدر الأعظم الجديد "فرهاد باشا" بعد موت "محمد صوقللي" و"سليم الثاني". وحتى عهد السلطان مراد الثالث (1574– 1595م = 982– 1004هـ) وأثناء استمراره في ممارسة الطب عند البلاط العثماني، واتبع أسلوب دون جوزيف باستغلال اتصالاته بالدولة العثمانية وطور عقود تجارية هائلة في أنحاء أوروبا. وفي نفس الوقت زاد من تدعيم استيطان اليهود في "طبرية" وترك ثروة هائلة لسلالته، وأخيرًا كانت ثروته الهائلة ونفوذه السبب في ظهور زمرة أعداء وذلك عند سفره إلى (ترانسيلفانيا Transylvania) في (1593م = 1002هـ) فقد سجن من قِبل أميرها بتحريض منهم، وقد تم إطلاق سراحه من قِبل سفير بريطانيا في استانبول لكنه توفى بعدها في عام (1602م = 1011هـ) وقد ارتبط ابنه "ناثان إشكنازى Nathan Ashkenazi "

بالتدريبات الطبية الخاصة في استانبول، وقد أخذ على عاتقه بعض المهمات الدبلوماسية بالباب العالي لفينيسيا في (1605م = 1014هـ) لكنه لم يستطع أن يبلغ ما بلغه والده من النفوذ والثروة.

إستر كيرا Esther Kyra :

واحدة من سيدات اليهود والتي أنجزت نفوذًا يعتمد عليه في بلاط الدولة في أواخر القرن السادس عشر. أثناء انحراف السلاطين العثمانيين وصراع الدوشيرمة للحصول على القوة، كما أن نساء الحرم السلطاني أصبح لهن قوة متميزة في عهد عُرِف بسلطنة النساء وأشهرهن كانت "إستر كيرا Esther Kyra Hadeli "، كانت أرملة "Ribbi Elie Handeli " الذي كان تاجرًا في استانبول والتي دخلت القصر رسميًا كأحد Kiras أو كعميلة للحريم من خارج القصر، والتي أصبحت تاجرة للحرير والثياب والأحجار الكريمة في القصر السلطاني. وحظيت بنفوذ عظيم على توظيف الموظفين فى (الوظائف الرسمية) والحصول على اتفاق ضرائب المزارع. وذلك خلال عهود السلطان مراد الثالث (1574– 1595م= 982– 1004هـ) ومحمد الثالث (1595–1603م = 1004– 1012هـ) والذي أدى إلى تقربها من والدة السلطان مراد "نور بانو سلطان" وزوجته المفضلة "صفية سلطان" تلك المرأة البندقية من عائلة بافو Baffo والتيأصبحت الملكة الأم (تولت الوصاية) على محمد الثالث وقد اعتمدت عليها الاثنتان، ليس فقط بسبب الأثواب والأحجار الكريمة ولكن أيضًا لنصائحها والاتصالات الدبلوماسية واستخدامها (إستغلالها) في الدخول بعلاقات مع السفارات الأوروبية في استانبول، وبسبب هذا العائد الكبير الذي أخذ في الاعتبار كانت نتيجته أنها أصبحت لعدة سنوات لها القدرة على تخصيص الإقطاعيات العثمانية لمن تشاء. والجزء الأكبر لمن وعدتهم بخدماتها أو بالمال من أجل الكنوز (الثروة)، حينما حصل ابنها على ثروة هائلة من خلال السيطرة على (جمارك– زبائن) استانبول. لكنها في النهاية سقطت من قوتها وقتلت من قِبل الانكشارية(*) في عام (1600م= 1009هـ) بسبب نفوذ العلماء (Ulema) كما كانت الضغينة من بعض الدوشيرمة (المهتدون حديثًا) والذين كانوا غير سعداء خاصة من نفوذ اليهود في البلاط العثماني.

<u>سولومون بن يعيش Solomon Aben Yaesh :</u>

كان هناك يهود آخرون ممن علا شأنهم في القرن السادس عشر والسابع عشر وقد يكون أهمهم والأكثر نفوذًا من ضمن هؤلاء هو "دون آلوارو مندس Don Alvaro Mendes " وهو الماروني من البرتغال. وقد رحل إلى الهند في عام (1545م=952هـ) وقد جنى ثروة كبيرة في عقد باستغلال مناجم الماس النارسونجرا Narsungra وعاد إلى البرتغال في (1555م= 963هـ) وأصبح موثوقًا به من قِبل الملك "جوا الثالثJoao III " وجعل منه فارسًا وألحقه بنبلاء البرتغال وقد عاش "دون آلواروDon Alvaro " في مدريد سبع سنوات لكن بتحفظ بسبب زيادة الضغوط في التحقيقات ضد المارونية. ثم ذهب إلى فلورنسا Florance في عام (1564م= 972هـ) وإلى باريس (1569م= 977هـ) و Ant Werp ولندن وفي النهاية إلى البندقية (فينيس).

وقد أسس أعمالًا وعلاقات قريبة برجال الدولة الأوروبيين وبخاصة الملوك والعواهل ومن ضمنهم الملكة "إليزابيث الأولى Queen Elizabeth "في إنجلترا و"هنري الثالث Henri III" في فرنسا و"كاترين الطبيبة Catherine de Médicis".

وبسبب نفوذ ابن عمه الثاني " دون جوزيف ناسيDon Joseph Nası" فقد دُعي إلى الذهاب إلى الدولة العثمانية من قِبل السلطان سليم الثاني بعدما وصل إلى سالونيك في ربيع (1585م= 994هـ). ومثل المارونيين الآخرين فورًا ألقى بعباءة المسيحية وعاد على اليهودية باسم "سولومون ابن يعيشSolomon Aben Yaesh " سولومون ابن يعيش (Abanaes/ Ibn yaiş/ ben Yaesh) وسريعًا ما اكتسب استحسان السلطان "مراد الثالث" (1574– 1595م= 982– 1004هـ) وأصبح أميرًا لجزيرة (ميديللي). وقد تولى (انتحل) قانون Don Joseph باعتباره العرَّاب الأساسي لمجتمع اليهود لـTiberiasوالذين يتمثلون في ابنه يعقوب Jacob والذي لم يكن ناجحًا تمامًا بأي حال في إعادة ازدهار المستعمرة اليهودية. ومثل Don Joseph، استخدم Solomon Yaesh اتصالاته الأوروبية بشبكة العملاء في كل أنحاء أوروبا لتطوير شبكة العمل في التجارة والاتصالات، محققًا ثروة طائلة لنفسه وبسبب حفاظه على أسياده العثمانيين. ظهر في التطورات الأخيرة على القارة الأوروبية.

والخدمة الأهم التي قام بها عندما أسس علاقات دبلوماسية قريبة واقتصادية لباب العالي مع إنجلترا أولًا بإرسال الرفاق المارونيين Solomon Kormano و Judah Sarfati إلى الطبيب الخاص بالملكة إليزابيث وهو Rodrogo Lopez، وترتيب الأمور فيما بعد لنائبها William Harbourne حتى يصبح سفيرًا لها في الباب العالي عام 1583م. وهو بالتالي أنهى سيطرة الفرنسيين على الاقتصاد الأجنبي العثماني والعلاقات السياسية والتي استمرت منذ عهد السلطان سليمان القانوني وأمنت التأييد (المساندة) البريطانية في الحروب العثمانية مع (هابسبرجHabsburgs) في نهاية القرن السادس عشر مع إعادة تسليم الامتيازات إنجلترا عن طريق النموذج لهؤلاء الذين منحوا مسبقًا إلى التجار الفرنسيين في الدولة العثمانية. ووضع السلاطين في وضع يمنحهم الفرصة ليقوموا بدور المتنافسين في القرون التالية.

وكانت "بولا إكشاتي Bulla Ikshati" أرملة "سولومون أشكينازي Solomon Ashkenazi" قد كسبت نفوذًا كبيرًا في البلاط العثماني أثناء حكم السلطان "أحمد الأول" (1603– 1617م = 1012– 1026هـ) وذلك بعد نجاحها في علاج السلطان من مرض لم يتمكن طبيب في البلاط من معرفة علاجه. وكان يوجد مجموعة كبيرة من الأطباء اليهود يخدمون في القصر العثماني أثناء القرن السابع عشر. خاصة أثناء حكم السلطان "مراد الرابع" و"محمد الرابع" (1648– 1687م= 1058– 1099هـ) وأثناء وزارة الوزراء العظام لعائلة كوبريلي، حققوا جميعًا إسهامات ضخمة للطبقة الحاكمة العثمانية، والذين شعروا بأهميتهم والذين قاموا بمصاحبة المجتمع اليهودي وكافؤوهم في مقابل خدماتهم.

الحرفيون (الصناع اليهود):

كان يوجد الكثير من الحرفيين اليهود النشطين في معظم مدن الدولة العثمانية، كانوا ماكرين جدًا ومجتهدين جدًا وكانوا خبراء في جميع أنواع التجارة، يعيشون في الأماكن التي يستطيعون فيها ممارسة التقدم على الآخرين وإظهار براعتهم دون الالتزام بالقوانين والقيود ونقابة خاصة أو قيود دينية كما كان الحال في أوروبا.

وفي الحقيقة هم كانوا أنفسهم ونقاباتهم اليهودية والكثير منهم قد ارتبط عن قرب

بنظرائهم المسلمين. والذين جميعًا طبقوا نقابات دينية نموذجية محدودة وأعداد من الحرفيين وبضائع حرة من المنتجات، وكان اليهود خصوصًا مهرة في تزييف الحديد (الحدادة)، ومنهم الحدادون وصناع العجلات أو العربات (ومصْلحوها) ومدربو البنائين وصناع الأشرعة وصناع الحبال، وكانوا بحارة خبراء وصيادين سمك. وكان يوجد أيضًا صباغون (رسامون) يهود وصناع أحذية ودباغون، وصناع في معادن متعددة مثل الذهب والفضة، وصناع الأقفال، ومحرقو الجير، وعمال بناء، ومثلهم يتواجدون في أغلب المدن العثمانية، وعند مساكن اليهود كان يوجد تجار متجولونMerchants ودكاكين صغيرة لبيع كل الأشياء، وكانت هذه الدكاكين عبارة عن فتحات صغيرة في الحائط مثل دكاكين العطارة والخمر.

وكانت أحد الأسر في الفنزيا The Venzia وفي سالونيك Salonica لها الحق في جمع الضريبة على الأمزان، وذلك منذ أن أصبحت المدينة تابعة لفينيسيا في (1423-1430م= 826- 834هـ) واستمر ذلك حتى للمهرة (Hazaka) حتى العصور الحديثة.

لم يكن لليهود العثمانيين نظير في تجارة النسيج والصباغة وخاصة في سالونيك Salonica وذلك فقط بعد وصول اليهود الأسبان، خاصة الذين هم من Toledo و Segovia. وأصبحت أهم مركز للنسيج والملابس في الشرق، لقد صنع اليهود جميع أنواع الأقمشة مثل الملابس والحرير والسجاجيد، منتجات يهود سالونيك Salonica لصناعات النسيج كانت لها قدرها لجودتها العالية مقارنة بالبضائع المحلية والتي كانت قصيرة وجافة ومخلوطة بمواد غريبة.

وأصبحت سالونيك Salonica (إحدى) قلاع مصانع القماش الفخمة، وأغلب العائلات جزأت إلى وحدات لتعمل لمدة طويلة في البيت ليلًا ونهارًا ، الرجال والنساء والأطفال يعملون على حد سواء، على ترأس المنازل وحتى في الشوارع كانوا ينتجون أفضل وأنعم النوعيات من القماش.

والضجيج المستمر لماكينات الحياكة كان نتيجة مباشرة لما تقوم به المدينة، وقام الذين يندون الملابس الصوفية بالماء لغسلها بربطها في الأنهار وباستخدام وسائل الصباغة أصبحت المياه تجري في الشوارع، وكونت مشكلة بحيرات مائية وبائية دائمة

في المناطق المنخفضة في *سالونيك* Salonica، وكثير من الناس عاشوا في تلك المناطق في ظروف غير صحية لكنهم احتملوا الوضع وتقبلوا الحياة كما هي بدون شكوى لأسباب شخصية ولحاجة المجتمع.

وتقريبًا كان جميع الحرفيين في سيسيليا= صقليةSicily من اليهود، فحينما أصدرت الحكومة الأسبانية المرسوم بطردهم، كان أغلب المواطنين المسيحيين من سيسيليا Sicily تدخلوا مناصفة، وأيضًا لإنهاء الانفجار أو على الأقل تأخره، ولكن هذه الطريقة كانت غير ناجحة بسبب قوة التحقيقات. فهؤلاء اليهود السيسيليان= الصقليين (Sicilian) المهاجرين ذهبوا خاصة إلى سالونيك Salonica والتي كان لديهم فيها أعدادًا لا تحصى من الدكاكين والورش والتي عملوا بها صناع المراجل وصناع طلاء القصدير وصناع الأخشاب وتجار الفراء، وصباغون، وخياطون، وصناع أحذية، وصائغو ذهب، ونساجون، وقصابون، وطحانون، وصناع (بائعين) أباريق الزيت، وأيضًا كانوا صيادين أسماك ومراكبية (رجال مراكب) وصناع الملح وحمالين الأثقال إلى أسطح السفن.

اليهود في التجارة الدولية والمحلية:

اشتراك التجارة للدولة العثمانية مع اليهود العثمانيين وصل ذروته في القرن السادس عشر، وذلك باعتماد العثمانيين على اليهود في التجارة كما كان الحال في الدبلوماسية والصرافة.

وذلك منذ أن كانوا العنصر الوحيد الذي ضم الجدارة والاتصالات المهمة بدون نماء علاقات الخيانة مع القوى المسيحية في أوروبا. ومنذ أن انتشرت الدولة العثمانية في القارات الثلاث، فقد زودت التجار بوسائل فوق العادة للتجارة في كل أنحاء العالم، ولمعرفة اليهود أسلوب (مناهج) الصرافة الأوروبية واللغات الأوروبية الأساسية واتصالاتهم بزملائهم اليهود الذين كانوا في معظم مراكز التجارة الأوروبية، ساعدوهم في نماء كبير في العلاقات التجارية مع الغرب والذي عاد بفائدة كبيرة (أساسية) على الطرفين، لهم (لليهود) والدولة العثمانية، وتجار اليهود العثمانيين عرفوا كيفية مسك الحسابات (الإحصائيات) وكتابة الخطابات التجارية والعقود التجارية.

فقد كان لديهم معرفة جديرة بالاعتبار في الجغرافيا والمالية والإدارة، كما كانوا خبراء في اللغات الأجنبية، فقد رحلوا من بلد إلى بلد، بينما كانوا تدريجيًا يتراسلون مع اليهود في كل مكان. وقد عرفوا في المرحلة الأولى الاحتياجات والمنتجات لكل منهم، وتواجدهم في معظم البلاد، ووجود أقرباء وأصدقاء لهم كان يمكن الاعتماد عليهم كلية، قد (أعطاهم) مكنهم من الاقتصاد العالمي (الكوزمو بوليتاني) والذي جعلهم يستطيعون أن يأخذوا على عاتقهم الواردات والصادرات بأقل المخاطر.

والأهمية الخاصة في تأمين استمرار وازدهار التجارة اليهودية، فالتجارة عندهم هي شركة العائلة (اشتراك العائلات) والتي كانت مسيطرة من قبل نظام العمل اليهودي في عهد الدولة العثمانية، في جميع أنحاء الدولة كما كانت في الدول الأجنبية، فبوجود فروع للأخوة والأبناء وحتى أخوة الأزواج والزوجات كشركاء مسيطرون. ونتيجة لذلك كان باستطاعتهم تحمل نظام فعال جدًا للتحويلات (للتبادلات) وذلك باستخدام نظم محنكة لفواتير لتحويلات شريفة من قِبل أصحاب المصارف اليهود والتجار في دول مختلفة لتحويل (نقل) الرصيد (المخزون) بطريقة لا يستطيع عملها المنافسون المسيحيون والمسلمون، فقد كانوا مضاربين جسورين.

ونتيجة لذلك فقد طوروا الاحتكار الفعلي على التجارة الاستعمارية، وخلافًا لعادة القرون الوسطى، فلم يحصروا أنفسهم من بند إلى آخر، فكانوا يعرفون كل البنود في تجارة البضائع بجميع أنواعها، دون التقيد بحواجز دولية أو حدود الشركات. فقد جعلوا أنفسهم ضروريين لأسواق العالم، وأصبحوا وسطاء للتبادل الكبير لبضائع السكر والقهوة والتوابل، عمومًا اليهود لم يضاهوا اليونان والأرمن المقربين للسلطان والذين من المفترض أنهم مواطنون أجانب لاستغلال الامتيازات الأجنبية (المعاهدات).

وهكذا أضيف لدى المسلمين الريبة والشك فيهم ولدوافعهم، وعوضًا عن أعضاء الأسرة اليهودية الذين كانوا أوروبيين عادة كانوا يحضرون إلى السلطنة لتدبير أعمال الأسرة، فيستطيعون أخذ فرصة استغلال امتيازات (معاهدات) أجنبية بدون خيانة العهد اليهودي والولاء للدولة التي أنقذتهم من الاضطهادات في أوروبا.

كان اليهود مـن اسـتانبول وسـالونيك Salonica قـد أبقـوا عـلى العلاقـات التجاريـة الواسعة الانتشار خلال تراسيا Thrace وحتى الجنوب الغربي لأوروبـا ومـن الـدانوب إلى هنجاريا Hungary والنمسا Austria وأوروبا المركزية في أقصى الشرق مثل بولندا وروسيا. التجار اليهود العثمانيين ذهبوا إلى فرنسا وإنجلترا وأيضًا البعض منهم ذهب إلى أسبانيا، برغم ذلك كان من الطبيعي التنكر لتحاشي الاضطهادات.

فاليهود الأسبان الذين استقروا في Corfu تحت الحكـم الفينيسي منـذ القـرن الثـاني عـشر قـد تـاجروا خاصـة مـع اليهـود الـذين اسـتقروا في ألبانيـا العثمانيـة (Ottoman Albania) خاصة في (AvlonyaValonya) بينما كانت فيها بعد قد توسع التجارة خلال (Ragusa Dubrovnik) وعـبر الأدريـاتيكي Adriatic إلى Naples نـابلس وجنـوه Genoa وعبر Dalmatia إلى البندقية وأوروبا المركزية.

وقد استقر التجار اليهود في إزمير فقط بداية من الربع الأخير من القرن السادس عشر، وذلك عندما جاءوا من تيره Tire ومغنيسيا Manisa وبالهروب من اضطهاد الشيعة الصفويين بإيران.

ففي أوائل أعـوام القـرن الـسابع عـشر، جـاء أيضًا الكثير من سـالونيك Salonica بسبب الزلازل المتواصلة، والحرائق والفوضى مثلها مثل تزايد الاضطهاد من قِبل السكان اليونان، وقد ارتبطوا بسرعة بآلاف المارونيين من البرتغال و Castille والذين اعتبروا عنصرًا لزيادة الاضطهاد بالتحقيقات بتحقير تحولهم إلى الكاثوليكية لأكثر من قرن، وذلك فقط وقتها، ومن المرجح في الغالب بأنه ليس صدفة بأن في النهاية بدأت "إزمير" تنمو حيث الأهمية الاقتصادية وأن تصبح المدخل للتجارة الدولية من البحر الأبيض المتوسط وآسيا، وعبر الطرق البرية عبر الأناضولAnatolia إلى الشمال والشرق، ومع المارونيين خاصة وباستغلال اتصالاتهم القريبة بأقاربهم في Livorno وأمستردام Amsterdam لمصلحة عظيمة (كبيرة هائلة).

وأيضًا انقسم اليهود في تجارة الحرير الدولية وتمركزوا في بورصة في الأناضول بإرسال سفنهم عبر القسم الآسيوي Adriatic إلى البندقية وعبر البحر الأحمر والخليج العربي إلى المحيط الهندي إلى الهند والصين وما ورائها، فقد خلقوا أسواقًا هائلة

للبضائع العثمانية والمواد الخام، كلاهما في أوروبا والشرق.

فقد صدَّروا منتجات مثل العقاقير والأصواف من أنقرة والفواكه المجففة من الأناضول والحرير من بورصة وإيران وشمع العسل والسجاد وجلد الحيوانات والأسمنت والقطن والمرجان ومنجات مهمة مثل Camelots و alun والبورسلين والكتان وقماش القنب (الكنفاه أو الأشرعة) كما تاجروا في خشب البناء والمسامير والقصدير ومثلها.

وعندما حاول باباوات روما بمنع التجارة الدولية اليهودية في إيطاليا، فقد أقنعوا السلطان العثماني لمقاطعة الموانئ الرئيسة الإيطالية حتى يرق الباباوات. وتحت ضغط التجار الإيطاليين الذين كانوا يخسرون أسهمهم للتجارة الدولية بسبب منع اليهود.

وكانت هناك مساعدات كبيرة لليهود العثمانيين من استانبول وسالونيك و صفر من قبل مجتمعات التجار اليهود المستعربين (Musta rab jewish) التي تأسست منذ زمن لتطوير التجارة في مراكز الشرق الأوسط، مثل القاهرة والإسكندرية وبغداد والبصرة وفي شمال أفريقيا في الجزائر والذين جميعًا أصبحوا مراكز استيراد البضائع من الشرق مثل الصادرات للمصنوعات العثمانية والمواد الخام.

في مصر الإدارة المالية هي أغلب الهيئات الحكومية متضمنة مجموعة الضرائب رسوم الجمارك وعملية صك النقود، انتدبت لليهود على الطرق التجارية والسفن التي تحمل بضائعهم لتعبر موانئ البحر المتوسط، والبحر الأسود والمحيط الهندي لكل أنحاء العالم.

والدعم الأخير لدورهم في التجارة الدولية العثمانية، وقد سيطر اليهود على أغلب ضرائب المزارع ومراسي استانبول ومقاطعات (أقاليم) الدولة، فقد كانوا بالقطع هم رؤوساء الجمارك، كما قاموا بجباية رسوم مرتفعة للجمارك لمن هو ليس بيهودي، مما جعل الكثير يكرهونهم ومما دعى إلى تدخل الحكومة في ذلك الوقت مع أن العثمانيين لم يجرؤوا على عزلهم نهائيًا أو مؤقتًا بسبب معلوماتهم الفذة لقيمة البضائع، وعن كمية الناس الذين يستطيعون الدفع. كما أن اليهود العثمانيين قد لعبوا أدوارًا مهمة في التجارة داخل الدولة العثمانية، فالتجار اليهود كانت أعدادهم أقل من الحرفيين عندما جاء

اليهود في بادئ الأمر، ولكن أعدادهم زادت بسرعة بقدوم اللاجئين.

وعبر مقدونيا Macedonia و تراقيا Thrace في أوروبا والأناضول والأقاليم العربية لبلاد الشرق فقد أقام اليهود بنوك فرعية ونُزل، والتي أديرت من قِبل يهود آخرين حتى أنهم قد زاروا المدن الصغيرة، وذهبوا إلى الجبال والصحاري وعرضوا القهوة والسكر و indigo والملابس والآلاف من الصناعات والتي صنعت من العالم لرعايا السلطان.

* * *

تعليقات و هوامش الفصل الثانى

1 – أرقام تعداد النفوس فى الولايات العثمانية مأخوذ عن التعدادات السكانية للدولة العثمانية التى صدرت خلال القرنين الخامس عشر و السادس عشر وقد تم احتساب اليهود على أن الأسرة اليهودية مكونة من سبعة أفراد.

2 – سمحت الدولة العثمانية لليهود خلال عصورها بإنشاء معابد لهم، وأن تحمل هذه المعابد أسماء من قاموا بتشييدها.

(*) – رغم أن هذا الفصل يتناول العصر الذهبى لليهود فى الدولة العثمانية بل وفى العالم الإسلامى أجمع إلاَّ أن المؤلف أغفل بل تعمد عدم الإشارة إلى الفرمان الذى أصدره ياووز سليم الأول عام (913 هـ = 1517 م) بعد أن ضم الشام وعند اتجاهه إلى مصر ضم القدس وزار الأماكن المقدسة واجتمع برجال الدين المسيحى واليهودى و بعد أن أحسن إليهم بالخلع والعطايا أصدر لهم فرمانًا يؤمنهم على حياتهم وأموالهم وكنائسهم ومعابدهم ومزارعهم وآبارهم وسمح لهم بترميم أماكن العبادة وصيانتها. بل طالب الولاة والأبناء من بعده برعاية ذلك وإلا تعرضوا للعقاب الصارم.

* * *

الفَصْلُ الثَّالِثُ

تدهور أحوال اليهود في الدولة العثمانية في القرنين السابع عشر والثامن عشر سقوط وتمزق الدولة العثمانية



الفصل الثالث
تدهور أحوال اليهود في الدولة العثمانية
في القرنين السابع عشر والثامن عشر
«إنهيار وتمزق الدولة العثمانية»

لقد اختفت جميع مظاهر الرخاء والسلطة والنفوذ التي حظي بها اليهود في العصر الذهبي خلال القرنين الخامس عشر والسادس عشر في القرنين التاليين تمامًا. فقد حدث تغيير كبير كنتيجة لتمزق الدولة العثمانية ككل؛ حيث بدأت الدولة في أواخر حكم سليمان (Süleyman)العظيم، عملية بطيئة للتدهور في الطبقة الحاكمة بين كل من الأتراك وغير المسلمين بعناصر من الشعوب غير المسلمة التي تم غزو بلادهم، والذين يتم جمعهم وتدريبهم خلال نظام التحول الدوشيرمه (*) "Devşirme" والذي كان بمقتضاه يتم تحويل الشباب النصراني إلى الإسلام، وإدخالهم في خدمة السلطان، وتولى المناصب العليا في كل من الإدارة والجيش. ولقد حقق السلاطين العظام للقرنين الخامس عشر والسادس عشر التوازن بين هاتين الجماعتين للسيطرة على كليهما، واستغلالها لصالح الدولة دون إساءة إلى الشعوب من خلال إساءة الحكم أو المبالغة في فرض الضرائب. وإلى حد ما حظي اليهود بالدولة العثمانية على بعض الاهتمام وهو ما يعني أنه عندما يعرضهم أي من أفراد الطبقة الحاكمة لإساءة في الحكم، أو عندما يحاول الرعايا النصرانيون الهجوم عليهم وإلقاء التهم أو قتلهم كنوع من أنواع الطقوس كان يتم قمعهم ومعاقبتهم وهو ما وفر لهم الاستقرار والأمن الضروريين لمشروعاتهم الناجحة في كل من الصناعة والتجارة إلى جانب نفوذ كل من الأطباء والصيارفة اليهود في البلاط السلطاني وهو ما جعل أن مثل هذه القضايا يتم تناولها على وجه السرعة وبالشكل الأنسب.

وعندما بدأ حكم سليمان (Süleyman) في منتصف القرن السادس عشر تسيدت إحدى الطبقتين الحاكمتين العثمانيتين على النظام بأكمله، فلم يكن الأراستقراطيون

الأتراك بل أولئك المنحدرون من أصول تركمانية من هضبة الأناضول (Anatolia) خلال القرن الحادي عشر هم الذين قادوا الدولة العثمانية الكبرى وليس المتحولون (الدوشيرمة) أي الشباب النصراني الذي تحول عن النصرانية وخَلَفَهم والذين لم يقدموا إسهامات كبيرة سوى بعد قرن. ومع بداية حكم الوزير الأكبر إبراهيم باشا العظيم (1523– 1536م = 930 هـ - 943هـ) في منتصف فترة حكم سليمان القانوني (Süleyman) استطاع المتحولون (الدوشيرمة) السيطرة على النظام، وإخراج الأراستقراطيين الأتراك من الطبقة الحاكمة والعودة إلى الممتلكات الأناضولية (Anatolia) التي ورثوها عن أسلافهم. وبمجرد أن وجد الدوشيرمة أنه لا يوجد من ينافسهم في الصراع على السلطة داخل استانبول (الآستانة) استطاعوا أن يفرضوا نفوذهم على السلاطين وأن يستولوا على الإدارة والجيش لتحقيق مصالحهم الخاصة. وفي الوقت ذاته انقسموا إلى طوائف سياسية متصارعة، وقد وزعوا المناصب في الحكومة ليس وفقًا للأمانة أو الإمكانات كما كان يفعل السلاطين لطبقة العظام فيما قبل، بل وفقًا للطبقة الذي ينتمي إليها المتقدمون لشغل المناصب، وبمقدار ما كانوا يدفعونها كرشاوي. كما أن السلاطين أنفسهم كان يتم اختيارهم وفقًا لرغبات جماعة الدوشيرمة التي تؤيدهم ومدى قوة ونفوذ أمهاتهم داخل القصر السلطاني، وهو ما يعني أن الأمراء الضعفاء والأقل قدرة هم الذين يصلون إلى الحكم بينما يتم التخلص من أولئك الذين لديهم رجاحة عقل.

ولقد انتشر في جودة السلاطين وقدرتهم على التخلص من مساوئ الحكم بسرعة في جميع أنحاء النظام. ولقد استغلهم الدوشيرمة الذين حصلوا على مناصب ذات سلطة كالإقطاعيات لتعويض ما دفعوه ولإضافة الأرباح. فبدون تقييد أيادي السلطان وبدون أن يدخلوا في منافسة مع الأرستقراطيين الأتراك استطاعوا، بل فرضوا على الرعايا البائسين ما يزيد عن الضرائب القانونية مضيفين قروضًا غير قانونية إضافية، لدرجة جعلتها حقيقة قانونية عامًا بعد عام. بينما وُجدت وسائل جديدة لفرض ضرائب إضافية قانونية كبيرة ورسوم من جميع الأنواع، ولقد ظهرت ثورات متكررة للإنكشارية وحدثت تغيرات كبيرة في الوزارة وأصبح كبار المسئولين متماثلين في جميع

أنحاء النظام، كما كان كل مسئول جديد يعمل على تعويض مصروفاته، والتكاليف التي تكبدها كي يصل إلى هذا المنصب بأسرع ما يمكن، لمعرفته أنه سرعان ما سيتم استبداله بشخص آخر، فيعرض رشاوي أكبر في المقابل.

وفي ظل هذا النوع من الفوضى في الحكومة المركزية انتشرت دائرة المساوئ في جميع أنحاء نظام الحكم العثماني؛ حيث قامت السلطات البلدية والإقليمية باستغلال سلطاتها لتحقيق أرباح شخصية. ومع وجود هؤلاء الولاة العثمانيون وغيرهم من المسئولين الذين يبتكرون دائمًا أنواعًا جديدة من الضرائب والرسوم أو حاميات الإنكشارية التي يقودها الأغوات الذين ينهبون ويغتصبون رعاياهم أو القضاة الذين من المفترض أن ينفذوا ويقيموا قوانين السلطان، ولكنهم كانوا يبيعون قراراتهم وأحكامهم للأطراف الذين يدفعون مبالغ أكبر. انتشر الظلم مع وجود بعض أفراد الرعايا الذين يحظون بحماية محدودة يمكن أن تزودهم بها مجتمعاتهم إلا إذا كانت لديهم حماية من خارج النظام أي من الدبلوماسيين والقناصل الأوروبيين والذين لديهم حالة خارجة عن التشريع الوطني نتيجة للامتيازات التي تم اشتراطها عند الاستسلام من حكوماتهم في القرن السادس عشر.

إن الفساد وسوء حكم أفراد الطبقة الحاكمة إلى جانب أحداث الشغب الناجمة عنها قد أدت إلى الاستياء والثورة من جانب الجماهير المطحونة، المسلمين وغير المسلمين على حد سواء. فلقد عاد أفراد الطبقة الارستقراطية الأتراك إلى ممتلكات أسلافهم بالأناضول (Anatolia) حيث استغلوا ميزة الاستياء الشعبي لشَّن تمرد شعبي جاد وواسع على خصومهم في استانبول (الآستانة) وحرمانهم من السيطرة على الولايات وعائدات الضرائب التي كانت بالغة الأهمية لعظمة الدولة العثمانية.

أما في جنوب شرقي أوروبا فقد تعددت أعمال السلب والنهب التي يقوم بها الدوشيرمة على يدي المئات من عصابات اللصوص النصرانيين والذين يسمون بـ[قطاع الطرق] أي الهايدوت، وما شابه والذين يمثلون في العصور الحديثة رواد الحركات القومية ولكنهم لم يكونوا في حقيقة الأمر سوى لصوص همجيون يسعون إلى الحصول على ثرواتهم وتحقيقها من جيرانهم الضعفاء. أما في الأناضول (Anatolia)

أدى إلى غياب حكومـة مركزيـة قويـة إلى ظهـور اللـصوص، والـذي كـانوا يـسمون بالسلالين خلال السنوات الأولى من القرن السابع عشر نظرًا لقوة أعدادهم؛ حيث كانوا يطردون آلاف الفلاحين وسكان المدن من جميع الأديان والذين وفروا نظام حكم آمن في المناطق التي يسيطرون عليها أكثر مما كانت تقدمه الحكومة العثمانية. أما في الإمارات العربية فقد كان العبيد المماليك للحكام العثمانيين وغيرهم من المسئولين الذين استولوا على السلطة يشغلون معظم المناصب.

ولقد عمت الفوضى في كل مكان؛ حيث كان هناك (قطع الطريق) على الأراضي، ليس فقط على الطرق العامة ولكن داخل المدن. ولقد قضت وحدات الجيش المعروفة بالإنكشارية وغيرها من الحاميات العثمانية في جميع أنحاء الدولة وقتها في زيادة الاضطرابات وفي شن الغارات ونهب الممتلكات في كل من القرى والمدن على حد سواء ناشرين الخوف والرعب حيثما دبت أقدامهم. ولقد أصبح من المستحيل أن تنتقل عبر الطرق بدون أن تُسرق. ولقد كان على التجار المسافرين إلى الأسواق التجارية وكذلك المسافرون والفلاحون الذين يرغبون في نقل محاصيلهم إلى السوق أن يستأجروا حرسًا خاصًا وأن يسلحوا أنفسهم لكي يتمكنوا من الوصول إلى الأماكن التي يرغبونها. ولقد كان اليهود أكثر تعرضًا لمثل هذه الهجمات نظرًا لأن المهاجين كانوا إما نصارى أو متحولين عن النصرانية إلى الإسلام من العاملين في قوات الإنكشارية وعلى أية حال، فقد كان من المعروف أن اليهود فقط لديهم نظام منتظم لافتداء الرهائن.

ولقد شهد كل من الريف والمدن على حد سواء أعمال تخريب. ولقد تعرضت القنوات الكبرى التي تجلب المياه إلى استانبول (الآستانة) والمدن الأخرى منذ العصور الرومانية إلى الخراب والتدمير وهو ما ترك السكان بموارد مياه ملوثة. كما تم قطع الغابات الفسيحة التي كانت موجودة في كل من الأناضول (Anatolia) وتراقيا. كما تم نهب المقابر القديمة أما محتوياتها فقد تم تدميرها أو إرسالها إلى المتاحف الكبرى في أوروبا. كما تردت أحوال الطرق.

ونظرًا لانخفاض العائدات التي تصل إلى الخزانة العامة من الولايات نتيجة

لتمردها وثوراتها حاولت الحكومة المركزية أن تلبي التزاماتها المالية من خلال التقليل من أهمية أو قيمة العملة حيث قامت باستدعاء العملات الذهبية والفضية وأعادت صكها مع إضافات كبيرة للمعادن الأساسية، إلا أن هذا قد أبعد العملات الذهبية والفضية الجيدة من السوق وأدى إلى ظهور معدلات تضخم كبيرة، واضطرابات مالية ضخمة مما ضاعف من كل من الضغوط والمصاعب.

ولمواجهة سوء الحكم ليس فقط من مندوبي الحكومة المركزية بل أيضًا من أولئك الذين يتمردون عليها نجد أن آلاف الفلاحين الذين كانوا عبيدًا في الأرض دون انتفاع من عملهم فقد هربوا من الأراضي الزراعية والتي جفت، وأصابها البور وهو ما قلل بشكل كبير من حجم الطعام المتوافر للمدن. ولقد كون معظم هؤلاء الفلاحين عصابات خاصة بهم لضمان عيشهم من أعمال الإغارة على الأراضي التي لا تزال تزرع. أو من خلال الهجوم على القوافل التجارية والقرى والمدن على حد سواء؛ حيث كان لزامًا على كل من الفلاحين وأهل القرى أن ينظموا سبل حمايتهم الخاصة نظرًا لأن قوات الأمن التي توفرها الحكومة كانت تشارك أيضًا في الهجمات. وعندما لم يجدوا أحدًا حيث يرجع السبب وراء ذلك للقيود على أعمال الاحتكار والضوابط الاقتصادية التي تفرضها طوائف الحرفيين، كونوا عصابات لا تهدأ لتجوب الشوارع وتهاجم ليس فقط مسئولي السلطان بل أي شخص تبدو عليه علامات امتلاك الأموال أو الطعام أو أي منهما؛ حيث تركوا معظم المدن في حالة فوضى وتدهور افتراضية حيث كانت الشوارع تمتلئ بالقاذورات كما غرقت في مياه الصرف، وكانت المحلات تتحول إلى أطلال ونادرًا ما كان يجرؤ الناس على الخروج إلى الشوارع أو حتى الأسواق.

ونظرًا لتدهور الزراعة بشكل كبير وتعطل أنظمة المواصلات فقد زاد الأمر من الصعوبة فى الحصول على الطعام الذي لم يكن يزال يتم إنتاجه أن يجد طريقه إلى المدن على أساس منتظم؛ حيث نجم عن ذلك عجز في إمدادات الطعام، وكذلك في جميع ضروريات الحياة. ولقد أدى كل ذلك إلى كوارث طبيعية كبيرة وإلى مجاعات وأوبئة وحرائق كبرى، دمرت مدنًا بأكملها أو أجزاء كبيرة من مدن كبرى، كما لم تبذل الحكومة جهودًا كبيرة لتخفيف أي من الأسباب أو النتائج. ولقد تحولت جميع

التجمعات العمرانية للدولة تدريجيًا إلى تجمعات فوضوية من السكان الذي ضربهم الفقر، والتي وصفها العديد من الرحالة الأوروبيون في القرن الثامن عشر.

ولقد كانت المدن الكبرى والمدن الصغرى العثمانية في عصر التدهور والسقوط مزدحمة؛ حيث كانت المباني متعددة الطوابق مع قلة الإضاءة والتهوية مخلفة وراءها هواءً متعفنًا ونتنًا، كما كانت المساكن شديدة الرطوبة. ولم تكن هناك مياه جارية أو وسائل صرف صحي كما كانت القمامة والقاذورات موجودة، فالبحيرات والبرك الراكدة وكذلك المستنقعات قد قدمت جميعًا مصادر ملائمة للأمراض المعدية.

ولقد جلبت السفن التجارية القادمة من موانئ سالونيكا(*Salonica*) واستانبول (الآستانة) وإزمير وغيرها من الموانئ العثمانية معها الأمراض من الشرق الأدنى أو أوروبا حيث لم تكن هناك خدمات صحية أو نظام أو حجر صحي لمنع أطقمها من الدخول إلى المدينة بدون قيد. ولقد تسبب كل من الجوع والمجاعة اللذان كانا نتائج طبيعية للفوضى في الريف في تفشي حالة الضعف بين الناس، وجعلتهم فريسة للأمراض المعدية المنتشرة؛ حيث انتشرت أمراض مثل الطاعون والحمى النمشية والإسقربوط والديفتريا والملاريا والجذام والقوباء الحلقية، والتي عادة ما كانت تتحول إلى أمراض وبائية نظرًا للجهل بأسبابها، وكذا لمعايير الحجر الصحي المطلوبة لعزل المصابين، ومن ثم وقف انتشار المرض. ولقد انتشر الوعي في بعض الأحيان بين الأغنياء لعمل شيء حيال تفشي تلك الأمراض والذين كانوا عند ظهورهم أول علامات على الطاعون يهرعون إلى الولايات أو على الأقل يعزلون أنفسهم عن هذا الخطر دون أن يدروا؛ لأنهم كانوا يرسلون خدمهم لشراء الطعام وغيره من المؤن. لذا كانت الأمراض الوبائية عامة حيث لم يكن هناك مرض أقل ضراوة عن غيره.

وكنتيجة للفوضى السياسية والصراعات بين القوات المسلحة العديدة، مع نقص الضوابط الأهلية على المباني والنظام الأهلي لمكافحة الحرائق كانت المجتمعات العمرانية الرئيسة قد هلكت نتيجة للحرائق الكبرى والتي خربت ودمرت المجالات الحياتية التي لم تتركها الأيدي البشرية، ففي استانبول (الآستانة) وحدها في الفترة من (1606م- 1698م= 1015هـ - 1110هـ) شب 26 حريقًا كبيرًا. وقد حرقت هذه

الحرائق مساحات شاسعة من المدينة وبصفة خاصة تلك الأجزاء التي يسكنها اليهود، فحريق استانبول (الآستانة) الهائل الذي شب ليلة العشرين من شهر مايو عام (1606م= 1015هـ) قد دمر المركز اليهودي القديم النحاسي بالقرب من بوهاسقابي مجبرة أكثر من أحد عشر ألف يهودي في عشرين محفلٍ إلى الهرب لـ"خاصكوي Hasköy ". ولقد قتل الحريق الهائل الذي دمر بدستان الرئيسة للسوق المغطى عام (1618م= 1028هـ) ما تبقى من أحياء اليهود في المدينة القديمة. حيث انتقل معظم سكانها من البوسفور إلى (أورطه كوي) والتي أصبحت الآن أحد المراكز اليهودية الرئيسة للمرة الأولى وهو ما أدى إلى إعادة بناء معبدها اليهودي. وفي نفس العام شب حريق هائل في (غلاطة) تسبب في انتقال معظم سكانها عبرالبوسفور إلى الأحياء (الأناضولية Anatolia) باسكدار وقاضيكوي والتي أصبحت مراكز يهودية هامة. ولقد دمرت الألعاب النارية التي تم إستخدامها عند الاحتفال بمولد ولي العهد في السابع من أغسطس عام (1633م = 1043هـ) في تدمير معظم الأحياء اليهودية في سيبالي والتي انتقل سكانها إلى (بالاط Balat) و(خاصكوي Hasköy) . ولقد تم تدمير معظم (بالاط Balat) نتيجة للنيران التي اندلعت ليلة الثلاثين من شهر أغسطس عام (1640م= 1050هـ) في أحد مصانع الشموع خارج بوابة (بالاط Balat). وخلال الحريق الكبير الذي شب في استانبول (الآستانة) في الرابع والعشرين من شهر يوليو عام (1660م= 1071هـ) والذي دمر 80 ألف منزل في مدينتي استانبول (الآستانة) القديمة و(غالاطة) تم تدمير [جيفريت يشيفا] التي أنشأتها "دونا جراسيا ميندیز Donna Garcia Mindes " إلى جانب الآلاف من المنازل والمحال اليهودية.

وخلال القرن الثامن عشر كان هناك ما لا يقل عن ستين حريقًا كبيرًا في استانبول (الآستانة) وحدها. ولقد تسبب الحريق الذي اندلع بالقرب من (يني قابي) في عام (1715م= 1127هـ) في إجبار مئات اليهود على الانتقال إلى خاصكوي (Hasköy). وفي عام (1729م= 1142هـ) دمر حريق بدأ في حي فنار اليوناني ما يقرب من ثمن استانبول (الآستانة) القديمة في يوم واحد بما في ذلك بالاط (Balat). وبعد الحريق الذي دمر استانبول (الآستانة) في عام (1740م= 1153هـ) سمح لليهود أن يبنوا مباني جديدة

ومعابدها بدون الحصول على تراخيص في (غلاطة) و(أورطه كوي) و(أوسكودار) التي انتقلوا إليها بأعداد كبيرة لدرجة أنه صدر في عام (1744م= 1157هـ) فرمانًا جديدًا يقيد من هذه الميزة. ولقد دمر حريق سيبالي الذي شب عام (1756م= 1170هـ) أكثر من ثمانمائة منزل يهودي انتقل سكانها تقريبًا على كل من جانبي البوسفور (Bosporus) وبصفة خاصة إلى كوزجنكوك على شواطئ الأناضول (Anatolia) في الجهة المقابلة لأورطه كوي. إلاَّ أن الزلازل العديدة والفيضانات وغيرهما من الكوارث الطبيعية قد أزعجت السكان في عدة مناسبات ذلك بالإضافة إلى غياب اللوائح والنظام الحكومي اللذين تسببا في تفاقم العملية.

ولم يكن السفر بالبحار آمنًا مثله مثل السفر برًا. فكانت السفن صغيرة جدًا وضعيفة البنيان حيث كانت إما تتعرض للانقلاب أو تغرق لأتفه الأسباب. إلاَّ أن الأمر الأكثر من ذلك كان التهديد الدائم للقراصنة ومراكبهم وبصفة خاصة في مياه إيجه، والتي تمر من خلالها كل السفن بين استانبول (الآستانة) وسالونيكا (Salonica) ومصر وبلاد الشام بما في ذلك ليس الحجاج فحسب بل أيضًا سفن الغلال والذهب والعبيد من أفريقيا والشرق الأدنى. ولقد كان معظم هجمات القراصنة تنظمها أوامر الصليبيين النصرانيين والتي تصدر للهجوم على وجه التحديد على الأراضي الإسلامية لإخراج الأتراك من الأراضي المقدسة. وقد كان أشد القراصنة بطشًا ورعبًا هم فرسان مالطة الذين سببوا إرهابًا للسفن والشواطئ على حد سواء؛ حيث كانوا يقتلون الناس ويغتصبون النساء وينهبون ويسرقون بلا رحمة أو شفقة تحت اسم الحضارة النصرانية. أما القراصنة الآخرون فقد أرسلتهم كل منينيسيا والنمسا وروسيا خلال حروبها مع العثمانيين. كما كان هناك أيضًا قراصنة أسبان وإيطاليون وألبان ويونانيون وتونسيون وبعض المغامرين الهولنديين ومن الدولة الإسكندنافية الذين يعملون بصفة منتظمة في بحر إيجه وشرق البحر المتوسط. أما القراصنة المسلمون فقد جاءوا من الجزائر ومن أماكن أخرى بالشمال الأفريقي مع بعض القراصنة المحليين المتواجدين في بحر إيجه وشرق البحر المتوسط. وفي بعض الأحيان كان هؤلاء القراصنة يستولون على جزر بأكملها ومدن صغيرة؛ حيث يقومون باغتصاب النساء وأسر الرجال للحصول على

فدية أو إجبار المحتاجين على الإنضمام إليهم في البحر، وهناك أوقات، دخلوا فيها إلى الموانئ الكبرى ونهبوا المخازن الموجودة بالقرب من الشواطئ، فقد تمت الإغارة على (سالونيكا Salonica) ليلة الخامس والعشرين من شهر نوفمبر عام (1718م= 1131هـ) وكيليوس في فبراير من عام (1742م = 1155هـ). ولقد هجم القراصنة الجزائريون على السواحل المتاخمة لبحر إيجه في عام (1747م= 1160هـ). كما أغارت سفن من مدينة راجوزا الدلماتية (سالونيكا Salonica) في سنة (1756م= 1170هـ). فقد أصبح النقل البحري أكثر خطورة وغير مأمون العواقب في النصف الأخير من القرن الثامن عشر، وبصلفة خاصة أثناء الحروب بين العثمانيين والروس (1768– 1774م= 1182– 1188هـ) و (1787– 1792م= 1202– 1207هـ) والحروب بين نابليون وإنجلترا. فحتى الأسطول البريطاني قد شارك العثمانيون في القتال لتحرير البحور من مثل هذه الهجمات إلا أنهما لم يحققا سوى نجاحًا ضئيلًا ضد القراصنة.

ولم يستغرق الأمر وقتًا طويلًا قبل أن تدرك الدول النامية في أوروبا مدى تدهور السلطنة العثمانية، وفجأة انتهت التقدمات العثمانية الدائمة التي نبهت أوروبا الوسطى في منتصف القرن السادس عشر بعد أن تولى سليمان (Süleyman) الحكم. أما الآن فقد انتعشت القوى الاستعمارية والإمبريالية والأوروبية. حيث أصبح كل من السلطنة العثمانية ورعاياها تحت الهيمنة الاقتصادية للدول الكبرى بأوروبا، والتي استطاعت أن تستفيد من معاهدات الاستسلام التي قدمها السلاطين العظام كامتيازات لبعض المجتمعات الأوروبية التجارية الصغيرة ليمكنها من الحياة داخل أحياء تحت قوانينها التي يراها قناصلهم، وهو ما يشب تمام المجتمعات الدينية المختلفة للرعايا العثمانيين في منازلهم الخاصة. ولقد استخدمت الآن لاستغلال السلطنة ورعاياها غير النصرانيين، وذلك من خلال تجاهل قوانينها وسلطة مسئوليها. وقد تم منح مثل هذه الامتيازات للمرة الولى في عام (1455م = 860هـ) عندما اعترف "محمد Mehmed" الثاني بعد عامين من غزو استانبول (الآستانة) بالاستقلال الذاتي لتجار جنوة والفينيقيين الذين يعيشون في (غالاطه) تحت نفس الظروف المماثلة للامتيازات التي كان يتلقونها من الأباطرة البيزنطيين السابقين على الغزو، وهو ما سمح لهم بتكوين مجتمعات صغيرة

لهم لم يقودها قناصل يخضعون للسلطة العثمانية وقد تم توقيع أول اتفاقية استسلام رسمية في عام (1535م= 942هـ) بين فرنسيس الأول وسليمان (Süleyman) العظيم كجزء من تحالفهم العسكري ضد الإمبراطور تشارلز الخامس إمبراطور هابسبرج. ووفقًا لبنود هذه المعاهدة وسع السلطان الغازي من المزايا التي كانت تمنح مسبقًا للتجار الإيطاليين ليكونوا من رعايا الملك الفرنسي. فقد كانت كل من الرعايا الفرنسيين وما يضاف إليهم من رعايا الدول الأخرى وكذلك موظفيهم وعمالهم المحليين يعيشون بمقتضى قوانينهم الخاصة التي ينفذها قناصلهم دون الخضوع إلى القوانين العثمانية، أو أي من المسئولين الحكوميين بأي شكل من الأشكال. ولقد شملت هذه المزايا إعفاءات من الضرائب الإضافية ومعدلات ضريبية مختلفة عن غيرهم ذلك مثل رسوم الجمارك المفروضة، ليس فقط على التجارة الداخلية والخارجية بل أيضًا على الشحن الداخلي للبضائع والذي كان بمقدار 3٪ مقارنة بالرعايا العثمانيين الذين كانوا يدفعون ضرائب على الشحن الداخلي بنسبة 5٪ وهو ما منح التجار الأجانب ميزة تفضلهم عن التجار المحليين.

والأكثر من ذلك أن فرنسا قد مُنِحت الحق في تمثيل والهيمنة على جميع الأوروبيين الذين يرغبون في السفر أو العيش أو التجارة في الأراضي العثمانية، والذين كان عليهم أن يقبلوا الحماية الفرنسية، وكذلك سلطة القناصل الفرنسيين إذا ما كانوا يريدون دخول أراضي السلطان. وقد تم تجديد هذه الامتيازات وتوسيعها حتى أصبح للمندوبين الفرنسيين حق الحماية ليس فقط للأشخاص الذين يعتبرون رعايا مباشرين لملك فرنسا وغيره من الملوك الأوروبيين، بل أيضًا جميع الكاثوليك والأديرة الكاثوليكية والأوامر الرهبانية وغيرها من المؤسسات الخيرية في السلطنة العثمانية. ولقد أكد هذا على الهيمنة الفرنسية في المشرق حتى بعد أن حظيت بريطانيا العظمى وهولندا على امتيازات مماثلة لرعاياهما في عام (1583م= 991هـ) وتبعتهما في ذلك دول أخرى خلال القرن السابع عشر، ونتيجة للهيمنة الفرنسية في المشرق الناجمة أشار العثمانيون إلى جميع الأوروبيين مهما كانت دولتهم على أنهم فرنسيون، وقد غلبت اللغة الفرنسية والثقافة والأخلاق الفرنسية على جميع الأجانب والعديد من المواطنين غير

المسلمين في الأراضي العثمانية حتى وقت قريب، ولقد حل ميناء (مارسيليا) الفرنسي على ساحل البحر المتوسط محل موانئ (فينيسيا) و(مالطة) و(ليفورنو) كملك للبحار الشرقية وشريك تجاري رئيسي للعثمانيين.

وبحلول القرنين السابع عشر والثامن عشر كان يقوم قنصل كل دولة بمراقبة حقوق الامتيازات الأجنبية، أما في المراكز التجارية والموانئ العثمانية الأخرى مثل سالونيكا (Salonica) وإزمير والإسكندرية فكانت تدار في القرن السابع عشر بواسطة تجار أثرياء أو بعض الرعايا العثمانيين غير المسلمين، وأحيانًا بقباطنة البحار الذين يتم تعيينهم بشكل رسمي ليكسبوا عيشهم بعد التقاعد. ولم يستغرق الأمر وقتًا طويلًا قبل أن يصبح هذا المنصب بالغ الأهمية ومعقدًا. وعلى أية حال تم تعيين القناصل في القرن الثامن عشر لإدارة مثل هذه المهام وتولى شئون مجتمعاتهم في نفس الوقت، وبالإضافة إلى التأكد أن الامتيازات الأجنبية كانت تخضع لإشراف المسئولين العثمانيين نجد أن هؤلاء القناصل قد عملوا في نفس الوقت كوكلاء تجاريين لتسهيل بيع البضائع التي تصل إليهم من موانئهم المحلية، وكذلك لتفريغ البضائع المشحونة وشحن البضائع العثمانية على السفن العائدة، وقد ساهموا أكثر وأكثر في التحكم في الخلافات التجارية بين رعاياها، وأحيانًا للتحكيم في القضايا والتي تنتهك فيها أي من قوانينهم المحلية أو القوانين العثمانية. كما واصل معظمهم أنشطتهم التجارية الخاصة حيث حققت مناصبهم الرسمية أرباحًا وثروة طائلة لهم، وكذلك لأصدقائهم ومعارفهم.

ففي الوقت الذى كانت الحكومة العثمانية قوية بما يكفي لتحمي مصالحها الخاصة، وكان قلة من رعايا السلطان تحميهم الامتيازات الأجنبية، كانت الجاليات الفرنسية وامتيازاتها لها تأثيرها الضئيل على السلطنة، ولكن نظرًا لانتشار الفوضى وضعف الحكومة تغير الموقف بشكل كبير. فأولئك الذين يستفيدون من الامتيازات الأجنبية قد أصبحوا مستغلين للاقتصاد العثماني والشعب العثماني، وبصفة خاصة أولئك الذين انتفعوا من التجارة العثمانية في الماضي وهم الرعايا المسلمون واليهود. كما أفسدت نفس حالات الفوضى التي ظلمت التجار المحليين أنشطة التجار الأوروبيين والنصرانيين المحليين الذين يعملون داخل السلطنة، إلا أنهم كان لديهم وسائلهم

الدفاعية، ولقد انتظم كل من هؤلاء القناصل الآن مع جاليتهم في شكل مجتمعات منظمة تحميهم امتيازاتهم بقوة، ونظرًا لأن الحكومة العثمانية تزيد من ضرائبها وجماركها في حالة التعثر، كان التجار الأوروبيون وقناصلهم يصرون بنجاح على الحفاظ على المعدلات الرسمية والإعفاءات الممنوحة لهم كما تحددها اتفاقيات الامتيازات، بل كانوا يطالبون أيضًا برد الأموال الإضافية التي أخذتها الحكومة والرشاوى التي جمعها المرتشون، ونتيجة لذلك تدفع الآن الجاليات الأجنبية ضرائب أقل من نظرائهم العثمانيين ليس فقط على الجمارك بل الضرائب أيضًا، فمن خلال العيش في ظل هذه الظروف الخارجة عن التشريع كان التجار الأجانب الذين يعيشون في ظل قوانينهم الخاصة التي ينفذها قناصلهم بشكل غير محكم، كان باستطاعتهم التهرب من القوانين المرهقة والضرائب التي تفرضها حكومة السلطان وتجاهل سلطة الولاة العثمانيين والشرطة العثمانية، ولقد مكنهم هذا الموقف من تنمية تجارتهم وتحقيق الرخاء بينما يُخرجون منافسيهم المحليين من المنافسة غير القادرة على تلقي معظم المبالغ التي لدى العاملين عليها غير الأمناء، بل أجبرت أيضًا على تحقيق جميع المبالغ الإضافية المأخوذة من التجار الأجانب.

هذا ليس كل شيء، فعندما بدأ التجار الأوروبيون في جني الأرباح التي يمكنهم أن يحققوها فقد دخل المئات والآلاف من الأراضي العثمانية للاستفادة من هذا الموقف محولين المجتمعات الفرنسية الصغيرة المحمية إلى دول كبرى داخل الدولة، والتي استطاعت الاستيلاء على الاقتصاد العثماني، وبالإضافة إلى ذلك تم إخراج الرعايا العثمانيين من المنافسة مع منافسيهم الأوروبيين الحاصلين على الامتيازات، فإن ذلك لم يحصل على تشجيع معظم المبتكرين والخياليين منهم ذلك لأن القناصل الأوروبيين بالنسبة لمعظم النصرانيين لم يرغبوا في التعامل مع أي من المسلمين أو اليهود، فقد كانوا يشترون الجنسية الأوروبية أو أي أشكال آمنة للعمل مثل المترجمين (الترجمان) أو الوكلاء أو الخدم. وفي بدايات القرن الثامن عشر تقريبًا منحهم هذا الوضع كرعايا تابعين ومنحهم الأوامر العثمانية التي منحتهم الحماية، فالامتيازات الأجنبية الممنوحة للأجانب الذين يعملون لديهم، بما في ذلك الإعفاء من معظم القوانين والضرائب

العثمانيـة إلى جانـب وجـود قناصـل طماعـين اسـتطاعوا توسـيع مثـل هـذه المناصـب والضمانات لأكثر من احتياجاتهم لتحقيق أرباح إضافية، وبمرور الوقت استطاع بعض اليهود أيضًا أن ينتفعوا من مثل هذه الحماية الأجنبية وبصفة خاصة تلك القادمة من خارج السلطنة من ميناء (ليفورنو) بإيطاليا، وكـذلك مـن بعـض اليهـود داخـل الدولـة العثمانية. وقد قام الأجانب مع مستخدميهم المحليين الـذين يسمون بـالميراث الـذين يجتمعون حول كنائسهم ومبـاني القنصليات أن يحققـوا وضـع الجاليـات الثريـة، حيـث يعيشون على خير البلد في منازل ضخمة ولديهم العديـد مـن الخـدم، ويحميهـم حـراس ألبان يسمون بالكلفات وكذلك بفرق (الإنكشارية) المستأجرة حيث كانوا يعشيون في نعيم ورخاء، حيث كانوا ينعمون بجميع وسائل الترفيه والحفـلات الراقـصة وغيرهـا، ولقد شكل ذلـك جـزرًا ثريـة وسـط البـؤس حيـث كـان أولئـك الـذين يـستفيدون مـن الامتيازات الأجنبية ينظرون نظرة الازدراء للرعايا الفقراء البائسين- مسلمين ويهودًا ونصرانيين على حد سواء- الذين كانوا يعيشون في فقر يتعرضـون لكافـة أنـواع الظلـم وسوء المعاملة. ولقد كان هناك بـين المستخدمين المحليين تمييـز ملحـوظ بـين جاليـات الملوك الأوروبيين العظماء ومستخدميهم المحليين حيث كان يعتبر اللاحقون رعايا مـن الطبقـة الثانيـة يـشاركون كثـيرًا مـن الـسخرية التـي يـشعربها الأوروبيـون نحـو اليهـود والمـسلمين، حيـث لم تكـن تأخـذهم الرحمـة سـوى بأولئـك الـذين يـدينون بـديانتهم النصرانية وهو ما مكنهم على الأقـل مـن المشاركة الجزئيـة في بعـض الامتيـازات التـي كانت محفوظة لأولئك الذين يشاركون بالكامل في مزايا الحضارة الأوروبية.

وفي بعض الأحيان كان القناصل الأجانب يبيعون حمايتهم إلى أولئك الذين ينهبـون الشعب، منهم القراصنة واللصوص وفرق الإنكشارية المتمردة. وبهـذا الـشكل عملـوا كسياج واق حيث كان يرسلون غنـائمهم للبيـع خـارج الـسلطنة مقابـل نـسبة، وبـذلك يغطون على العديد من الإساءات والفضائح المصاحبة لحمايتهم، حيث كانـت الحكومـة العثمانية حينها ضعيفة ولا حول لها ولا قوة كي تشكو من مثل هذه الممارسـات الخاطئـة لاتفاقيات الامتيازات الأجنبية الأصلية.

وفي ظـل مثـل هـذه الظـروف والأحـداث الـصاخبة يتـساءل المـرء: لمـاذا لم تتفكـك

السلطنة بالكامل. قد يكون هناك عاملان وراء ذلك: الأول: أن أوروبا كانت مشغولة حينها بصراعاتها الداخلية، والتي كان معظمها يدور حول الخلاف حول كيفية تقسيم الغنائم العثمانية إذا ما تم غزو هذه الدولة بالفعل، فعند نهاية القرن السابع عشر وبعد فشل المحاولة العثمانية الثانية للاستيلاء على فيينا عام (1683م = 1095هـ) تحركت الرابطة المقدسة للهجوم، حيث استولت على أجزاء هامة من الأراضي العثمانية تشمل كل من (المجر) و(صربيا) و(البوسنة) و(والكيا) و(دالماتيا) حيث لم تقم قوات الإنكشارية العثمانية سوى بالانسحاب من جبهات القتال، حيث فرضت الرابطة المقدسة رعايتها على كل من الصديق والعدو على حد سواء دون تمييز بينما كانت تحقق في بعض الأحيان انتصاراتها على العدو، وفي مثل هذا الموقف انتهت دفعة الرابطة المقدسة، وسمح للسلطنة العثمانية بأن تظل على قيد الحياة نظرًا للصراعات المستمرة في كل مكان بأوروبا.

وبالإضافة إلى ذلك بدأ القادة العثمانيون أنفسهم في الاعتراف بأن هناك شيء ما خطأ، ودأبوا في السعي لتصحيح الموقف قبل أن يفوت الأوان وتفقد السلطنة ككل، وعندما أصبحت الهجمات الأجنبية والصراعات الداخلية تمثل تهديدًا قويًا علق العثمانيون جهودهم للإصلاح، ليس لتحديث النظام بل إلى العودة إلى المؤسسات الإدارية والعسكرية الأساسية وإلى الأسلوب الذي كانت تدار به بنجاح قبل أن تبدأ الدولة في السقوط على الأقل للمدى الذي يمكن بمقتضاه تخفيف المشاكل والانتهاء من حالات الفوضى والفساد، ولقد تم تعديل هذا الإصلاح المتمسك بالتقاليد، والذي شهد بعض الإضافات خلال القرن الثامن عشر وذلك من خلال الجهود لاستقدام أسلحة حربية أوروبية وأساليب حربية أوروبية خلال مرحلة التوليب= اللالـه (1718– 1730م = 1131– 1143هـ) وحكم السلاطين عبد الحميد (1774– 1789م = 1188– 1204هـ) وسليم الثالث (1789– 1807م = 1204– 1222هـ) على الرغم أنه بمجرد أن حقق هؤلاء الإصلاحيون نجاحات هامة لهزيمة المخاطر العاجلة والحفاظ على السلطنة لفترة أطول تم إبعادهم عن السلطة بعودة الانتهاكات مرة أخرى.

أثر سُقُوط الدولة العثمانية على اليَهود

بينما بقيت السلطنة العثمانية خلال هذه السنوات تعانى من الفوضى فلم يكن من الغريب أن نعرف أن يهود الدولة العثمانية قد عانوا أكثر من غيرهم من المجتمعات الرئيسة من المشاكل الإضافية التي نجمت عن جلب النصرانية المعادية للسامية التي تساندها أوروبا.

فلقد أثرت جميع الظروف بشكل عكسي على اليهود، حيث أنه بدون الأمن والاستقرار الذي تميزت به السلطنة في أوج عظمتها كان من الحتمي أن تتدهور كل من التجارة والصناعة والتعاملات التجارية التي كان يعتمد عليها معظم اليهود في عيشهم نتيجة لانخفاض قيمة العملة والتضخم اللذين زادا من الصعوبات.

وبالإضافة إلى ذلك، فنتيجة لانخفاض قدرة السلاطين العثمانيين والطبقة الحاكمة على حماية رعاياهم من سوء الحكم وقعت مقاليد الحكم في أيدي النصارى المتحولين المرتدين والذين كانوا يكنون قدرًا كبيرًا من المعاداة للسامية التي كانت تسود أراضيهم حيث جاء الدبلوماسيون النصرانيون والتجار النصرانيون للبلاد للاستفادة من ضعفها، وكذلك لتحقيق أرباحهم الخاصة، حيث حل ميناء (مرسيليا) الكاثوليكي بدلًا من (فينيسا) و(ليفورنو) التي كان بها فرص تجارية كبيرة كميناء أوروبي رئيسي للتجارة مع الشرق، بينما تم استبدال ميناء إزمير الذي يهيمن عليه اليونانيون محل ميناء (سالونيكا Salonica) الذي يهيمن عليه اليهود في بداية عقد الأربعينات من القرن الثامن عشر، ونظرًا لتوسع الحكم النصراني في (أوكرانيا) و(المجر) بعد عام (1683م= 1095هـ) قد طَرد التجار العثمانيين من الأسواق الغنية التي تقع بعدها في أوروبا الوسطى والشرقية، ونجد أنه بينما كان من الحتمي أن تتوقف مشاركة اليهود في التجارة العالمية نرى أنه زاد التحامل المعادي للسامية الذي ترتب عليه طرد العديد من اليهود من أوروبا الشرقية من تأثيره داخل السلطنة.

ولقد عمل المتحولون والدبلوماسيون والتجار الأوروبيون بكد ونشاط على طرد اليهود من المناصب ذات الأهمية في البلاط العثماني واستبدالهم بالنصرانيين المحليين من الأرمن واليونان، وفي حالات عديدة كانوا يخبرون السلاطين ومسئوليهم أنهم لن

يتعاملوا مع اليهـود كمترجمين أو كـوكلاء، وهـو مـا أجـبر العثمانيـين عـلى اسـتئجار النصرانيين إذا ما كانوا يرغبون في التفاوض حـول أية أمـور سياسـية أو دبلوماسـية أو اقتـصادية، ونتيجـة لـذلك فقـد حـل اليونـانيون والأرمـن محـل اليهـود كمستـشارين وصيارفة للبلاط العثماني على الرغم مـن أن اليهـود قـد اسـتمروا في العمـل في البعثـات الدبلوماسية للسلاطين، حيث كان يعمـل الـدكتور "إسرائيـل كونجيليـانو Cngliano" (طبيب الصدر الأكبر قارا "مـصطفى باشـا Mustafa") كمستـشار للمفاوضـات التـي أدت إلى معاهدة كارلويتز عام (1699م= 1111هـ) بينما عمل "موسى بـن جـودا بيـبري Mosis ben Judah Bebri " والذي عينه الصدر الأكبر "كوبرولي محمـد باشـا Mehmet " في مناقـشة التحـالف ضـد روسـيا مـع العمـلاء الـذين أرسـلتهم اسـتانبول (الآسـتانة) للملك السويدي تـشارلز الـسابع، كـما واصـل اليهـود أيضًا في العمـل كأطبـاء للـبلاط الملكي خلال فترات طويلة بهذا القرن حيث كانوا يتدخلون في بعض المناسبات لـدعم المجتمعات اليهودية في أماكن أخرى بالدولـة عـلى الـرغم مـن أن نفـوذهم لم يكـن قويًـا مـثلما كـان في العـصر الـذهبي نظـرًا لمنافسة الأطبـاء الأرمـن واليونـانيين الـذين كـانوا يتمتعون بحماية الأوروبيين.

ولم يعـد مـسموحًا للتجـار اليهـود أن يـستوردوا أو يـصدروا البـضائع نظـرًا لأن الأوروبيين قد استخدموا اتفاقيات الامتيازات الأجنبيـة الموقعـة بـين دولهـم والحكومـة العثمانيـة لـصالح النـصارى المحليـين الـذين تـم مـنحهم بموجـب ذلـك مزايـا قانونيـة وتجارية ومالية وإعفاءات ضريبية غير متوافرة لنظرائهم اليهود.

والأكثر مـن ذلـك أن الدوشـيرمة المتحـولين الـذين كـانوا يـسيطرون عـلى حكومـة استانبول (الآستانة) كانوا على تعاون كامل مع كتائب المشاة مـن الإنكـشارية، والـذين كان معظمهم مـن النـصارى الـذين تحولـوا عـن النـصرانية واسـتمروا في الكـره لليهـود حيث مال هؤلاء المتحولون إلى إساءة الحكم والمبالغة في فرض الـضرائب وسرقة ونهب بيوت ومحلات اليهـود والمـسلمين أكثـر مـن العنـاصر النـصرانية مـن الـسكان، وبـصفة خاصة لأن الفئة الأخيرة كانت تستطيع الاعـتماد عـلى حمايـة الدبلوماسـيين الأوروبيـين والقنصليات من أية أحـداث سـوء حكـم، بينما لم يكـن لليهـود والمـسلمين أي مـصادر

للحماية الخارجية. ولقد بدأت هجمات الإنكشارية على اليهود بعد الغزو العثماني لمصر بفترة وجيزة، فبمجرد أن عاد السلطان سليم إلى استانبول (الآستانة) وترك حكم الولاية في أيدي القادة المماليك الذين اعترفوا بولايتهم له، قاموا على الطريقة العثمانية بالتمرد ضده بمجرد أن عاد إلى (الأناضول Anatolia). ولقد انتشرت هذه الهجمات في جميع أنحاء السلطنة وزادت سوءًا هذه الهجمات في جميع أنحاء الدولة وازدادت سوءا بمجرد أن ضعف السلاطين في حكم الولايات، وعليه ففي القرن السابع عشر تعرض اليهود لأعمال السخرة في الطرق، وكذلك في المزارع التي يمتلكها أفراد قوات الإنكشارية، وقد فرض على الشركات اليهودية ضعف المصروفات المطلوبة من الشركات النصرانية والتي كانت مصروفات مبالغا فيها، كما قام مندوبو الخزانة بجمع ضرائب من اليهود أكثر من الضرائب الرسمية. الأكثر من ذلك أن هناك ضرائب حرب خاصة فرضت على رجال الأعمال والتجار، وكذلك الأثرياء عندما كان الجيش يدخل أو يمر بالعديد من المدن والقرى، كما أنه عند تنصيب أي سلطان جديد سواء كنتيجة لتمرد الإنكشارية أو لأسباب طبيعية، فكان على كل مجتمع أن يدفع له ضريبة تنصيب، وأن يساهم في الهدية التي يقدمها عادة إلى قوات الإنكشارية باستانبول (الآستانة) مقابل السماح له بالجلوس على العرش، ثم عليه أن يقدم أيضًا هدايا كبيرة إلى حاميات الإنكشارية المحلية في الولايات الأوروبية وإلى المماليك الذي يدينون بالولاء لساداتهم العثمانيين في الولايات العربية وبصفة خاصة مصر والعراق، إلاَّ أن هذا الأمر قد فشل في بعض الأحيان في حمايتهم.

وقد ازداد نهب وسرقة المنازل والمحلات اليهودية في كل مكان على يد قوات الإنكشارية في جميع أنحاء السلطنة إلى جانب العصابات النصرانية المحلية بـ(*مقدونيا*) و(ترقيا) والمماليك النصرانيين المتحولين عن النصرانية في الولايات العربية والذين يتولون زمام الأمور هناك إلى جانب عدم قدرة السلطان أو سلطاته على حماية أي شخص، لقد عانى الجميع، اليهود والمسلمون وبصفة خاصة في الولايات الأوروبية من السلطنة حيث كان الرعايا والجاليات النصرانية تشارك في هذه الهجمات.

لقد توازت هذه الهجمات مع انهيار الهيمنة العثمانية المركزية وظهور حركات التمرد

في الولايات والثوار المحليين ضد السلطان، ففي *القاهرة* تولى المماليك عبيد المسئولين العثمانيين السلطة عليهم حيث انتقل اليهود إلى القلعة نفسها وبنوا منازلهم ومعابدهم داخل جدرانها المرتفعة؛ لتجنب أعمال السلب التي تقوم بها العصابات التي تنهب المدينة، وفي بعض الأحيان كان يلوح في الأفق أن السلام سيعود إلى العاصمة، حينها غادروا القلعة وعادوا مرة أخرى للمعيشة في المدينة، إلاَّ أن فترات السلم هذه كانت قصيرة نسبيًا، لذلك استمروا معظم الأوقات قريبين من الحماية التي يمكن أن توفرها لهم القلعة حتى انتهى الحكم العثماني بقدوم حملة بونابرت على مصر عام (1789م = 1204هـ)، ولم يتعرض اليهود المصريون إلى هجمات المماليك فحسب، بل نظرًا لأن اليهود كانوا جامعي الضرائب، فقد كان طبيعيًا أن يلومهم الشعب على زيادة أعمال النهب التي يقوم بها المماليك كنتيجة للقصص التي نشرها النصارى المحليون لكي يصرفوا نظر المسلمين عنهم، ولقد واصل التجار اليهود في تحقيق الازدهار على الرغم من حالة الفوضى المتزايدة، وهو الأمر الذي كان يرجع لفطنتهم وطاقاتهم الخلاقة. كما كانت هناك غيرة متزايدة واستياء ضدهم من المصريين وهو ما جعلهم عرضة للابتزاز وسوء الحكم من نفس المسئولين الذين كان يتسبب سوء حكمهم في ظهور هذه المشكلات في المقام الأول، ولقد أمر المملوك المتمرد "علي بك الكبير"- الذي استطاع أن يحقق استقلالًا كاملًا عن السلطان بنهاية القرن الثامن عشر- اليهود والنصارى أن يغيروا أسماء أبنائهم، وكذلك أن يحرروا عبيدهم إلا أن هذه الأوامر قد أُلغيت بعد دفع رشاوي كبيرة.

ولقد واصل اليهود في فلسطين وسوريا وبصفة خاصة في (صيدا) و(دمشق) في تحقيق الازدهار كفنانين وكتجار حتى بداية القرن الثامن عشر بالتعاون مع التجار الفرنسيين الذين كانوا يتدفقون إلى سوريا في ذلك الوقت الذي كانت العائلات الآسيوية والفارسية تهيمن فيه على البلاد، ولقد انتهت حالة الرخاء هذه بظهور الطغاة المماليك المحليين مثل "ظاهر العمر" و"أحمد الجزار باشا" الذي يتولى مقاليد الأمور في عكا، والذين لم يهاجموا اليهود فحسب ويسلبوا أموالهم كجزء من ثورتهم ضد المسئولين العثمانيين المحليين ، بل حوَّلوا الصادرات والواردات السورية بالقوة من

سيدون إلى عكا، ولقد تسبب كل من السلب والتجريد في السقوط السريع ليهود سيدون إلى جانب تفشي مرض الطاعون في الفترة من عام (1759– 1760م= 1173– 1174هـ) والذي لم يترك سوى عشرة يهود بالمدينة. ولقد هجرت هذه القلة الباقية إلى جبل لبنان وبيروت اللتين ازدهرتا تحت حكم الأمير "بشير الثاني" (1788– 1840م= 1203– 1256هـ) نتيجة للمشاركة الناجحة للمجتمع اليهودي المتجدد.

ولنعد مرة أخرى إلى جنوب شرق أوروبا، ففي يوليو من عام (1703م= 1115هـ) تلى تمرد الإنكشارية الذي نجم عن إزاحة السلطان مصطفى الثاني عن السلطة في استانبول (الآستانة) تعرض الحي اليهودي بسالونيكا (Salonica) لأعمال نهب من حامية الإنكشارية وكذلك من السكان اليونانيين، وبعد موت عثمان الثالث في أكتوبر عام (1757م= 1171هـ) أصبح كل من اليهود اليونانيين والمسلمين عرضة لابتزاز وحدات الإنكشارية العسكرية في معظم المدن والقرى العثمانية في أوروبا. ومن غرابة التاريخ أن نفس القوات التي كسبت ثروات طائلة من خلال سلب ونهب اليهود على الخصوص قد تخلصوا من أموالهم التي كسبوها بطرق غير شرعية من خلال استثمار أموالهم وثرواتهم في الأراضي والمزارع الصربية وشغلوا ممتلكاتهم وحَصَّلوا ضرائبهم من خلال استخدام وكلاء يهود في معظم الأحوال.

لقد تسببت جميع الحروب التي خاضها العثمانيون مع روسيا والنمسا وغيرهم من الأعداء خلال القرن الثامن عشر فرصًا ناجحة في فرض ضرائب جديدة ومرتفعة على أولئك الذين ما تزال لديهم القدرة على الدفع وكذلك فرض ضرائب غير قانونية، استمر أفراد الشعب في دفعها، ولقد فرض سليمان (Süleyman) الثالث (1687– 1691م = 1099 – 1103هـ) ضريبة حرب إضافية مرتفعة لسداد نفقات الحرب مع فينيسيا، وبعد أن تم الاستيلاء على فينيسيا (بلاد فنيقيا) تم الاستيلاء على الموره في إبريل عام (1715م = 1127هـ) أحضر الصدر العظم "داماد علي باشا Damad Ali Pash " جيشًا قوامه 120 ألف رجل، وكذلك أحضر أسطولًا قويًا إلى سالونيكا (Salonica) حيث مكثوا هناك قرابة الشهر استعدادًا لحملة لاستعادة الأراضي التي فُقِدَت، وعلى ذلك فقد كانت المحصولات الزراعية ذلك العام منخفضة نظرًا لنقص

الأمطار وكذلك للفوضى المعتادة وقلة موارد الطعام، فقام بمصادرة معظم الطعام والأموال التي طالتها يداه تاركًا السكان على أسوأ مما كانوا عليه، وعند عودته من المورة نهبت قوات الإنكشارية الحي اليهودي (بسالونيكا (Salonica مرة أخرى وهو ما أضاف إلى الغنائم التي اكتسبوها من الفينيقيين غنائم أخرى. وفي عام (1721م= 1134هـ) ثارت الحامية الإنكشارية في (سالونيكا (Salonica ضد حاكمها نظرًا لعدم سداد رواتبهم في الوقت المحدد. ومرة أخرى انتشرت أعمال السلب والنهب في الحي اليهودي، وكذلك الحرق والتدمير لكل من المنازل والمحلات والقتل بلا رحمة ولا هوادة لكل من حاول المقاومة، ومرة أخرى وفي ربيع عام (1727م = 1140هـ) تجمعت القوات العثمانية في (سالونيكا Salonica) لمقاومة الثورة الأبانية في شرق مقدونيا حيث قاموا بفرض حراستهم على الحي الهيودي، وقاموا بالاستيلاء على البضائع وقتل الناس بلا رحمة أو شفقة خلال شهري أبريل ومايو. وحتى بعد انتهاء الثورة الألبانية عاودت القوات الهجوم أثناء مرورها بمقدونيا في طريق العودة، وهو الأمر الذي تسبب في معاناة فظيعة غير معتادة وحالة وفيات عديدة في حوالي عام (1728م = 1141هـ). ولقد أعقب ثورة الباترونة خليل والتي أنهت تحديث معاهدة (تيوليب) في استانبول عام (1730م = 1143هـ) بأعمال ابتزاز أخرى لليهود ومذابح لهم في (الآستانة) و(سالونيكا Salonica) و(إزمير) و(بورصة) وكذلك في جميع أنحاء مقدونيا، ولقد كانت هناك التماسات عديدة تطلب الحماية من السلطان ومن الديوان الهمايونى، فتوقفت الهجمات لفترة أو أقل بموجب الأمر السلطاني ولحقيقة عدم وجود حروب في هذه الفترة، وبالتالي لا تُوجد مناسبة لتجميع الجيش وإرساله في حملاته التخريبية، إلاَّ أنه في الثلاثين من شهر يوليو عام (1725م = 1138هـ) ثارت قوات الإنكشارية مرة أخرى في سالونيكا (Salonica) ونهبت الحي اليهودي كرد فعل لزلزال ضرب الإقليم مع عدم قدرة ضباطهم أو واليهم المحلي على إيقافهم، ولقد حدثت هجمات مماثلة في أعوام (1758م = 1172هـ) و(1763م = 1177هـ). وفي عام (1770م = 1184هـ) وبعد أن أبحر الأسطول الروسي بقيادة الأدميرال "أورلوف" من بحر البلطيق إلى البحر الأبيض المتوسط وإلى بحر إيجه، وقام بتزويد المتمردون اليونانيون بالسلاح، قام

المتمردون بمذابح شنيعة ضد الأتراك واليهود في جنوب اليونان والمورة، وعادوا بعدها لذبح نفس الفئات من الشعب في الحزر الموجودة ببحر إيجه، وفي محاولة للانتقام ثارت قوات الإنكشارية في (سالونيكا (Salonica وقامت بذبح ليس فقط اليونانيين بل واليهود المحليين أيضًا، وفي صيف عام (1774م = 1188هـ) قبضت سرايا الأسطول الروسي بقيادة الأدميرال "أورلوف" على سفينة عثمانية تحمل عددًا من اليهود الأثرياء، حيث قاموا بإطلاق سراح واحد منهم متوقعين أنه سيدفع فدية طائلة لباقي الأشخاص بعد أن يعود غلى سالونيكا (Salonica). وبعد أن فشل في العودة في الوقت المحدد ومعه المبالغ المطلوبة، قام البحارة الروس بقتل باقي اليهود. وبعد أن ثار مسلمو سالونيكا (Salonica) ضد الحكومة المركزية في عام (1808م = 1223هـ) وضعت قوات الإنكشارية نهاية للثورة، ثم فرضت على التجار اليونانيين واليهود المحليين ضرائب إضافية ضخمة للوفاء بمصروفاتهم وتحقيق أرباح طائلة.

ومن بين الضغوط الداخلية التي أضيفت في جميع أنحاء السلطنة كان التغيير في نماذج هجرة اليهود داخل البلاد حيث لم يعد هناك مكان يجذب الانتباه للهجرة مثلما كان عليه الحال قبل قرنين، فلم يعد هناك تدفق للمورسكيين الهاربين من أسبانيا ويأتون إلى سالونيكا (Salonica) والأستانة، كما توقفت محاكم التفتيش مع المتحولين عن اليهودية إلى الكاثوليكية والذين ظلوا في شبه الجزيرة (الأيبرية) على الرغم من تحولهم، ولقد استمرت محاكم التفتيش والتحريات، وفي الواقع شهدت تكثيفًا في القرن السابع عشر، وهو ما أدى إلى الطرد النهائي الذي بدأ عام (1609م = 1018هـ) من أسبانيا و(1612م = 1021هـ) من البرتغال. إلاّ أنه لم يستغرق الأمر طويلًا في جميع الأراضي الخاضعة للسيادة العثمانية التي هرب منها جميع اليهود، فهم يجدون الآن المأوى في أوروبا الغربية بكل من (أمستردام) و(أنتويرب) حيث استطاعوا تنمية صناعة الماس بالغة الأهمية في كل من (فينيسيا) و(فيرارا) و(ليفرونوا) بـ(إيطاليا) و(مرسيليا) و(بوردو) بجنوب (فرنسا) حيث كانوا يبنون نفس النوع من الشركات التجارية الدولية التي أنشاها المهاجرون الإيبريون الأوائل في سالونيكا (Salonica) واستانبول (الأستانة) مع ظهور منافسة شديدة ركزت على المتدينين العثمانيين أمثالهم

في الوقت التي كانت تزداد فيه الأمور داخل السلطنة سوءا عما قبل، ولم يجد بعض (المارنو = المورسكيين) من أسبانيا وإيطاليا سبيلهم إلى السلطنة العثمانية خلال القرنين السابع عشر والثامن عشر، ذلك لأنهم كانوا نصارى لعدة أجيال، ولذلك كانوا يبعدون عن المجتمعات اليهودية التي دخلوا فيها منذ وصولهم، وهو الأمر الذي لم يسهم سوى في زيادة الصراعات والانقسامات الداخلية للاختلاط، ذلك بدلًا من تقوية المجتمع كما فعل أجدادهم قبل قرن وهو ما جعل استجابة اليهود للفوضى العثمانية أكثر ضعفًا.

ولقد واصل اللاجئون اليهود الآخرون دخول السلطنة العثمانية خلال القرن السابع عشر، إلاَّ أن هؤلاء كانوا إلى حد كبير هم الأقل ثقافة ونموًا اقتصاديًا من اليهود الإشكنازي (يهود ألمانيا وبولندا ورومانيا) من وسط وشرق أوروبا الهاربين من (المجر) نتيجة لأعمال المقاصة ومحاكم التفتيش التي تلت الثورات المجرية ضد العثمانيين في عام (1617م = 1026هـ) ومن (بولندا) و(أوكرانيا) كنتيجة لأعمال النهب والتعذيب والوحشية والمذابح التي تعرض لها اليهود خلال ثورات القوقازيين (الرحالة) والفلاحين التي قادها بوجدان تشيملينيكي (1595– 1657م = 1004هـ – 1068هـ) في الفترة من (1648– 1649م = 1058– 1059هـ) ومن المذابح الشعائرية المتواصلة ومحاكم التفتيش التي كانت مستمرة في فرنسا ووسط أوروبا، ولقد استقر معظم هؤلاء المهاجرون في (صوفيا) و(ستارا زوغرا) و(قازانليك) ببلغاريا ونظرًا لسقوط سالونيكا (Salonica) فقد استقروا بإزمير على الشواطئ الجنوبية الغربية لبحر إيجة بالأناضول (Anatolia)، ولم يكن هؤلاء الأفراد كاليهود السفرديم (الشرقيين) المتعلمين او الصناعيين للقرنين الخامس عشر والسادس عشر، بل كانوا متخلفين ومنطوين وهم يعانون لقرون طويلة من الاضطهاد والعزلة في حواري اليهود؛ لذا فبدلًا من ترويج الرخاء الاقتصادي للسلطنة العثمانية ومجتمعها اليهودي من خلال إنشاء شركاتهم الخاصة، اعتمدوا إلى حد كبير على كرم المجتمعات اليهودية وهو ما زاد من أحمالهم.

ولقد سقطت المجتمعات اليهودية في جميع أنحاء السلطنة في ديون خطيرة كنتيجة

لهذه الظروف الجديدة، ولقد قلل الاضطراب الاقتصادي من قيمة رأس المال والشركات لمعظم أعضائها، حيث قلَّلت إلى حد كبير من العائدات الضريبية نظرًا لأن المجتمعات كانت مضطرة إلى أن تلتزم بتحمل أعباء جديدة، وبصفة خاصة رعاية الأعداد المتزايدة من الفقراء واللاجئين وفداء بعض من أولئك الذين خطفهم اللصوص وقطاع الطريق والقراصنة وغيرهم، الأمر الذي استمر إلى فترة طويلة مع انخفاض متوسط الدخل الفردى لهذه المجتمعات، والأكثر من ذلك أنه في سالونيكا (Salonica) أن الدونمي المرتد إلى الإسلام في أواخر القرن السابع عشر كان يكلف مجتمعه الكثير من العائدات، وبصفة خاصة لأولئك الذين قدموا إلى المدينة مع "تزفي السبتي"(*)، وأخيرًا، فمما زاد الأمر صعوبة كان ما يُسمى بضريبة اللبس، والتي وافقت بمقتضاها جميع المجتمعات اليهودية بسالونيكا (Salonica) على تقديم كمية ثابتة من القماش كل عام إلى قوات الإنكشارية، حيث كان تَضَخم العملة قد جعل الأقمشة ذات قيمة كبيرة حتى إنشاء المنطقة المركزية لصناعة النسيج والتي استطاعت أن تقلل من هذا الحمل.

ونظرًا لظهور العيوب وللوفاء بالتعهدات الحالية للمجتمع نجد أن قادة المجتمع اليهودي في جميع أنحاء السلطنة قد حاولوا بيع المقدَّسات والكساوي المزركشة في معابدهم، وبصفة خاصة تلك المطرزة بالذهب والفضة. إلاَّ أن الحاخامات كانوا عادة ما يرفضون السماح لهم بعمل ذلك؛ لذا ففي حالات اليأس كان يُجبر أفراد المجتمع الأثرياء على أن يقدموا إسهاماتهم الخاصة، وذلك من خلال التضحية بمجوهراتهم والأشياء القيمة لديهم، وحتى ذلك لم يكن كافيًا في معظم الحالات، لذلك تعرض أفراد المجتمع الذين كانوا ما يزالون أثرياء لضرائب طارئة خاصة بعيدًا عن تلك التي تُفرض في الظروف المعتادة حيث وصلت في بعض الأحيان إلى حد المصادرة مع جميع العقوبات التي كانت تحت رهن القادة، والتي تم تطبيقها بالكامل لضمان الإذعان. ولقد بُذلت بعض الجهود لإنهاء الإعفاءات الضريبية التي كانت تُعطي بصورة تقليدية للحاخامات والأطباء وخدمة المعابد اليهودية، ولكنهم رفضوا أن يدفعوا هذه الضرائب معلنين أن الرب قد أعطاهم هذه الإعفاءات، وقاموا بالتحريم الكنسي على

كل من ينتهك حقوقهم لدرجة أنهم قد رفضوا أن يدخل عليهم المعابد أولئك الذين جرأوا وفرضوا عليهم الضرائب. وفي النهاية، واصل رجال الدين دفع أية التزامات ضريبية لدرجة أنهم قد تركوا المجتمعات مفلسة تقريبًا.

وقد بُذلت جُهود بعد ذلك لتطبيق ضرائب المجتمع على الأجانب اليهود، وبصفة خاصة على الجاليات العثمانية التي أخذت الجنسية الأجنبية أو قبلت بالعمل في السفارات والقنصليات الأجنبية للإستفادة من الامتيازات الأجنبية؛ ليبعدوا بأنفسهم عن السلطات والالتزامات الضريبية لكل من الحكومة العثمانية ومجتمعاتهم. وفي عام (1690م = 1102هـ) أمر الصدر الأعظم "مصطفى (Mustafa) كوبرولى" عقب الانسحاب المشئوم بعد الفشل العثماني الثاني للاستيلاء على ڤيينا واستيلاء الرابطة المقدسة على المجر- أن يدفع الأجانب الذين يعيشون في السلطنة ويعملون في أعمال مربحة الضرائب، إلاَّ أن القناصل الأجانب رفضوا السماح بمثل هذه الضرائب معتمدين على حقوق الامتيازات الأجنبية. وأخيرًا انتصروا حيث عادوا إلى التجارة بشكل كبير حاصلين على أرباحهم الطائلة من بيع مستندات الجنسية والعَمل إلى الرعايا العثمانيين، وهو ما تسبب في إلحاق الضرر بخزانات المالية وكذلك خزانة السلطان. ولقد حاول بعض اليهود الذين حصلوا على الجنسية الفرنسية أن يلطفوا الجو بين المجتمعات اليهودية في سالونيكا (Salonica) والأستانة من خلال دفع بعض الأموال للمساعدة في أنشطتها الخيرية ولكن نظرًا للعجز الشديد في هذه المبالغ غير المنتظمة، والذي لم يحقق أي اختلاف كبير نجد أن خزائن المجتمعات قد سقطت في الدين، فقد كان يجب دفع ضريبة الانتخابات للحكومة قبل أي شئ آخر، وبحلول عام (1740م = 1153هـ) كانت هذه الضريبة تبتلع جميع العائدات التي ترد من المجتمعات ولم تترك أي شئ للخدمات الأهلية المنتظمة. ونتيجة لذلك؛ نجد أن المدارس وملاجئ الأيتام والمستشفيات قد أغلقت أبوابها وعملت وفقًا لهذه الميزانيات المخفضة إلى أن وصل الأمر لعدم انتفاع الفقراء منها.

وفي منتصف القرن الثامن عشر بُذِلت جهود جديدة لتلبية احتياجات المجتمع من خلال فرض ضريبة دخل سنوي تقدر بـ 1٪ بالإضافة إلى المبالغ العادية. وقد تم

استئجار فرق الإنكشارية لمعاقبة أولئك الذين لم يدفعوا ضرائبهم، إلاَّ أنهم كانوا يقتطعون جزءًا كبيرًا مما يجمعونه لصالحهم الخاص، لدرجة أنهم قد كلَّفوا غيرهم بجني ضرائب المجتمع على الفلاحين حيث استخدموا شتى السبل لتقديم المبالغ المطلوبة منهم وضمان أرباحهم، وهي السُّبل التي لم يجرؤ المجتمع على استخدامها، فقد بدأ الجَزارون في جمع ضرائب الطعام على المجتمع من مبيعاتهم من اللحم، وبائعو الخمور من الخمور، والبقالون من البضائع الأخرى، حيث عانى الفقراء الكثير نظرًا لأن الضرائب ظلت كما هي بغض النظر عن الدخل، وظلت العائدات غير كافية، لكن المجتمعات قد عاشت نتيجة للعطايا المجانية التي كان يقدمها الأغنياء والذين احترموا في النهاية التزاماتهم تجاه المجتمع وتجاه الرب، والذين كانوا يؤثرون الفقراء على أنفسهم؛ ولأن الفقراء لم يجهروا بالشكوى على الرغم من تخفيض الخدمات التي يقدمها إليهم المجتمع وللخوف من التحريم من الكنيسة.

لقد عانى اليهود العثمانيون مع باقي أفراد المجتمع بشتى السبل في سنوات التدهور والسقوط، وكجزء من الجهود التقليدية لاستعادة النُّظم والممارسات التي كانت متبعة في الماضي، حاول السلاطين المُصْلحون ووزراؤهم أن يطبقوا القيود القديمة على كل الملل بما فيها اليهود الذين استطاعوا التعافي من تلك الأزمات، والذين كانوا في وضع أفضل من جميع الذميين منذ عهد السلطان "محمد Mehmed" الثاني الذي أَحْيا طرق اللبس القديمة ووضع اللوائح، وأجبروهم على اتباع هذه اللوائح بصرامة، وهنا شكل لم يكن مسبوقًا من قبل، ومع ذلك فلم يكن لليهودى تميز، ذلك لأن اللوائح قد تم تنفيذها على الجميع، وفي عام (1702م = 1114هـ) وفي رد فعل لمعاهدة (كارلويتز) (1699م=1111هـ) منع الصدر الأعظم النصارى واليهود من ارتداء الأحذية الصفراء وأغطية الرأس الحمراء مُطالبًا إياهم ألاَّ يرتدوا سوى السوداء. وفي محاولات يائسة لاسترضاء سكان الأستانة الذين كانوا يتصرفون بعنف ضد الحفلات المترفة والحدائق والغناء والقصور، وغيرها من أشكال التصرفات التي ميزت الإصلاحات منذ عصر التوليب= عصر اللاله (1718م – 1730م = 1131 – 1143هـ) الذى أعاده "السلطان أحمد الثالث" في عام (1726م = 1139هـ) وأقر اللائحة والتنظيمات التي تُحرم على

اليهود أن يرتفعوا بمبانيهم أعلى من ستة أمتار بينما كان يُسمح للمسلمين أن تصل ارتفاعات مبانيهم إلى ثمانية أمتار وفي أبريل عام (1730م = 1143هـ) وقبل أن تخلعه الجماهير بفترة قصيرة حرم على اليهود ارتداء العمامات التي يجب أن تقتصر على المسلمين فحسب حيث أمرهم أن يرتدوا قبعاتهم المخروطية القديمة مرة أخرى والمعروفة بـ(القولاق)، وكجزء من رد الفعل الذي تلى خلعه ونهاية معاهدة توليب= اللاله في عام (1730م = 1143هـ)، أمر خليفته محمود الأول بإنهاء استيراد وبيع اليهود للخمور كجزء من محاولته لقصر استخدامها على السفارات الأجنبية على الرغم أنه سمح بعد ذلك لليهود في يناير من عام (1733م = 1146هـ) نتيجة لشكاواهم العديدة بأن يستوردوا ويتعاطوا مقدارًا معينًا من الخمور لأغراض دينية طقوسية، ولقد أمر السلطان "مصطفى (Mustafa)" الثالث في عام (1758م = 1172هـ) بألا يرتدي اليهود والنصارى أية ملابس تشبههم بالمسلمين حيث قصر زيهم على الألوان الزرقاء أو الداكنة وأغطية الرأس التي كانت تعرف بـ(القالـپاق) حيث قيد استخدامهم للفراء، ومنعهم من ركوب الخيل إلاَّ بعد الحصول على تصريحات خاصة، والأكثر من ذلك أن هذه الجهود كان لها تأثيرها الضئيل، ذلك لأن أي تحريم كان يشير إلى مجرد الحاجة إلى دفع بعض المصروفات لضمان الحصول على التصريح والذي كان دائمًا ما يتم منحه، ولم تستمر هذه التحريمات لفترات طويلة؛ نظرًا لزوال الأخطار العاجلة التي أدت إليها، فقد عادت الإساءات القديمة إلى جانب نبذ جميع الجهود الخاصة بتطبيق جميع القيود التقليدية.

أما الأمر الأكثر خطورة على يهود الدولة العثمانية فقد كان تأثير الانتصارات والفتوحات الأوروبية للأراضي العثمانية، ولقد بدأ ذلك بالغزو النمساوي للمجر بعد عام (1683م= 1059هـ) عندما احتلت الجيوش الأوروبية قطعة من الأراضي العثمانية، فقد كانت هذه هي حركتهم الأولى للانضمام إلى السكان المحليين في ذبح وطرد السكان اليهود، والاستيلاء على ممتلكاتهم، والأكثر من ذلك أن الجاليات النصرانية في السلطنة العثمانية قد تم تشجيعها على تقليد إخوتهم الأوروبيين، ولقد تواصلت في بداية القرن الثامن عشر هجماتهم القاتلة الطقوسية، وبصفة خاصة تلك التي شنها

اليونانيون والأرمن والبلغار، والتي كانت قد توقفت لوقوع اليهود في الفقر، ونتيجة لجميع هذه المشكلات انخفض عدد السكان اليهود الذي كان قد وصل إلى حوالي 200 ألف نسمة في نهاية القرن السادس عشر إلى نصف هذا العدد في أول مائتى عام كجزء من الانخفاض العام في السكان العثمانيين.

وكرد فعل للفوضى الداخلية وسوء الحكم والظلم والمشكلات المالية والركود الاقتصادي، تصرف المجتمع اليهودي بنفس الطريقة، فلقد كانت النتيجة الحتمية هي البدء في التوحيد، ولقد انقرض الجيل الأول من المهاجرين الذين حافظوا على تقاليد وعادات البلاد التي أتوا منها، وحل محله أجيال ولدت على أراضي الدولة العثمانية، والذين قل ارتباطهم بأراضي الأجداد، وفي الوقت ذاته تحققت السيادة الدينية والثقافية لليهود السفارديك (الشرقيين) مع استخدام اللغة الأسبانية اليهودية، حيث تربى اليهود الأسبان في المنفى اليهودي مختلطين مع الأتراك العثمانيين والعبرانيين والفرنسيين، ليشكلوا معًا لغة الحياة اليومية لجميع أفراد المجتمع اليهودي العثماني بغض النظر عن أصولهم، ونظرًا لأن جميع الجماعات قد قَبلت الطقوس المجمعة التي حددها "جوزيف (Joseph) كارو" في وثيقة "شولشان أروخ" حيث أصبح من الحتمي أن تقبل المعابد اليهودية المنفصلة، والأديرة القيادة المركزية للمجتمع اليهودي بشكل أكبر مما كان عليه الأمر قبل قرن مضى، أما في الأستانة وإيدرين وبيت المقدس ومدن أخرى قبلت المجتمعات سلطات أكبر مما كانت تحصل عليه في الماضي، أما في سالونيكا (Salonica) فقد زادت سلسلة من الأزمات البائسة بما فيها الحريق المأساوي لعام (1620م = 1030هـ) في الاضطهاد المالي للمسئولين العثمانيين حيث ظهرت الحاجة إلى تنظيم الاحتكار لصناعة الملابس العسكرية، للوفاء بمطالب قوات الإنكشارية والانقسامات العميقة التي نجمت عن أزمات السبتيين في الفترة من عام (1675م = 1086هـ) و (1666م = 1077هـ) وهو ما أدى بالمركز الفيدرالي إلى إنشاء حكومة ثلاثية من الحاخامات، ولقد عملت هذه الحكومة كمديرية مركزية يقودها أحد أعضائها كزعيم أعلى، والذي حكم المجتمع بيد حديدية، حيث أعاد النظام والاستقرار، كما أعاد إلى حد ما التجارة الخارجية حيث تنازل في الوقت ذاته قادة المعابد اليهودية

والأديرة وكذلك الجماعات المهنية عن بعض من سلطاتها لمواجهة أزمة المجتمع، ولتجنب الفوضى والخراب كما قدم القنصل الفرنسي الحماية المطلوبة للحد من سوء آثار الفوضى، ولقد وصلت المعابد اليهودية في إدارة شئونها الداخلية بشكل فردي وحيوية، حيث عملت كمجرد أماكن للعبادة وليس كمراكز اجتماعية وتعليمية وثقافية، حيث كان لكل منها عاداته وتقاليده وأساطيره المميزة وأعياده العلمانية واسمه الخاص، فقد كان المعبد اليهودي (الأرجوني) بسالونيكا (Salonica) على سبيل المثال تسيطر عليه أسرة (جاتينو) وقد تمت تسميته (بكال ديل) (الهرة) أما معبد (لإيفورا) فقد كان يُطلق عليه اسم (كال ديل أروز) (الأرز) أما المعبد الموجود بـ(بروفينس) فكان معبد (كال دي بروفس) (معبد الفقراء) أما المعبد الأشكانيزي (اليهود الغربيين) فقد أسسه المهاجرون من روسيا وكان يحمل أسماء مثل معبد (موسكو) ومعبد (إيتز هاحيم) حيث هيمنت عليه أسرة (آجي) والذي أصبح يعرف فيما بعد باسم معبد (آجو) أما ذلك المعبد الموجود بـ(مالوركا) فكان يسمى بمعبد (اللاردون) (اللصوص) وغير ذلك من الأسماء. أما الآن، فقد أصبحت جميع هذه المعابد تخضع للإشراف من المجلس المركزي لمنع الانقسامات العميقة التي كانت تظهر في الماضي، كما أن المحاكمات الفردية قد تم استبدالها بمحكمة أهلية. فقد تم تحقيق الوحدة لدرجة كبيرة، حيث قبلت الأقليات قرار الأغلبية إلاَّ أنه أحيانًا ما كانت تنشب صراعات داخلية قاسية حيث كان يستدعى أحد الطرفين السلطات لقمع الطرف الآخر، وهو ما تسبب في استئناف الاضطرابات وخلق أشكال جديدة من الظلم على المجتمع ككل.

أما في إزمير، فقد جمع الحاخام الأكبر "جوزيف (Joseph) إيسكابا" في السنوات الأولى من القرن السابع عشر كاستجابة ليس فقط لإحداث الفوضى، بل لوصول أعداد كبيرة من اللاجئين اليهود من سالونيكا (Salonica) الهاربين من الأزمات الكبرى ومن الاضطهاد في أوروبا الغربية والوسطى، فلقد أنشأ "إيسكابا" إدارة موحدة ظلت حتى القرن العشرين مع بعض التغيرات الطفيفة، فلقد تكونت هذه الإدارة من مجلسين أحدهما ديني (بيت الدين) ويتكون من خمسة حاخامات يرأسهم الحاخام الأكبر، والذين يختارون لجنة فرعية لإدارة التعليم الديني، أما المجلس

العَلْماني، فقد كان يتكون من اثني عشر عضوًا (سبعة فيما بعد) يتم انتخابهم سنويًا وهم الذين كانوا يديرون شئون المجتمع تحت توجيه الحاخام الأكبر، حيث كانت تَنْصب مسئولياتهم الهامة في العمل على تمويل وتقدير وجمع ضرائب الدخل من المجتمع، وفرض ضرائب الطعام على اللحم والنبيذ وحساب المصروفات، ووضع الميزانيات السنوية للتصديق عليها من الحاخام الأكبر.

ولقد نافس اليهود الأثرياء في الأستانة زملاءهم الدينيين في القاهرة، حيث سعوا إلى حماية كل طرف من الهجمات، ومن الحرائق بين المسئولين العثمانيين المسلمين الأقوياء الذين كانت لديهم جميع سبل حماية أنفسهم ومَنْ حولهم. ولقد مال اليهود أكثر وأكثر إلى الابتعاد عن المدينة القديمة الموجودة تحت جدران سراى (طوب قابي Topkapi Palace) ليس فقط لسلسلة الحرائق والزلازل التي اندلعت في النصف الأول من القرن السابع عشر، بل لإنشاء معبد (يني جامع Yeni Camii) في الفترة ما بين (1597م = 1006هـ) و (1660م = 1071هـ) في منتصف الأحياء اليهودية بـ(إمينونو Eminonu) وفقًا لأوامر "صفية سلطان Safiya Sultan" زوجة "محمد (Mehmed) الثالث "، والتي تسببت في تدمير العديد من المباني اليهودية لدرجة جعلت المساجد تُعرف في ذلك الوقت بين المجتمع اليهودي بـ(الظلمية أو Zulmiye). وإلى حد كبير فإن اليهود الشرقيين والروم قد انتقلوا إلى كل جانبي القرن الذهبي للمستوطنات القديمة بـ(خاصكوي) على القرن الذهبي حيث توجد مدينة (أوليا چلبي Evliya Çelebi) في نهاية القرن السابع عشر، والتي كان بها ثلاثة آلاف منزل فاخر مع حدائق غناء مليئة بالبرتقال والليمون، حيث كان اليهود يسكنون في جميع الأحياء عدا حي واحد فقد كان هذا الجزء من الأستانة هو الذي تُوجد فيه الأغلبية المطلقة لليهود، كما خرجوا أيضًا من (البوسفور Bosporus) إلى (أورطه كوي Ortaköy) و(أرناؤوط كوي Arnavutköy) حيث كان لليهود الأثرياء منازلهم على جانبي الشاطئ جنبًا إلى جنب مع النبلاء المسلمين وحيث شعروا كما ذكر "أوليا Evliya" بالأمان الكافي لعرض ثرواتهم حيث لم يكونوا يبذلون جهودًا كبيرة في إخفائها من العامة، أما على الجانب الآسيوي من (البسفور Bosporus) إلى (كوزجونجوك Kuzguncuk)

و(وأوسـكودار Usksdar) و(قـاضي كـوي Kadiköy) بيـنما انتقـل يهـود (كاريـت Karaite) إلى (خاصكوي Hasköy) في البداية ليحموا أنفسهم ثـم إلى القـرن الـذهبي لرغبتهم في تجنب الإتـصال بـاليهود الآخـرين، حيث اتخـذوا مكانًـا جيدًا بـين (بـالاط Balat) و(خاصـكوي Hasköy) لمعظـم أراضي (كاغيدخانـه Kagithane)، وفي الوقـت ذاته أجبر الدمار الذي لحق بالأحياء القديمة لليهود الذين هاجروا من إيطاليا وأنشأوا معابدهـم الخاصة مثل معابد (بوليـا Pulia) و(ميـسيناMessina) و(كالابـارا Kalabra) و(صقلية Sicilia) و(إيطاليا Italia) وغيرهـا- إلى العـيش وسـط اليهـود الأسـبان، وأن يصبحوا جزءًا لا يتجزأ من مجتمع اليهود الشرقيين، ففي جميع هذه المناطق كانت جُموع اليهود تشارك المسلمين فقرهـم حيث كـانوا يزدحمـون في مبانٍ متعـددة الـشقق تـسمى ببيوت اليهود Yahudhanes تفتقر إلى الهواء المتجدد والمياه الجارية، وإمدادات الـصرف الصحي الأولية، وهو ما سهل انتشار جميع أنواع الأمراض، والتي تـسببت في الـضعف والوهن للسكان وصعَّبت عليهم المشاركة في الحياة الاقتصادية في تلك الفترة.

ولقد رفض بعض اليهود العثمانيين سوء حكـم وفـوضى المـسئولين، وبـصفة خاصـة زيـادة هجـمات التـشهير النـصرانية، وأعـمال الـسلب والنهـب التـي تقـوم بهـا القـوات الإنكـشارية والعـصابات، وذلـك مـن خـلال تـرك مـستوطناتهم الأصـلية بـسالونيكا (Salonica) وأدرنه Edirne وأماكن أخرى جنـوب شرقـي أوروبـا، حيـث كانـت هـذه المـشاكل شـديدة القـسوة، كـما كانـت عليـه تمامًـا في كـل مـن بورصـة Bursa ومغنيـسيا Mannisia بالأناضول (Anatolia) حيث ذهبوا إلى أماكن أقل تعرضًا للفـوضى، سـواء كانت هذه الأماكن هي الأستانة أو ميناء إزمير Izmir عـلى بحـر إيجـه، والـذي أصـبح مركزًا رئيسًا للحياة اليهودية في تلك الأثناء، ولم يكن بهـذا الميناء أي يهـود عنـدما غـزاه العثمانيـون نظـرًا للمـذابح والاضـطهادات التـي كانـت سـائدة في عهـد الإمبراطوريـة البيزنطية، وقد تخلصت من جميع اليهود الذين جاءوا إليها في العصور الرومانيـة. إلَّا أن الميناء قد أصبح مركزًا تجاريًا يهوديًا كبيرًا في نهاية القرن الـسابع عـشر. ولقـد كـان أول وجـود للمجتمـع اليهـودي في إزمـير Izmir في الفـترة مـابين عـام (1604- 1620م = 1013- 1030هـ) عندما تسببت سلسلة مـن الحرائـق والهجـمات في سـالونيكا في انتقـال

العديد من اليهود عبر بحر إيجه. وبحلول عام (1631م = 1041هـ) كان هناك سبعة آلاف يهودي وبحلول عام (1675م = 1086هـ) كان هناك خمسة عشر ألف يهودي، على الرغم من أن اليونانيين واصلوا السيطرة على الاقتصاد، حيث بذلوا كل ما بوسعهم لمنع اليهود من تحقيق النجاح الذين وصلوا إليه في أماكن أخرى، وحيث حققوا ذلك إلى حد كبير بمساعدة التجار النصرانيين فى شريكها التجاري الرئيسي وهو ميناء مرسيليا، وبحلول هذا الوقت كان هناك العديد من المعابد اليهودية والمجتمعات اليهودية في (إزمير) و(إيتز ها حيم Etz ha-Haim) بالبرتغال (والتي استخدمها في آخر القرن شبتاى شيفى Shabbatai Tzvi) أما معبد (غروش Grush) الذي أسسه المهاجرون من سالونيكا ورأسه الحاخام (يوسف إيسكابا Joseph Escapa) وهو مواطن كاستيلي توفي عام (1662م = 1073هـ)عن عمر يناهز 93 عامًا، كما كانت هناك ثلاثة معابد يهودية أخرى أسسها المهاجرون من الأستانة وجنوب شرق أوروبا ورأسها حاخام الأستانة (إستانبول) "إسحاق بن مير لفي Isaac ben Meir Levi " والذي استبدل بعد وفاته بحاخام سالونيكا "أزاريا يوشا الإشكنازي Azarya Yeshua Ashkenazi"، فلقد مضى وقت طويل قبل أن يندلع جدل بين إيسكابا والإشكنازي حول الفروق والخلافات الطُّقوسية وهو ما جعل المجتمع ينقسم إلى فئتين عقب تكّونه، وبعد أن توفي الإشكنازي في عام (1648م = 1058هـ) قبلت كلتا الفئتين قيادة الإشكنازي، وانتهى الصراع حيث أقام إيسكابا مجالس أهلية منتظمة وضرائب للمرة الأولى، أما المجتمعات الأخرى التي أنشئت بعد ذلك فقد كانت (ماهزيك Mahazike) و(التوراة Torah) و(السلام Shalom) (والمسماة أيضًا بمعبد أباشو Abasho) و(التوراة التلمودية Talmud Torah)، ولقد بنيت العديد من المعابد في إزمير في أواخر القرن تحمل أسماء أسرها المؤسسة مثل (بنتو Pinto) و (باقيش Bakish) و(جالانتي Galante) حيث قام الحاخام (موسى جالانتي Moise Galante) بتأسيس المعبد الأخير، والذي أعلن أن الحاخام "شبتاى شيفى Shabbatai Tzvi" هو المسيح الحقيقي، وتولى زعامة نشر مذهبه هذا في جميع أنحاء السلطنة، ولقد ظل المجتمع اليهودي في إزمير منقسمًا بين تلك الجماعات، حتى أنشأ مجلس بيت الدين

المكون من ستة عشر رجلًا يتم انتخابهم وفقًا لمعادلة معقدة لضمان أن جميع الطوائف والجماعات الاقتصادية يتم تمثيلها.

ولقد حقق يهود إزمير خلال القرن السابع عشر، حيث اشتغلوا بإنتاج المنسوجات والحرير والملابس والسجاد والشموع وأشجار التين والعنب والنبيذ والإتجار، ليس فقط مع الموانئ الأخرى بالسلطنة، ولكن مع الموانئ الموجودة على بحر إيجه والبحر الأبيض المتوسط بأفريقيا والشرق الأقصى، كما اشتغل يهود إزمير أيضًا بالأعمال المصرفية، وبتغيير الأموال والسمسرة والترجمة للتجار الأجانب والقنصليات في المدينة، على الرغم أن هذا الأمر قد واجهه منافسة حادة من اليونانيين المحليين، ولقد تطور الحي اليهودي بإزمير حول الشوارع اليهودية التجارية وهي (مزار لقاباشي Mezarlıkbaşı) و(هورا زقاقي Havra Sokağı) الواقعة بين الأحياء الرومانية (باسمان Basmane) والإسلامية (نمازگاه Namazgah) و(كاچيچيلر Keçeçiler) و(باشتورك Baştürk) و(إيكيجسملكIkicesemlik)، فالحدود البنائية لهذه الأحياء قد تسببت في مقدار كبير من الازدحام، حيث كانت تعيش كل أسرتين أو ثلاث أسر في كل منزل يهودي، ولذلك فقد كانت الأسر تخرج إلى الشوارع خلال شهور الصيف. ولذلك انتقل معظم اليهود الأثرياء إلى الأحياء وتمركزوا في حي قاراطاش Karataş بالقرب من مقبرة اليهود وفي حي آل سنجق Alsancak بمرور الوقت.

لقد ازدهر النشاط الثقافي اليهودي، في إزمير تحت قيادة الحاخامات "آرون لابابا Aaroon Lapapa" و"سالمون آلغازي Salamon Algazi" والحاخام الأكبر "حاييم بن فينسيت Haim Benveniste" والعديد من المدارس النظامية والمدارس اليهودية طوال القرن السابع عشر. وقد أصدرت الصحف العبرية في عام (1658م = 1069هـ)على يد "إبراهام ياديديا جاباي Abraham ben Yididya Babay" الذي طبع لأول مرة صحيفة "روش يوسف Rosh Yosef" وكذلك الكتب اليهودية باللغة الأسبانية وصحيفة "ميناش بن إسرائيل Menashe ben Israel" والتي تحمل اسم (أمل إسرائيل Esperanza de Israel) وصحيفة "إدوارد نيكولاس Eduardo Nicholas" التي تحمل اسم (إعتذار لدولة كيدوس النبيلة Apologia para la noble nacion de los cudios)

والتي ترجمها إلى الإنجليزية "ر. منشه R.Menashe".

وعلى الرغم من هذا التقدم، الذي شهده المجتمع اليهودي، إلاَّ أن اليهود بإزمير قد لاقوا هجومًا من العديد من نفس المشاكل التي أصابت اليهود في أماكن أخرى بالدولة، ولقد استاء اليونانيون والأرمن المحليون من تواجدهم، إذا تجاوزنا عن ذكر نجاحهم وأزعجهم مساعدة القناصل الأوروبيين، ولقد وقعت عدة حرائق وزلازل، كما انتشر مرض الطاعون وبصفة خاصة لأن المدينة كانت ميناءً رئيسًا بدون أي نظام للحجر الصحي، كما كانت الأحياء اليهودية مزدحمة. وفي عام (1616م = 1025هـ) ضرب الطاعون المدينة لمدة ثلاثة أشهر حيث أُجبر العديد من اليهود إلى الانتقال إلى حي (جوزيل حصار Güzel Hisar) الجديد الذي كان خاليًا إلى حد ما من المرض، كما ضرب طاعون آخر المدينة فى عام (1630 م = 1040هـ) أجبر معظم يهود إزمير، بما في ذلك الحاخام الأكبر "حاييم بنفيسيت Haim Benvensite" على نقل منازلهم إلى حي (پنارباشي Pinarbaşı). على الرغم من معارضة اليونانيين لذلك؛ لأنهم قد رغبوا أن يستقروا هم في هذا المكان. كما ضرب زلزال عنيف آخر وتوابع عديدة له على مدى أربعة أشهر خلال صيف عام (1688م = 1100هـ) حيث دمر ثلاثة أرباع المباني الموجودة بالمدينة، كما لقي أربعمائة يهودي مصرعهم من الهزات الأولى بما في ذلك الحاخام الأكبر "آرون بن حاييم Araon ben Haim" حيث فقدت أرواح عديدة تقدر بـ 15000 نسمة.

الرَّوْحَانِية والقَبْلانِية و تسِيفى السبطائى:

لقد أخمد السقوط الاقتصادي والفوضى السياسية معظم الفضول الفكري للماضي، وإنهاء الاتصالات بين معظم يهود الدولة العثمانية واليهود من خارج السلطنة. لقد بدأت أوروبا الآن في الدخول إلى مسار العَقْلاَنِية والتنوير إلَّا أن اليهودية العثمانية قد سيطر عليها الدين. وبينما كان يهود ألمانيا وفرنسا قد حرروا أنفسهم تحت تأثير "ميندلسون Mendelsohn" و(الموسوعة Encyclopedie) وكانت القوة العظمى والجمع الضاغط للتفكك العثماني والقسوة والتمزق العنيف للمجتمع والتدهور الاقتصادي والفقر، كل ذلك مع سيادة سلطات الحاخامات، الأمر الذي أدى باليهود

إلى الانسحاب من المعارك الفعالة في المجتمع. فالمدارس التي كانت تخلد دائمًا الثقافة والفكر التقدمي القادم من أسبانيا قد شهدت انحدارًا وأغلق معظمها. وحل الجهل والخرافات محل المعرفة والفكر.

ولقد استغرق كل من الصلاة والتأمل الديني كل أمور الحياة، ولم يتركا مكانًا للمزيد من الأنشطة العَلْمانية، فلقد حددت الوصفات الدينية التي لا تُعد لكل من الطعام والملبس والصحة والنشاط الاجتماعي جميع الاعتبارات الأسرية والاقتصادية والأخلاقية، حيث لم تترك أي فرصة للتغيير أو لتلبية الاحتياجات الزمنية. ولقد سيطر فرط التقوى على كل من العقل والجسد على حد سواء، كما انتشر الجهل بينما تشوهت التقاليد الحاخامية تحت عباءة التصوف القَبْلاني، ولقد تم استبدال (زوهار Zohar) القَبْلانيين بالتلمود والذي تَسَيَّد الحياة بشكل ذاتي واستبدادي بدون مناقشة أو تعليق على المشكلات، بل يكرروا (الزهار) الذي هيمنت كل كلمة وردت به على شتى نواحي حياتهم، لقد حددت الرموز القَبْلانية جميع أشكال الحياة اليومية والأخْلاق والسلوك الجنسي والصحي والمسكن والملبس والطعام والتعليم وشكل وطول الشعر واللحية والأثاث المستخدم في المنازل والتي تأثرت جميعًا بالتلمود.

ولقد أثرت (الشَامَانية)(*) للقبائل البدوية القديمة على المجتمع اليهودي، فلقد اعتبرت أن العالم مليء بالعفاريت والأشباح والأرواح التي يجب إرضاؤها، وحلت الخرافات محل العلوم. وقد تم استخدام التعويذات والحجاب والسحر والوصفات السحرية لعلاج الجروح والأمراض، وأصبحت هي العلاج الشامل لكل شيء، وبينما استمرت هذه الأمور توقف العمل، وقد تم إغلاق جميع المحلات والمصانع وبيوت المُحاسبة الكبرى في المدن الكبرى بالسلطنة لعدة ساعات، وأحيانًا أيامًا بينما كان ينشغل قاطنوها في العبادة والتدين، ولقد كان يتم تحديد كل فعل عن طريق النجوم، ونظرًا لانتشار كل من الطاعون والحرائق تضرع اليهود إلى الرب ليظهر معجزاته لإيقافها، كما لاموا الرب عندما لم يحقق معجزاته فتضرعوا إلى الشياطين، وهو ما جعل اليهودية لجميع الأغراض العملية مشركة وليست ديانة توحيد.

ولقد اتضح هذا الميل في تطور حركة النَصْرانية القَبْلانِيـة Kabbalistic Messianic

التي ألهمها "صباتاى سيفى" (1625– 1676م = 1035– 1087هـ) والذي سُمي أيضًا بـ"سِيفى الصبطائى Shabbatai Sevi" والذي ادعى أنه المسيح الذي أرسله الرب ليُجَهِّز شعبه المختار ليوم الآخرة، والتخلص من الخطايا والذي توقع أنه ستتم في عام (1666م = 1077هـ). فلقد ولد في إزمير عام (1626م = 1036 هـ) خلال حكم السلطان "مراد الرابع Murad IV" لأبوين من اليهود الغربيين هاجرا من (المورا Morea) مع معظم قريتهم نتيجة للهجمات المتكررة من جيرانهم اليونانيين، وقد كان هو الأخ الصغير من بين ثلاثة أبناء لـ"موردخاي تزيفي Mordeghai Tzvi" وأم تُدعى "كارا مينتس Kara Mentes" والذي تحول من تاجر للدجاج إلى مندوب ووكيل للتجار الهولنديين والبريطانيين، بعدها يعتلي عرش إزمير ليستفيد من الضعف العثماني في السنوات الأولى من القرن العشرين، ولقد اتبع (الصباطائي) الصغير الدراسات الشرعية اليهودية في البداية تحت إشراف "جوزيف إيسكابا" حيث ركز على أعمال القَبْلاَنِية الليورانية ليمثل هذا النضج المبكر، حيث حفظ التوراة والتلمود وأتقن (الزوهار) ، كما أنه وهو في سن المراهقة كان يُقال عنه أنه يدرس بدلًا من أن يتعلم. وكناسك منذ نعومة أظافره تزوج وفقًا للعادات اليهودية في ذلك الوقت، ولكنه ظل بعيدًا عن زوجته ليحتفظ بطهارته، ثم طلقها بعد حين من الوقت وتزوج مرة أخرى على الرغم أنه حافظ على علاقته بزوجته الأولى.

وكرد فعل لأنباء مذابح (تشيملنتسكي Chmielnitski) لليهود في أوكرانيا وبولندا عام (1648م= 1058هـ) خرج إلى الشوارع وادعى على أتباعه اليهود أنه المسيح الذي أرسله الرب ليُخرج شعبه من المنفى، وبذلك تصادم مع زعماء الملل المحلية بما في ذلك معلمه "جوزيف إيسكابا" الذي أجبره على الرحيل في عام (1654م = 1065هـ) نظرًا لتأثيره المزعج على المجتمع، فسافر في البداية إلى موطنه الأصلي في اليونان. وردًا على الاستقبال المُعادي له من المواطنين خلال الانتقال شمالًا إلى مقدونيا، حاول أن يُقيم وسط (القَبَّاليين) في سالونيكا معلنًا أنه لن يتزوج أبدًا لأنه تزوج بالتوراة بالفعل، وهو الأمر الذي تسبب في طرده بعد تسعة أشهر من المجلس الفيدرالي اليهودي نظرًا للانقسامات التي تسبب فيها داخل المجتمع. والذي كان يرى أنه من جميع أنواع

المشكلات الاقتصادية والاجتماعية والتي تعقدت بالانقسامات التعصبية القديمة، وبعد التجول في جميع أنحاء السلطنة مُروجًا لمعتقداته ويجمع أتباعه مرة أخرى إلى منزل والده في إزمير، حيث قضى عدة سنوات في حالة عميقة من الكآبة والاكتئاب.

وفي عام (1662م =1073هـ) ذهب إلى (رودس)، ثم استقر لبعض الوقت في مصر حيث حظي بتأييد "رافاييل جوزيف چلبي Rafael Joseph Çelebi " زعيم يهود القاهرة. وفي عام (1662م = 1073هـ) قام بأول زيارة له بالبيت المقدس حيث حظي بالثقة لزيارته للأماكن المقدسة والمعابد التي كان معتادًا عليها؛ نظرًا لسمعته وهو ما مكّنه من أن يجمع مؤيدين له من بين الفقراء الذين قابلهم في الشوارع، وفي عام (1663م = 1073هـ) عاد مرة أُخرى إلى القاهرة حيث أمن له ذلك الدعم الذي حظي به من "رافاييل جوزيف" قاعدة عريضة من الأتباع، مع وجود تبرعات كبرى للمزيد من التحول عن الدين وتنمية ما أصبح الآن حركة كبيرة، وفي تلك الأثناء سمع بامرأة بولندية تعيش فى (بليفورنو) وهي ابنة لأحد الحاخامات والتي يُقال عنها أنها ستتزوج المسيح قبل أن تقوم القيامة، فشعر حينها أن هذه علامة من الرب، فأرسل إليها وأحضرها إلى القاهرة، وتزوج بها في الحادي والثلاثين من شهر مارس عام (1664م = 1075هـ) في طقوس واحتفالات باهظة عُقدت في منزل "جوزيف چلبي" وقد قام سِيفي بدفع جمع مصروفات رحلتها، والاحتفالات من الإسهامات التي قدمها العديد من تابعيه. وفي أبريل من عام (1665م = 1076هـ) ذهب إلى غزة حيث اتصل بـ"ناثان بن عليشا الأشكنازي Nathan b.Elisha ha-Ashkenazi " (1644– 1680م= 1076– 1091هـ) والذي كان يُسمى بـ"ناثان غزة" والذي كان يسير على نفس النهج حيث اشتغل بالتنسك والممارسات الخاصة بالتطهر الأخلاقي، بينما كان يركز على (الزوهار) وتعاليم (لوريا Luria)، وبعد فترة وفي الحادي والثلاثين من مايو عام (1665م = 1076هـ) وتحت تأثير التشجيع الحماسي لـ"ناثان" أعلن تزيفي نفسه أنه المسيح وقام "نبيه ناثان" بالدعوة له بحماس في الأراضي المقدسة حيث جمع له التشجيع والدعم من الجموع اليهودية.

فعند هذه المرحلة بدأ نفوذ "سِيفي" في الظهور، حيث ذهب إلى بيت المَقْدس ودار

حول محيط المدينة سبع مرات على ظهر حصان، واستقبلته الجماهير وبعض الحاخامات مثل "صمويل بريمو Samuel Primo " و"موسى جالانات Mosie Galante" بالتوقير والاحترام، إلَّا أنه قد استقبل بتحفظ كبير من كبار حاخامات المدينة الذين أرسلوا رسائل لكبار حاخامات الأستانة وسالونيكا والذين حذَّروهم من تأثيره على تابعيه.

وبينما عاد "ناثان" إلى غزة ليواصل دعوته ذهب "زفي= سِيفى" إليها عن طريق (صفد Safed) و(آليبو = حلب Aleppo) ثم عاد مرةً أخرى إلى إزمير في أكتوبر عام (1665م = 1076هـ)، حيث حصل هناك على دعم مالي كبير، وكذلك على جموع كبيرة من التابعين لدرجة أن المجتمع اليَهُودي بأسره قد اتبعه سواء بالدعم أو المعارضة، وعلى الرغم من أن كبير حاخامات الأستانة قد حذَّر كبير حاخامات إزمير بقمع حركة سِيفي، إلا أن الحاخام الأكبر بإزمير لم يفعل شيئًا، حيث شعر أن كل شيء تحت السيطرة وأن الأمور ستزداد سوءا من خلال محاولة قمع المسيح الذي يدعو لنفسه، وعلى أية حال فقد تشجع سِيفى وأتباعه بهذه السلبية. وفي يوم الجمعة الحادي عشر من شهر ديسمبر عام (1665م = 1076هـ) اقتحم أتباعه منزل خَصْمه الرئيس في المدينة الحاخام "حاييم بينا Haim Pena" وفي اليوم التالي، فعل نفس الشيء بمعبد البرتغال اليهودي للأخير، ولقد بدأ سِيفى في العمل كما لو كان ملكًا، وكذلك كما لو كان مسيحيًا حيث كان يعقد مجلس الحكم، ويصر على أن يتم الحديث إليه بنوع من الطقوس التي تُقدم إلى السلاطين. وقد يكون رد فعله للإدانة من مجلس الحاخامات هي أنه مضى في طريقه لانتهاك القوانين اليهودية، حيث دَنَّس قُدْسِية يوم السبت، ووضع طقوسه الخاصة وأكل الأطعمة المحرمة على اليهود في عملية لجذب انتباه العديد من أتباعه وصرفهم عن قادة الملل.

ونظرًا لتزايد عدد الحاخامات الذين أيدوا حركته أمرهم في الثالث والعشرين من شهر ديسمبر عام (1665م = 1076هـ) أن يعزلوا "آرون لابابا Araon Lapapa" الحاخام الأكبر وأن يستبدلوه بـ"حاييم بنفينسيت Hayim Benvensite" أحد أتباعه المقربين والذى أمر أن يذكر اسم سِيفى بدلًا من السلطان في صلوات يوم الجمعة التي تذكر في معابد إزمير كعلامة واضحة للتمرد على السلطنة العثمانية، وكذلك على

المؤسسات اليهودية. بعدها أمر سِيڤى أتباعه أن ينبذوا القراءة التقليدية للتوراة، وأن يذكروا اسم الرب في الصلوات الدينية، كما استبدل قوانين الأكل اليهودية القديمة بلوائحه وقوانينه الخاصة، معلنًا أن يوم القيامة سيحل في الثامن عشر من شهر يونيو عام (1666م = 1077هـ). وعندما استجاب اليهود في أسبانيا للإضطهاد من خلال اتباع القَبْلاَنِية، ونتيجة للحماس والإخلاص التي ألهمتها حركة (الصباطائية)، حيث استجاب آلاف اليهود العثمانيون لحالة البؤس التي يعيشون فيها من خلال ترك محلاتهم وشركائهم والتخلي عن التجارة والصناعة والسير في طوابير صائحين "عاش الملك المسيح، عاش السلطان سِيڤى"، بينما كانوا يكرسون أنفسهم بالكامل للتأمل والصلاة، في إستعداد هِستيري لليوم العظيم الذي اقتنعوا أنه سيأتي لا محالة في مستقبل ليس ببعيد.

وعلى الرغم من أن أفعال وادعاءات سِيڤى لم تُلاق عدوانية كبيرة من الحاخامات الكبار العثمانيين، إلَّا أن شهرته قد انتشرت بشكل موسع بين يهود الشرق وأوروبا وبصفة خاصة (أمستردام) و(هامبورج)، حيث بدأ اليهود للمرة الأولى منذ عدة قرون يأملون في التحرر من الاضطهاد الدائم الذين كانوا يتعرضون له على الأراضي النصرانية. كما اعتبروا أنفسهم قد تحرروا من القيود الطويلة التي وضعتها عليهم الأرثوذكسية اليهودية في أمور مثل الزواج والنظام الغذائي والنشاط يوم السبت. ولقد اعتبر هو وتابعه أن أولئك اليهود الذين رفضوا قبول رسالته، وأصروا على الالتزام بنظم وتقاليد الماضي سيتسببون في انقسامات عميقة في المجتمعات اليهودية في جميع أنحاء أوروبا، وكذلك في السلطنة العثمانية، والأكثر من ذلك أن قضيته في أوروبا قد حمل لواءها الطبيب المارنوي "إبراهام ميجول كاردوزو Abraham Miguel Cardoz" (1627- 1706م = 1037- 1118هـ) من (ليفورنو) والذي أصبح المفكر الرئيسي لما كان سيُصْبح النسخة الصباطائية من القَبْلاَنِية.

ولقد سقط " تزفى السبتي" فجأة بشكل فاق ظهوره السريع، ففي الثلاثين من شهر ديسمبر عام (1665م = 1076هـ) قرر أن الوقت قد حان لأن يذهب إلى الأستانة لتكملة دوره الذي حدده لنفسه كملك للدولة العثمانية، وغادر إزمير مع عدد من

أتباعه حيث رحل إلى العاصمة عن طريق البحر، ولقد وردت حينها تقارير إلى السلطان بما يجري في إزمير، ومما زاد الأمر سوءا أن "يومتوف بن حانيا بن ياكار Yomotov ben Hanya ben Yakar" الحاخام الأكبر في الأستانة قد قدم شكاوى إلى السلطان مفادها أن الحركة تتسبب في ارتفاع معدلات القلق والاضطرابات بين تابعيه، وأن العديد منهم قد استجاب إلى دعوة تِزيفي وتركوا محلاتهم وعملهم وكذلك الالتزامات بلوائحهم الدينية والمجتمعية.

لذلك تم إرسال الأوامر إلى حاخام إزمير بالقبض على تِزيفي إلّا أنها قد وصلت بعد أن غادرها ولم تنفذ إلّا بعد أن رست سفينته بالقرب من الأستانة، واقترب المسيح هو ورفاقه من أبواب المدينة في السادس من فبراير (1666م = 1077هـ)، حيث تم القبض عليهم وإرسالهم مكبلين بالسلاسل إلى المحكمة العثمانية، بعدها تم حبسهم فى أدرنه العاصمة الثانية للسلطنة. ونظرًا لأن تزيفي السبتي لم يكن يتحدث اللغة التركية بالشكل الكافي عمل اليهودي المُتَحول عَن اليهودية والطبيب "موشي بن رافاييل آبرافانيل Moshe ben Rafael Abravanel" "حياة زاد مصطفى فوزى أفندي Hayatizade Mustafa Fevzi Efendi" كمترجم، وفي البداية شعر الصدر الأعظم "فاضل أحمد باشا Fazil Ahmed Efendi" أن الحل الوحيد للمشكلات التي تسبب فيها تزيفي هو إعدامه، إلّا أن الاستشاري المصرفي للبلاط السلطاني "موردخاي كوهِين Mordehai Cohen" أقنعه أن إعدامه سيحوله إلى شهيد، وهو الأمر الذي من شأنه أن يوسع الحركة بدلًا من أن يقضي عليها، وبدلًا من ذلك عرض على تزيفي وأتباعه حلًا آخر ألا وهو التحول إلى الإسلام، حيث قبل تزيفي في الخامس عشر من سبتمبر (1666م = 1077هـ) واتخذ "اسم محمد أفندي Mehmed Efendi" أما زوجته سارة فقد أصبحت "فاطمة هانم Fatma Hanim"، أما أخواه فقد اتخذا أسماء أحمد وعبد الله إسماعيل. بعدها تم سجن تزيفي وأتباعه في قلعة (قوم قابي Kumkapi) (عيدوس Aydos) بـ(جاليبولي Galipoli) على المضيق الفاصل بين آسيا وأوروبا والذي يسمى بـ(الدردنيل Dardanelles) ، بينما قرر الصدر الأعظم ما الذي يجب فعله مع الاضطرابات التي تسببت فيها هذه الحركة في المجتمع العثماني، ومع ذلك فقد

خطط تزيفى أن يعيش داخل سجنه بشكل متحرر إلى حد ما حيث إن يوم القيامة الذي وعد به لم يأت عام (1666م = 1077هـ) .

ولقد صدمت المؤسسة اليهودية الأرثوذكسية بتحول تزيـفـى المفاجئ إلى الإسلام حيث خشوا أن مثل هذا الأمر قد يجعل العديد من اليهود الآخرين قد يفعلون بالمثل أيضًا وليس فقط أتباع تزيفى، وبينما احتار بعض تابعيه فى أفعاله إلَّا أن معظمهم قد أدرك أن ذلك كان مجرد وسيلة جديدة لعرض التوبة عن خطايا ومعاناة الماضي للتعجيل بالتوبة النهائية تحت قيادة زيفى كمسيح؛ لذا فقد تبعه العديد منهم وليس جميعهم في هذا التحول. وهو ما خلق جدلًا جديدًا وانقسامات بين تابعيه، وكذلك في مجتمع الأحبار، بعدها تم السماح لتزفـي أن يُقيم في أدرنه ثم الأستانة، حيث استقر لأول مرة على ضفاف (البسفور Bosporus) بـ (قوروجسم Kurucesm) ثم في نهاية القرن الذهبي بـ(كاغيت خانه Kagithane). ويقال إنه قد عاش أحيانًا كمسلم وأحيانًا أخرى كيهودي حيث كان يقرأ (الزبور) مع اليهود الذين يأتون إلى منزله أو بمعبد (أهريدا Ahrida) اليهودي، فحيثما وجد كان منزله يمثل مركز الحج لدرجة أنه في عام (1673م = 1084هـ) نفاه الصدر الأعظم إلى (بيراط Berat) على ساحل البحر (الدالماطي) بألبانيا حيث تحملت الطائفة اليهودية بالأستانة تكاليف سفره لإبعاده عن الطريق إلى الأبد. وفي عام (1674م = 1085هـ) توفيت زوجته سارة (فاطمة هانم) بعدها تزوج بامرأة من إحدى تابعيه تُدعى إستر (عائشه هانم Ayşe Hanım) وهي ابنة أحد تابعيه بسالونيكا الذين تحولوا عن اليهودية وهو الحاخام "جوزيف بيلوسوف Joseph Pilosof" (والذي أصبح فيما بعد عبد الغفار أفندي Abdulgaffar Efendi). وتوفى تزيفى الصباطائي في (بيراط) في السابع عشر من شهر سبتمبر عام (1676م = 1087هـ) على الرغم من أن بعض تابعيه قد كونوا فكرة أنه لم يتوف، ولكنه اختفى وسيظل حتى يكون بالفعل مستعدًا ليستقبله كمسيح.

إلَّا أن العديد من تابعيه لم يقلدوه في تحوله عن اليهودية، وظلوا يهودًا على الرغم من أنهم واصلوا في ممارسة الطقوس التي قدمها، والتي كانت تُعارضها المؤسسة الأرثوذكسية في حياته، وقد تمت معاملاتهم في العديد من الحالات كالمورسكيين الذين

أدى تحولهم إلى النصرانية في أسبانيا إلى الشكوك فيهم من الأرثوذكسي بعد أن عادوا ظاهريًا إلى اليهودية، ولقد شكل أولئك الذين تحولوا معه من أتباعه إلى الإسلام لسالونيكا عام (1687م = 1099هـ) وأبناء ملتهم الخاصة، وواصلوا العمل بشكل معلن كمسلمين إلَّا أنهم كانوا يمارسون في السر الشكل (السبتي) من اليهودية إلى حد أنه لم يكونوا يُعرفوا كمسلمين صادقين أو حتى يهود صادقين، حيث كان يسميهم المسلمون بـ(المرتدين الدونمة Dönmler) ذلك لأنهم بِردتهم يخلقون مصدرًا جديدًا من الانقسام العميق في كل من المجتمعات المُسْلمة واليهودية على الرغم من أن قدرتهم وحماسهم على تكوين ثروات تجارية مكنتهم من مقاومة الضغوط من جميع الجوانب، وأن يحافظوا على وجودهم المستقل حتى القرن العشرين، وتدريجيًا فقد استبدلوا أسبانيتهم اليهودية بالتركية في شتى نواحي حياتهم، كنتيجة لتحولهم وقد استمروا في استخدام اللغة العبرية في ممارستهم الدينية السرية، والتي كانوا ينفذونها في معابدهم المَخْفِية إلَّا أنهم انقسموا إلى ملل مميزة مختلفين في تقاليدهم وأفكارهم، حيث يتنافسون مع بعضهم البعض والتزواج فيما بينهم. وقد تجنبهم المسلمون الصادقون حيث كانوا يشكون فيهم نظرًا لتعاليمهم وممارستهم غير المسلمة، كما فعل ذلك اليهود الذين اعتبرهم منشقين، ولقد ظل هذا الأمر على هذا النحو حتى اليوم الأخير من الحكم العثماني في سالونيكا عام (1912م = 1331هـ) حيث كانوا يرسلون وفدًا يوميًا من سبعة أشخاص إلى بوابات المدينة كل صباح، ليروا ما كان تِزيفى السبتي عاد أم لا.

الحكم المستبد للمجتمع خلال عصر السقوط:

لقد عمَّقت الحركة السبتية ووسعت من الميول نحو الظلم والفوضى والفقر التي ظهرت في المجتمع اليهودي، فلم يتم فقط التخلص من الفضول الفكرى، بل أيضًا الحرية الشخصية خلال قرون التدهور، ولقد ضاعف كل من الأحبار والعلماء من خطبهم الواعظة، وهذبوا وصفاتهم المصممة لتعليم حشود المصلين الأخلاق. وكانوا يختمون عددًا من الصلوات الجامعة بمزيج من اللوائح والتعليمات التي ترتبط بالمذهب القَبْلاَنِي، والتقوى التي لم تكن موجودة من قبل. فلقد انتهت نوعية الديمقراطية العامة التي كانت موجودة في المعابد الأولى. ولقد حَرَم الحاخام الأكبر "جودة بن صاموئيل

روسانس 1657" (Judah ben Samuel Rosanes م – 1727م = 1068 هـ – 1139هـ)
أولئك الذين رفضوا دراسة المعتقدات القَبْلاَنِية والسَبْتِيَّة من الكنيسة على الرغم من أنه وافق في بعض الأحيان برفع التحريم، ذلك لأنه قد تعرض للهجوم من أولئك المتطرفين من المجتمع الذين شَجبوا ضعفه ولينه، ولقد حددت سياسة المجتمع من السلطة العليا بدون أية مناقشة أو معارضة، فقد كان على الجموع أن تطيع قوادها الذين يتمثلون في الأَحبْار والنبلاء بدون أن يكون لهم صوت ، أو حتى أن يفهموا أسباب ما تم بالفعل.

ولأغراض عملية نجد أن المجتمع اليهودي يتعرض الآن لحكم طبقة الأثرياء التي حاولت أن تضع نظامًا ونهجًا لعلاج المشكلات المعاصرة. ولقد تم اعتبار جميع الألعاب ووسائل الترفيه غير أخلاقية، لأنهم قد قصروا الوقت على الصلاة ودراسة الشريعة، ولم تكن هناك أي علاقة بين الرجل والمرأة قبل الزواج، والذي كان ينظم بالطبع بدون مشاركة أي من الرجل أو المرأة، كما لم تكن المرأة لتظهر نفسها على الرجل إلَّا وهي مرتدية حجابًا وبدون أية مُجَوْهرات أو علامة على الثراء أوشيء قد يجذب الاهتمام، ولم يكن يتوقع منها أن تمشي على البحر أو في الأماكن العامة. وبصفة خاصة حيثما قد يتواجد غير اليهود، ولم يكن بوسع المرأة أن تخرج إلى الشارع لشراء الطعام، وحتى إن لم يكن لديها خدم يقومون بذلك. كان يتحتم عليها عدم الذهاب إلى المحلات، وكان عليها أن تقوم بالشراء من خارج المحل عن طريق الباب. ولم يكن لها أن تدخل من باب المحل لأي سبب من الأسباب، ولم يكن يسمح للمرأة بالعمل خارج المنزل نظرًا لوجود الغرباء من الرجال. وفي حالة وجود الرجال كان عليها أن تظل في مكان خفي وتكون في وضع محترم، وألَّا تتحدث إلَّا إذا طلب منها، وعند وجود بعض الضيوف في المنزل كان عليها أن تظل في الفناء الخلفي للمنزل، وبصفة عامة لم يكن للمرأة أن تأكل مع أسرتها، فلم تكن موجودة بالمنزل سوى للخدمة وأكل ما تبقى من الطعام بعد انتهاء الوجبة، وقد كانت المرأة تُحث للحفاظ على عفتها طوال الوقت، حتى في علاقتها مع زوجها عدا في مناسبات نادرة عند إكمال الزواج حتى يمكن إنجاب أطفال ذكور على وجه الخصوص.

كما أن الرجال لم يكونوا أحرارًا هم أيضًا. فشكل وطول لحاهم وشواربهم وكذلك عماماتهم وملابسهم كان يتم تحديدها من المجتمع اليهودي أكثر من الدولة، ولم يكن مسموحًا لهم أن يُقربوا الخمور من أفواههم عدا في الطقوس الدينية، كما كان يفترض منهم أن يكونوا في حالة توبة دائمة عن خطايا الماضي والمستقبل. وألَّا يظهروا أي علامة من التقوى عدا الخضوع التطوعي للجلد بالسوط لتطهير النفس من خلال المعاناة أمام عين الله.

ولم تكن لتتم الصلاة إلَّا من خلال تابوت العهد في المعبد، لذا كان يُطلب من الرجال الحضور. وكان يُطلب من أصحاب العمل السماح لهم بمغادرة عملهم عند الضرورة لأداء صلواتهم في الوقت المحدد، وفي كل صباح كان المنادون يجوبون الأحياء اليهودية ينادون على المؤمنين لأداء الوضوء والذهاب إلى الصلاة والعويل على تدمير المعبد، وتشتت شعب إسرائيل وحتى بعد أن تنتهي الصلاة، لم يكن بوسعهم الذهاب إلى محل عملهم، حيث كان عليهم قراءة (الزبور) والويل لخسارة المؤمن الذي يجرؤ على الإسراع وترك غيره من المصلين، وهم لا يزالون يقرأون الزبور للقيام بمهام يومية، كما أنهم لم يكونوا ليغيبوا عن الصلوات المحدد لها يوم السبت والأعياد وكل يوم اثنين وثلاثاء وعند قراءة التوراة في المحاضرات العامة. وكان عليهم الوصول في الوقت المناسب وأن يصلوا بالشكل المناسب إذا ما كانوا يُريدون تجنب العقاب الصارم.

ولقد كان يوم السبت يخطط له بأحْكَام شديدة، فعلى جميع أفراد المَحْفل أن يتوقفوا عن العمل بمجرد أن تغرب شمس يوم الجمعة، ويقوم الحاخامات والشمامسة بالشوارع ليذكروا أصحاب المحلات والحرفيين بغلق المحلات وإعادة عملائهم في الوقت المناسب حتى يتسنى لهم العودة إلى ديارهم، قبل أن تغرب الشمس بالكامل، وفي المنزل كانت المرأة بالطبع تقوم بإعداد التجهيزات التي يجب أن تكتمل قبل شروق الشمس، وعندما يصل الرجل إلى المنزل كان عليه أن يتحرى ما الذي أعدته المرأة، وأن يعاقبها بشدة على أي تقصير، أو عدم دقة أو عدم القدرة على الانتهاء في الوقت المناسب، فلا يمكن فعل أي شئ يوم السبت، ولا يسمح للمؤمن يوم السبت أن يمشي

لأكثر من مائتي متر من منزله لأي سبب من الأسباب، على الرغم أنه من التقاليد المتبعة أن الحي بأكمله يُعد منزلًا لجميع اليهود، حتى يستطيع الناس الخروج إلى الشارع للذهاب إلى المعبد لأن الصلوات لا تُصلى للرب إلا أمام تابوت العهد.

لقد أصبحت الأن مؤسسات المجتمع اليهودي هي الحارس على الأخلاق والمُخمِدين لأي مظاهر غناء. ولقد كان عمالهم يمشون في كل حي وكل شارع ويدخلون كل منزل ومحل ومعبد على حد سواء يساعدون الفقراء والمرضى لبث الطمأنينة في قلوبهم، ولكنهم يراقبون في الوقت ذاته أي انتهاك للأخلاق العامة أو الفردية، ويخطرون قادة المجتمع حتى يتم إيقاع العقاب المناسب، وعندما يتم تدمير المجتمع اليهودي من زلزال أو حريق أو هجوم آخر من قوات الإنكشارية كان المراقبون يسهمون فى المعاناة من خلال العقوق واسترضاء الغضب الإلهي بزيادة حدة إشرافهم وعقابهم. فحتى الخطأ التافه خلال الخدمات الدينية أو مخالفة (الكهنوت takkanot) المعقد قد يؤدى إلى التوبيخ الحاد والعقاب، حيث كان العقاب البدنى هو الأكثر انتشارًا.

ولقد قصرت المدارس اليهودية نفسها على تدريب طلابها على حياة الصلاة والتأمل الديني، أما المدارس الابتدائية فقد كان يذهب إليها أبناء الأغنياء وأولئك الذين يستعدون للمدارس اليهودية الأرثوذكسية المعروفة باسم (اليسوعية Yeshivas) وللعمل الحاخامي، وقد اتبعت حينها الدراسات المؤقتة، فبدلًا من أن يركز الحَبْر على الصلاة بالكامل كان يُعلم طلابه كيف يقرأون العبرانية، وأن يتركوا اللغات الأخرى التي يتحدثون بها في السلطنة، ونظرًا لأن المعابد قد ضعفت في دعم التعليم العام للتوراة التلمودية، فلم يكن بوسع الكثير من الأطفال الالتحاق بأية مدرسة، وتُرِكوا في جهل تام غير قادرين على القراءة والكتابة. وعندما كبروا عملوا في أحط الوظائف بدون أي روح للتعلم أو الجدل الفكري الذي أصاب جميع الطبقات في القرون الماضية، ولقد واصلت المدارس الدينية اليهودية عملها على أساس العائدات التي تركت لها من أوقاف الثراء، إلى جانب الأموال التي تُقدم إليها من السلطنة العثمانية التي كانت تجذب الطلبة من جنوب ووسط أوروبا. إلَّا أن أولئك الطلاب اليهود كانوا

مجرد نتاج للعصر ومخالفين للتعليم الذي يتجاوز المعايير الدينية بدون بذل أي جهد للدخول في العلوم الأخرى وتعلمها، والأفكار الليبرالية التي تحرر العقل في غرب أوروبا. كما أنهم كانوا معزولين عن المجتمعات من حولهم وهو ما ساهم بالقليل في التنمية الفكرية للعقلية اليهودية.

المساعي الاقتصادية:

لم يتعلم الشباب اليهود التجارة ولم يتبعوا آباءهم فيها؛ حيث تركوا الوظائف الإنتاجية التي تتطلب مهارات رقيقة مثل صناعة الذهب والفضة وأعمال الصرافة لنظرائهم المسلمين واليونانيين والأرمن، فأصابهم الفقر والبؤس مركزين على الصلاة والتأمل الديني، بينما كانوا يمارسون وظائف بسيطة لا تتطلب سوى معرفة وذكاء قليلين مثل التجول لبيع الطعام والسلع التي ينتجها الآخرون. والعمل كصيادين ومزارعين لإنتاج الفاكهة والخضروات، ولم يكن لدى هؤلاء اليهود أي معدلات ذكاء، وقد كان التدريب حينها مقصورًا فقط على الخدمات الدينية للكتبة الذين كانوا يعيدون كتابة الكتب المقدسة أو كتابة الخطابات وحفظ حسابات الآخرين أو كعمال مطابع لدى السادة من اليونانيين والأرمن، كما استمر اليهود أيضًا في العمل في المحلات الصغيرة في المدن وفي الريف، حيث كانوا يبيعون التوابل واللحم والقماش والأدوية والزيوت والنبيذ، أو يمارسون أعمالًا حرفية، مثل الصباغة والتفصيل والنسيج والخياطة وغيرها. كما تركوا التجارة الدولية للنصرانيين، ومع ذلك فإن اللغة الأسبانية اليهودية التي كانوا يتحدثون بها هي السبب الوحيد الذي مكّنهم من الاتصال مع إخوانهم بأوروبا، إلّا أنهم استمروا في العمل مع السلطنة بين (البوسنة) و(أوسكاب Uskup) والبلقان وصولًا إلى سالونيكا والأستانة ثم عبر البحار إلى الإسكندرية بمعدلات صغيرة، كما كانوا يذهبون إلى الريف لبيع المنتجات المصنعة من الأرض وبصفة خاصة التبغ والنبيذ والجبن حيث كانوا يحضرونها إلى السوق في المدن إلّا أن الأرباح الكبرى من التجارة الدولية كانت قد ولت.

ولقد ظلت صناعة النسيج هي المِهنة الأكثر أهمية لجميع يهود سالونيكا على وجه الخصوص، كما كان ما يزال هناك العديد من تجار القماش اليهود، إلّا أن الصناعة

بأسرها قد شهدت ركودًا نظرًا للفوضى الداخلية، وفقد الأسواق الأجنبية لمصانع القماش في أوروبا. وكذلك لضريبة القماش التي يجب دفعها بصفة منتظمة قبلًا لكل من الجيش والخزانة، ونتيجة لذلك لم يبق سوى القليل ليُقسم بين العاملين، وهو ما تسبب في زيادة كل من الفقر والمعاناة بين جموع اليهود، ولقد حاول المجلس الفيدرالي اليهودي بسالونيكا أن يُحيي الصناعة بعد عام (1680م = 1091هـ) من خلال استبدال المصانع المنزلية التي كانت تنتج تقريبًا جميع الأعمال السابقة، بمصنع كبير للقماش يسمى بالـ(بيليك Beylik) يقع على مسافة قَصيرة من البرج الأبيض والجدار البحري للمدينة، ولقد تجمع كل من أصحاب المصانع والعمال في مؤسستهم الخاصة للمرة الأولى، ليس لحماية مصالحهم بل لتحقيق رغبتهم في العمل بأجور منخفضة حتى يستطيع المجتمع الوفاء بالتزاماته، ومع ذلك فقد كان الإنتاج غير كافٍ لتلبية الضرائب المستحقة على المجتمع إلى الحكومة، والتي كانت تُدفع من المال وليس من النوع الذي يتم إنتاجه، وهو ما لم يترك شيئًا كي يقوم العاملون بصناعته، ولذلك انخفضت الأجور والوظائف المتوافرة في هذا المصنع، وهو الأمر الذي جعل الطائفة اليهودية تسمح للعاملين بصناعة القماش مرة أخرى بمنازلهم وبصفة خاصة في (الكورتيجوس Cortejos) لتوفير ما يكفي من مال للوفاء بمصروفاتهم اليومية بعد أن يتم اكتمال التزاماتهم نحو الطائفة والمجتمع. وفي الوقت ذاته كانت الأحياء اليهودية في الأستانة والمدن الأخرى من السلطنة تنافس الأحياء المسلمة من خلال التدهور إلى أحياء صغيرة، حيث احتشد اليهود في بيوت يهودية تُشبه العمارات، ينقصها الهواء المتجدد والمياه الجارية والصرف الصحي، مما أدى لانتشار الأمراض بكافة أنواعها، وهو ما ضاعف من حجم البؤس والمأساة، وبينما حاولت الحكومة في تلك الأثناء أن تُساعد في إحياء الصناعات اليهودية، وتخفيف الظروف الحياتية المزدحمة، كانت جهودها ضئيلة مادام أنها لم تستطع أن تجد أسواقًا جديدة. كما تمت مواجهة مثل هذه الجهود خلال السنوات الأخيرة من القرن الثامن عشر عندما امتلأت سالونيكا بآلاف الفقراء الأتراك من البدو السابقين، والذين استقروا بها في محاولة للسيطرة على أعمال الفوضى والسرقات التي شبت في شرق الأناضول كما كانوا راغبين في قبول أجور أقل من

اليهود العاملين في مصانع النسيج. وبين المنافسة من هؤلاء الأفراد والتدهور الذي شهدته هذه الصناعة لم يبق سوى عدد ضئيل من عُمال اليهود عند بداية القرن العشرين حيث زادت معدلات الفقر نتيجة لذلك.

ونظرًا لأن الأرمن واليونانيين قد استولوا على جميع الأنشطة التجارية المربحة لم يجد سوى مجموعة صغيرة من اليهود وظائف مربحة إلى حد ما، كوكلاء للتجار الأجانب على الأراضي العثمانية، وفي القرن التاسع عشر كان السادة الجدد للتجارة العالمية في البلاد العثمانية هم النصارى الأوروبيون الذين جاءوا من موانئ مثل (مرسيليا) وفينيسيا (البندقية) و(راجوسا) و(أنكون) و(ليفورنو) و(جنوة) و(هامبورج) و(أنتويرب) و(بوردو) و(لندن)، ولقد عاش هؤلاء الأفراد في السلطنة لعدة أشهر في كل مرة حيث كانوا يبيعون البضائع المصنعة في أوروبا مثل الملابس والأقمشة، وكذلك التوابل والأدوية من الشرق، وكانوا يشترون بعائد هذه المبيعات القمح العثماني والصوف والجلد والقطن والتبغ، وكانوا يعيدونها إلى أوروبا ويحصلون على أرباح كبيرة جراء هذه العملية. ولم يمض وقت طويل حتى يصبح لليهود مندوبون في معظم موانئ الشرق، حيث كانوا يشترون ويبيعون نيابة عنهم، وبذلك ضمنوا عقودًا مربحة لبناء مساكنهم ومحلاتهم ومستودعاتهم وتزويدها بالطعام والأثاث والأقمشة المزركشة بأرباح كبيرة لهم. ولقد أصبح هؤلاء الوكلاء اليهود بحق هم السادة على أصحاب مؤسساتهم، حيث كانوا يرتبون منازلهم وتجهيزاتها ويقومون بالمساومة نيابة عنهم حول الطعام والسلع الأخرى في الأسواق، وكذلك مع العملاء ومصادر المواد الخام وحفظ حساباتهم ومراقبة المدفوعات والديون والعناية بمشكلاتهم أمام المحاكم المحلية. ولم يتركوا لسادتهم ما يفعلونه سوى القليل، والذين لم يعرفوا معظم ما كان يتم باسمهم، وبذلك أصبح اليهود لا غنى عنهم بالنسبة لهؤلاء التجار. وسواء أكان التجار الأصليون يونانيين أو أرمن أو أوروبيين يقال أنه لاشئ يُشتري من مقدونيا وقبرص والأناضول والشرق أو يُباع أو تتم المقايضة عليه بدون مشاركة اليهود. والذين كانوا هم الوحيدين الذين يمكنهم التعامل مع المواطنين المحليين من جميع الديانات وكذلك مع المسئولين الفاسدين.

ولقد ظل اليهود يعملون في الصرافة ومقايضة المال، وكوكلاء جمارك، وكأطباء وصيادلة بالبلاد، فلم يكن سوى اليهودى يعرف بجودة أسعار السلع، وما هي الأسعار التي يجب دفعها وفرضها على المشتريات والمبيعات، وما هي الرسوم الجمركية التي يجب فرضها وغيرها؛ لذا فلم يكن سوى قِلَّة من التجار المسلمين أو الأوروبيين ليس لديهم وكلاء يهود لهذه الأسباب وغيرها. ولقد واصل اليهود مسعاهم في الحصول على نظام الإقطاع على الضرائب ذات القيمة، على جميع منتجات البلاد نظرًا لقدرتهم الفريدة على إداراته لتحقيق جميع أنواع الأرباح.

ولم يستطع اليهود الانتفاع من حماية القنصليات الأوروبية بنفس القدر الذي كان يتمتع به النصارى المحليون في الجزء الأول من القرن الثامن عشر، حيث كانت فرنسا هي التي تتزعم السبيل لمطالبة وكلائها بعدم حماية اليهود؛ لأنهم يتنافسون مع التجار النصارى وتلتها في ذلك بريطانيا وهولندا. إلَّا أنه كانت هناك سبل أخرى للحصول على الحماية الأوروبية، فقد بدأ بعض اليهود العثمانيين في الاستثمار في دول مثل روسيا والدانمارك وراكوزا وهولندا على وجه التحديد حيث حصلوا على حق الجنسية بهذه الدول والحماية على مدار القرن بل أصبحوا في بعض الأحيان هم القناصل الشرفيين لها في الأستانة. وهو ما جعل من السهل نسبيًا لهم ليس فقط أن يوفروا الحماية لأسرهم، بل أيضًا لأقاربهم وللأعضاء بمعابدهم، وخلال السنوات الأخيرة من القرن بدأ التحامل الأوروبي في الانهيار، حيث حصل اليهود العثمانيون أيضًا على صكوك حماية أو العمل كمترجمين وكخدم في منازل قناصل فرنسا وإنجلترا والسويد والنمسا بينما كانوا يستخدمون نفوذهم ليصبحوا تجارًا أثرياء أو أصحاب بنوك أو تجارًا من خلال مشاركة الامتيازات الممنوحة لسادتهم، ولقد أصبح بيع القناصل الأوروبيون لوظائف مثل المترجمين والخدم وغيرها أمرًا واسع الانتشار في عام (1729م = 1142هـ) وهو ما جعل الحكومة العثمانية تحاول أن تتخذها ذريعة للحد من مثل هذه التعيينات إلى عاملين فقط لكل قنصل إلَّا أن الإصرار الشديد بتطبيق اتفاقيات الامتيازات الأجنبية حرفيًا جعل هذه المحاولة وغيرها تبوء بالفشل.

ولقد واصل اليهود استخدام مهاراتهم كأطباء للحصول على نفوذهم من القناصل

والسفراء الأجانب، وكذلك في مجالس الدولةيالعثمانية على الرغم من أنهم لم يكونوا من بين أفراد الأسرة المالكة العثمانية أو وزرائها.

ولقد عمل "توفيا ها كوهين Tovbia ha-Cohen" كطبيب ومستشار "للسلطان مصطفى الثاني Mustafa II" (1693م – 1703م = 1105هـ – 1115هـ) وللوزير "رامي باشا Rami Pasha" ثم "السلطان أحمد الثالث Ahmed III" (1703م – 1730م = 1115هـ – 1143هـ) وللوزير "بلطه جي محمد باشا Balltaci Mehmed Pasha" والذي نصح الأخير خلال حملته بإجبار "بيتر العظيم Peter the Great" على الاستسلام في معركة (بروث Pruth) (1710م = 1122هـ) .

ولقد ولد "دانيل دي فونيسكا Daniel de Fonesca"(1672م– 1740م = 1083هـ – 1153هـ) وهو مورسيكى (يهودي أسباني أو برتغالي أجبر على التحول إلى النصرانية في العصور الوسطى) بالبرتغال. وقد حُرق جده في أعمال محاكم التفتيش، وفرَّ والده هاربًا من نفس المصير. ونتيجة لذلك تربى دانيل ليُصبح قسًّا، ولكنه واصل ممارسته لليهودية، وعندما عرفت محاكم التفتيش بذلك فرَّ هاربًا إلى فرنسا حيث وصل في البداية إلى (بوردو) ثم إلى (باريس) حيث درس الطب، وأخيرًا وصل إلى الأستانة حيث استقر كطبيب ممارس في عام (1702م = 1114هـ) . بينما اعتنق اليهودية علانية للمرة الأولى. ولقد حظى بسلطات كبيرة ونفوذ مَثَله مثل باقي الأطباء اليهود خلال القرن السابق، ولقد أكسبته مهاراته الطبية احترامًا كبيرًا بين رجالات الدولة العثمانيين حينها. وكذلك مع الدبلوماسيين والتجار الأجانب الذين ازدحموا بعد ذلك في الأستانة. ولقد أصبح بعد ذلك طبيبًا للسفير الفرنسي وفي نفس الوقت استخدم علاقاته لتمثيل فرنسا لدى المسئولين العثمانيين. وفى النمسا حصل على مثل هذا المظهر الذى حصل عليه في فرنسا لدرجة أنه عندما توفى السفير استشاره وزير الخارجية كخليفة له. وهو ما أدى إلى تقاعده في فرنسا حيث أصبح عضوًا بالمجتمع الراقي. ولقد أشار إليه "فولتير Voltaire" كفيلسوف لشعبه اليهودى .

ولقد عمل "جودة بورا Gudah Beruh" كصراف (صيرفي باشا) "السلطان محمود الأول" (1730 – 1754م = 1143هـ – 1168هـ) مستخدمًا منصبه ليجعل السلطان

يرسل وكلاء إلى (ڤيينا) لإثناء "ماريا تريزا Maria Teresa" عـن خطتهـا لطـرد اليهـود من النمسا كنتيجة لمفاوضاتها مع الأسقف الأكبر لمدريد.

وعندما كان التُجار الأوروبيون من اليهود استطاع اليهـود العثمانيـون الانتفـاع مـن حقوق الامتيازات الأجنبية من خلال العمـل كـوكلاء تجاريين محليين لهـم، وكوسـطاء وهو ما جعلهم يتلقون براءات(*) تُقدم الحماية الأوروبيـة لاسـتخدام القـوانين واللـوائح العثمانية، وكذلك من الإعفاءات الضريبية مثـل تلـك التـي تُمنح لأصـحاب شركـاتهم، وطول القـرنين الثـامن عـشر والتاسـع عـشر عملـت الجاليـات الكبـيرة التـي أقامـت في (دمـشق) و(حلـب)، وإيرتـز إسرائيـل مـع مجتمعـه اليهـودي لدرجـة أنـه قـد سُـموا بالفرنسيين، حيث كـانوا يحملـون هـذا اللقـب لأنفسهم وكـانوا يهيمنـون على التجـارة المحلية والدولية من خلال استخدام حقوق الامتيـازات الأجنبيـة المأخوذة مـن دولهـم وتوسيع ثرواتهم وحمايتهم من خلال إرسال وكلائهـم إلى أمـاكن مثـل (بيـت المقـدس) و(عكة) و(يافا) و(صفد) حيث كان يستفيد اليهود بنفس الطريقة، ففـي دمشق كانـت لأسرة "فارحي Farhi" حيـازات النفـوذ الكبـير للعمـل كـصرافة وكجامعي ضرائـب. وكذلك للعمل في التجارة الخارجية، وذلك لقدرتهم للحفاظ على علاقـات جيـدة مـع الحامين الغربيين. أما في مصر والولايات الموجودة بشمال أفريقيا، فقـد تـدربت الأسرة اليهودية الرائدة للاستفادة من الامتيازات الأجنبية من خلال جعل أحـد أفـراد الأسرة يحصل على جنسية أجنبيـة وبـصفة خاصـة مـن فرنـسا والنمسا، واسـتخدام مثـل هـذه العلاقات للحصول على الامتيازات المرغوبة.

فلقد أصبح هؤلاء الـوكلاء اليهـود والقناصـل الـشرفيون والمترجمـون وغـيرهم هـم العنصر الـسائد في المجتمـع اليهـودي نظرًا لعلاقـاتهم مـع الأوروبيين، وحـصلوا على سـلطات أكـبر حيـث كـانوا يـستطيعون الحـصول عـلى الحقـوق القانونيـة لــ(الحذاقـة Hazaka) للحـصول عـلى مناصـبهم وهـو مـا منـع اليهـود الآخـرين مـن محاولـة عـزلهم لتقديم خدماتهم إلى نفس أصحاب العمل بأسعار أقل، وبمرور الوقت كرسوا أنفسهـم من أجل اللغات والثقافة الأوروبية؛ لرعايتهم وعزل أنفسهم بالكامل عـن مجتمعـاتهم، ليس فقط من المسلمين بل من جموع وحشود مجتمعـاتهم، ولقـد تـرك مثـل هـذا التطـور

الأخير هذه المجتمعات متماثلة مع الثقافة السفاردية لليهود الشرقيين، والتي تزايدت في الشرق الأوسط وحتى في الدول الإسلامية وتَبَدى هذا في مظهرهم وعاداتهم التي فصلتهم كثيرًا عن أوروبا، وعما كان عليه الحال في الماضي عندما كانوا ينحدرون من الفقر الذي مَيَّز معظم يهود السلطنة العثمانية في مطلع القرن التاسع عشر.

الثقافة والتنمية الفكرية:

إن الإحياء الجزئي للثروات الاقتصادية اليهودية، والذى بدأ منذ أواخر القرن السابع عشر قد أدى إلى الإحياء الفكري والثقافي، وبصفة خاصة خلال القرن الثامن عشر. فلقد أصبحت العبرية مستخدمة فقط كلغة للدين، بينما كانت اللغة الأسبانية اليهودية قد تطورت إلى لغة الثقافة والاتصالات بين جميع عناصر اليهود بالدولة العثمانية، ولقد بدأت هذه الحركة بالعمل الذي قام به "يعقوب بن مير كولي Jacub ben Meir Culi " (1690 – 1732م = 1102 – 1145هـ) والذي هاجر إلى الأستانة ثم إلى الأراضي المقدسة في عام (1714م = 1126هـ) ودرس مع الحاخام الأكبر "جودة روسانسGudah Rosanas " (والذي توفى عام 1927م = 1346هـ) والذي عينه كعميد للمجتمع اليهودي ومعلم أكبر له، ولقد شعر "كولي" أن بعد إحداث الفوضى التي اندلعت في المجتمع اليهودي الناجمة عن قضية "صبتاي سِيفى" وكذلك الاضطرابات التي انتشرت في السلطنة كان من الضروري أن يُعيد تعليم جموع اليهود تقاليدهم الدينية والثقافية. ونظرًا لأن معظمهم لا يعرف اللغة العبرية؛ فقد رأى أن مثل هذا التعليم والتعميم يجب تنفيذه باللغة التي يعرفونها وهي الأسبانية اليهودية، والتي تجمع بين أسبانية أجدادهم الذين أتوا بها في القرن الخامس عشر وبعض العبرية، وكذلك التركية لغة الدولة. وفي عام (1730م = 1143هـ) نشر أول مجلد له والذي كان يغطي (سفر التكوين) وجزء من (سفر الخروج) في سلسلة كبيرة خطط لإصدارها عن العهد القديم وأسماها (Me'am Lo'ez) والتي تضم عبارة من الكتاب المقدس يسمى بـ فرس يعقوب، ولقد أصبحت هذه السلسلة التي كتبت باللغة الأسبانية اليهودية المفهومة لجميع اليهود كما خطط "كولي" وخلفاؤه هي الموسوعة لجميع أوج الحياة لليهود الشرقيين وفي ثقافاتهم وهو ما جعل الناس يفهمون ويُقيمون مبادئ عقيدتهم وثقافتهم.

وقـد تـم توضـيح وتفسير جميع الأعـمال العظيمـة للثقافـة اليهوديـة– (التـوراة) و(التلمود) و(المشنة) و(المدارس) و(الزوهـار) إلى جانـب أعـمال أخـرى مـن التعـاليم الكهنية للأحبار. وهـو مـا سـاعد عـلى اسـتعادة التقاليـد اليهوديـة وتـاريخهم وتوضـيح قواعد القانون، ولقد توفى "كولي" بعد عامين بينما كـان يعمـل في المجلـد الثـاني والـذي كان يُناقش بقية (سفر الخروج) . ولقد ترك ملحوظات وخطط عديدة لبقية المجلـدات والتي قام بها زملاؤه "إسحاق بـن مـوسي مارجيسو " Isaac ben Moses Margiso) Istanbul، vols 2، 1733 ، 1746) والتـى صـدرت فى مجلـدين أعقبـه (لافيتيكـوس Istanbul) (Leviticus، 1753) و(سـفر الأعـداد) (Istanbul، 1764) حيـث نـشرت المجلدات الأخيرة بصورة دورية خلال القرن العشرين. ولقد ظل مجلده الأول "جـواد يعقوب" هو الكتاب الرئيسي في الأسبانية اليهودية حتى عهد قريب والذي يعد لجميع الأغـراض هـو الموسـوعة المعرفيـة لليهـود الـشرقيين، ومـن بـين هـؤلاء كانـت قـصيدة. "إبرهام دي تولدو Abraham de Toledo " باللغة الأسبانية اليهودية والتي تحمل اسـم Las Coplas de Joseph ha-Zaddik)) (تكملـة الدراسـات التورانيـة ليوسـف بـن يعقوب) (Istanbul، 1732) والتي تضم حوالي 400 مقطوعة لها نغمتها الخاصة والتي. عـادة مـا تُغني في (عيـد البـوريم) وكـذلك ظهـر كتـاب (ميشفات نيفـيش Meshivat Nefesh) (1743م = 1156هـ) وهـو ترجـة وتعليـق كتبـه "فيتـاز الـسبتي = الـصاباتاى Shabbatai Vitas" للقصائد التي كتبها "سولمون بن جـابرول Solomon ibn Gabrol" وتحمـل اسـم (Ma'assioth del Senyor de Ya'akov Avinu) (1756م = 1170هـ) والقــصائد الأخلاقيــة التــي كتبهــا "يوموتــوف Yomotov Maggala" وتحمــل اسم(Magula Tohakkat) (1756م = 1170هـ). ولقد نشر "بنيـامين بيريـز Benjamin Perez" تراجم عديدة للجماهير تـشمل مراسـلات "ريبـي أكيبـا" (1729م = 1142هـ) تحمـل اسـم "أب الأدب اليهـودي الأسـباني" كـما نـشر "إبراهـام بـن إسـحاق عـصا Abraham ben Isaan Assa" (1710- 1768م = 1122 – 1182هـ) عـدة كتـب أصـلية وتراجم أصلية للدراسات التاريخية والعلميـة والدينيـة خـلال الـسنوات الوسـطى مـن القرن الثامن عشر بها فى ذلك العهد القديم (Istanbul، 1739)وكُتيِّب للطقوس الدينية

والصلاة يسمى (زورخي زبور Zorkhei Zibbur) (1739,Istanbul) وكتاب "شولان آرتوخ Shulan Arukh" لـ"جوزيف كارو Joseph caro" وتاريخ للأسرة السلطانية العثمانية. كما نشط أحد أعظم الشعراء والملحنين اليهود فى ذلك العهد الحاخام "موشى فارو Moshe faro" (الذى توفى عام 1776م) حيث قدم عمله الخالد Sauzkar Peshrevi and Shadarban)) والتي حققت له سمعة بين كل من المسلمين واليهود على حد سواء خلال القرن التالي. أما المُوسِيقي اليهودي "إسحاق فريسكو رومانو Isaac Fesco Romano " والمعروف أيضًا بـ"إيزاك الطنبوري Tanburi Izak " فقد كان معروفًا عنه أنه كان معلم السلطان سليم الثالث في العزف على الطنبور.

ولقد أُلغيت الصحف العبرية التي ازدهرت منذ قرن في الفترة من عام (1590م = 999 هـ) حتى العقود الثلاثة الأولى من القرن السابع عشر، فقد تم إحياؤها على يد الحاخام "سولومون فرانكو" في عام (1638م = 1048هـ) بمساعدة اللاجئين من مذابح (تشملينيكي Chemielnicki) وواصل ابنه "إبراهام" وزوج ابنته "سولومون جاباي Solomon Gabay " اللذان واصلا النشر حتى عام (1659م = 1070هـ) حيث كانوا يطبعون قطعًا دينية تشمل تلك الخاصة بـ)زيفى السبتي) ولقد نقل "إبراهام بن جيديا جاباي Abraham ben Jedidiah Gabay " مطبعة أبيه من (ليجهورن) إلى إزمير في عام (1657م = 1078هـ) .

ولقد تم إحياء الطباعة اليهودية في الدولة العثمانية في أوائل القرن الثامن عشر كجزء من الإحياء الأدبي للغة الأسبانية اليهودية. ولقد أنشأ الحاخام "جونا بن يعقوب الأشكنازي Jonah ben Jacob Ashkenazi" (والذي توفى عام 1745م = 1158هـ) (وهو لاجئ من جالشيا هاجر بعد ذلك إلى الأستانة من مذابح تشيملينيكي) صحيفة جديدة هناك عام (1710م = 1122هـ) حيث بدأها كشركة مع حاخام مهاجر آخر هو "ريبي نافتالي بن آزرائيل Ribbi Naftali ben Azrial " من فيلنا وبعد عامين أنشأ صحيفة خاصة به في (أورطه كوي) والتي ظلت تعمل على يد خمسين عاملًا وبشكل جيد طوال القرن. وفي عام (1720م = 1133هـ) فقدت سفينة تحمل كتبه في البحر، بينما هرب وكيله غير الأمين إلى بولندا بدون أن يسدد له حقوقه. ولقد واصل الأشكنازي

جهوده غير الناجحة لاستعادة أمواله، وعلى الرغم من أنه توقف على غير نجاح في (أمستردام) في طريق عودته قام هناك بطبع العديد من الكتب التي أحضرها معه من الأستانة، وعند عودته طبع كتاب Responsa (الرد) وكتبًا أخرى للأحبار العثمانيين، بما في ذلك بعض الكتب التي حصل عليها خلال رحلة إلى مصر. وفي عام (1728م = 1141هـ) أصدر صحيفة أخرى بـ(إزمير) بالمشاركة مع حَبْر آخر يدعى "داود هازان David Hazzan" على الرغم أنها أغلقت عام (1739م = 1152هـ).

عندما استقر الحاخام فى القدس إضطر إلى غلق هذه المطبعة سنة 1739م= 1152هـ) وإذا كانت قد أصابها الضرر نتيجة الحريق الذى إندلع سنة 1741م = 1154هـ) إلَّا أنه تمكن من ترميمها وإصلاحها بمساعدة الحاخام الأكبر لاستانبول "أبراهام روسانس Abraham Rosanes" واستمر أولاده وأحفاده فى إدارة وتشغيل المطبعة. وفى النهاية ، وحتى إغلاقها فى سنة (1778م= 1192 هـ) تم طبع مائة وثمانية وثمانين عملًا من بينها (العهد القديم) وبخاصة ترجمته الإسبانية للمجلد الأول وكذا (الزوهاد) و(حموات يامين) وبدأت حركة الطباعة من جديد فى سلانيك، وذلك بطباعة الروايات القصيرة للحاخامية والمواعظ والأناشيد الدينية التى نشرها من قبل "آبراهام بن داويد" و"يونتوف ڤانبلاس" سنة (1709م = 1121هـ). والاسم الثانى المذكور قد بدأ فى تشغيل المطبعة الخاصة به عام (1729م = 1142هـ). وخلال السنوات الباقية من هذا القرن ظلت الطباعة فى الدولة العثمانية عملًا منوطًا باليهود، وعندما أسس إبراهيم متفرقة بالقرب من أسوار *طوپ قاپى* أول مطبعة تركية عثمانية كان منضد الحروف العربية ومن يصبها ومَنْ قدم التوصيات الواجبة لإدارة المطبعة وتشغيلها يهوديًا يُدعى "ياهود رِبِى يوناح أشكنازى" وعدا هؤلاء، فى سنة (1755 م = 1169 هـ) قام "إسحاق ڤاليرو" وفى عام (1782م = 1197 هـ) قام "حاييم پاردو كل منهما بتأسيس مطبعة فى استانبول. وكذلك قام "يوناح أشكنازى" و"داويد حزَّام" و"بارزيلاى ياسف" و"صمويل دانون" و"جراح هزان" بتأسيس مطابع فى إزمير. وكذلك أسس كل من "داويد ناهمائس" و"باصللى ليفى" مطابع سلانيك. وجميعهم قاموا بطباعة الأعمال الأدبية والدينية العبرية أو المترجمة من حين لآخر عن الأسبانية اليهودية، وهكذا قد

وفرت هذه المطبوعات وسائل اتصال بين يهود السفرايد الموجودين فى الدولـة العثمانيـة بالإسبانية اليهودية بدلًا من اللغة العبرية، وأضافوا بُعدًا ثقافيًا مهمًا.

* * *

الفصل الرابع

نهضة يهود
الدولة العثمانية في القرنين
التاسع عشر والعشرين



الفصل الرابع
نهضة يهود الدولة العثمانية في القرنين
التاسع عشر والعشرين

الشعب اليهودى العثماني وحَركة الإصْلاَح العُثْماني في القرن التَّاسِع عشر:

التنظيمات و حركة الإصلاح:

تغير الشعب اليهودي العثماني تغيرًا كبيرًا في القرن التاسع عشر، وكذلك تغير الوضع الذي تواجدوا عليه داخل الدولة العثمانية، ففي بادئ الأمر بدأ العثمانيون يلاحظون أخيرا أنهم ضعفوا أمام دول أوروبا الناهضة، ومن ثم قرروا حل المشكلات وإنقاذ السلطنة من التشتت عن طريق التغيير بالأساليب والمؤسسات الجديدة والحديثة التي تلبي احتياجات العصر بصورة أفضل، وليس عن طريق جهود إصلاح أساليب ومؤسسات الماضي، وفيما بعد أُعد فرمان(*) التنظيمات، والمسمى بـ(إعادة الترتيب yeniden düzenleme) في عهد السلطان "محمود الثانيMahmud II "، وقد وُضع في حيز التنفيذ بواسطة مجموعة بيروقراطية تحديثية على رأسها ولديها، "عبد المجيد Abdülmecid" (1839-1861 = 1255 م – 1278هـ)، و"عبد العزيز Abdülaziz"، والصدر الأعظم "مصطفى رشيد باشا Mustafa Reşit Paşa"، أما في عهد السلطنة المضطربة للسلطان "عبد الحميد الثاني Abdülhamid II "- الذي نقل السلطنة العثمانية للعالم الحديث بالأتوقراطية (الانفراد بالسلطة) الذي أسسها لعرقلة عملية الانتقال للمجلس التمثيلي المبدوء في الربع قرن السابق- فقد اكتملت الإصلاحات بنسبة كبيرة، ووصل التحديث العثماني ذروته طوال فترة (الجون تورك:Jöntürk) من عام (1908م = 1326هـ) حتى نهاية الحرب العالمية الأولى، أما جهود الديمقراطية المنظمة بالحكومة الدستورية فقد أتت بمرحلة ديمقراطية سياسية اجتماعية اقتصادية مكثفة ولكنها استمرت فترة قصيرة جدًا بين سنوات (1908- 1912م= 1326– 1331هـ)، وانتهت هذه المرحلة عقب الهجمات الخارجية والمذابح الأوتوقراطية للجون تورك

والتمردات الوطنية الداخلية، ودخلت الدولة الحرب العالمية الأولى في صف قوات التحالف، وتسببت هزيمة قوات التحالف في تمزق السلطنة للمرة الأخيرة وظهور كثير من الدول القومية وعلى رأسها جمهورية تركيا.

إعدام زعماء الطائفة اليهودية:

كان لحركة الإصلاح العثماني في القرن التاسع عشر تأثيرات كبيرة على الشعب اليهودي العثماني. وكانت قد بدأت هذه المرحلة بتشتيت السلطان "محمود الثاني IIMahmud" القوات الإنكشارية المكونة من (الدونمة) المسيحيين وأقربائهم بشكل تام في 15 يونيه 1826م. وكان الإنكشاريون قد شكّلوا في سنوات التشتت جناحا عسكريا للإدارة السيئة، وسوء الاستخدام والتفاعل، وخلال هذه المرحلة خرّبوا لعدة مرات محلات ومنازل اليهود في المدن الكبرى من السلطنة. وعلى الجانب الآخر أعدم السلطان في عام 1826م زعماء الطائفة اليهودية آنذاك؛ بسبب أن الإنكشارية اهتموا بالشئون المالية ومنهم: (غاباي:Gabay) المصرفي البغدادي، و(اجيمان:Acıman) موزّع رواتب الإنكشارية، و(جارمونا:1773-1826) (Carmona م= 1187– 1242هـ) الصراف ومصرفي القصر ومحصّل الضريبة الأساسية.

وفي الحقيقة كانت هذه الحادثة إظهارًا لعداوة استمرت منذ مدة طويلة بين اليهود ومنافسيهم المسيحيين، أما منافسو اليهود في هذه المرة فهم المصرفيون الأرمن المحتكرون في القصر العثماني قبل إضعاف المصرفيين اليهود في الفترة المتأخرة من القرن السابع عشر، وكان هناك صراع كبير في القصر العثماني بين المصرفيين اليهود والمصرفيين الأرمن لمدة طويلة، وأهم زعماء المصرفيين الأرمن هم "الله ويردي اوغلي:Allahverdioğlu" وأخواه، أما عند اليهود فكان (غاباى:Gabay) المُعيّن كرئيس صرافي السلطان في عام (1811م = 1226هـ) بمكافأته بسبب مساعداته في إخماد ثورة (المملوك الصغير سليمان باشا:Memluk Küçük Süleyman Paşa) التي جرت في بلده بغداد. واستطاع (غاباى:Gabay) – في وسط المؤامرات البيزنطية الموجودة حول السلطان آنذاك– حماية موقعه بفضل مساندات السلطانة الوالدة، و(خالد أفندي:Halet Efendi) الذراع الأيمن للسلطان "سليم الثالث Selim III". وفي مقابل

ضغوط الأرمن لإبعاد اليهود عن القصر مرة ثانية ساند (غاباى: Gabay) السلطانة فى إعدام الوالدة لثلاثة من المصرفيين الأرمن، وهكذا تحكّم لمدة قصيرة. وفي مقابل هذا فإن (قزاز ارطون هاراتيون: Kazaz Artun Haratyun) مدير دار ضرب السكة الأرمني نشر فكرة أنه يجب إعدام (غاباي : Gabay)، و(اجيان : Acıman)، و(جارمونا Carmona) لأنهم دعموا الإنكشاريين من أجل المكاسب والرشاوى في ظل قربهم منذ مدة طويلة، وذلك ضد جهود السلطان الإصلاحية، وفي البداية واجه (غاباي:Gabay) هذه الاتهامات بمساعدة السلطان نفسه و(خالد أفندي : Halet Efendi)، واتهم (قزاز ارطون هاراتيون : Kazaz Artun Haratyun) بالتصرفات غير القانونية في البيع الذهبي لدار ضرب السكة، وفي الحقيقة إن هذا كان شيئًا طبّقه المديرون منذ مدة طويلة في قرون الانحطاط، وفي النهاية نُفي (قزاز ارطون هاراتيون:Kazaz Artun Haratyun) إلى (رودس:Rodos) مُبعدا عن وظيفته في الـ (ضربخانه: دار سك النقود)، ولكن كان لديه أصدقاء يعملون لمصلحته في القصر، وقدّم اعتذارًا بعد النفي لمدة قصيرة، وعُيّن من جديد في وظيفة إدارة دار سك النقود عائدًا إلى استانبول، وبفضل مؤامراته عمل على إسقاط (خالد أفندي:Halet Efendi) من نظر السلطان، ونفيه إلى (قونيه:Konya) حيث سيُعدم هناك. وقد حرم هذا (غاباى:Gabay) من حاميه الأهم في القصر. ونشر (قزاز ارطون هاراتيون: Kazaz Artun Haratyun) وأصدقاؤه الأرمن شائعة أن هؤلاء اليهود الثلاثة حرسوا الإنكشاريين. وكانوا يريدون– في ظل هذه المؤامرة– التخلص منهم، وتمرير المصادر المالية للقصر لإشراف الأرمن مرة ثانية. وفي البداية كان (غاباى: Gabay)، حيث عمل (قزاز ارطون هاراتيون: Kazaz Artun Haratyun) على حبس السلطان لـ (غاباى: Gabay) في عام (1826م = 1242هـ)، وبمجرد سماع السلطانة الوالدة بما حدث، عملت على اعتذار (غاباى Gabay)، عمل (قزاز ارطون هاراتيون: Kazaz Artun Haratyun) على إعدامه بسرعة، ثم أصبح المصرفيون الأرمن أحرارًا في عمل ما يريدونه. كما عمل (قزاز ارطون هاراتيون:Kazaz Artun Haratyun) على نفي (آجيمان Acıman) إلى (قبرص Kıbrıs) مطرودًا وتم إعدامه هناك. هذا بالرغم من أنه كان قد

خصص– ولو في الوقت الحالي– سيادة للأرمن علي مالية القصر باعتقال (جارمونا: Carmona) وحبسه في قصره الكائن في (ارناووطكوي Arnavutköy) بحجة قربه من الإنكشاريين.

إن مجرد المؤامرة الأرمينية، والسياسة اللاسامية للسلطان أو الواقع الذي لم يعكس تميزًا موجهًا لليهود كان يتضح في إجراءات السلطان محمود بعد مدة قصيرة. حيث أمر السلطان موظفي الحكومة والجيش بمنع ارتداء العمامة والقفطان المُرْتَدى قديما، واللذين يشيران إلى اختلافات الدين والمكانة بأشكالها وألوانها المختلفة من أجل دعم المساواة بين الرعيَّة مختلفى الأديان. ومهما كانت المكانة فإن الجميع كان سيعلق الطربوش ويرتدي السترة.

افتتاح الحاخامية مكررا– تشكيل الطائفة اليهودية من جديد:

قام السلطان محمود بإصلاحات كبيرة داخل الشعب اليهودي لإمكانية الاستفادة من الإصلاحات التي بدأها، بينما كان يسعى في طريق الإصلاحات الحديثة، وذلك بعد تشتيت الوحدات الإنكشارية عام (1835م=1251هـ) طلبت منه الطائفة اليهودية في استانبول تعيين حاخامات يمثلون كل الطائفة اليهودية العثمانية، وكان الأرمن واليونانيون يحتمون في القصر العثماني بوساطة البطاركة منذ مدة طويلة، وكان اليهود في ظل الحاخامات سيتخذون موقعًا سياسيًا سيتوازن مع موقع الأرمن واليونانيين في الإدارة العثمانية. ولم يكن اليهود قد شعروا بالحاجة لحماية كهذه في القرن التالي بعد موت كبير الحاخامات (مزراحي Mizrahi) في عام (1535م = 942هـ)؛ لأن الأطباء والمصرفيين أصحاب النفوذ الذين في القصر في القرن السادس عشر كانوا يحمون حقوق اليهود، ولهذا السبب لم يُعين أي شخص كحاخام أكبر طوال ثلاثة قرون تقريبًا، ولكن عندما حلّ القرن التاسع عشر تلاشت القوة السابقة للأطباء والمصرفيين في القصر، وأظهر انتصار (قزاز ارطون هاراتيون: Kazaz Artun Haratyun) ضرورة إيجاد وظيفة رسمية مثل حاخام أكبر في القصر للحماية من مؤامرات منافسي اليهود. وهكذا أصبح (ابراهام حلوي Abraham halevi) أول رئيس لحاخامات الدولة بعد (مزراحي:Mizrahi) وبدأ عمل رؤساء الطائفة اليهودية المستمر حتى اليوم كوظيفة

رسمية، واستقبل تعيين (ابراهام هالوي:Abraham halevi) بحفاوة كبيرة من الطائفة اليهودية الاستانبولية، ودعت الطائفة بسلامة السلطان معلقةً الفنارات في الأحياء اليهودية بالمدينة.

كان رئيس الحاخامات الجديد أقوى من أسلافه السابقين، وكان فرمان التعيين يمنحه ثلاث وظائف أساسية:

أولًا: كان موظفًا عثمانيًا يمثل الطائفة اليهودية التي في الحكم، وكان مسئولًا عن جمع الضرائب الخاصة بالدولة من منتسبي الطائفة، والإشراف على تطبيقهم لكل قوانين السلطان، ونقل الضرائب إلى موظفي الخزانة، وتسليم المخالفين إلى محاكم وضباط السلطان لمعاقبتهم حسب القوانين، وكان في نفس الوقت يمثل الطائفة بين موظفي الدولة متخذًا مكان رئيس الخدم، وفي ظل هذا كان يوصل شكاوى وطلبات الطائفة إلى مراجع وموظفي الدولة ذوى الشأن، ويصدر تنظيمات وفرمانات السلطنة التي تحتاجها الطائفة، وكان الحاخام الأكبر مرتبطًا بوزارة الخارجية حتى عام (1877م = 1294هـ) في كل هذه الأمور بما فيها التعيينات والإقصاءات، أما بعد هذا التاريخ فقد خضع لإشراف وزارة العدل كجزء من الإصلاحات الدستورية للسلطان "عبد الحميد : Abdülhamid".

ثانيًا: كان الحاخام الأكبر مديرًا لليهود في كل مكان من السلطنة، وليس الموجودين في استانبول فقط، وكانت مهمته تحديد وجمع نسب الضريبة، ومن مسئولياته تأسيس المدارس ودور الأيتام والمستشفيات ومؤسسات الخير، ومواجهة احتياجاتهم، وتعيين إطار لهم، وكانوا يُمولون من المؤسسات الرسمية كما هو الحال في نموذج الأوقاف التي تدعم المعابد اليهودية والمؤسسات الدينية الأخرى والمساجد والكنائس. وبينما هذه الأشياء تحت إشراف الدولة طبقًا لفرمان التنظيمات كان من مسئوليات الحاخام الأكبر التعيين الإداري لهؤلاء، وتشغيل هذه الأشياء كلها كما كان الأمر في مؤسسات الطائفة، وبينما ينفذ هذه الوظائف كان يتلقى المساعدة في الحالات اللازمة من الضابط العثماني، وموظفي الدولة المحليين، والحاخامات المحليين، والمديرين ومجالسهم، ولكن كان يجعل الإداريين في خدمته لكي يظل مرتبطًا بالدولة بقدر الإمكان.

كان الحاخام الأكبر زعيمًا دينيًا، ومكانته فوق كل الحاخامات وزعماء الطائفة، كان في قمة النظام الحقوقي اليهودي، وصاحب سلطة تطبيق العقوبات المشددة في الحرمان الكنسي، وفي حرمان المنتهكين للقانون الديني. وكانت تُحل في حضوره الخلافات بين الحاخامات، وكونه ممثل الدولة والزعيم المدير كان ذلك يمنحه احترامًا كبيرًا، وكان إقناعه للحاخامات الآخرين بتفسير محدد للقانون مرتبطًا باعتباره الشخصي، وكان هذا يتغير من شخص إلى شخص، وبخاصة أنه في بداية الحرب العالمية الأولى وأثنائها زادت هذه المهارات بمعدل كبير، وبخاصة توجيه الآخرين في الفترة الأخيرة للحاخامات الثلاثة الذين تولوا هذا الموقع.

إن الإدارة العثمانية طوال السنوات التي أعقبت دخول وظيفة الحاخام الأكبر حيز التنفيذ، وتعيين "ابراهام حلوي Abraham halevi" حددت- بدقة- للحاخام الأكبر سلطاته بفرمانات وقواعد دينية تمنحه حق الحديث إلى الحاخامات الآخرين، وهكذا فإن الحاخام الأكبر كان سيدعم عمل الحاخامات الآخرين لتعديلات موجهة لمنتسبي الطائفة، وكذلك قبول منتسبي الطائفة لهيمنة المحاكم الحاخامية، وبالتالي فإن سلطات ووظائف الحاخامات كانت وفقا لمواد هذه التعديلات.

السيطرة على الحاخامات الآخرين:

كان يتم تعيين وإقصاء الحاخامات ورؤسائهم في كل مكان من الدولة سواء بالريف أو المدينة بموافقة الحاخام الأكبر فقط، وكان لا يمكن للسلطات المدنية اعتقال أي حاخام دون موافقة الحاخام الأكبر، ويمكن أن يعيّن الحاخام الأكبر ضباطًا عثمانيين لمعاقبة وحبس الحاخامات الذين لا يطبقون أوامره. وعندما يموت حاخام بلا وريث كانت تُنقل ممتلكاته لخزانة الشعب على أن تكون لكل الرعية العثمانية. وفي مثل هذه الحالات كان في الحقيقة لابد من موافقة الحاخام الأكبر الذي بلا وريث.

سلطة إصدار القوانين الخاصة بالطائفة:

كان رئيس الحاخامات قد منحته الدولة سلطة قانونية بشأن إجبار الحاخامات لإخضاع اليهود لقوانين الطائفة، وكان من بين هذه القوانين الأشياء المتعلقة بالمأكولات الحلال. وكان يُزج بالمخالفين لقواعد الديانة اليهودية في سجون المدينة

بدلًا من سجون الحاخامية أو المعابد، وكان لا يمكن أن يتحقق الزواج بشكل كامل دون رضا الحاخامات الكبار الذين كانوا ممثلين لرئيس الحاخامات أو الذين في المناطق القروية، وكان من بين هذه الأشياء الزواج الحادث خارج البلاد والزواج الثاني، فأي حاخام كان لا يمكن أن يصدق على طلاق أو قدسية زواج يشعر أنه يخالف لقوانين الدين اليهودي، وكذلك فإن أي شخص كان لا يمكن أن يتزوج أو يطلّق دون أخذ الموافقة الدينية، كما كان نقل الممتلكات تابع لاذن السلطات الدينية، أما في الحالات التي لا يكون لليهودي الميت وريث يملك أمواله فإن انتقال الأموال لخزانة الشعب يتحقق لوثيقة موافقة من الحاخام بدلًا من القاضي، على أن يتم تطبيق ذلك على كل الرعية التي بلا وريث، ولكن كانت موافقة القاضي ضرورية للمواطنين الآخرين.

التحكم في القضايا الموجودة في المحاكم الدينية:

عندما يتواجد أي حاخام من الحاخامات العثمانية في قضية تُنظر في المحاكم الإسلامية مع يهودي أو مسلم فإن محاكم استانبول لابد أن تحكم في حضوره، وكان لابد أن يَحضر الحاخام الأكبر ممثلا في المحكمة لحماية مصالحه. وعندما يُحاكم الحاخام أو اليهودي في المحاكم الإسلامية فإنه ليس مجبرًا على حلف اليمين الإسلامي، وكان يمكن أن تؤخذ كلماته من ممثل له أو الحاخام الأكبر في معبد على أن توصل للقاضي، وهكذا كانت تتساوى كلماته و"تعبيراته" مع كلمات المسلم في محكمة القاضي.

التحكم في مسؤولي الدولة:

كان لا يمكن الحجز مطلقًا على أي شيء خاص بأي مدرسة أو معبد تحت اسم تحصيل دين متعلق بالدولة أو الأشخاص دون موافقة الحاخام الأكبر، وعندما تُنتهك هذه القاعدة كان من حق الحاخام الأكبر طلب إعادة المال ودفع بدل المال المحجوز، وكان لا يمكن أن يدخل أي شخص أي مدرسة يهودية بحجة التحري دون أخذ إذن من الحاخام الأكبر، كما كان الضباط وعمال الخزانة يُعاقبون عندما يتجرأون لأخذ هدايا أو رسوم مخالفة للقانون، وكانت الدولة تعزز الإمكانيات الخاصة للحاخام الأكبر الذي يتجول في الدولة العثمانية والحاخامات الآخرين وممثليهم، وكان يُصرّح لهم بالتجول بالزي المتنكر في الحالات اللازمة، وبخاصة عندما يجمعون الضريبة

للخزانة؛ لأن معرفة أنهم يحملون ذهبًا وفضة كثيرة كان يمكن أن يعرّضهم لتهديد السرقة بشكل لا مفر منه. وكان رؤساء الحاخامات والحاخامات الآخرون مُعْفَيْنَ من معظم الضرائب العثمانية وضرائب الطائفة اليهودية، بالإضافة إلى أنه لم يكن متداولًا لهم إجبار كل الرعية على استعمال بيوتهم كمنزل للجنود في أوقات الحرب.

إن فرمان السلطان المكتوب بالتعيين الرسمي لرئيس الحاخامات (حاييم هاجوهن:Hayim ha-Cohen) في 26 يونيه (1854 م = 1271هـ) يقدّم فكرًا جيدًا بشأن ما فعله، وما سيمكن أن يفعله رؤساء الحاخامات آنذاك. وكانت الشروط الأساسية المكتوبة هنا قد تكررت في خطابات تعيين رؤساء الحاخامات التاليين:

قام حاخام الشعب اليهودي في استانبول وما حولها بإقصاء الحاخام (دافيد:David) من وظيفته، وعيّن بدلا منه الحاخام (حاييم:Hayim) المختار من الإدارة العثمانية والشعب اليهودي وصاحب الفرمان، وقد التمس (حاييم :Hayim) أن يُمنح البراءة العظيمة (الأمر العالي، الفرمان) ووثيقة الاستعداد كما في كل وقت. وفُحصت السجلات اللازمة، ويُرى أن يمنح لخزانة السلطنة في شهر مارس من كل عام 60000 أقچة كهدية للسلطان على موقعه و338,999 أقچة كتأمينات. وينتقل المجموع إلى دفاتر الحساب في نهاية العام.

أُصْدِرت هذه البراءة بعد ذكر أنه دُفع 60000 أقچة كهدية لخزانة السلطنة، وأمر بأن يكون الحاخام (حاييم:Hayim) السابق ذكره حاخامًا أكبر للشعب اليهودي في استانبول وما حولها، وأن يعرفه كل حاخامات الشعب اليهودي كبيرهم وصغيرهم وكل زعماء الطائفة الموجودة في السلطنة كحاخامهم الأكبر، وأن يرجعوا إليه في كل الموضوعات الخاصة بالحاخامية، وألاَّ يرفضوا كلماته الصائبة، وأن يطيعوه في القضايا المتعلقة بدينهم. وأمر أي ضابط أن يعاملهم معاملة حسنة، وألّا يضايقهم، وألّا يطلب منهم نقودًا أو يتدخل في طقوسهم بأي شكل حتى لا تكون قراءة التوراة في منزل الحاخام الأكبر والمنازل الأخرى مخالفة للأديان. وهذا مخالف لقوانين الإسلام والقوانين المدنية، بالإضافة إلى أن الضباط لا يمكن أن يقولوا: (لابد أن تنظموا طقوسكم الدينية في منازلكم، ولابد أن تطفئوا الأنوار وتسدلوا الستائر حينما تقرأون

التوراة). كما صدر أمر بألّا تتعرض المدارس والمعابد اليهودية للهجوم بأي شكل بحجة التحري، ولا يمكن أن يتدخل أي شخص في الترميمات والإصلاحات التي سيمكن عملها دون تصريح، ولا يمكن عرقلتها بأي شكل، ولا يمكن الحجز على أي شيء يوجد في المدارس والمعابد لتحصيل الدين أو لأي سبب آخر، ولابد من إعادة أي شيء مأخوذ بطريق الحيلة بدخول المحاكم الإسلامية.

عندما يكون هناك زواج أو طلاق أو نزاع بين اليهود فإن هذه المشكلات تُحل برضا الطرفين أو بواسطة الحاخام الأكبر السابق ذكره وممثليه، أما مشكلات مثل فتح تحقيق أو صلح فإنه يمكن تناولها في المعابد وفقا لقوانينها، وعند معاقبة شخص مذنب وفقا للقوانين اليهودية وأعرافها فإنه لا يمكن أن يتدخل في القرار قاض مسلم أو غيره، ولا يمكن لمس المستندات، ولا يمكن أن يمنع هذا عندما تُطبق عقوبة الحرمان الكنسي.

إن الحاخامات الموجودين في خدمة الحاخام الأكبر وممثليهم لا يمكن أن يوافقوا على عقود الزواج بأي شكل يخالف الأديان دون تصريح، وعندما يريد شخص من الطائفة اليهودية الذهاب لمكان آخر للزواج أو الطلاق أو الزواج الثاني دون الطلاق الأول فإنه يمكن أن يفعل هذه الأشياء بإذن الحاخام الأكبر فقط. وحتى الأشخاص الأقوياء لا يمكن أن يقولوا للحاخامات– مخالفين القانون–: (زوّج هذه المرأة بهذا اليهودي ...)

وبشكل ملائم لقوانين الحاخام، فعندما لا يدفن الحاخامات اليهود المخالفين للقانون فإن القضاة المسلمين والضباط وموظفي الدولة الأقوياء لا يمكن أن يجبروا الحاخام قائلين: (ادفنه).

إن الشروط اللازمة لعدم تعرض الحاخامات الموجودين في مناطق مختلفة في خدمة الحاخام الأكبر السابق ذكره للتحرشات وهم يجمعون الضريبة كانت قد حُددت بشكل مفصل في فرمانات التعيين، وبناء على هذا ستُرسل الفرمانات التي تحدد الامتيازات لحاخامات الريف الذين رشحهم الحاخام الأكبر السابق ذكره بعريضة مختومة، وليس لأحد الحق في طلب تعيين حاخام في مكان محدد أو الضغط من أجل هذا، ولا يمكن أن يلتمس أي شخص تعيين حاخام معين لمعبد يهودي.

لا يمكن أن يتدخل شخص في المأكولات والمشروبات الحلال والحرام، ولا يمكن أن يقول هذا وذاك حلال وتلك حرام.

عندما يشتكي قاض أو قائد أو نائب من الإدارة السيئة لأي حاخام، وعندما يريد تعيين حاخام آخر بما فيهم حاخامات الريف الخاضعين للحاخام الأكبر متخلصًا منهم فإنه لا يُنظر لهذه الشكاوى دون الحكم على صحة المعلومات المعطاة عن الحاخام الأكبر، وبنفس الشكل، فعندما تُمنح البراءة لحاخام دون ختم الحاخام الأكبر فإن المديرين المحليين الموجودين في محل عمل ذلك الحاخام لن يتنبهوا لهذا.

عندما يأتي الحاخامات من الخارج إلى استانبول العاصمة بأي سبب فإن أي ضابط لا يمكن أن يتدخل في خدمات ممثليهم، ولابد من إرشاد هؤلاء الأشخاص والممثلين الذين أرسلهم الحاخام الأكبر لجمع الدين الضريبي للدولة، علاوة على أن الضباط وموظفي الخزانة والموظفين الآخرين لا يمكن أن يضايقوهم أو يضغطوا عليهم أو يطلبون منهم أموالا أو هدايا مخالفين القوانين المقدسة الإسلامية (الشريعة)؛ لأن هؤلاء الأشخاص يجب أن يتجولوا بزي متنكر لإمكانية السير في أمان وأن يحملوا السلاح ضد العصابات.

عندما يتدخل الحاخام الأكبر والحاخامات الآخرون وممثلوهم أو رجالهم في قضايا تهتم بقوانين الشريعة، فإنه يمكن النظر إلى هذه القضايا في (باب السعادة :Dersaadet) فقط، وعندما يجب اعتقال حاخام يهودي وفقا لقوانين الشريعة فإن ذلك يمكن أن يتحقق فقط بإذن الحاخام الأكبر السالف ذكره.

لا يمكن إجبار يهودي على دخول الإسلام دون رضاه، لا يمكن أن يتدخل أي شخص في المعابد والأوقاف الموجودة في الأماكن الخاضعة لسلطة الحاخام الأكبر منذ عصور قديمة جدًا، فهذه الأشياء هي ممتلكاتهم كما كان في الماضي.

لا يمكن لأي شخص عدم دفع ضرائب الحاخامية التي يضطر اليهود لدفعها كل عام، وضرائب الملح (gabelle)، وضرائب الطائفة أو الدولة مترددين أو متحججين بأى حجج.

ستُنقل كل ممتلكات وأموال وأحصنة الحاخامات المتوفين بلا ورثة إلى خزانة الدولة بواسطة الممثلين المعينين من طرف الحاخام الأكبر، ولا يمكن أن تتدخل أي واسطة في خزانة الدولة (بيت المال)، وستبقى هذه الأموال كربح للخزانة، ولا يمكن أن يحجز أي شخص على أموال وممتلكات الميتين دون ترك وريث، وبشكل مناسب للقوانين فإن وصايا الحاخامات الذين تركوا أموالهم ومكاسبهم للمعابد والفقراء ورؤساء الحاخامات كانت سارية، وكانت المحاكم الإسلامية تهتم بشهادة البشر من شعبهم بشكل يتناسب مع قوانينهم وأعرافهم، وبينما اليهود على قيد الحياة، وعندما يوصي بشيء للحاخامات والمعابد أو الفقراء فستُسلّم هذه الأشياء إلى الورثة عن طريق المحاكم الإسلامية بعد موت المورّثين.

عندما تُنتهك القوانين والقواعد الدينية لهذا الشعب فلا يمكن أن يمنع الضباط أو شخص آخر نقل الوكيل المتساوي مع المذنب بوثيقة مختومة من الحاخامات ورؤساء الطائفة إلى السجن الموجود في الحاخامية.

لا تتدخل شرطة البلدية والجيش وسعاة البريد في الدواب التي يستخدمها الحاخامات القادمون من مناطق مختلفة، أو في الملابس التي يرتديها الحاخام الأكبر، والأشخاص الذين يشغّلهم، وركوبه الحصان، وحمله العصا بشكل تقليدي.

لا يمكن أن يجبر الجيش الحاخامات ورؤساء الطائفة على استخدام منازلهم كثكنات عسكرية لإيواء الجنود والضيوف الآخرين، وبنفس الشكل لا يمكن أن يأخذ أي شخصٍ ضرائب (ضريبة الرأس، ضريبة المنزل، ضريبة العرف) من خمسة عشر شخص آخرين موجودين في خدمة الحاخام الأكبر وخادم الباب.

لا يمكن أن تؤخذ ضريبة الجمرك على الأشياء الذاهبة للمدارس والمعابد والحاخامية اليهودية عند الأرصفة ومداخل المدينة.

عندما يجمع الحاخامات ضريبة من زيارة الحجاج لاستانبول أو مكان آخر، فلا يمكن أن يتدخل ضابط أو أي شخص قائلا: (ادفن الميت هنا، وادع له هنا).

ستنفّذ الدولة كل التماس متعلق بالدين يحمل الختم الرسمي للحاخام الأكبر، ولا

يمكن أن يتدخل أي شخص في عمل الحاخام الأكبر قائلًا: (خذنا في خدمتك)، ومهما يكن فلا يمكن أن يتصرف أي شخص بأي شكل ضد الشروط المقيدة المتعلقة بسلطته.

المعاملة المتساوية للرعية ذوي الأديان المختلفة:

إن فرمانات التنظيمات التي حددت برامج وأهداف الإصلاح الحديثة والمنشورة في أعوام 3 سبتمبر (1839 م = 1255هـ) في البداية ثم 18 مايو (1856م = 1273هـ) فيما بعد كانت تعد بالمساواة القانونية تمامًا لكل رعية السلطان دون تفرقة. وفي ظل هذا كانت تبدأ سياسة ستزيل القيود القانونية المنفذة بالاستناد إلى الدين وأعضاء المجتمع، وقد قال السلطان (عبد المجيد) (1839–1861م = 1255–1278هـ) ابن السلطان محمود الثاني لـ (البرت كوهن: Albert Cohn) ممثل (روتشيلد Rothschild) خلال جولته في استانبول عام (1854م = 1271هـ): (لا يوجد في قلبي أي فرق بين أي فرد من رعايا الدولة، وسأخذ كل الرعية كل الحقوق والامتيازات دون تفريق)، وظهر في السنوات التالية أن ما قاله ليس كلامًا فارغًا. وقُبل اليهود والمسيحيون والمسلمون في الإدارة العثمانية تحت شروط متساوية لمواقع ومدارس الدولة، ولم تُنفّذ تعديلات الزي والملبس التقليدي الذي يفرّق الشعوب المختلفة ومنتسبي الطبقات والوظائف، بالرغم من معارضة الشعب وقادة الدين الإسلامي، والقيود المتعلقة بإنشاء المعابد والأبنية الأخرى، وكانت الدولة العثمانية تساعد في تنفيذ أعمال الطائفة اليهودية في أي وقت لاسيما في جمع ضريبة الملح (gabelle) المقطوعة من الجبن والخمر واللحم، وكانت ضريبة النفس والمال قد أُخضعتا لضمان الأمن. ونُقلتا لفرض ضريبة متساوية بإلغاء نظام ضريبة الالتزام المباشر القديمة، وعندما أُدخلت في حيز التنفيذ مسئوليات الضريبة المستندة إلى ضريبة الاستهلاك والدخل فقط، أمكن إتمام هذه العملية في مرحلة مبكرة من القرن العشرين، وتأكدت بكثير من النماذج التي طبقت حرية العبادة والدين، وعُرف حق التوظيف في الدولة لغير المسلمين، والعضوية في مجلس الممثلين المؤسس في مقياس المدينة والريف آنذاك. وهكذا ارتقى اليهود والأقليات الأخرى في المواقع الهامة للدولة مثل مركز الإدارة والتعليم والطب وأعمال السفارة والقنصلية وحتى القضاء في المحاكم المدنية، وكانت كل هذه الأشياء تتحقق في وقت مرّ فيه

اليهود في أوروبا الغربية التي قلدتها الدولة العثمانية بتمييز سياسي واقتصادي.

وُضعت ضريبة (بدل التجنيد) في عام (1855م= 1272هـ) بدلا من ضريبة الرأس التقليدية المأخوذة من غير المسلمين مقابل الإعفاء من الخدمة العسكرية، وهذه الضريبة هى ضريبة يمكن أن يدفعها البشر الذين يريدون الإعفاء من التجنيد من كل دين دون تمييز المسلم وغير المسلم، وابتعد الشباب اليهودي والمسيحي عن التجنيد مرجّحين الفرص الكبيرة التي لا يطمئن لها المسلمون والمطروحة في الحياة المدنية، ودفع كل الشباب غير المسلم ضريبة بدل التجنيد، ولم يشارك أي منهم في الجيش. وأُلغيت هذه الضريبة بعد الضغوط التي قام بها الحاخام الأكبر (حاييم ناهوم أفندي : Hayim Nahum Efendi) في عام (1910م = 1328هـ) لإظهار ولاء الشعب اليهودي للدولة العثمانية . وجُنّد غير المسلمين والمسلمون. واعترض البطاركة على إجبار شبابهم على التجنيد.

لم تقمع السلطنة العثمانية الشعب اليهودي والشعوب الأخرى؛ لأن أعداءها في أوروبا سيفسرونه خطأ ويعتبرونه اعتداء على الدين أو أي شكل مشابه، وعلى العكس تمامًا. ففي الحقيقة دعمتهم كثيرا من وجوه واضحة، ونتيجة الضغوط الخارجية شُكّلت شعوب جديدة للجماعات الكاثوليكية والأرثوذكسية الصربية والبلغارية، وواصلوا وجودهم متلازمين مع المحاكم والمدارس الدينية الأصيلة مؤسسين تعليما علمانيا ومؤسسات القانون والعدالة، وهكذا ابتدأ إلقاء الخطوات الأولى الموجهة لإنهاء الإشراف الاحتكاري الموجود على مؤيدي المؤسسات القديمة، ودُعمت بتقنين المساواة في العدالة والتعديلات المأخوذة من النماذج الأوربية، وبينما يمضي القرن فُتحت للتطبيق المحاكم النظامية العلمانية التي يمكن أن تفيد كل رعية دون النظر لدينها، وتُرجمت كل قوانين الدولة الجديدة وتعديلات الدولة إلى اللغة الأسبانية اليهودية؛ حتى يفهمها ويستفيد منها اليهود الذين يجهلون التركية العثمانية، وفُتحت مدارس علمانية في كل مستوى تدرّس اللغات الأجنبية وفروع العلم حتى يمكن أن يساير الشباب التركي العالم الجديد، وكان هذا الشكل من التعليم يتم تجاهله منذ زمن طويل في مدارس الشعب، وكانت المدارس المفتوحة متاحة للرعية المسلمة وغير

المسلمة دون النظر إلى الدين والوضع.

تم افتتاح مدارس أجنبية كثيرة بالإضافة إلى مدارس الدولة الحديثة، وقد فتح المبشرون المسيحيون القادمون من إنجلترا وفرنسا والنمسا والولايات المتحدة الأمريكية مدارس في كل مكان من السلطنة؛ لكي ينتقل الشباب التركي إلى المسيحية من المذهب البروتستانتي أو الكاثوليكي في نفس الوقت وليس بهدف التعليم فقط. وضُممت هذه المدارس للمسلمين واليهود والمسيحيين، ولكن بشكل عام مُنع قيد المسلمين في هذه المدارس، وهكذا استفاد الأرمن واليونان المسيحيون فقط منهم. وهكذا انتقل معظمهم للكاثوليكية أو البروتستانتية؛ للتخلص من إشراف القادة السابقين، ودخلوا في أنشطة قوية وثورية ضد الإدارة العثمانية، واستخدموا المدارس التبشيرية كقاعدة في تخطيط هذه الفعاليات وتخزين الأسلحة، وصاروا حتى إنهم سينصحون الدونمة (اليهود الذين يخفون يهوديتهم ويتظاهرون بالإسلام) ورفاقهم بترتيب (الحملة الصليبية ضد الأتراك)، وعندما لم تُمنع الرعايا العثمانية من استخدام المحاكم والمدارس المتعلقة بشعوبهم، فإن المزايا التي قدمتها المؤسسات العلمانية الجديدة جذبت لها كثير من الأشخاص حتى أنه في النهاية بدأ إضعاف قوة التحكم التي سيطر بها القادة الدينيون على حياة البشر منذ زمن طويل.

رد الفعل اليهودي على الإصلاحات العثمانية:

التبس رد فعل اليهود الموجودين في قسم كبير من البلاد العثمانية تجاه التحديث العثماني، ولكن يمكن القول أنه كان أكثر إيجابية من رد فعل المسيحيين، وكنتيجة لذلك استفاد اليهود من الفرص الجديدة أكثر من المسيحيين، على الأقل حتى نهاية حرب القرم.

اشترك اليهود في حركات الإصلاح في مصر المرتبطة بالدولة العثمانية فقط بتأثير المستبد الوالي (محمد علي باشا: Mehmed Ali paşa) (1805- 1848م = 1220-1275هـ) الذي حدّث الجيش والدولة لفتح ما تبقى من السلطنة في نفس الوقت وليس لتأسيس المملكة فقط، والذي حصل على الإدارة بعد هزيمة الفرنسيين في حملة مصر التي بدأها (نابليون بونابرت: Napolyon Bonapart) . أما اليهود الأوربيون الوجهاء

مثل (Salomon Munk ،Adolphe Cremieux) فقد عبروا إلى القاهرة في عام (1840 م = 1256هـ)، وفتحوا المدارس التي ستُعلم الشباب اليهودي وفقا للمقاييس الحديثة، واستدعى (محمد علي)- طوال العشرين عاما التالية- إلى مصر يهود السفرديم ويهود الإشكناز أوروبا الشرقية مهتما بها فعله سلاطين القرون الخامس عشر والسادس عشر، وجاء إلى مصر- باستثناء هؤلاء - الكثير من الأوربيين للثراء مساهمين في النهضة الاقتصادية السريعة، وأثروا في تحديث الشعب اليهودي خلال هذه المرحلة. وكان الرواد في الأعمال المصرفية والتجارة عائلات مثل (Mosseri ،Cicurel ،Suare)، وفي نفس الوقت عاش هؤلاء مع الأجانب وأغنياء الجماعات الدينية الأخرى في ضواحي المدينة الحديثة مثل (Bahçeli Kent ،Helopolis ،Zamanlık) مبتعدين عن الأحياء اليهودية التقليدية الموجودة في القاهرة، واحتل اليهود موقعًا في مجلس التشريع الذي شكّله خلفاء (محمد علي)، وشغل أفراد عائلة "قطاوى Cattawi" وظيفة رئاسة المالية في الدولة والصرافة الخاصة للوالي. وكنتيجة لذلك ارتفع عدد سكان اليهود الذي كان 4000 شخصًا تقريبًا في منتصف القرن إلى 25000 شخصًا معظمهم ليبراليون وأثرياء في زمن الحرب العالمية الأولى.

أما الوضع في استانبول وفي الأماكن الأخرى من الدولة، فكان مختلفًا جدًا، ففي هذه الأماكن كان كثير من الزعماء اليهود يريدون الأصول القديمة ويعرقلون مشاركة اليهود في الإصلاحات بمقتضى مصالحهم المتأصلة. وعلى الأقل كان هكذا، حتى المراحل الأخيرة من القرن التاسع عشر، فكثير من القادة الدينيين الموجودين بجوار الحاخام الأكبر اعترضوا بشدة على كسر الاحتكارات في مجالات كالعدالة، وعلى إضعاف السيطرة على المريدين. ومنعوا لمدة طويلة وصول مريديهم إلى المؤسسات الجديدة على عكس الزعماء المسيحيين، واعترضوا منذ الماضي على إحضار الطربوش بدلا من العمامة التي تفرّق منتسبي كل طائفة عن بعضهم البعض. واعترضوا بحماسة على استخدام اليهود للمحاكم العلمانية الجديدة والمحاكم الإسلامية، وحرموا كنسيا المخالفين لأوامرهم في هذا الشأن، ومنعوا أحيانا استخدام اليهود للمحاكم- بخلاف الحاخامية- دون إذنهم صادرين فرمان سلطاني. وفعلوا كل ما في وسعهم لمنع إرسال

أطفال العائلات إلى المدارس العلمانية المفتوحة حديثا حتى كان الحرمان الكنسي للعائلات والأطفال واليهود الآخرين الذين تجرأوا على هذا، أما الشيء الذي استدلوا به بينما يفعلون هذا هو أن مدارس الدولة الحديثة والمؤسسات التبشيرية كان ستنصّر اليهود الشباب بتعليمهم اللغات الأوربية بخاصة. وكنتيجة لهذا تجرأ عدد قليل من اليهود للاستفادة من هذه المدارس. أما المدارس اليهودية التقليدية فقد ظلت كما كانت بعد القرن السادس عشر غير مؤهلة ومتحفظة بسبب انتخابات الزعماء الدينيين وعدم توافر ميزانية لأي شيء.

استطاع اليهود دخول المدرسة الطبية العسكرية الموجودة في استانبول بعد سنوات من تأسيسها نتيجة جهود الحاخامات الأرثوذكس وحتى بعد إنشاء السلطان (عبد المجيد) لمطبخ حلال في المدرسة، وقيام الطلاب اليهود بعمل ترتيبات مناسبة لطقوس الدية والدين، والتصريح بوجود حاخام سيشرف على الطلاب في المدرسة أمام شكاوى المحافظين، وهكذا فإن اليهود الذين كانوا طليعة الطب طوال العصور في السلطنة العثمانية ابتعدوا عن الطب الحديث في استانبول، وفي أماكن أخرى من السلطنة ناهضين بالأرمن واليونانيين في مهنة الطب حتى المراحل الأخيرة للقرن.

وفي ظل هذه الظروف أمكن تأسيس أبنية رعاية طبية لمنتسبي الطائفة اليهودية وذلك بعد سنوات طويلة وجهود كبيرة، وكان السلطان قد أصدر في تاريخ مبكر 27 أغسطس (1839م = 1255هـ) فرمانا لتأسيس الطائفة اليهودية وطائفة (Karay) مستشفى في (قاراباش:Karabaş) الموجودة على ضفة (بالاط:Balat) التي في (الخليج:Haliç)، ولكن بالرغم من تأسيس مستشفى يهودية في (أزمير:Ezmir) عام 1874م بالميزانية التي خصصها رجل الأعمال الثري (نسيم لوي بايراقلي: Nesim Levi Bayraklı) إلا أنه لم يكن قد بُني في استانبول أي شيء إلى هذا الحين. وكان سبب هذا هو عدم كفاءة الأطباء والممرضات اليهود وفقا للميزانية وضروريات الطب الحديث، إلى جانب معوقات الحاخامية المستمرة التي تجعل فعالية هكذا غير ممكنة. وفي 15 مارس (1858م = 1275هـ) أصدر السلطان (عبد المجيد) فرمانا يسمح بإنشاء مستشفى في حي (قاراباش:Karabaş) ليهود (بالاط : Balat)، ولكن عدم توافر

الميزانية، والخلاف والنزاع بين الطائفة كان سببا لتأخيرها حتى عام (1897م = 1315هـ) الذي كان تاريخ تأسيس مستشفى (اور احاييم:Or Ahayim) على الأراضي التي خصصها السلطان، وكان افتتاح هذه المستشفى قد تحقق بشكل كبير في ظل جهود الطبيب (رافال دالمدجو: Rafael Dalmedico) والحاخام الأكبر (موشيه لوي: Moshe Levi). وتستمر مستشفى (اور احاييم: Or Ahayim) بـ(بالاط:Balat) الآن في تقديم الخدمة كمركز طبي مهم للطائفة اليهودية.

التعليم العلماني في الطائفة اليهودية:

عندما فتح منتسبو الطائفة اليهودية الأثرياء مدارس علمانية يهودية في المدن الكبرى لضمان أنه لن يتحقق تغيير ديني بأي شكل في التعليم الحديث لم يسعد كثيرا بهذا الحاخامات المحافظون المعترضون على ذهاب اليهود لمدارس الدولة الحديثة أو لمدارس تبشيرية، وقد أُخذ التصريح الأول لتأسيس مدرسة حديثة للأطفال اليهود في استانبول من جانب (ألبرت كوهن :Albert Cohn) ممثل (روتشيلد:Rothschild) الذي وعد بأن السلطان سيساوي بين الرعية من مختلف الأديان، وكان يجب مرور بعض من الوقت فيما بعد لإلقاء أي خطوة موجهة للاستفادة من هذا التصريح؛ لأنه كان صعبا جدا وجود أي شخص من الطائفة اليهودية المحلية يتخيل غضب الحاخامات.

ولكن بعد انتهاء حرب القرم تحمل مصرفي يهودي ثري مهمة ترتيب وافتتاح مدرسة علمانية جديدة، وكان هذا الشخص هو (ابراهام جاموندو: Abraham Camondo) الذي كان زعيما علمانيا للطائفة اليهودية بعد إعدام السلطان (محمود الثاني) لثلاثة مصرفيين يهود في عام 1826م، وأسس وكالة الشرق واستانبول للمصرفيين اليهود مثل (بارون هرسش:Baron Hirsch) متعهد السكة الحديد، عائلة (روتشيلد:Rothschild) التي ظهرت في أوروبا بعد الثورة الفرنسية مؤسسةً بنك (جاموندو: Camondo) مع أخوه (ابراهام: Abraham) المولود في (اورطه كوى: Orta köy) في عام (1785م = 1200هـ) ، وبينما يموّل بنك (جاموندو: Camondo) الموجود فروعه في لندن وباريس وفيينا عمليات جنود فرنسا وبريطانيا في حرب القرم فقد لعب دورا مهما في الاعتماد السلفي من أوروبا من أجل فرمانات التنظيمات، ومواجهة

المصروفات الباهظة الناتجة عن استدانة الإدارة العثمانية. وكنتيجة لهذه الأشياء صار (جاموندو: Camondo) صديقا مقربا لـ(مصطفى رشيد باشا: Mustafa Reşit Paşa) المعروف بأبى التنظيمات، والصدر الأعظم (على باشا:Ali Paşa) الذي كان خلفه وخضع لحمايته بعد حرب القرم، و(فؤاد باشا:Fuad Paşa) وزير المالية، وهكذا ضُمن لمحدثي الطائفة اليهودية حق دخول مختلف للقصر العثماني في شكل لم يستطع أن يفعله اليهود منذ العصر الذهبي. وأحس (جاموندو: Camondo) في ظل صداقاته هذه أنه سيجد الدعم اللازم لفتح مدرسة بالرغم من علمه أن الطائفة ستعارضه بشدة.

عزز العمل البنكي لـ(جاموندو: Camondo) إمكانية متابعة عن قرب التطورات التي في أوروبا ومصر والقسم الباقي من السلطنة، وفي ظل هذا اقتنع جيدا بضرورة دعم تعليم العلوم الحديثة بالتركية والفرنسية والعبرية للشباب اليهودي العثماني. وبدأ تقديم مثل هذا النوع من التعليم لكثير من الرعايا في مدارس دولة التنظيمات، وفي المدارس التي فتحها المبشرون الأرمن واليونان والمسيحيون. وخُصص مبنى باسم (Escuela) في قسم (بري باشا:Piri Paşa) من (خاص كوى:Hasköy)، وعُيّن المدرسون الفرنسيون (Jules Dalem ،Bernard Brunswich)، وبدأ التعليم في 23 نوفمبر (1854م = 1271هـ) ، وللأسف بعد انتهاء الأسبوع الأول تسببت ردود الفعل الهستيرية للحاخامات المتعصبين ومنتسبي الطائفة اليهودية في أمر الحاخام الأكبر الطلاب اليهود بعدم الذهاب للدروس بحجة أنهم سينصّرونهم، ومن ثم تعطل التعليم. وأخيرا في عام (1859م = 1276هـ) ولأخذ التصريح الذي سيدعم عودة الطلاب راضى (جاموندو: Camondo) المتعصبين متقبلا بعض الشروط التي اقترحها الحاخام الأكبر، وبناء على هذا كان (جاموندو: Camondo) وعائلة (روتشيلد:Rothschild) سيمولون المدرسة اليهودية الذي في استانبول ينقصون الميزانية المخصصة للمدارس الحديثة، وسيُعين حاخامات في (Escuela) لشرح الدين والتشاريع اليهودية بالآداب التقليدية، وكان الحاخام الأكبر سيعيّن أربعة حاخامات لمراقبتها فى عدم تدريس أي شيء مخالف للدين اليهودي. وفي النهاية كانت الحاخامية ستستطيع مراقبة الكتب التاريخية المُدرّسة في المدرسة حتى لا تلوث عقل اليهود.

وتحت هذه الشروط بدأت من جديد في عام (1860م = 1277هـ)، واستمرت هذة المرة لفترة.

لم يهدأ المتعصبون بعد، وحتى بعد أن بدأت المدرسة تحت وطأة هذه القيود ضغط الحاخامات المعارضون لكل أشكال التعليم الحديث على المولين والمدرسين والطلاب والعائلات، ولعنوا الحاخام الأكبر لأنه لم يمنع تسجيل اليهود في هذه المدرسة، وهددوا العائلات بالحرمان الكنسي بسبب عمل الدعايا المسيحية في المدرسة، وبذل الحاخامان (Shlomo Kamhi ،Yitzhak Akrish)- اللذان يريدان أن يأخذا أطفالهم من المدرسة- مجهودا كبيرا لإغلاق المدرسة تماما. أما (جاموندو: Camondo) فقد واجه ذلك بتأسيس (مجلس مادي:Meclisi Cismi) برجال الأعمال والمصرفيين الأثرياء والمثقفين اليهود الوجهاء في استانبول الذين يشاركونه أفكاره الليبرالية ولا يتحرجون من الدفاع عنها. ولكن لم يكن لهذا التشكيل تأثير أمام التهييج المستمر للحاخامات المتحفظين، والعصابات التي شكّلها المواطنون والطلاب اليهود القادمون للاعتراض على (جاموندو: Camondo) وأصدقائه المقربين.

دخلت الإدارة العثمانية إلى المرحلة في هذه الأمر لأن وجود (جاموندو: Camondo) كان مهما لاستقرار الدولة المالي ونجاح إصلاحات التنظيمات، وأمر (فؤاد باشا) بحبس (اقريش:Akrish) في (ابلك خانه : İplikhane) الموجود في (ايوب:Eyüp) والذي كان حبسا سياسيا لاستانبول آنذاك. وكان (فؤاد باشا) قد استخدم إرادته في الظاهر، ولكن في الحقيقة التمس فعل ذلك الحاخام الأكبر (يعقوب افيجدور:Yakup Avigdor) الذي لم يحدد طرفه صراحة؛ لأنه يخشى فقط المواجهة العنيفة للمريدين والحاخامات الذين كانوا بجانب التعليم الحديث. وكان (يعقوب افيجدور:Yakup Avigdor) يحدّث إدارة الطائفة بتأسيس محكمة دينية فائقة جديدة باسم (Bet Din ha Gado) لدعم السيطرة على الأديان القديمة التي في (خاص كوى:Hasköy) و(بالاط:Balat)، وعمل إصلاحًا في الحساب وجمع ضريبة رأس المال لتزويد الدخول، وبينما يفعل هذه الأشياء كان هدفه الوحيد هو منع من يحرمون البشر كنسيا مثل (اقريش:Akrish) وليس تعزير الوحدة في إدارة العدالة فقط، وأسس

(يعقوب افيجدور:Yakup Avigdor) مجلسًا للنبلاء الذين جاءوا بانتخاب المثلين من كل حي موجودًا في المناطق اليهودية من استانبول. وحاز على تأييد الطائفة ضد (اقريش:Akrish) متبنيا ما أراده وما أصلحه البشر بالمشاركة مرتين في الأسبوع في اجتماعات هذا المجلس الموجود في (جالطه:Galata).

صار النصر للعصابات بعد مدة قصيرة، وكان اعتقال (اقريش:Akrish) وحبسه سببا لتحرك أتباعه الغاضبين مباشرةً لإنقاذه. وقاموا في بعض الأيام بسلسلة مظاهرات صاخبة تتضمن العنف، وأغاروا على مبنى الصدر الأعظم الموجود في (الباب العالي:Babıali) سائرين إلى (كلخانه باركيه:Gülhane Parkı) الموجود تحت (قصر طوب قابي:Topkapı Saray). وفي مساء يوم الجمعة، وبينما يسير السلطان (عبد العزيز) بطريق البحر من (الخليج:Haliç) إلى (ايوب:Eyüp) وصلت الأحداث إلى نقطة الذروة، وبمجرد ابتعاد السلطان عن الرصيف الملاصق لـ(بالاط:Balat) صاح الآلاف من مؤيدي (اقريش:Akrish) متجمعين على جانبي الماء، وطلبوا إطلاق سراحه صابّين اللعنات. وبينما تعبر سفينة السلطان من (خاص كوي) عند عودته من (ايوب) غنّى الجمع أغنيات مقدسة بصوت عال، وفي النهاية استسلم السلطان، وأمر بإطلاق سراح (اقريش:Akrish) مقتنعا بأنها رغبة شاملة قادمة من الطائفة اليهودية.

شجّع هذا (اقريش:Akrish) حتى إنه يطلب إقصاء الحاخام (يعقوب افيجدور:Yakup Avigdor) من وظيفته بجانب إغلاق مدرسة (جاموندو: Camondo).

حاول (يعقوب افيجدور:Yakup Avigdor) تهدئة الخلافات التي في الطائفة والانقسامات الظاهرة، وأسست الطائفة محكمة حاخامية خاصة تتكون من حاخامات (سرز، أدرنه، ازمير:Serez، Edirne، İzmir) وسُمعت الادعاءات من الطرفين، وفي هذه الادعاءات كان يوجد طلب إقصاء (يعقوب افيجدور:Yakup Avigdor) لأنه دعامة لـ(جاموندو: Camondo). وفي النهاية برّأت المحكمة (يعقوب افيجدور:Yakup Avigdor) و(جاموندو: Camondo) في عام (1862م = 1279هـ)، ولكن أُقصي (يعقوب افيجدور:Yakup Avigdor) في العام التالي بسبب استفزازات

ومؤامرات الخصوم المتحفظين. أما (جاموندو: Camondo) الذي غضب جدا من استسلام السلطان للمتعصبين، وعاني كثيرا بعد موت ابنه الوحيد بالطاعون فقد نقل منزله ومكتبه المركزي إلى أوروبا. واستقر في (فيينا) متخذا الجنسية النمساوية، ثم انتقل إلى إيطاليا في عام (1866م = 1283هـ) . وتبرع بمدرسة للطليان في استانبول، وفي مقابل هذا اتخذ لقب (كونت) من الملك (فيكتور ايمانويل:Viktor Emmanuel). وفي النهاية استقر في باريس التي سيموت فيها بعد عام 1872م. ودُفن جسده في ضريح (خاص كوي) مُحضرا إلى استانبول، ودفن في ضريح فخم كان يسيطر على جزء من المدينة.

إن ابتعاد (جاموندو: Camondo) عن استانبول، وطرد (يعقوب افيجدور: Yakup Avigdor) من الحاخامية تسبب في مخالفة اليهود للمشاركة في المؤسسات الجديدة دافعين الحاخامات المحافظين لاستانبول، أما اليهود الذين أرادوا فتح مدارس جديدة أو الاستفادة من المحاكم الجديدة بمنع تدخل الحاخام الأكبر الجديد (ياكيرجرون:Yakir Geron) فتعرضوا للحرمان الكنسي والعقوبات الدينية الأخرى. وهكذا كان للتجديدات تأثير محدودٌ جدًا على الطائفة الدينية.

كانت توجد حملات مشابهة خارج استانبول، ولكن لم تحقق نجاحا كبيرا. وفي عام (1856 = 1273هـ) افتتحت في (القدس:Kudüs) مدرسة (لمل: Lemel) للذكور، ومدرسة (روسشيلد:Rothschild) للبنات. وفي خلال نفس العام أسس حاخام يُسمى (ليبمان:Lipmann) مدرسة حديثة في (سلانيك:Selanik) في مبنى مضاف للمدارس الدينية اليهودية (Telmud torah). وكان هدفه هو تطعيم الأفكار الجديدة للمدارس الدينية اليهودية جارته في نفس الوقت، وتعليم العلوم الجديدة لـ250 طفل يهودي تقريبا انحدروا من عائلات ثرية. واستطاعت المدرسة المقاومة قليلا أمام المعارضة الشديدة للحاخامية التي في زعامتها الحاخام الأكبر (اشر كوفو:Asher Cofo)، وأُغلقت في عام (1861م = 1278هـ). وتجمّع بعض تلاميذ (ليبمان:Lipmann)، وفتحوا مدرسة حديثة في (سلانيك:Selanik) عام (1866م = 1283هـ)، واستمروا تحت التهديد حتى عام (1904م = 1322هـ) ، وكان قد بدأ تأسيس المدارس الحديثة في

(البوسنة- بلجراد:Saraybosna- Belgrad) اعتبارا من عام (1870 م = 1287هـ) ، وكان يوجد مدرسة يهودية علمانية في (أدرنة Edirne) خلال شريحة زمنية تشمل جزء كبير من القرن، ولكن قُيد فيها أعداد قليلة من الشباب اليهودي حتى عام (1876م = 1293هـ) ، ولم يستفد اليهود العثمانيون الذين خضعوا لتأثير الزعماء الدينيين المحافظين جدا من الإصلاحات العلمانية طوال الخمسة وسبعين سنة الأولى من القرن التاسع عشر. وكلما تقدم القرن بدأ الأرمن واليونانيون الحصول على وظائف أكثر أهمية في الدولة، فالعائلات اليهودية التي تشجعت على إرسال أطفالها إلى المدارس الحديثة أرسلوهم إلى مدارس الدولة أو إلى المدارس التبشيرية التي أجبرتهم على تغيير دينهم والبقاء تحت التأثير المسيحي كما خاف الحاخامات، ولم يرسلوهم إلى المدارس التي يملكها اليهود.

<u>التحالف الإسرائيلي العالمي</u> (Alliance Israelite Universelle):

جاءت يد المساعدة لليهود العثمانيين من اليهود الأوربيين الذين كسبوا المال والقوة مع الظروف الجديدة الناشئة في أثناء الثورة الفرنسية وبعدها، ولم تأت من طوائفهم، فاليهود الذين في فرنسا بخاصة وألمانيا وانجلترا الذين كانوا جزءًا من أيديولوجية وحركة التنوير اليهودية البادئة في عام (1770م = 1184هـ) تأسفوا كثيرا عندما عرفوا حالة الامتهان والفقر التي يعانيها إخوانهم اليهود في السلطنة العثمانية، وبخاصة أنهم تأثروا بقراءة التقارير التي توضح تنصير الأطفال اليهود كبديل للتعليم الذي سيقدمه التبشيريون الأجانب في المدارس الحديثة المؤسسة في كل مكان من السلطنة العثمانية؛ وكحل لهذه المشكلة، ونتيجة للحملة الشعبية التي بدأ الكاتب (سيمون بلوش: Simon Bloch) أسس رجال الأعمال وأصحاب المهن اليهودية الثرية وعلى رأسهم(Isidore Cahan، Narcisse Leven، Charles Netter، Eugene Manuel) (التحالف الإسرائيلي العالمي:AIU) في فرنسا عام 1860م، ووصل مؤيدوها إلى 8,050 خلال عام واحد، وفي عام (1866م = 1283هـ) كان يوجد 4,610 عضوًا مصممين على إنقاذ اليهود الموجودين في الشرق من الجهل والفقر، وكان الهدف التعليمي للتحالف هو تجديد اليهودية الشرقية، وتحويلهم إلى صورة للمتدينين الغربيين المتحررين وبخاصة

الفرنسيين، وعندما تواجد من يعلنون عن وجهة نظر في اتجاه إصلاح المدارس الدينية اليهودية التقليدية الخاصة بالمؤسسة الدينية اليهودية أقنعوا التحالف المصر على إشراف الحاخامية بأنها وجهة نظر غير مفيدة، وقُبل التعليم الأوروبي الفرنسي وفكرة المدرسة المستقلة كوجهة نظر أفضل.

بهذا الهدف، وكأول عمل أسست المؤسسة مدارس حديثة لليهود العثمانيين الموجودين في الشام وبغداد، حيث يوجد اعتداءات الطقس الديني الأعنف قبل عشرين عاما، وواصلت نشاطاتها في أوروبا بادئةً من استانبول، وفتحت المدارس في مدن (Selanik ،Kavala ،Üsküp ،Edirne ،Demotika ،Manastır)، وفي شرق الأناضول وأزمير، وفي بعض مدن السلطنة العثمانية إلى جانب مدن (Hayfa ،Kudüs، Basra ،Safed ،Tiberya ،Yafa)، وكانت معظم مدارس التحالف الإسرائيلي العالمي مدارس ابتدائية وثانوية، أما المدارس الباقية فكانت تخرّج الحرفي والفلاح، أما المدارس الموجهة للسيدات فكان هناك مدارس الإلهيات التي تعلّم المهارات التي تحتاجها السيدات لكي يكن ربات بيوت ناجحات في العائلة اليهودية التقليدية، وشكّل التحالف الإسرائيلي العالمي نظامًا تعليميًا حرفيًا لإعداد اليهود للمهن والصناعات، وحتى يستطيعوا منافسة أمثالهم من المسيحيين، واعترض على ذلك المسيحيون وتجّارهم وسفراؤهم الذين يعيشون في المدن الكبرى من السلطنة العثمانية، وعندما كان الهدف الأول للمدارس المذكورة هو تعليم اليهود كان يوجد من الأتراك المسلمين من تعلموا في هذه الأماكن وحققوا نجاحا وشهرة كبيرة في السنوات التالية، وكان من بين هؤلاء (جلال بيار:Celal Bayar) الذي شكّل رئاسة الوزراء لتركيا بين أعوام (1950–1960م= 1370– 1380هـ)، ووزارة المالية للجمهورية التركية المؤسسة تحت زعامة "مصطفى كمال أتاتورك Mustafa Kemal Atatürk".

أسست الجمعية اليهودية الإنجليزية وجمعية حماية اليهود الألمان التي لم تكن صهيونية مدارس مشابهة في الأعوام التالية لهذا القرن بداية من عام (1871م = 1288هـ)، وفي عام (1901م = 1319هـ) أُسست المؤسسة الثانية لكي تصنع ريادة المؤسسات التي تقدم تعليما معتمدا على اللغة الألمانية في السلطنة مخلّصةً اليهود

العثمانيين من تأثير التحالف الإسرائيلي العالمي الذي حكمته اللغة الفرنسية، وكوّنت جمعية حماية اليهود الألمان- في القدس خاصة- شبكة تعليم خبيرة صغيرة مؤسسةً روضة أطفال، ومدرسة ابتدائية، ومدرسة المعلم، ومدرسة ثانوية خاصة، ومدرسة تربية معلم الروضة، ومدرسة حاخامية تقدم تعليما شاملا للطائفة اليهودية. وفي أثناء الحرب العالمية الأولى كان نصف الأطفال اليهود الذين في فلسطين والمقيدين في المدارس الحديثة بدلًا من المدارس الدينية التقليدية يذهبون إلى المدارس التي تدعمها جمعية حماية اليهود الألمان.

كان لليهود الأوربيين أنصبة كبيرة بشكل فردي في تأسيس المدارس في المراكز اليهودية العثمانية المهمة وبخاصة في القدس واستانبول. وكان الأستاذ (Boris Schatz) قد أسس مدرسة فنية في القدس عام (1906م = 1324هـ). وكانت هذه المدرسة تخرّج- بجانب الرسامين- الحرفيين ومن بينهم النساجون وصناع الذهب والفضة، وبينما يستمر حكم وصاية انجلترا بعد الحرب العالمية الأولى صار الخريجون من هذا المكان مهرة في العمل اليدوي اليهودي المتميز في فلسطين، أما (Eliezer Ben Yehuda) فقد أسس مؤسسة اللغة التي تهدف إلى إحياء اللغة العبرية في القدس، وأن يستعملها كل اليهود في فلسطين، وخصص أرضا للجامعة العبرية التي في فلسطين مشتريا أرضا من (جبل المشارف:Scopus Dağı) التي في القدس عام (1907م = 1325هـ)، وتكلّف بالمشروع الجمعية الصهيونية المجتمعة في فيينا في سبتمبر (1913م = 1332هـ) ، وفي أثناء الحرب في عام (1916م = 1335هـ) اشترى قطعة أرض مجاورة قبل مدة قصيرة من احتلال الإنجليز للمدينة، ووضع أساس الجامعة العبرية في يونيو (1918م = 1337هـ) ، وكنتيجة لهذه النشاطات ومثيلاتها التقى اليهود العثمانيون الشباب في الفترة المبكرة من القرن العشرين بفرصة الدخول في الحياة الحديثة المطروحة من قبل للمسلمين العثمانيين والأرمن واليونانيين، وتركت وزارة المعارف العثمانية شأن هذه المدارس لهم بشكل كبير، وهكذا فإن هذه المدارس طوّرت نظم تعليمها وبرامجها دون تدخل أي من المصادر الرسمية، فالمصادر الرسمية التي عيّنت الأساتذة العثمانيين الذين يتقاضون مرتبا من الدولة بالإضافة إلى المدرسين القادمين من خارج

الدولة دعمت في الحقيقة المساعدة التمويلية بطريق مباشر لهذه المدارس. وفي نهاية هذه الجهود بدأ اجتياز العراقيل الطائفية الموجهة من كل مستوى للتعليم الحديث.

وفي النصف الأخير من القرن درس كثير من الطلاب اليهود في جامعة استانبول وجامعة الطب والمدارس التقنية العثمانية، وليس فقط في مدارس التحالف الإسرائيلي العالمي ومثيلاتها، وعاد الأطباء اليهود إلى الصفوف الأمامية في مهنهم مرة ثانية، وعلى الجانب الآخر بدأ اليهود العمل في كل مدارس الدولة كأساتذة ومدرسين مع زملائهم المسلمين والمسيحيين.

لم يكن يوجد نواقص لمدارس التحالف الإسرائيلي العالمي عندما كان المراد هو تربية الشباب اليهودي بخاصة كجزء من المجتمع العثماني. كانت لغة هذه المدارس في البداية هى اللغة الفرنسية؛ لأن الفرنسيين هم غالبا من فتحوها كما أنهم حددوا برامج التعليم، وبينما تُدرس اللغة العبرية كجزء من الدروس الدينية كانت اللغة التركية والتاريخ الإسلامي والعثماني يحتلون مكانًا كبيرًا في المناهج الدراسية. وهكذا فإن الطلاب الذين نشأوا في هذا المكان كانوا يجهلون تماما تاريخ وشعب السلطنة. ووفقا للتقرير الذي أرسله مدرس في مدارس التحالف الإسرائيلي العالمي إلى باريس، كان يعلم اللغة الفرنسية 100000 (مائة ألف) يهودي من 300000 (ثلاثمائة ألف) يهودي يعيشون في السلطنة آنذاك، وكان يفهم اللغة التركية 1000 (ألف) شخص فقط. وفعلت مدارس التحالف الإسرائيلي العالمي نفس الشيء بالتركيز على اللغة الفرنسية مثل المدارس اليهودية التقليدية التي غرّبت الشباب اليهودي عن المجتمع العثماني بتعليمه اللغة العبرية فقط. فاللغة التركية التي نادرا ما دُرست كانت في وضع ثانوي تمامًا، فكثير من الشباب اليهودي كان يأخذ نصيبه من إهانة الأخوة المسلمة والتي استمر وجودها منذ وقت طويل، والتي كانت نتيجة تعليم مُقدم في الطائفة المسيحية وفي المدارس التبشيرية الأجنبية. وكنتيجة لذلك كان يتحدث ويعرف اللغة التركية أقلية صغيرة فقط من اليهود العثمانيين في القرن العشرين. ولم يكن اليهود مشارًا إليهم بينما هم جزء من المجتمع العثماني في التواريخ المبكرة، وفتح هذا الوضع الطريق لنوع من التوتر مع المسلمين العثمانيين. وكان في الطائفة اليهودية من يَبذلون جهدا مخلصا

لفض هذه النزعة، وكان الممثلون الأوائل لهذا الجهد هم المؤرخ التركي اليهودي الكبير (Abraham Galanti)، و(Sir Moses Montefiore) الـذي شـاركه عنـدما أتـى إلى استانبول. وفي ظـل ضـغوطهم أضـاف التحـالف الإسرائـيلي العـالمي عـلى البرنـامج الدراسي دروسا ستدعم مشاركة طلابه في المجتمع العثماني والتركـي أكثر مما كـان في الماضي. فالسيدات اللاتي يعشن بشكل معزول في منازلهن كن يعرفن اللغتـين الفرنـسية والأسبانية اليهودية بـدلا مـن اللغتـين العبريـة والتركيـة اللتـين كانـت فـرص استعمالهما قليلة جدًا.

تحديث الطائفة اليهودية- قانون تأسيس الحاخامية الكبرى (1864م = 1281هـ):

إن تأسيس الحاخامية الكبرى مـن جديـد، وتأكيـد قوتهـا في تمثيـل ورقابة الطوائـف اليهودية التي في السلطنة وما حولها كان قد عـزز زيـادة مهـارات تقـدم وحمايـة أوضـاع اليهوديـة العثمانيـة في القـرن الأخـير للسلطنة العثمانيـة، ولكـن كانـت مؤسـسة الطائفـة يديرها إلى الآن الزعماء الدينيون وفقا للقواعد الدينية، ولم يتعاطفوا أكثر مما قبلهم تجاه المحـاكم والمـدارس الحديثـة كما رأينـا مـن قبـل، وكانـت الحاخاميـة الكـبرى في وضـع المتحدث عن الطائفة في إصرارها على استخدام محاكم الطائفة، وذهاب الأطفال اليهود إلى مـدارس الطائفـة بـدلا مـن مـدارس الدولـة الحديثـة والمـدارس التبـشيرية. وقـام الحاخامات- بتشجيع الحاخامية الكـبرى- بالـضغط الـدائم عـلى الحكومـة لمعاقبـة غـير اليهود، واليهود المتورطين في أفعال يعتقدون أنها مخالفة للدين والشرائع اليهودية.

إن تغير هذا الوضع واشتراك الطائفة اليهودية في حركة الإصلاح العثماني تحقق فقط بتحديث مـصلحي التنظيمات لبنـاء الطائفـة اليهوديـة، واقتنـع (عـلي وفـؤاد باشـا) بعـد الأحـداث المتطـورة حـول الاعتـداءات الموجهـة لمدرسـة (جامونـدو: Camondo) بـأن الحل الوحيد هو تحديث تأسيس الطائفة، وبأمر أعطاه الصدر الأعظـم (فـؤاد باشـا) في عـام (1860م = 1277هـ) شُـكّلت لجنـة مكونـة مـن الأصـلاء اليهـود تحـت قيـادة (جامونـدو: Camondo) لتوصـية الـسلطان حـول كيفيـة تطبيـق فرمـان التنظـيمات عـلى الطائفـة اليهوديـة، وجمـع (جامونـدو: Camondo) الطائفـة بـشكل نـاجح بعـد الحريـق الكبير في عام (1846م = 1263هـ)، وبفضل هذا حاز حب الـسلطان وكثـير مـن اليهـود

العثمانيين. وعيّن (ياكير جرون Yakir Geron) المجدد الذي أسس الحاخامية الكبرى لأدرنة منذ عام (1835م=1251هـ) (لوكيم تننس:Locum tenens) كقائمقام للحاخامية الكبرى في استانبول مع عزل الحاخام الأكبر(يعقوب افيجدور: Yakup Avigdor)، وظل حتى عام (1871م= 1288هـ) في الموقع الذي عُيّن فيه، وذلك عندما لم يستطع أن يرتقي للحاخامية الكبرى مطلقا نتيجة لمعارضة المتحفظين في الطائفة اليهودية. فـ(ياكير جرون:Yakir Geron) الذي أصغى لتوصيات المجلس، والذي اتخذ الطوائف اليونانية والأرمينية المُشكّلة منذ عام (1862-1863م=1279-1280هـ) نموذجًا خضع لأمر الصدر الأعظم بتاريخ 20 يونيو (1863م=1280هـ) الموجه لتشكيل الحاخامية من جديد. وفي البداية أعدّ اجتماع طائفي عام في 10 أغسطس (1863م=1280هـ)، وحضّ على عمل الجميع لتنفيذ الإصلاحات اللازمة، وقال إن من سيعترضون سيتعرضون لعقوبات جادة.

بعد مدة قصيرة تأسس مجلس مكون من أربعة عشر ممثل من مناطق الانتخاب اليهودية المختلفة التي في استانبول تحت قيادة (جاموندو: Camondo) لبدء عملية الإصلاح. وقدّم لهذا المجلس ولـ (ياكير جرون:Yakir Geron) قانون تأسيسي للطائفة اليهودية في الأول من أبريل (1864م=1281هـ) بتشكيل لجنة مكونة من أربعة حاخامات واثني عشر إداري علماني، وتمت الموافقة على هذا المتن في 21 مارس (1865م = 1282هـ) بإرادة (بفرمان) السلطان دون إجراء أي تعديل عليه، ووُضع في حيز التنفيذ في الثالث من مايو (1865م= 1282هـ)، وأسعد السلطان كثيرا دخول الطائفة اليهودية في عملية الإصلاح بشكل سريع حتى أنه منح (ياكير جرون:Yakir Geron) ميدالية العزة بجانب مرتب شهري كجائزة مالية مثل 57,000 قرشًا، وكانت هذه الجائزة هى الجائزة الأكبر المقدمة لحاخام.

كان يتكون قانون تأسيس الحاخامية الكبرى من أربعة أقسام أساسية متعلقة بمهام وطبيعة الحاخامات الكبرى والمجلس العمومي والمجلس الجسدي والمجلس الروحاني. ولم يُطبّق هذا التعديل في لمح البصر، فقد دخل حيز التنفيذ في استانبول أولا ثم في مدن السلطنة الأخرى فيما بعد، وكانت الحاخامية الكبرى في (جيبالي:Cibali)

التي بين (Eminönü) و(Balat) التي في (خليج:Haliç) (المادة 11)، وظلت في هذا المكان حتى عام (1876م = 1293هـ)، ونُقلت فيما بعد إلى (Beyoğlu) التي استمر وجودها حتى اليوم.

وبينما يُقبل الحاخام الأكبر كحاكم للطائفة اليهودية في كل مكان من السلطنة كان زعيما روحانيا لطائفة استانبول فقط. أما التعديلات الموجهة للمراكز اليهودية الأخرى فقد عبرت إلى الحياة طوال عشرين عاما تالية بواسطة البراءات (الفرمانات) الصادرة عند تعيين الحاخامات الكبرى للريف بخاصة، وكانت قد تحددت فقط المهام الإدارية للحاخام الأكبر، أما الأشياء المتعلقة بالدين والطائفة فقد تُركت للعادات والتقاليد كما كان من قبل، وكان قد عُرف كرئيس للطائفة اليهودية العثمانية، ولكن سلطته التي امتلكها كانت قليلة جدا بالمقارنة بما كان عليه من قبل. وفيما بعد كان يتلقى الأمر والنصيحة من البشر المدنيين الذين في خارج الجماعة الدينية للطائفة.

كانت هذه الجماعة الدينية المذكورة تستخدم سلطتها بواسطة مجلس عمومي، وكان هذا المجلس يتكون من ستين مدنيًا انتخبهم 5,141 ناخب في سن العشرين وما فوقه يعيشون في استانبول وريفها، وذلك من سبعة عشر منطقة انتخابية في انتخابات (1865م=1282هـ)، وكان أغلبية الناخبين (2,132) من منطقة (خاص كوى) تلك المنطق اليهودية المتميزة آنذاك، وأرسلت منطقة (خاص كوى) وحدها عشرين ممثلا للمجلس، أما المراكز المهمة الأخرى فكانت منطقة (بيري باشا: Piri Paşa) التي انتخبت خمسة ممثلين بـ 322 ناخبًا، ومنطقة (اورطه كوى) التي على ضفة البوغاز التي انتخبت أربعة ممثلين بـ 554 ناخبًا، ومنطقة (Kuzguncuk) التي انتخبت ستة ممثلين بـ 393 ناخبًا. وبعد اجتماع المنتخبين عينوا عشرين حاخامًا للجنة العامة. واختارت هذه اللجنة تسعة مدنيين لمركز الإدارة العلماني، وسبعة حاخامات للمجلس الديني، بخلاف تحديد المحكمة الحاخامية التي يتراوح أعدادها بين الثلاثة والخمسة.

كان المجلس الديني الذى يجتمع مرتين أو ثلاث في كل أسبوع مسئولا عن حماية المصالح الدينية واختيار ورقابة الحاخامات الذين يديرون كل منطقة، بالإضافة إلى أنه كان مسئولا عن ضمان عدم خروج الحاخام والواعظ على مطالب وآراء الحكومة،

والشرائع التي حددها الدين، وكذلك الاهتمام بالأسئلة الدينية تحت إشراف الحاخام الأكبر والمجلس العام. ولم يكن للمجلس الديني حق منع طبع الكتب والعلم الحديث في الطائفة اليهودية، ولكن في هذا الموضوع الأخير كانت المنشورات الضارة بالطائفة اليهودية وبالدين وبالحكومة استثناءات يلزم الانتباه إليها. وفيما بعد كان الحاخام الأكبر يحتاج لموافقة رؤساء المجلس الديني ومساعديهم لإعطاء الاستشارات الدينية الأخرى وعقوبة الحرمان الكنسي للمنتسبين إلى الطائفة.

وتحمل المجلس العمومي مهمة رقابة وتعديل أي شيء متعلق بالطائفة اليهودية بخلاف تنفيذ التعديلات والفرمانات وقوانين الطائفة. وكانت مهمة المجلس العمومي هى حساب وجمع ضرائب الطائفة، والاهتمام بالأيتام، وإدارة الأموال الخاصة بمساعدات الطائفة والأوقاف، وكانت المؤسسات والمنظمات الخاصة بالطائفة اليهودية الموجودة في كل مكان من السلطنة تحت إشراف هذا المجلس، وكان موظفو السلطنة العثمانية الرسميون لا يمكنهم التدخل في عمل هذا المجلس، ولكن كان لإدارة السلطنة سلطة إقصاء أعضاء المجلس الذين ينتهكون القوانين العثمانية أو المصالح القومية بشكل فردي أو جماعي.

تفرقت اليهودية العثمانية إلى ثماني مناطق للحاخامية بخلاف استانبول: بورصة، بغداد، أدرنة، ازمير، سلانيك، القاهرة، إسكندرية، القدس. ثم عُيّن لهذه المراكز حاخامات بجانب مجالس عامة وعلمانية ودينية، وكان لهم وظائف ومسئوليات ونفوذ بنفس المعدل مع أمثالهم في استانبول. وكانت كلها تابعة لسلطة الحاخام الأكبر الذي في استانبول على الأقل على الورق وحتى الحكومة، ولكنهم أنفسهم تسببوا في ظهور كثير من النزاعات والخلافات في مرحلة متقدمة من القرن؛ لأنهم لم يحددوا مطلقا وبشكل تام العلاقة التي بينهم وبين الحاخام الأكبر وكذلك موظفي الدولة، أما في السنوات المتقدمة من القرن التاسع عشر فقد شُكّلت مناطق للحاخامية الكبرى الجديدة مثل (Halep ،Beyrut ،Trablusgarp ،Musul ،Yanya ،Şam ،Saraybosna ،Sofya).

توسع المجلس العام بشكل سيشمل أربعين ممثلًا من الحاخامية الكبرى لثماني مراكز قروية لانتخاب الحاخامات الجدد الذين لا يقلون عن ثلاثين عاما ولا يزيدون عن

السبعين، وكان يُجدد هؤلاء الممثلون بتصويت الأغلبية.

عبور اليهود العثمانيين للعالم الحديث:

بينما يسجّل أعداد كبيرة من اليهود في مدارس التحالف الإسرائيلي العالمي، ويأخذون وظيفة في الدولة الحديثة من جانب، كان البناء الطائفي الجديد يزيل كل شيء يعيق استفادة اليهود من إصلاحات التنظيمات على الجانب الآخر، وفي ظل هذا انغلقت بسرعة الفجوة التي بين اليهود العثمانيين ومنتسبي الطائفة الأخرى، ووصل اليهود المتخرجون فى المدارس الجديدة إلى المواقع المهمة داخلين في الروتين الإداري في كل هيئات الدولة باستثناء الجيش، فالتجار والحرفيون اليهود الذين تلقوا دعم المصرفيين اليهود في أوروبا غالبًا بدأوا رفع أسهم في السوق العثماني باستمرار، واشتركوا في التجارة الدولية. وبدأوا بانتهاك أو تجاهل – على الأقل – التعديلات والممنوعات القديمة بسيادة العناصر المدنية تدريجيا في عمل الطائفة. وكانت الملابس التي أظهرت هذا بوضوح، وتُركت بسرعة التعديلات والعادات القديمة التي تفرّق الطوائف والطبقات المختلفة عن بعضها البعض بالملابس، وكان الشيء الذي أسرع هذه العملية هو انتشار عادات الزي والملبس بين الجند الأجانب والتجار والدبلوماسي والسائح وكل عناصر السكان بأعداد كثيرة جاءوا بشكل متدافع إلى السلطنة في أثناء حرب القرم وما بعدها، وفي عهد السلطان "محمود الثاني" كانت قد حلت الطرابيش التي يرتديها الجميع محل العمامات التي تبرز الاختلافات الاجتماعية بالشكل واللون، وعظمتها في الزي الملبوس.

أمر السلطان "محمود الثاني" بالزي الأوروبي لكل الإداريين باستثناء من كانوا من الطبقة الدينية بفرمان أصدره في (1829م=1245هـ) كإضافة على هذا التعديل، وهكذا حلت السترة الأوربية محل الجبة، والطربوش محل العمامة أو القبعة، وبدأ كثير من اليهود وغيرهم ارتداء اللباس التقليدي الباهت طويل الكم علي سروال فضفاض طويل أسود أو أزرق يربطونه بحبل أو حزام على خصورهم ورسغ أقدامهم، وكلما مرّ الوقت ترك هذا الشكل من الزي الذي وصل لارتداء القبعة كإضافة في القرن العشرين مكانه للقبعات الاسطوانية التقليدية المحاط أجزاؤها السفلية بعمامة،

وللسترات الأوربية مختلفة الأشكال. أما السلطان (عبد الحميد) (1839-61) خليفة السلطان (محمود) فبدأ بارتداء السترة مقدما شكلا ستتبعه الطبقة الإدارية ومنتسبي الطائفة. وهكذا كان قد أُلغي- في النهاية- العنصر التمييزي بشأن الزي على الأقل.

غيّر النساء أشكال الزي ببطء أكثر، وصنعن ملابسهن من القماش المستورد من أوروبا بجانب استخدام الاكسسوارات مثل الشمسية والقفاز وأطراف الكم الأوربية، وارتدت النساء حتى عام (1890م- 1308هـ)- في الشارع - أكمام طويلة وفضفاضة، وياقات مثلثة وطويلة، وبينما يفعلن ذلك لم يهتموا أولا بقاعدة استخدام ألوان مختلفة للبشر عن الطائفة المختلفة. وبينما ترتدي النساء اليهوديات والمسيحيات الـ (Marama) الذي يغطي أعناقهن ورؤوسهن كانت النساء المسلمات ترتدي (اليشمك) الذي يغطي رؤوسهن وكل وجوههن ويترك مساحة ضيقة في عيونهن فقط، أما حجاب اليهوديات فكان إيشاربًا مصنوعًا من القطن الزهري المزين بالدانتيل، ويرتدين ألبسة طويلة الكم، وجاكيت من الفرو، وذلك قبل الانتقال إلى طراز الزي الأوروبي، ولا نستطيع القول أن عملية الانتقال هذه تحققت دون التعرض لمعارضة منتسبي الطائفة، وفي نهاية القرن هبّ السلطان (عبد الحميد الثاني) لرفض العصر للنساء المسلمات. وأراد الحاخام (حاييم بالاجي :Hayim Palacci)، والحاخام (اشر قوفو:Asher Covo) زعماء (سلانيك) عودة النساء اليهوديات لتواضعهن السابق قائلين إن الأزياء الأوربية أبعدتهن عن الدين، وإنها تبرز جزءًا من أجسادهن مثل شعرهن.

الانقسامات الداخلية الطائفية:

ونتيجة للتطورات المعاشة انقسمت الطائفة اليهودية بشكل سيء بين التحديثين الذين يريدون تغيير الحياة اليهودية بالأساليب الجديدة والمدارس الجديدة التي أخذوها من أوروبا غالبا، وبين التقليديين الذين يريدون استمرار العادات الأرثوذكسية للماضي. ولم يصل هذا الصراع لحل حتى الربع الأخير من القرن بسبب تأسيس المؤسسات اليهودية الأوربية للمدارس اليهودية الحديثة في السلطنة العثمانية، وفيما بعد ظهرت انحلالات في داخل الطائفة حول علاقة هذه المؤسسات بالحركة الصهيونية.

على الجانب الآخر برزت خلافات متعلقة بالمصادر القومية، وفي عام (1865م=

1282هـ) انسحبت عائلة (فرانكو:Franco) الثرية من طائفة السفرد مع كثير من اليهود الذين كانوا إيطالي الأصل، وأسسوا طائفة الأجانب الجدد، وسمت هذه الطائفة نفسها بالطائفة اليهودية الإيطالية بعد أن أخذت المساندة والإشهار الرسمي من ملك إيطاليا.

وبجانب هذا، وبينما يندمجون ثقافيا مع ثقافة السفرد قبل الإشكناز العثمانيين، ويقبلون سلطة الحاخام الأكبر التي تحددت في وثيقة عام (1864م=1281هـ) ظلوا مستقلين بانتخاب أعضاء المجلس العمومي لمشاركتهم في شئون الطائفة، وزاد بنسبة كبيرة عدد الإشكناز ومئات اللاجئين الذين هربوا من القمع الموجود في ألمانيا ومن مناطق روسيا بعد عامي (1850-1881م= 1267- 1299هـ) ، وكنتيجة لهذا كانوا يحلون شئون طائفتهم دون الرجوع للحاخامية، وامتلك الإشكناز ثروة في الحرف والتجارة والمالية والمهن الأخرى، وبنوا معابدهم الخاصة منفصلين عن السفرديم، وحافظوا عليها، واهتموا أولا بتذكر لغة الطائفة في الحياة المدنية بدلا من اللغة الأسبانية اليهودية، وتحقق هذا الانقطاع بشكل أساسي تحت زعامة الدكتور (دافيد ماركوس:1944-1870) (David Marcus) المولود بأوكرانيا. وكان (دافيد ماركوس:David Marcus) هو حاخام الطائفة الإشكنازية، كما عمل كمدير لمنطقة (Hashgaha) الإشكنازية من عام (1900م= 1318هـ) حتى عام (1940م = 1359هـ)، وفتح مدرسة (Goldscmidt) الثانوية التي في جالطة، والتي ذهب إليها اليهود من كل طائفة بعد ابتعاد التحالف الإسرائيلي العالمي بينما تستمر الحرب العالمية الأولى، وبنى الإشكناز ثلاثة معابد في المراحل الأخيرة من السلطنة العثمانية، وفيما بعد لم تعد توجد المعابد الألمانية والبوذية التاريخية التي في (بالاط) التي أسسها اللاجئون القادمون من أوروبا الوسطى في عصر السلطان سليمان القانوني؛ لأن الإشكناز الأوائل كانوا قد تنقلوا إلى مناطق مختلفة من المدينة قبل وقت طويل، واستمر الإشكناز المتنقلون إلى جالطة غالبا في معبد (Tofre Begadim)، أما في منطقة (Kemeraltı) فكان معبد (OrHadash). وأسسوا جمعيات الخير لمساعدة الفقراء ودعم اللاجئين وعمل مراسم الجنازة، وأسسوا جمعية (Israelitischer Bruder-Verein)، وكانت هذه الجمعية مركزًا للتكافل الاجتماعي والتأسيس الرياضي كما كان يجتمع الخياطون في هذا المكان، وإلى

جانب هذا أسس الإشكناز مدرسة يهودية بمساعدة (Goldscmidt) الذي كان رئيس التحالف الإسرائيلي العالمي آنذاك، وأطلقوا على هذا المكان اسم الرئيس، واستخدموا قبر السفرد ولكن دفعوا أموالا إضافية للحاخام الأكبر نظير هذا الامتياز، وكان هناك فرق كبير بين الإشكناز الروس الأصل الذين ظلت حياتهم مغلقة وبين اليهود الإشكناز النمساويين والألمان الذين كانوا أصحاب مستوى تعليمي ثري وراق. وكان الروس قد أقاموا علاقات طيبة مع السفرديم الذين كانوا أفقر من أصحاب نفس العرق الإشكنازي الثري الأوروبي أوسطي، وبخلاف هذا كانت تحدث مناقشات حادة بين السفرد والإشكناز حول المأكولات التي تتناسب مع الدين، كان السفرد يشكّون من أن الجزارين الإشكناز يبيعون اللحم المتوافق مع الدين، والخلاف الآخر المتعلق بهذا كان بسبب الضرائب التي يضطر أن يدفعها الجزارون للحاخامية ولكن لم يستطيعوا دفعها في الغالب.

إن الانقسامات التي بين الشعب اليهودي العثماني لم تقتصر على هذه الأشياء فقط، كان يوجد بين اليهود من لا يعرفون سلطة الحاخام الأكبر، وكان الـ (Karaylar) قد شكّلوا طائفة مختلفة بطقوسهم الدينية الخاصة وعاداتهم التي تسببت في نزاعهم مع أغلبية اليهود. فحاخامات طائفة الـ (Karaylar) الذين يعيشون في الأحياء الفقيرة من (خاص كوى، وكاغذ خانه) التي في الضفاف الشمالية من الخليج كان لهم قبورهم وطقوسهم على شكل خطاب رسمي. وأُسست هذه المقبرة في القرن التاسع عشر في حي (Yazıcı) من (خاص كوى) الملاصقة لـ(Boton Han). وكان الـ(Karaylar) يديرون شئون الطائفة بمجلس شكّله التابعون، وكان أعضاء هذا المجلس يُعيّنون بفرمان سلطاني مباشر. ولم يكن يوجد لـ (Karaylar) محاكم خاصة بهم، وخضعوا لقوانين المسلمين راجعين إلى المحاكم الإسلامية في الحالات اللازمة بدلا من المحاكم الحاخامية، وكانوا يرجعون إلى محاكم الحاخامية كآخر حل. وتسبب هذا أيضا في بدء الحاخام (شولومو قامهي:Shlomo Kamhı) الذي كان من مريدي (اقريش:Akrish) حملة حرب ضدهم، وأغار (شولومو قامهي:Shlomo Kamhı) على الـ(Karaylar) بكل همة.

الحاخام الأكبر (ياكير جرون:Yakir Geron):

كانت لا تُدعم بأي شكل الأغلبية اللازمة لانتخاب الحاخام الأكبر بدلا من القائمقام (ياكير جرون) كنتيجة للانقسامات التي داخل الطائفة بالرغم من المجالس الإدارية الثلاث المرتبطة بالحاخامية المنتخبة وفقا لقانون (1866م= 1283هـ). ولهذا السبب ظلّ (جرون) كزعيم طائفة حتى استقال بشكل ممل في عام (1872م = 1289 هـ).

وبالرغم من كل الصعوبات كان يعمل (جرون) بعزم في السنوات الأولى لتحقيق إصلاح في داخل الطائفة وتطبيق قانون التأسيس، وعُين الحاخامات كحكام للمناطق في كل أحياء المدن الكبرى، وهؤلاء الحاخامات الذين كانوا زعماء دينيين قد جمعوا ونقلوا للخزينة الجزية والضرائب الأخرى كوسيط بين الحكومة ومنتسبي الطائفة بجانب إدارة المؤسسات الخاصة بالمعابد، وكانت ضريبة الاستهلاك التي تجمعها الحاخامية والحاخامات بشكل فعال من اللحم والخمر والكحوليات، وضريبة رأس المال المأخوذة من الأموال والأعمال الشخصية يموّلا بيانصيب الطائفة والضرائب الخاصة المأخوذة من احتفالات الختان والزواج وغيرها...، واستدان (جرون) في يناير (1865م=1273هـ) مبلغ 150000 من بنك (جامانـدو) بإذن (فؤاد باشا) لمواجهة المصروفات العابرة حتى يملك الدخول الجديدة، وسُدد هذا الدين بالأموال المأخوذة من (aritha) فيما بعد، كما أنه اندفع حتى أنه سيعيد النظر ويمنع دفع الأموال بشكل تقليدي للحاخامات المحددة التي لا تخدم من أجل الطائفة، وحيّر وأغضب هذا القرار الكثير من زملائه، وهكذا اشتركوا في المعارضة رافعين أصواتهم، وعندما اكتشف (جرون) أن التعديلات الدينية طُبّقت بشكل متراخ حكم على أن كل حالات الزواج والطلاق والختان الموافق عليها من قبل أسلافه باطلة في حالة عدم إثبات أنها تحققت بأصول مناسبة، وبذل (جرون) جهدا كبيرا لصد الدعايا المسيحية للمبشرين البروتستانت التي في (خاص كوى) عام (1868م=1285هـ). وحضّ على طبع وتوزيع الإعلانات اليدوية والصحف مقابل مزاعمهم، وعمل على إعاقة الحكومة لأنشطتهم في الأحياء اليهودية من المدينة على الأقل.

كان الحاخام الأكبر بالقانون التأسيسي للحاخامية يتلقى المساعدة من رئيس الخدم

في الشئون المتعلقة بالحكومة، وكان رئيس الخدم يُخبر المسئولين بالميلاد والموت والزواج والطلاق، ويدير العلاقة التي بين الطائفة ومسئولي الدولة بشكل عام، وكانت قد بقيت ثلاث محاكم يهودية فقط في استانبول، وكانوا لا يستطيعون النظر إلى الدعاوى الأخرى بخلاف دعاوى الزواج والطلاق، كانت تنظر محاكم التنظيمات العلمانية الجديدة إلى كل الدعاوى، وتركت سجون المعبد مكانها لسجن الحاخامية الموجود في الحاخامية الكبرى، وفيما بعد نُقل هذا السجن الذي كان في (جيبالي) أولا إلى معبد (Chana) الموجود في (بالاط) ، ونجح فرمان التنظيمات بكل اتجاهاته في تحديد سلطات زعماء الدين اليهودي وغيره من الأديان، وفقد الحاخامات سلطاتهم داخل الطائفة اليهودية، واضطروا لتقسيم سلطاتهم مع زعماء مدنيين من الجيل الجديد، وفقدت الطائفة قوتها بشكل كبير أمام مؤسسات الدولة العلمانية الجديدة سواء في التعليم أو في الشئون القانونية، وكان الحاخامات يعترضون على هذا الوضع، ولكن لم يكن لهم فيما بعد سلطات معاقبة التحديثيين وإملاء رغباتهم على المريدين.

حاول (جرون) التكيّف مع الظروف الجديدة، وكان الحاخام الأكبر الأول الذي أقام علاقات طيبة مع الزعماء البيروقراطيين الجدد اللذين شكّلهم فرمان التنظيمات ووجهاء الدولة منذ القرن السادس عشر، وكان يقدم معلومات بشأن طائفته بزيارة الوزراء، ويتلقى مساعدتهم للتجديدات التي سينفذها، كما كان يحاول أخذ الدعم كما فعل البطاركة الأرمن واليونان طوال العصور، وذلك ببناء اتصال مع أصحاب المنصب العالي الأجنبي الذين يزورون استانبول. وفي هذا المسار اجتمع مع (Obrenovich) برنس الصرب الذي جاء إلى استانبول في أبريل (1867م=1284هـ)، و(Franz) إمبراطور النمسا في شهر أكتوبر من نفس العام، والإمبراطورة (Eugenie) زوجة (Napolyon) إمبراطور فرنسا في زيارتها بتاريخ 7 يناير (1869م = 1286هـ).

وبالرغم من هذا بدأ (جرون) العنف تدريجيا بينما يحل مشكلات الطائفة وفي علاقاته مع أصحاب الدرجات السفلى، وكنتيجة لذلك تعرض لمعارضة وانتقاد كبير في السنوات التالية، وكان الـ (Karaylar) مصدر غضب بمعدل كبير داخل الطائفة اليهودية كما حدث في مرحلة الحاخامية الكبرى لـ (Elijah Mizrahi) في السنوات

المبكرة من القرن السادس عشر، وأمر (جرون) بجمع ومحو كتاب (Kamhi) بهدف إزالة الخلافات والانقسامات الظاهرة نتيجة هجمات الحاخام (Kamhi) المليئة بالكره الموجه لـ(Karaylar)، وفي تلك الأثناء تعرض (Kamhi) للعقوبات الدينية التي تؤدي للسجن، ولكن هذا الفعل أغضب كثيرا مريدي (Kamhi) المصرين على عدم معاقبة اليهود؛ لأن طائفة الـ (Karaylar) لم يكونوا يهودًا وأغاروا عليهم، وفي نهاية ذلك نُظمت كثير من المظاهرات أمام الحاخامية الكبرى، وعبّر (جرون) عن طلبه بتغيير المكان بمكان آخر يقسم مشاعر البشر المتواجدين في المظاهرات.

خلاف (حاييم بالاججي Hayim Palacci):

ظهرت مشاكل أكبر؛ نتيجة عدم تحديد قانون التأسيس لعلاقة هؤلاء الحاخامات بالمجلس الإداري بشكل واضح، وكذلك العلاقة التي بين الحاخامات الكبرى في الريف والحاخام الأكبر في استانبول، وعلى سبيل المثال كان يوجد مجالس مدنية دينية وإدارية أسسها الحاخام (اسجابه:Escapa) قبل تنفيذ التنظيمات في (أزمير)، وكان يوجد مجلس مجسم انتخب وكلاءه ثلاثة عشر معبد يهودي، ولكن الأزميريين كنتيجة لتجربة الحكم المستقل لم يكونوا راضين على نقل سلطات الحاخام الأكبر لاستانبول إلى حاخام (أزمير) المعين حديثًا، وحدثت صراعات قوية حتى عندما هبّ الحاخام الأكبر لاستخدام سلطاته التي منحها له قانون التأسيس.

ولهذا السبب اضطر (جرون) للمرور بسلسلة من المشاكل التي انفجرت بين الحاخام الأكبر (خاييم بالاججى:Hayim Palacci) المحدد بقانون تأسيس عام (1865م=1282هـ) ورئيس حاخامات ازمير (راو قوللي:Rav Koleli). وكان (خاييم بالاججى:Hayim Palacci) مثل (جرون) تماما فعالا وطموحا. وكان يفعل ما يعرفه دون استشارة مريديه في (ازمير) أو من هم فوقه في استانبول، وكان متعصبا أكثر من معظم زعماء الطائفة في ازمير واستانبول. فـ (خاييم بالاججى:Hayim Palacci) الذي وضّح أن الشيء الذي يميز اليهود عن غيرهم هو زي وطعام وممارسات اليهود أنفسهم كان يعتقد أنهم ابتعدوا عن اليهودية من أجل الطرز الحديثة مثل المسلمين والمسيحيين، ولهذا السبب سيتعرضون جميعا لغضب الرب، وعلى الجانب الآخر كان

يحـــاول المجلـــس الإداري إدارة الطائفـــة دون استـــشارته، وتـــسبب تزويـــد (بالاجي:Palacci) لـضريبة الغلـة المأخوذة من مـواد الطعـام لرفـع دخـول الطائفـة في شكاوى كثيرة حتى أنه عندما تعرض سكان إزمير اليهود لمرض الكوليرا الشديد أمر المجلس الإداري في نوفمبر (1865م = 1282هـ) بعـدم إمـضاء (بـالاجي:Palacci) أي وثيقة وعدم اتخاذ أي قرار في المستقبل دون استئذانه.

وفيما بعد، وباجتماع كثير من أعـضاء المجلس فرضـوا الالتزام تحت سـعر الـسوق لضريبة الملح (gabella) المأخوذة مـن الملـح والكحـول والخمـر، وهكـذا ربحـوا كثيرا بتزويد حمل الضريبة المفروضة على الأزميريين. وعندما أتى ممثلو الشعب إلى الحاخامية وطلبوا قيد المحاسبة لم يقبلوا بهذا، وأجاب (بالاجي:Palacci) على هذا الوضع بفسخ أمر الالتزام، ولكـن تـسبب هـذا في أن يتهمـه أعـضاء المجلس بـالابتزاز، وأن يطلبـوا إقصاءه مـن وظيفتـه، وأرسـل (جـرون:Geron) سكرتيره (صـامويل دانـون: Samuel Danon) إلى أزمير في ديسمبر (1866م= 1883هـ) لتحري الأحـداث وحـل الخلافـات، غـير أن تـدخل (صـامويل دانـون:Samuel Danon) تـسبب في أن تـسوء الأمـور أكثـر، وبدأت شجارات الشارع بـين الأطـراف المتـضادة، ووصى (صـامويل دانـون: Samuel Danon) (جـرون:Geron) بإقـصاء الحاخـام الأكـبر (بـالاجي:Palacci) مـن منـصبه، وتعيينـه مكانـه كحـل وحيـد لحـل هـذه المـشكلة المعقـدة، وهكـذا بنـاء عـلى رغبـة (جرون:Geron) نفّذت الحكومة الإقصاء عن الوظيفة، وكذلك التعيين الجديد، وشعر معظم أتباع الطائفة اليهوديـة الإزميريـة بالغـضب الـشديد مـن تـدخل الحاخـام الأكـبر والحكومة في شئونهم، وبخاصة أن المجلس الإداري تدخل في عمل الحاخامات الـذين يدافعون عنهم أمام استغلاله لهم، وفي مقابل هـذا أقنعـوا والي المدينـة بـألا يأخـذ الأمـر بعـين الاعتبـار، وأن يبقـى (بـالاجي:Palacci) في منـصبه، وعـلى الجانـب الآخـر بـدأ استجواب شامل، وفي تلك الأثناء هبّ مؤيدو (بالاجي:Palacci) لعمل أفعال تـشمل العنف في استانبول وإزمير. وأيّد (بالاجي:Palacci) نفسه هذه الاعتداءات بسبب هذا الأمـر وأشـياء أخـرى مهيّجـا أعـداء (جـرون:Geron) في اسـتانبول، وفي النهايـة عـاد (بالاجي:Palacci) في عام (1867م=1284هـ) إلى وظيفته رسميًا كحاخام أكـبر لإزمير

على أن يستمر حتى نهاية حياته، وبدلا من الانتقام تصالح مع المجلس مقابل تطبيق قانون تأسيس (1864م=1283هـ) لأول مرة بمعناه التام في ازمير، وذلك لتحديد مسئوليات وسلطات كل العناصر التي في تشكيلات الطائفة، ولكن للأسف مات (بالاجي:Palacci) في 9 فبراير (1868م=1285هـ) دون تطبيق النظام الجديد، واستمرت الصراعات بين الطائفة وصراع السلطة الذي كان مع استانبول حتى صدر قانون تأسيس خاص لأزمير في عام (1911م = 1329 هـ).

إن حادثة (بالاجي:Palacci) أضرت- بشكل كبير- بقدرة (جرون:Geron) على إدارة الطائفة اليهودية كقائمقام في السنوات التالية، وحتى لو كان يحترمه ويحبه جزء كبير من الشعب اليهودي العثماني إلا أن المناقشات التي عايشها في المجلس والخلافات والعجز النسبي الذي أحس به لكونه قائمقام وليس حاخامًا أكبر تسبب في النهاية في استقالته، واستقراره بالقدس حيث أسس (yeşiva: مدرسة دينية) قبل مدة قصيرة من موته في 11 فبراير (1874م = 1291 هـ).

صحوة اليهودية العثمانية والمقاومة المسيحية:

إن صحوة اليهودية العثمانية لم تكن محدودة بمؤسسات الطائفة فقط. وبينما يساعد الرأسماليون اليهود الأوربيون الغربيون في إحياء اقتصاد السلطنة بعد حرب القرم لعبوا دورا مهما في ضمان تقدم اليهود من الناحية الاقتصادية والتمويلية، وكانت فرمانات التنظيمات تحض على الاستثمار الأجنبي في التجارة والصناعة كما كان في الأعمال البنكية، وفيما بعد كان يوجد شركات المعدن التي مُنحت أعمال الحفر، والتي يشغّلها ويملكها اليهود الأوربيون الأثرياء بشكل عام بجانب شركات التأمين والسفن البخارية والسكك الحديدية والبنوك الأجنبية في كل مكان من السلطنة. وكانت هذا الشركات تستخدم- غالبا- اليهود العثمانيين كوسطاء، وهكذا دعموا خطواتهم للسوق العثماني من جديد، وشجّع ودعم وحمى أصحاب رأس المال اليهودي الكبير الأوروبي التجار والمصرفين اليهود العثمانيين كما ساعد الدبلوماسيون والتجار الأوربيون المسيحيين اليونانيين والأرمن في القرنين السابع عشر والثامن عشر، وكان أهم الداعمين هم عائلة (روسشيلد:Rothschild)، و(بارون ماريجه هرسش: Baron

Maurice de Hirsch). وتخرّج كثير من الأطباء اليهود من مدارس الطب العثمانية بمجرد كسر معارضة مؤسسة الحاخامية، ولعب هؤلاء دورا مهما في تقدم الطب الحديث، وعملوا في الجيش وفي الطب الخاص، وفتحوا عيادات ومستشفيات، وتوظفوا كأساتذة في كليات الطب وجامعة استانبول، ودخل اليهود العثمانيون الآخرون دنيا العمل والحكومة بأعداد متزايدة خاصة في فترة السلطان (عبد الحميد) (1867–1909م=1284–1327هـ) متخلصين من خمولهم، وبدأت قوة المنافسة الجديدة لليهود يشعر بها المسيحيون العثمانيون في (أدرنة) بخاصة وليس في المراكز القديمة من السلطنة العثمانية فقط. وكان عدد سكان اليهود قد ارتفع من 12 ألف شخص في عام (1873م = 1290هـ) إلى 28 ألف في بداية الحرب العالمية الأولى مع الهاربين من الاعتداءات التي في بلغاريا ورومانيا التي نالت استقلالها، وبينما يتكاثف اليهود الأثرياء في التجارة والصناعة في الجزء الداخلي من المدينة كان يعيش الصنّاع في (Çukurmahalle- Bostan Pazarı)، أما العمال والحمّالون فيعيشون في (Tabağna) ، وكان يوجد تشكيلات طائفية لكل حي، ومعبد يهودي، ومكان رهان ديني تحت الإدارة العامة لحاخام المدينة، ونتيجة لذلك اغتنت الطائفة كثيرا حتى أسسوا معبدا يهوديا كبيرا مهتمين بالمعبد الموجود في (فيينا) إلى جانب مدرسة دينية جميلة، ولكن للأسف تسبب احتلال مدينة اليونانيين والبلغاريين أثناء حروب البلقان في موت كثير من اليهود حتى أنه مع نهاية الحرب العالمية الأولى سقط ما يقرب من 13 ألف يهودي في (أدرنة)، وزاد هذا العدد في عام (1930م=1349هـ) بسبب أن منطقة (تراكيا:Trakya) كانت المكان الوحيد في الجمهورية التركية الذي يميل لـ "اللاسامية"، ونتيجة لذلك هاجر كثير من يهودي (أدرنة) إلى استانبول تاركين المعبد الكبير للفساد.

وفي نهاية القرن السابع عشر قاومت الأقليات اليونانية والأرمينية المنحصرة في خدمات الحكومة، وفي دنيا العمل بدفع اليهود خارج المدينة مقاومة كبيرة ضد زيادة قوة منافسة اليهود وذلك بمساعدة التجار والدبلوماسيين الأوربيين في السلطنة. واستغلوا جيدا المعاهدات ذات الامتياز الأجنبي، ووُسّعت الامتيازات الأجنبية لغير المسلمين العثمانيين في نفس الوقت، والمسيحيين بخاصة، وليس لمئات التجار الأوربيين

الذين أتوا إلى السلطنة بهدف الربح فقط. وكان يوجد بين هـؤلاء المسيحيين الخادمون الذين يتولاهم القناصلة والسفراء الذين يجب معافتهم من قوانين السلطنة العثمانية؛ حتى يمكّنوهم من استمرار وظائفهم، والذين يشترون البراءات الممنوحة للمترجمين المحليين بشكل رسمي في الحقيقة، أو الذين يشترون جنسيات الدولة الأجنبية، وحاول السلطان (سليم الثالث: Selim . III) عرقلة بيع هـذه الامتيازات في بدايات القرن التاسع عشر، ولم تستطع الوصول إلى النجاح بسبب المخالفات الشديدة للسفراء الأجانب؛ ولهذا السبب في النهاية قنن هـذه الامتيازات مقابل المقادير المحمولة التي ستُدفع لخزينته، وحاول السلطان (محمود الثاني:II. Mahmud) أيضا ترغيب المسلمين على دخول التجارة والحرفة، ولكن لم يستطع النجاح لنفس السبب الذي أعاق (سليم الثالث: Selim . III). وبالرغم من تحديد فرمان التنظيمات للحقوق المتساوية لغير المسلمين استمر التجار اليهود والأرمن في سحق اليهود والمسلمين كلما تقدم القرن بأخذ جنسية الدولة الأجنبية والحماية من الخارج.

استطاعت الرعية اليهودية مواجهة هذا النوع من المعارضة كما حدث طوال القرنين السابقين، واستمروا صناعات المدينة الجديدة لمنافسينهم المسيحيين الذين أدركوا الحاجات ولكن لم يستطيعوا سدها، وذلك عن طريق رأس المال الذي وفره المصرفيون والتجار اليهود الأجانب الذين استخدموهم كممثلين عنهم، وكان يوجد بين هـذه الأشياء مؤسسات لف الدخان وغزل الخيط ومصانع ورق السجائر وإنتاج الطوب الآجر، واغتنى جدا اليهود المتاجرون بمساعدة المتدينين الأوربيين، وفي ظل العلاقات التجارية المتطورة للامبراطورية العثمانية مع أوروبا، وفيما بعد ارتقى يهود إزمير إلى مكانة متساوية مع الطوائف الأصيلة لاستانبول وسلانيك من ناحية الثراء والقوة، وتحول (شارع هاورا:Havra sokak) الموجود في إزمير إلى مركز فعال لطبقة التجار والحرفيين اليهود، وكان يُعرف آنذاك بـ (السوق اليهودي:Musevi Çarşısı) حتى نفي الحرفيون وهدمت معظم المحلات نتيجة احتلال اليونانيين للمدينة أثناء حرب الاستقلال التركية التي استمرت بين عامي (1919– 1922م = 1338– 1341هـ).

ثراء دونمة سلانيك (Selanik Dönmeleri):

إن طريقة الدونمة (هم يهود يخفون يهوديتهم ويتظاهرون بالإسلام) التى ركّزت أنشطتها في سلانيك بعد موت (صابتاى سوي:Sabetay Sevi) في عام (1676م=1087هـ) أخذت نصيبها من إحياء اليهودية العثمانية، وعندما لم يترك كثير من مريديه اليهودية اعتقد بعضهم أن عودته إلى إسلامه هو رسالة سرية منحها الله بهدف صوفي، وتبعوه، وسمّوا أنفسهم بالمؤمنين (المعتقدين:inananlar)، وعاشوا حسب تفسيراته اليهودية السرية متخذين (18 أمرًا) لـ (سوي: Sevi) أساسا، وحرّموا الزواج من المسلمين الحقيقيين إلى جانب اليهود لحماية طوائفهم، ونظّموا احتفالات دينية تسمح بمقايضة الأزواج مقتنعين بالتفسير الليبرالي لتحريم الزنا، وذلك لمواجهة خيارات الزواج المحدودة، وتواجدوا في أنشطة مختلفة تسببت في اتهام بعض البشر بالانحراف الجنسي المتنوع، وكانوا يحتفلون مع مجيء الربيع في سفاح بـ (عيد الحمل:Kuzu Bayramı)، بالإضافة أنه كان يوجد أعياد لا تعرفها اليهودية الأرثوذكسية، والمتعلقة بتغيير دين (سوي: Sevi) والأحداث التي تحيط بالحياة، وكانوا مثل طائفة (Karaylar) يرفضون التوراة التقليدية التي قالت مدرسة (Torah diüBeriah) إنها (توراة الخلق: Yaradılışın Tevrat'ı) وهم يرون أنها حلت محلها (توراة الخروج: Çıkış Tevrat) الخاصة بهم والتي يعتقدون أنها أكثر روحانية ورقيا، وبشكل مختلف عن طائفة (Karaylar) كانوا يتفقون مع التوراة في بعض الأمور؛ وتسبب هذا في أن كثيرًا من الحاخامات انغمسوا في فكرة أنهم سيمكنهم الالتحاق بالطائفة مكررا، وهكذا لم يتعرضوا لرد الفعل الذي تعرضت له طائفة (Karaylar) من الشعب، ولم يكن يوجد فرق كبير في الحقيقة بينهم وبين أتباع (صابتاى سوي: Sabetay Sevi) الذين ظلوا كيهود في الحقيقة باعتقاداتهم الدينية، واعتقدوا بفكرة أن (صابتاى سوي: Sabetay Sevi) مقدس، وارتبطوا بما قاله عن (الثلاث روابط المقدسة للعقيدة) كقوة سامية للخروج.

إن الاضطرابات الداخلية التي في المرحلة المبكرة من القرن السابع عشر كانت قد تسببت في انقسامات مهمة في طائفة الدونمة، وبينما يُطلق على مؤيدي (صابتاى

سوي:Sabetay Sevi) الحقيقين اسم "الإزميريين" كان يُطلق اسـم (أتبـاع يعقـوب أو اليعقـوبيين) عـلى مـن يعتقـدون بمـزاعم (جوشـبد:Jochebed) الزوجـة الأخـيرة لـ(صابتاى سوي:Sabetay Sevi) والتـي كانـت (ابنـة حاخـام مـن سـلانيك، وأخـذت اسم "Ayşe" بعد الـدخولفى الإسـلام). وكانـت تـرى (جوشـبد:Jochebed) أن روح زوجها انبعثت في بدن أخيه (جاكوب كوريدو:Jacop Querido).وأُسست طريقة ثالثة سُـميت بــ(قاراقاشـلر: Karakaşlar) في اللغــة التركيــة، و(قونيوصــو: Konyosu) في الأسبانية اليهودية بزعم أن (باروشـياه روسـو:Baruchiah Russo) وهـو مـن المريـدين الأوائل لـ (سوي: Sevi) في بدايات القرن الثامن عشر بُعث من جديد في بدن (سوي: Sevi) نفـسه، وكانـت طريقـة (قاراقاشـلر: Karakaşlar) أكثـر تعـصبا بـين الـثلاث، وانتشرت بسرعة بـين اليهـود الأوربيـين خاصـة الـذين في النمسا وألمانيـا وبولونيـا مـع أنشطة التبشير، وهكذا اكتشف الأتراك عـدم إخـلاص كـل هـذه الجماعـات في انتقـالهم للإسلام، وأطلقوا عليهم اسـم (الدونمة)، وعلى الجانب الآخر أطلقوا عـلى حاخامـات سلانيك اسم (sekteryanlar).

عاشت طائفة الدونمة في أحياء أسسوها في سـلانيك، وتقربـوا مـن أتبـاع (صـابتاى سوي:Sabetay Sevi) الذين ظلوا يهودا، ومن البكتاشيين الذين قـادوا روحانيـا ولمـدة طويلة الإنكشاريين الذين فتحوا مصائب كبيرة على التـصوف الإسـلامي، وعـلى رأس اليهود بخاصة. وفي بدايات القرن التاسع عشر كانت تنفصل جماعة (üç dönme) التي في سلانيك، والتي أسست كل منها معبـد خـاص بهـا عـن بعضها مـن عـدة اتجاهـات، وكان اشتراكهم الوحيد هو قبر الدونمة الذي يستخدمونه. وتطور الأزميريون كثيرا في التجـارة والحرفيـة، وشـكّلوا مجموعـة المثقفـين وارسـتقراطي مجتمـع الدونمـة باسـم (Kapancılar) في اللغة التركيـة، و(Cavallero) في الأسـبانية اليهوديـة، ومـع منتـصف القرن اندمج الكثير منهم ثقافيا مع المجتمع التركي العثماني، واسـتخدموا اللغـة التركيـة كلغتهم الأم بدلًا من الأسبانية اليهودية التي احتقروها قائلين إنها لغة العامة، أما جماعة اليعقوبيين الذين تشكّلوا من دونمـة الطبقـة الـسفلى أو المتوسـطة عـلى الأغلـب فكـانوا يعيـشون بالعمـل في الـدرجات الـسفلى مـن البيروقراطيـة العثمانيـة، أمـا الجماعـة الثالثـة

والأكبر وهي (Karakaşlar) فكانت الأفقر بين جماعات الدونمة، وكانت تتكون بشكل عام من الصناع والعمال غير المؤهلين، وبشكل مختلف عن الآخرين كانوا قد ظلوا مرتبطين بالأسبانية اليهودية وبتقاليد السفرديم.

صحوة اليهود الثقافية والصحافة اليهودية:

شهد القرنان التاسع عشر والعشرون في المدة السابقة لبداية الحرب العالمية الأولى صحوة ثقافية يهودية جادة، ولم تكن هذه الصحوة في العلوم الشرعية والدينية باللغة العبرية والتي سادت في العصر الذهبي، وإنما تحققت في الأدب اليهودي الشائع المكتوب بلغة (Judezmo) والأسبانية اليهودية، وقد طُوّرت هذه اللغة في اجتماعات الطائفة واللقاءات الدورية التي نوقشت وقرئت لموسوعة الشعب (Me'amlo'ez) بشكل عام، وكانت هذه اللغة التي تكونت بامتزاج اللغة التركية مع اللغة العبرية بشكل كبير في الاستعمالات النحوية والصرفية وتشكيل الكلمة قد قبلها كل عناصر الطائفة كـ (Lingua Franca). أما اللغة الفرنسية التي كانت لغة مشتركة للمستعمرات الأجنبية والأقليات التي تعيش في السلطنة فكانت لغة مستخدمة إلى جانب لغة (Judezmo) في الصحوة الثقافية المتحدث عنها بالرغم من عدم كثافتها، وظهر هذا العصر الذهبي لأدب الأسبانية اليهودية في الطبعات المتواصلة والصحف العلمانية، وكان يوجد في الصحف- بشكل مسلسل- روايات العشق والأشعار والقصص ومقالات حول موضوعات شائعة، بالإضافة إلى نشر كتب متعلقة بموضوعات متنوعة بداية من التقليد الشعبي اليهودي والأغاني الشعبية والأعياد حتى التاريخ، وكانت تُترجم من العبرية معظم هذه الأعمال التي لم تستطع الطائفة اليهودية العثمانية قراءتها بسهولة، وواصلت مدينتا استانبول وسلانيك ريادتها في العلم والنشر في ظل زعامتها السياسة والاقتصادية، وشاركتها أيضا مدينتا أدرنة والقدس، ولكن المنشورات الأسبانية اليهودية كانت غالبا في مدينة ازمير بخاصة في ظل الثراء والليبرالية النسبية للطائفة الجديدة.

كانت نفس الوضع المشار إليه يحدث لأدب اللغة التركية الذي كان يتطور آنذاك، وكانت بعض الروايات المكتوبة تتميز بالأصالة، وانتشرت الترجمات من اللغة العبرية

أو الفرنسية، والتنويهات عن الأعمال الأصيلة، وكان معظم الكتّاب لا يهتمون بهذا الأمر بشكل محترف، وكانت أعمالهم الأساسية هى التجارة والتوظيف الحكومي والطب والنشر والطبع، وكانوا يخصصون جزءًا قليلًا جدا من أوقاتهم للكتابة، وتفرّغ عدد قليل جدا من الصحفيين للكتابة، أما الكتابة النظرية فكانت تغطي جزءًا قليلًا جدا من حياتهم العملية، وكان بعض من أعمال هؤلاء الكتّاب يُطبع ككتاب مباشرة، ولكن كان يُنشر بشكل مسلسل في المجلات والصحف عامة، أما ما يُعتقد أنه سيكون الأشهر بين الأعمال طبقا لمعدلات الطلب المتوقع فكان يُطبع كمجلد واحد. وكان جزء كبير من المكتوب يُطبع في شكل كراسات من ست عشرة صفحة تُسمى (سلسلة مقالات: Tefrika)، وكان يباع كله إلى المشتركين كل على حده، وإلى الموزعين مثل (بنيامين بن يوسف:Beyamin ben Yosef) في استانبول، و(سالمون اسرائيل:Salomon Israel) في القدس، وكانوا يبيعون هذه الكراسات إلى المكتبات المحلية أو القراء مباشرة، وكانت الروايات العاطفية ذات بنية بسيطة، ولا تُكتب بدقة لأنها نُشرت بشكل مسلسل، واتجهت للطبقات اليهودية قليلة التعليم. وركّز الكتّاب على المغامرة والميلودراما، ولم يهتموا كثيرا بخلق الشخصية ونسج الحدث، وكان أسلوب وقواعد مدينة (Kastilya) الذي جاء من أسبانيا يتحول إلى لغة ركيكة في الروايات بمزجها باللغة الفرنسية المتعلمة في مدارس التحالف الإسرائيلي العالمي، بالإضافة إلى أنه عندما أُضيفت إليها اللغات الإيطالية والتركية والعبرية كان يظهر مزيج بعيد عن الأشياء الأصيلة.

كان معظم اليهود آنذاك يعرفون اللغتين العبرية والأسبانية اليهودية فقط. أما من يعرفون اللغتين التركية العثمانية والفرنسية، والذين يستطيعون قراءة الصحف العثمانية فكانوا اليهود المتعلمين أو الأثرياء فقط؛ ولهذا السبب فإن الصحافة الشائعة التي تستخدم الأسبانية اليهودية كانت تلعب دورا مهما في تجمع الطائفة اليهودية، وفي معرفتهم ببعضهم البعض، وفي الترفيه، وفي إعطاء معلومات بشأن الأحداث المتطورة في داخل السلطنة وخارجها، وكانت الصحافة– بهذه النزعة– قد خالفت سياسات قادة الطائفة والشعب والحاخامات في السنوات التالية لتطبيق قانون تأسيس

(1864م=1281هـ) بخاصة، واستخدم عدد قليل من الناشرين- مثل (دافيد فريسجو:David Fresco) الذي كان من رائدي مرحلة نهايات القرن التاسع عشر وبدايات القرن العشرين، والذي نشر صحف ومجلات كثيرة- صحفهم لتعليم القراء ورفع مستواهم، وبينما يقدمون الترفيه من النوع الذي يريده القراء من جانب، خصصوا على الجانب الآخر جزءًا ولو صغيرًا في صحفهم للتعليم وللموضوعات الأخلاقية، وعندما تعرضت كل الصحف العثمانية لرقابة الحكومة لم يتدخل موظفو السلطان الرسميون كثيرا في الصحافة غير العثمانية بسبب عدد القراء المحدود. وكان يحدث استثناءات بناء على التماسات رؤساء الحاخامات والحاخامات المحليين. وهكذا كان يُمنح لهؤلاء الأشخاص إشراف كبير على الصحافة. ولم يستطع هذا أن يعرقل شن حملات مضادة متحمسة أحيانا ضد مؤسسات الصحافة القومية، وعلى سبيل المثال فإن (دافيد فريسجو: David Fresco) الذي انتقد بشكل حاد الإدارة الفاسدة لرئيس الحاخامات من الزاوية التمويلية كان قد حرمه رئيس الحاخامات كنسيا، ونفته الحكومة بناء على طلبه، وجعله كثير من الكتاب العثمانيين واليهود المتميزين يواصل أنشطته؛ لأن مصر التي كانت تحت الإدارة البريطانية بعد (1882م=1300هـ) أكثر تحررا في نظرتها للصحافة، وكان من بين هؤلاء (اورام جالانتي:Avram Galanti)، وكان قد انتقد الحاخام الأكبر (موشيه لوي:Moshe Levi)، والإدارة المتعسفة لحاخام إزمير (حاييم بالاججى:Hayim Palacci)، ومدارس التحالف الإسرائيلي العالمي التي ركزت على اللغتين الإنجليزية والفرنسية مستبعدةً اللغة التركية، واستمر في انتقاداته في عامي (1907-1908م = 1325- 1326هـ) في الجريدة التي أسسها ذاهبا إلى القاهرة، أما الروائي الأسباني اليهودي المهم (ايليا جارمونا: Elia Carmona) فنشر في مصر معظم أعماله بين أعوام (1902-1908م= 1320-1326هـ) ، وعاد هذان المثقفان المتحدث عنهما إلى استانبول بعد انقلاب (الجون تورك) بناء على تأسيس نظام دستوري في استانبول آنذاك، ووعد الحاخام الأكبر المعين حديثا (حاييم ناحوم: Hayim Nahum) 1909-1920م) = 1327- 1339هـ) بظروف أكثر تحررا.

طُبع ثلث الصحف اليهودية التي في السلطنة العثمانية طوال القرن التاسع عشر في

مـدن سـلانيك واسـتانبول وصـوفيا وازمـير، أمـا الجـزء القليـل الآخـر فكـان في مـصر وفلـسطين ورومانيـا، وكانـت معظـم المنـشورات الدوريـة المطبوعـة باللغـة الأسـبانية اليهودية تستخدم الأبجدية العبرانية (Rashi)، أما الطبعة الدورية ذات الأعداد القليلـة بداية بـ (El Lucero de la Paciencia) التـي كانـت كـل شـهرين، والتـي طبعهـا (إيليـا جرسبين:Elia Crespin) بـين سـنوات (1855–1890م=1272– 1308هـ) فاسـتخدمها شخصيات لاتينية بسبب انحطاط اللغة، وكان هذا قـد تـسبب في كتابـة كلـمات لغـة الـ (Rashi) التي بمعاني مختلفة بنفس الشكل تماما، كما تسبب في تشويش كبير بين القراء.

كانت أول جريدة يهودية مطبوعـة في اسـتانبول هـي (Journal Israelite) والمكتوبـة باللغة الفرنسية ونشرها (ايزكيل غاباى:Ezekiel Gabay) ، وفيما بعد بدأ طبع صـحف أخـرى، وكانـت الجريـدة العثمانيـة الأولى باللغـة الأسـبانية اليهوديـة هـي (ضـوء إسرائيل:La Luz de Israel، Or Israel، İsrail'in Işığı) والتي طبعهـا (لـون دا حـاييم كاسترو:Leon de Hayyim Kastro) ، وحصّلت هـذه الجريـدة نجاحهـا الأول بفـضل الأخبـار المفـصّلة التـي تقـدمها بـشأن حـرب القـرم، أمـا جريـدة (El) (Kaynak Manadero) التي كان مركزها (خاص كـوى) والتـي نـشرها المبـشرون الأسـكتلنديون الذين يعملون على تنصير يهود استانبول فكانـت جريـدة رسـمية وسيطة في الدعايـة ، وأصـدر (ايزكيـل غابـاى:Ezekiel Gabay) جريـدة (El Jurnal Israelit) المنـشورة أسبوعيا (وفيما بعـد مـرة واحـدة كـل ثلاثـة أسـابيع)، وكـان (ايزكيـل غابـاى: Ezekiel Gabay) موظفا في مركز عال منذ مدة طويلة في وزارة المعارف العثمانيـة وسـكرتير عـام لمجلس الأمة اليهوديـة، وكانـت تـسعى جريدتـه لنـشر الأفكـار الجديـدة التـي تعـارض بـشدة الحاخامـات المتعـصبة وعـلى رأسـهم (اقـريش:Akrish) ، أمـا جرائـد (الـدنيا الحقيقيـة:Sefath Emeth- Gerçek Dünya) و(التنـوير: El Luzero- Aydınlık) فبـدأ (موسى اليا:Moise Elie) نشرها في عام (1867م = 1284هـ) .

أدخل (موسـى دالمـديجو: Moise Dalmedico) (1848-1937م = 1265 – 1356هـ) الذي عمل موظفا بالريف العثماني، وصهر (ايزكيـل غابـاى :Ezekiel Gabay) جريـدة (El Nacional) (1871م = 1288 هـ) إلى دنيا النشر بشكل ناجح، أما (دافيـد فريـسجو:

(David Fresco) المدافع بشدة عن التحديث فحوّل اسم جريدة (El Jurnal Israelit) التي بدأت الصدور في عام (1871م= 1288هـ) إلى اسم (El Telegraf)، وكان (اساج غاباى: Isaac Gabay) بن (ايزكيل غاباى: Ezekiel Gabay) قد واصل تحرير الجريدة حتى مات في عام (1920م = 1339هـ) ، وكان قد بدأ (بهور مولهو: Behor Molho) نشر جريدة (التقدم: El progreso- İlerleme) في استانبول اعتبارا من عام 1871، وعلى الجانب الآخر كانت جريدة (El Tiempo) (1871-1930م = 1288- 1349 هـ) التي أعددها (اسحاق خاييم جارمونا: İshak Hayim Carmona) للنشر في البداية، وحررها فيها بعد (Mercado Fresco، Sami Alkabez، Moise·Dalmadico) وأخيرا (دافيد فريسجو: David Fresco) جريدة جادة متميزة للطائفة اليهودية الموجودة في العاصمة، وانتهت حياة النشر بابتعاد ابن (دافيد فريسجو: David Fresco). ونُشرت جريدة (La Patria) في عام (1908–1909م = 1326– 1327هـ) تحت تحرير (فيكتور لوي: Victor Levi) و(دافيد النيجاوه: David Elnecave). أما جريدة (الصوت: La boz- Ses) المنشورة أسبوعيا فقد أعدها ونشرها (فيكتور لوي: Victor Levi) بين عامي (1908– 1910م = 1326– 1328هـ)، وغيّر (فيكتور لوي : Victor Levi) اسم الجريدة إلى (El Correo) في عام (1911م = 1329هـ)، أما محرر جريدة (El Relampago) التي بدأ نشرها اعتبارا من عام (1909 = 1327هـ)، والصادرة مرة واحدة كل أسبوعين فكان (اليا كوهن: Elia Kohen) ، وتخطت جريدة (El Tiempo) فقط عدد النسخ المطبوعة لهذه الجريدة بين كل الجرائد اليهودية، وكانت نصيرا قويا لـ (حاييم ناحوم: Hayim Nahum) في كفاحه ليكون حاخاما أكبر، ولكن عارضته بمجرد تطبيقه لأساليب متعسفة عندما جاء للوظيفة، وتتولد أهمية هذه الجريدة من تجميعها للتقاليد الشعبية باللغة الأسبانية اليهودية، وكذلك للحكايات المروية باستخدام لغة شائعة، كما كان يُستخدم في الجريدة كلمات أسبانية مهجورة وتعبيرات جديدة شائعة، وكانت تُضاف وتُنشر كلمات تركية وعبرية ويونانية وفرنسية إلى الذاكرة المعجمية للثقافة الشائعة، أما الجريدة اليهودية الوحيدة المنشورة بالعبرية فكانت جريدة (Ha Mevasir) التي أدارها (ناحوم سوقولوف: Nahum Sokolof) بين عامي

(1909– 1911م=1327– 1329هـ) .

أما الجرائد الفرنسية التي تقدم أخبارًا متعلقة بالطائفة اليهودية العثمانية فكانت هكذا: جريدة (L'Aurore) الأسبوعية التي نشرها في استانبول (Lucien Sciuto) (1858-1947)م = 1275– 1367 هـ)- المولود بسلانيك- بعد تنفيذ الدستور في عام (1908م=1326هـ)، والتي واصل نشرها في القاهرة حتى عام (1922م=1344هـ)، جريدة (Le Jeune Turc) التي نشرها (Sami Hochberg) بين عامي (1908م – 1918م = 1326هـ - 1337هـ) وجريدة (Journal d'Orient) التي بدأ نشرها في عام (1917= 1336هـ) واستمرت حتى عام (1971م=1391هـ) بجهود (Albert Carasso) (1885-1982)م = 1303 – 1403 هـ) عالم السياسة السلانيكي المتعلم في سويسرا، و(1889-1955) (Albert Benaroya م=1307–1375هـ)، و(Lea Zolotarevsky) وآخرين، وأخيرا جريدة (La Nasion) الأسبوعية التي نشرها (Jak Loria) من شهر أكتوبر 1919 حتى 17 سبتمبر 1922م = 1344 هـ .

أما الجرائد المطبوعة باللغة التركية العثمانية في استانبول، ولكن بشخصيات عبرية فكانت جريدتي (الشرق: Şarkiye-Doğu) الصادرة في عام (1867م= 1284هـ)، وجريدة (الزمان: Zaman) الصادرة في عام (1872م=1289هـ) ، وكانت هاتان الجريدتان تُطبعا كجرائد مجهولة المصدر، أما مجلة الترجمة (Tercüme Dergisi (Ceride-i Tercüme'yi) فبدأ نشرها (جوزيف نيجو:Jozef Niego) في عام (1876م = 1293 هـ).

بدأ (اورام ابراهيم ناون: 1878-1947) (Avram İbrahim Naon م = 1295– 1367هـ) الشاعر والكاتب، و(اورام ليون: Avram Leyon) نشر مجلة اللغة (Dil (Dergisi) (Ceride-i Lisan'ı) باللغتين الأسبانية اليهودية والتركية في عام (1899م= 1317هـ)، وأخذوا دعمًا كبيرًا من (اورام جالنتي:Avram Galanti) ومؤيديه بأهدافهم التي وضحوها بـ (تحويل اللغة التركية إلى لغة حية بين اليهود)، وحازت هذه المنشورات نجاحًا محدودًا جدًا بالرغم من كل الجهود.

إن جري دة (الأمل: La Esperanza- Umut) – التي سُميت فيما بعد (الأمل

الجديد:La Buena Esperanza- İyi Ümit)، والتي نشرها أسبوعيا في أزمير (رافائيل ارون:Rafael Aaron) في البداية، وفيما بعد (Aaron de Joseph Hazan) وهو يهودي مولود بأزمير ذو جنسية إيطالية، ويعمل بتدريس اللغة التركية في مدارس التحالف الإسرائيلي العالمي- كانت قد واصلت وجودها حتى احتلال إيطاليا لـ (Tripoli)، واضطرار (Aaron de Joseph Hazan) للابتعاد، وكان لا يُقطع تواصل المنشورات الدورية، والذي أعده (R. Pincherle) للنشر اعتبارًا من (1846م = 1263هـ) كانت تقدمه أيضا النشرات المالية التي تعطي أخبار اقتصادية ودينية، وكان يمكن نشر مجلة (باب الشرق:Sha'are ha Mizrah- Doğu'nun Kapısı) لبضعة شهور فقط. وبدأ (Rafael Kori ،David Ben Azra ،Bahor Aleksander Benghiotti) نشر جريدة (الحقيقة:La Verdad- Hakikat) في عام (1884م=1302هـ)، واستمرت لمدة طويلة. وكانت جريدة (1889-1922) (La Novelliste م= 1307– 1344هـ) جريدة باللغتين الفرنسية والأسبانية اليهودية نشرها (Yaakov Algrente)، وكانت في البداية أسبوعية ثم أصبحت يومية. ونشر (موسى فرسجو:Moise Fresco) جريدة (الأستاذ: El Ustad- Usta) (1888-1891م= 1306– 1309هـ) باللغة التركية، ولكن شخصيات الكتابة كانت عبرية، وكانت جريدة (El Commercial) اسم لهذه الجريدة التي نشرها (Hizkia Franco) وابن عمه (Cad Franco) في عام (1906م=1324هـ)، وبعد مدة قصيرة تحولت إلى الجريدة اليهودية الأكثر جدية في السلطنة العثمانية بعد جريدة (El Tiempo) الموجودة في استانبول، وانتشرت الأفكار التحديثية بين المجموعة المثقفة الريفية. وفي عام (1908م= 1326 هـ) حلت جريدة (صوت الشعب: La Boz del Pueblo- Halkın Sesi) المنشورة كل أسبوعين محل جريدة (El Commercial)، واشتركت أولا في طبع جرائد أسبانية يهودية في استانبول وسلانيك، والآن فإن (جوزيف رومانو:Joseph Romano) الذي نشر هذه الجريدة كان يوجه اليهود المؤيدين للتحديث لمعارضة حزب (بالاجي:Palacci)، والحكم الديكتاتوري للحاخام الأكبر (حاييم ناحوم:Hayim Nahum). ونُفي إلى (Bodrum) بسبب هذا التصرف، وكانت جريدة (الذوق:1897-1908) (El Meseret- Keyif م=1315– 1326هـ) جريدة

نشرها (Aleksander Benghiott) في أزمير، وكانت المقالات التي كتبها (Aleksander Benghiott) باللغتين الأسبانية اليهودية والتركية تعرض نزعة قومية عثمانية قوية، وكان (Aleksander Benghiott) يسعى لتعليم اللغة التركية للطائفة اليهودية، وتعليم الحياة والتقاليد اليهودية للأتراك، ولكن استطاعت جريدته توصيل رسالته إلى الجمهور اليهودي فقط بداية بنشرها باللغة الأسبانية اليهودية فقط بعد عام (1891م = 1309هـ) ، أما الجريدة الأخرى التي بدأ نشرها اعتبارًا من عام (1908م=1326هـ) فكانت جريدة (El Pregonero) الأسبوعية تحت إدارة (Rabeno Kuriel)، واعتقل محررو وكتّابو جريدة (صوت ازمير:-1910) (La Boz de İzmir – İzmir'in Sesi) 1922م = 1328– 1344هـ) التي نشرها (Behor Hana- Jak Ben Senior) أثناء احتلال اليونانيين لأزمير في عام (1919م– 1338هـ) بسبب مساندتهم القوية للحكم العثماني، وكانت (El Guion) مؤسسة نشر لطلاب التحالف الإسرائيلي العالمي، أما جريدة (Bayram) فقد نشرها (Yomtov Abuaf) بشكل أسبوعي اعتبارا من عام (1910م = 1328هـ). وكانت جريدة (Les Annales) جريدة نشرها (Graziella Benguiat) كل أسبوع طوال ستة شهور في عام (1914م = 1333هـ)، أما جريدة (Shalom) فنشرها (Joseph Romano) في عام (1919–1920م= 1338– 1339هـ) أثناء احتلال اليونان لأزمير، وعندما أغلقها اليونانيون استلمت أعمالها جريدة (Haverenu) التى نشرها بالعبرية وبشكل أسبوعي (Mois David) في أعوام (1921–1922م = 1340– 1341هـ).

كانت مجلة (El Lunar) مجلة شهرية نشرها بين أعوام (1864م ،1867م = 1281–1284هـ) (جودا نحما : Juda Nehama) الزعيم الديني والمؤرخ، وهى الطبعة الدورية الأولى الصادرة باللغة الأسبانية اليهودية في سلانيك، أما الحكومة القروية العثمانية فنشرت مجلة (Selanik) بلغات أربع وهى التركية والأسبانية اليهودية واليونانية والبلغارية بتحرير (جاكوب ازيل:Jacob Uziel) من عام (1869م =1286هـ) حتى عام (1874م=1291هـ)، وكانت جريدة (la Epoca) الصادرة في عام (1874م=1291هـ) هى الجريدة اليومية الأولى بالمعنى الحقيقي، والمنشورة باللغة

الأسبانية اليهودية، وانتهت حياة النشر لهذه الجريدة التي أصدرها (Sa'adi ha-levi) بوحي من الزعماء العاملين والاجتماعيين اليهود في المدينة بتخريب جيوش اليونان المعتدية على الأحياء اليهودية محتلةً سلانيك في عام (1912م=1331هـ) لمبنى الجريدة ومطابعها، ونشرت مؤسسة النشر الرسمية للاتحاد الصهيوني اليوناني جريدة (الأمل: La Esperanza- Umut) الأسبوعية الصهيونية في سلانيك بين أعوام (1916م، 1920م = 1335هـ، 1339هـ)، أما (أبراهام رجانتي:Abraham Recanti) الذي هاجر إلى إسرائيل فيما بعد فأصدر جريدة (Le'eman Yisrael- pro Israel) بين أعوام (1917م=1336هـ) و (1929م=1348هـ)، وكانت الجرائد اليهودية المهمة الأخرى المنشورة في سلانيك هكذا: جريدة (المستقبل: El Avenir- Gelecek) التي نشرها (Moise Aaron Mallah) أسبوعيا بين أعوام (1897م=1315هـ) و(1918= 1337هـ)، وجريدة (المستقبل الجديد:El Nuevo Avenir- Yeni Gelecek) التي نشرها (David Isaac Florentin) كل أسبوعين من عام (1900م=1318هـ) حتى عام (1918م=1337هـ)، وجريدة (الليبرالي:El Liberal- Liberal) التي نشرها (Albert Matareasso) بين أعوام 1913 و1918، وجريدة (صوت الشعب:La Boz del Pueblo- Halkın Sesi) التي نشرها (David Isaac Florentin) كل أسبوعين بين أعوام (1914م=1333هـ) و(1920م=1339هـ)، وجريدة (الأمة:La Nation- Millet) التي نشرها (Yehuda Asseo) و(Cercle de Intimes)، وجريدة (الدورة الحرة: La Tribuna Libera- Serbest Kürsü) التي نشرها (Nouveau Club)، وجريدة (Avante) المنشورة مرة كل أسبوعين والمعروفة بـ (La Solidaridad Ovradera). وقد بدأت هذه الجريدة الأخيرة تُنشر بشكل يومي بين عامي (1912م=1331هـ) و(1914م=1333هـ) تحت رئاسة تحرير (Alberto Arditi)، وفيما بعد واصلت النشر حتى عام (1935م = 1354هـ) كأهم مؤسسة للشيوعيين الذين في اليونان تحت رئاسة تحرير (Jak Ventura) الذي عمل نائبًا شيوعيًا في المجلس اليوناني، أما الجرائد الأخرى المنشورة في سلانيك باستثناء هؤلاء فهي جريدة (El Pueblo) التي نشرها (M. Ben Sandji)، وجريدة (El Imparsial) التي نشرها (Menahem Molho- Albert Matarasso)، وجريدة (الحقيقة: La

Abraham) التـي نـشرها (Verdad- Hakikat) (1917- 1923م=1336– 1342هــ) (Yahiel Levi)، وجريـدة (الحريـة: La Libertad- Özgürlük) (1918-1925م=1337– 1344هــ) التـي نـشرها (Elie Semtov Arditi)، وأخـيرا كانـت جريـدة (الـصحوة اليهوديـة:Siyonist La Renecenvia- Yahudi Dirilişi) المنشورة في عـام (1918م = 1337 هـ).

أمـا الجريـدة اليهوديـة الأولى المنشورة في أدرنـة فكانـت جريـدة (Yesef ha-Da'at) المذكورة بـ (التقـدم: El Progresso- İlerici)، والـصادرة كـل شـهرين، والتـي نـشرها الحاخام المعلم المولـود هنـا (Abraham Danon) اعتبـارًا مـن عـام (1888م = 1306هــ) باللغتين الأسبانية اليهودية والعبرية، وكانت تُطبع هنا وثائق ومقالات حـول اليهوديـة العثمانية سواء بالأسبانية اليهوديـة أو العبريـة، وبينما كانـت مجلـة (صـوت الحقيقـة: La Boz del Verdad- Hakikatin Sesi) التـي نـشرها (Joseph Barishak) كـل أسـبوعين في أعوام (1910–1911م=1328–1329هـ) (وفيما بعد بشكل يومي) مجلة أدبية تـتضمن الـسياسة كانـت مجلـة (L'Echo d'Adrinopolis) الأسـبوعية التـي نـشرها (Nissim Bahar) في سنوات (1921–1922م=1340–1341هـ) تقدم أخبـارًا سياسـية واقتـصادية واجتماعيـة، وكانـت جريـدة (الرابطـة:Karmi Shelli – Bağım) هـى الجريـدة الأولى المترجمة إلى الأسبانية اليهودية والمنشورة بالعبرية في أدرنة.

استمر نـشر جريـدة (صـديق الـشعب:El Amigo del Puevlo- Halkın Dostu) باللغـة الأسـبانية اليهوديـة في مدينـة (صـوفيا) مـن عـام (1890م = 1308هــ) إلى عـام (1899م = 1307هــ)، ونـشر (Baruh ben Issaac Mitrani) جريـدة (Ha Keramim) بالأسـبانية اليهوديـة والعبريـة بـشكل شـهري في عـام (1890م = 1308هــ)، ونـشر (Yeoshua Kalev) جريدة (La Boz de Israel) باللغتين البلغارية والأسبانية اليهودية اعتبارًا من عام (1896م=1314هـ)، أما في عام (1897م=1315هـ) فبدأ نشر جريدة (La Progreso) وطبعهـا مـرتين في الأسـبوع. ونـشر (Avram Tajir) جريـدة (الحقيقـة: La Verdaad- Hakikat) بين أعوام (1898م=1306هـ) و(1910م=1328هــ)، أمـا جريـدة (El Judio) الأسبوعية المنشورة في استانبول، والتي قام بتحريرهـا (David Elnecave)

وهو من الزعماء الصهيونيين المتقدمين لأوروبا الجنوبية الشرقية فواصلت النشر حتى هاجر (David Elnecave) إلى الأرجنتين في عام (1931م=1350هـ)، وطُبعت جريدة (Ha Mishpat) الصادرة في عام (1906م=1324هـ) تحت رئاسة تحرير (Aaron Amar) بشكل متقطع، أما جريدة (Laluz) فبدأت تُنشر أسبوعيا اعتبارًا من عام (1917م=1336هـ)، وأصدر (Marco Romano) و(Yuakov Kalev) جريدة (El Dia) بين أعوام (1897م = 1315هـ) و (1901م = 1319هـ)، وجريدة (Shofar) حتى أغلقت الشرطة البلغارية مكاتبها وحطمت مطابعها في عام (1905م = 1323هـ).

عندما تأتي إلى القدس، كانت هي أول مكان طُبعت فيه جريدة يهودية في خارج المركز في السلطنة، وكانت هذه الجريدة هي (Ha Lebanon) المطبوعة بالعبرية في عام (1864م=1281هـ)، وكان (Ezra Benveniste) محرر جريدة (Havazelet) الصادرة مرة واحدة في شهرين قد بدأ طبع جريدته- التي طبعها بالعبرية أولا- وباللغة الأسبانية اليهودية بعد عام (1870م=1287هـ)، وكانت جريدة (Shaare Tzion) المنشورة أسبوعيا من عام (1870م=1287هـ) حتى (1884م=1302هـ) هي أول جريدة مطبوعة في فلسطين، وكانت جريدة (Ha Or) أو بتعبير آخر (Ha Tzion) طليعة الصحافة الإسرائيلية المعاصرة قد نُشرت بشكل أسبوعي من عام (1884م=1302هـ) حتى (1915م=1334هـ)، أما (Eliezer Ben Yehuda) عالم اللغة العبراني المشهور فنشر جريدة (Mevaseret Tzion) لفترة قصيرة اعتباراً من عام (1884م=1302هـ)، ونشر (Baruh Mitrani) جريدة (El Prospero) الأسبوعية باللغتين العبرية والأسبانية، أما جريدة (La Guerta de Flores) فكانت الجريدة التي نشرها (Joseph ben Rahamin) و(Nathan Meyohas) اعتبارًا من عام (1894م=1312هـ)، وكان (Bension Taragon) و(Salomon Israel Cheresli) قد نشرا المجلة الأدبية الشهرية (La Guerta de Yerushalaim) اعتباراً من عام (1902م=1320هـ)، أما جريدة (El Tresoro de Yerushalaim) (1902-1903م=1320- 1321هـ) والتي تتشابه مع هذه الجريدة في المضمون فنُشرت تحت رئاسة تحرير (Moise A. Azrail)، ويدأ نشر مجلة أدبية باسم (الحزمة:Ha-'Omer- Demet) في عام (1907م=1325هـ)، وجريدة (العامل الشاب:

(Hapo'el Hazair- Genç İşçi) عضو النشر لحركة العالم الاشتراكي اليهودي، ومع وضع الدستور العثماني في حيز التنفيذ عام (1908م=1326هـ) بدأ نشر جريدة (El Liberal) وهي جريدة أدبية وسياسية تصدر كل أسبوعين، وكان المحرر الأول لهذه الجريدة التي في رئاستها (Moise A. Azrail) هو (-1885) (Abraham Elmaleh) 1967م= 1303– 1387هـ) الصحفي الذي تعلم في مدارس التحالف الإسرائيلي العالمي، وعمل سكرتيرا للحاخام الأكبر (حاييم ناحوم:Hayim Nahum)، وفيما بعد نفّذ (Hayim Benatar) هذه الوظيفة، وأصدر (Salomon Israel Cheresli) في عام (1909م=1327هـ) جريدة (El Paradiso) ذات المضمون الأدبي والسياسي، وبدأ نشر جريدة (الوحدة:Ha'akhdut – Birlik) الجريدة العبرية الاجتماعية الثانية الصادرة في القدس تحت تحرير (David Ben Gurion- Yitzhak Ben Zvi) وآخرين، وأدار (Moise A. Azrail) المطابع اليهودية الرائدة، ونشر الروايات التي تبرز الحياة اليهودية من كل الجوانب، أما(Salomon Israel Cheresli) الذي كتب هو نفسه، فنشر وترجم كتبًا من نوع آخر، وكثيرًا من الروايات التي تناقش القضايا الدينية والاجتماعية.

عند نهاية القرن التاسع عشر كان يوجد خمس مطابع تنشر باللغة العبرية في مصر، ونشر (Isak Carmona) باللغة الأسبانية اليهودية جريدة (المصريين: – El Mizrayim Mısırlılar) المنشورة أسبوعيا بداية من عام (1904م=1322هـ). ونشر (Avram Galanti) جريدة (La Vara) الصادرة مرة واحدة كل أسبوعين. ونشرت مطبعة (Carmona y Zara) الكثير من الروايات العاطفية بجانب الكثير من الجرائد، وبدأ (Isaac Sesana) نشر جريدة (La Tribuna) اعتبارامن (1906م=1324هـ)،.وخرجت للسوق جريدة (La luz) التي نشرها (Moise Benguit) بشكل أسبوعي اعتبارًا من عام (1907م = 1325هـ)، ونُشرت في عام (1907م=1325هـ) المجلة الشهرية (Die Zeit)، وفي عام 1908م المجلة الأسبوعية الفرنسية (L'Aurore)، وكلتا المجلتين كانتا تعكسان آراء الجواسيس الصهيونيين اللذين يعملون في القاهرة والإسكندرية آنذاك.

كانت تُنشر– بخلاف الجرائد– مجلات المسرح والسخرية والأدب باللغة الأسبانية اليهودية في المدن التي تعيش فيها الطوائف اليهودية بشكل مكثف، وعندما سننظر إلى

استانبول أولا نستطيع أن نعدد تلك المجلات: مجلة (El Instructor) مجلة الجغرافيا والتاريخ والأدب الأسبوعية، ومجلة (الشمس: La Sol- Güneş) مجلة الأدب والعلم الصادرة كل شهرين، وكلتاهما نشرهما (دافيد فريسجو:David Fresco) اعتبارًا من عام (1888م=1306هـ)، ومجلة (El Radio de Luz – Işık Huzmesi) التي تناولت موضوعات أدبية وعلمية، وأصدرها (Victor Levi) بشكل أسبوعي بادئًا في عام (1886م=1304هـ)، مجلة (صديق العائلة: El Amigo de La Familla- Aile Dostu) المهتمة بالتاريخ والجغرافية تحت تحرير (David Fresco- Moise Dalmedico) في عام (1886م=1304هـ)، ومجلة (La Edicion de Jueves del Telegrafo- Telegrafo Perşembe Baskısı) مجلة التاريخ والعلم والأدب التي نشرها (Isaac Gabay) من عام (1984م=1302هـ)، ومجلة (اليهود:El Judio- Yahudiler) الصهيونية المنشورة باللغتين العبرية والأسبانية اليهودية أسبوعيا في استانبول أولًا ثم في (Varna)، والتي حررها (David Elnecave)، ومجلة (البلياتشو:31-1908) (El Djugeton- Palyaço) مجلة الفلكلور والسخرية الأسبوعي الي أنشأها ونشرها (Elia Carmona)، وكانت الحكومة قد حجبت هذه المجلة لفترة بناء على طلب الحاخام (حاييم ناحوم: Hayim Nahum)، ومجلة (Djuha e Djuhayico) المستوحاة من طرائف (نصر الدين خوجه) التي نشرتها (Joural Israelite)، وجريدة (El Burlon) الأسبوعية التي أصدرها (Hayim Mitrani- Nissim Behar) في عام (1908م=1326هـ)، وأخيرًا مجلة (Hamenora) التي نشرها (Bhai Brith) كل ثلاثة شهور، وأصدرها باللغتين العبرية والأسبانية اليهودية، ونشر مقالات عديدة حول اليهودية العثمانية.

أما في سلانيك فنشر (Societe Cadima) (مجلة الشعب: La Ravista Popular- Halkın Dergisi) شهريًا، وأصدرت مؤسسة (Mizrahi) مجلة (Haschahar) اليومية باللغتين العبرية والأسبانية اليهودية في عامي (1921–1922م=1340–1341هـ)، أما مجلات السخرية التي صدرت أسبوعيًا في سلانيك فكانت هكذا: مجلة (El Kirbatch- Kırbaç) (1910-14) التي حررها (Moise Levi)، ومجلة (1916-22) (El Culevro) التي نشرها (Isaac Matarasso)،ومجلة (1918-20) (El Punchon) الصادرة تحت

تحرير (Isaac David Florentin)،ومجلة (20-1917) (El Chamar) التي حررها (Leon Boton)، ومجلـة (20-1918) (El Burlon) التـي حررهـا (Isaac David Besis)،ومجلـة (20-1918) (La Vara) التي حررهـا(Isaac David Florentin)،ومجلـة (Charlo) (1919-24)) التي نشرها (Alexandro Peres)،ومجلـة (-1918) (El Nuevo Kirbatchi) 23) التي حررها (Joseph Carasso)،ومجلة (25-1920) (La Trompeta) التي حررهـا (Hayim Samuel Alvo).

لم تكن مجالات نشاط اليهود في هذه السنوات محدودة بالأعمال المكتوبة. وكانت مدينتا أزمير وأدرنة تظهران بشكل مختلف من ناحية الموسيقى، وكانت المجموعات الموسيقية والأوبرالية، والموسيقيون الأوربيون الإيطاليون والفرنسيون يقدمون عروضا لشهور في المسارح المحلية التي يستثمرها اليهود إلى جانب المسلمين والأرمن، أما الشيء المهم في الحقيقة فكان جعل الأغاني اليهودية تصل لأفضل شكل في المقامات التركية التقليدية بوحي ومساعدة الدراويش المسلمين الرواد المتأثرين باليهود الذين عملوا معهم، وكانت جوقة (Maftirim) التي كونتها طائفة السفرديم بأدرنة هى الجماعة التي حملت الموسيقى الكلاسيكية التركية إلى نقطة الذروة بين الشعب اليهودي العثماني، وكانوا كل يوم سبت يغنون أغاني السفرديم الدينية التي كتبها الشعراء اليهود العثمانيون، وأغاني الـ (Najara) في بدايات القرن السابع عشر في (المعبد البرتغالي:Portekiz Sinagog) قبل طقس السبت، وكانوا ينطلقون فيها بعد للذهاب إلى الطقوس الدينية للجماعة التي ارتبطوا بها، وفي تلك الأثناء كوّنت الطوائف اليهودية الأخرى التي في السلطنة جوقات موسيقية تتشابه مع هذه التي أوجدتها (جمعية المطربين:Hevrat Ha- Paytanim- Şarkıcılar Derneği)، وكانت الطائفة اليهودية بأزمير قد أنشأت أوركسترا وفرقة موسيقية تكون معظم موسيقييها من طلاب مدرسة التحالف الإسرائيلي العالمي الذين يفهمون الموسيقى الغربية، وكانت هذه الفرقة الموسيقية تجمع المال لأعمال الخير والتعليم من أجل الطائفة وذلك بإنشاد الموسيقى في الاحتفالات، وحاول كل الموسيقيين نظم أغانيهم اليهودية؛ وفقا للمقامات التركية الكلاسيكية كما حدث تماما في العصر الذهبي لليهودية العثمانية، وكان قد ظهر من

مناخ هكذا (Haham Isaac Algazi) موسيقي طائفة السفرد الكبير المشهور بين الأتراك اليهود والمسلمين في العشر سنوات الأولى من الجمهورية التركية.

وكنتيجة للتطورات التي في هذا المجالات، وبعد قرن كامل من اجتياز اليهود الأوربيين للتجارب المشابهة أثناء الثورة الفرنسية وبعدها، وحتى اليهود العثمانيين الأكثر تقليدية بدأ التقدم نحو عصر جديد بالتخلص من الخمول الفكري لقرنين سابقين، وانسلخت الطائفة اليهودية من جمود الماضي تحت قيادة الحاخامات المثقفة ومجالس الطائفة المدنية، ولحقت المدارس اليهودية التقليدية بجانب المدارس العلمانية أمثالها في الطوائف الأجنبية والطوائف الأخرى، وهكذا دخلت اليهودية العثمانية مرحلة تنويرية متقدمة في بداية القرن العشرين بإزالة سلبياتها.

تأثير القومية المسيحية على يهود الإمبراطورية العثمانية:

على الرغم من التطور الكبير الذى تم فى عهد التنظيمات، فإن مدة الانهيار الذى كان مستمرًا منذ فى قرن فى الدولة العثمانية، قد خلق مؤثرات سلبية كثيرة على اليهودية العثمانية، هذه الفترة الزمنية كانت الفترة القومية للمواطنين المسيحيين للسلطان.

فإن العصيان اليونانى الذى كان فى القرن الـ 19 المعتمد على "ميجالى إديا" أى "حلم وأمل الكل" والذى كان من أهدافه ضم جزء كبيرمن استانبول والأناضول إلى الملكية اليونانية، كانت هذه الدعوة تأتى فى مقدمة هذه الحركات القومية، فى الحقيقة إن نجاح الحركة القومية اليونانية قد تحقق بتدخل القوات الكبيرة أكثر من مجهوداتهم أنفسهم.

هذا النجاح كان سببًا لقيام الرعايا الآخرين بتمردات هائلة، والذين كانوا يعيشون تحت ضغط المعارضين للدين اليونانى الذى كان مسيطرًا على الشعب الأرثوذوكسى أكثر من العثمانيين لفترة طويلة فى جنوب شرق أوروبا، جاء فى البداية طلب الاستقلال الدينى، هذا الاستقلال تم الإعتراف به لأول مرة فى الأسقفية الأرثوذكسية البلغارية عام (1870 م=1287هـ)، وفى الكنيسة الصربية عام (1879م=1297هـ) ثم فى الكنيسة الرومانية عام (1885م=1303هـ) وجاء بعد ذلك رغبة الحرية السياسية ثم فترة تحقيق هذه الرغبة، وقد ساعدت سياسات إصلاح التنظيمات التى كانت تحدد سلطات زعماء

الأمة التقليدين بشكل غير مقصود فى الثورة الشعبية.

كان زعماء الأمة يؤيدون استقرار السطنة العثمانية من أجل فرض السلطة المطلقة على رعاياهم، وفى هذا الوقت كان عليهم مواجهة المحدثين والزعماء الوطنيين الجدد، وقد ساعدهم الحظ فى استغلال المدنيين من أجل زيادة ولاء مؤيديهم لهم فى الأمور التى فُرِضَت من قِبل العثمانيين.

إن هؤلاء الزعماء الجدد كانوا يطلبون المساعدة فى تظاهرهم ضد الإمبراطورية العثمانية من الدبلوماسيين والقنصليات وأيضًا من التكتلات الأوروبية الكبيرة، وكان يساعدهم فى جهودهم هذه المبشرين الذين كانوا يكرهون الإسلام واليهودية، وهكذا كانوا يعملون على تقوية الأسس العرقية والدينية تجاه الحرية.

إن الوطنية المسيحية التى كانت تعتمد على الهوية العرقية مثل ما كانت تعتمد على الأسس الدينية قد ألمت بالمسلمين واليهود بشكل كبير، وإعادة إحياء تعصب العصور الوسطى مرة أخرى خلال وقت قصير، وظهرت معاداة الإسلام للسامية ويضاف إلى هذه المجازر والأعمال الوحشية الكبيرة التى نظمتها جيوش دول الاستعمار التى ظهرت، كان التابعون المسيحيون الموجودون داخل حدود الإمبراطورية لهم دور فى هذا الهجوم، وكان أكبر سبب لهذا أن المسلمين واليهود الخائفين من قدرهم الموجودين فى الدول الجديدة التى ظهرت فى جنوب شرق أوروبا كانوا يساندون وحدة الأراضى العثمانية، إن المشهد الذى ظهر كان مُضرًا بشكل خطير.

الهجوم الموجه ليهود الدولة العثمانية أثناء العصيان والثورات القومية:

قد نجح جيش الاستعمار الروسى والنمساوى بجانب القوميين الذين يقومون بالعصيان على إنشاء دول مسيحية فى مواجهة اليهود والمسلمين خلال القرن التاسع عشر، وبالرغم من أن السلطة العظيمة قامت بعكس المواد الموجودة، فى معاهدة برلين وباريس، ضد المسلمين واليهود خلال القرن التاسع عشر، ثم إحياء الاتهامات مرة أخرى عند بدء تراجع يهود الدولة العثمانية، وكلما حصل شعب جنوب شرق أوروبا على استقلالها فقد تعرضت الأقليات المسلمة واليهودية إلى الظلم والمذابح، أما من ظلوا على قيد الحياة فقد تم نفيهم إلى ما بعد الحدود التى بقيت على أطراف

الإمبراطورية العثمانية عند تقهقرها، هذا الحدث يعتبر شيئًا لم يُر منذ استبعاد اليهود من فلسطين قبل قرون.

فى القرن السادس عشر وقد استكملت رومانيا المتحدة هذا فى السنوات التالية فى القرن التاسع عشر، فى عام (1579م=987هـ) قام بيتر حاكم (مولدافيا) بمعاقبة اليهود بسبب تنافسهم مع التجار المسيحيين، وعندما أمر الأمير مايكل بقتل جميع الأتراك اليهود الموجودين فى بنكارست عندما واجه الإمبراطورية العثمانية فى الإمارة الرومانية و(الاشيا) عام (1593م=1002هـ).

وقد هاجر عدد كبير من اليهود إلى رومانيا فى أواخر القرن السادس عشر بعد مجازر الـ(شيمنليك) التى كانت فى بولندا وأوكرانيا، إلا أن هذه الهجرة قد تسببت فى زيادة معاداة اليهود الموجودين أصلًا فى رومانيا، وبتشجيع (الكوزاك) الذين كانوا يقتلون اليهود والمسلمين بالهجوم على الإمارة من حين لآخر.

وقد أعلنت الكنائس الأرثوذكسية الرومية فى رومانيا هرطقة اليهود، ولم يسمحوا بشهادتهم فى المحاكم ومنعوا وجود أى علاقات معهم.

عندما فرض العثمانيون السيطرة مرة أخرى، وأعادوا كل الإمارات تحت مظلة استانبول، قاموا بمنح اليهود امتيازات خاصة مثل الإعفاء من الضرائب، وخصصوا لهم أماكن من أجل المعابد والمقابر، إلا أن هذا قد تسبب فى الغضب الشديد للعديد من الرومان، وعاد اليهود يؤيدون العثمانيون بسبب حمايتهم لهم.

إن الجرائم التى ترتكب فى الاحتفالات والمنشورات التى كانت ضد السامية قد تسببت فى احتجاجات ضد اليهود فى بوخارست عام (1801م=1216هـ)، وبعد أن احتلت القوات الروسية للإمارات فى (1806– 1812م=1221– 1227هـ)، قد تعرض اليهود للظلم والضغوط الشديدة مرة أخرى، وعندما حرقت مجموعات الاستقلال الروسية معابدهم وهدموا بيوتهم هاجر يهود روسيا إلى سواحل نهر (الدانوب).

عاد معظم اللاجئين بعد انفصال الروس عن الإمارات، ولكنهم تم استقبالهم فى أعوام (1811=1226هـ) و(1828م=1244هـ) من قبل عساكر جيوش الروس والرومانيين بوحشية مشابهة.

استمرت هذه المذبحة حتى القرن التاسع عشر عندما تمرد اليونانيون على الإدارة العثمانية، كثير من مؤيدى اليونانيين الذين جاءوا من روسيا ومن الإمارات الأوروبية، فهم نهبوا مساكن اليهود، وذبحوا كثيرًا من الجماعات اليهودية الموجودة فى طريقهم، وهم متجهون إلى اليونان من مولدافيا و والاشيا، وقد تعرض اليهود إلى ظلم الروس فعلياً أثناء الاحتلال الروسى للإمارات بين (1835–1856 م)، لم تسمحلهم القوانين بحق الجنسية ومُنِعوا من الاستطيان وتأجير الأراضى داخل المدن وإنشاء المصانع؛ إن السبب الوحيد لهذا كان الإيمان بفكر معاملة اليهود السيئة للرومان منذ العصورالقديمة وهم فى الحكم العثمانى، ولم يكن الموقف مختلفًا كثيرًا فى دول المجر التى فتحها النمساويين بعد عام (1683م= 1095هـ)، وتم ذبح الكثير من اليهود بعد استيلاء النمسا على، (بودا) عام (1688م=1100هـ) لتضامنهم مع الأتراك ودفاعهم عن المدينة، قتل جنود النمسا اليهود والأتراك وحرقوا وسرقوا كل متعلقاتهم ثم نهبوا أحياء اليهود وحرقوا التوراة، نجح القليل من اليهود فى الهروب ولكن أُسِر كثير منهم، وأما الآخرون تم بيعهم فى ڤيينا أو تم إعادتهم إلى جماعات اليهود فى مقابل فدية.

دعى الإمبراطور "تشارلز الثالث" بعودة الأحياء منهم ولكن "ماريا تيريزا" (1717–1780م=1130–1195هـ) نفتهم مرة أخرى فى عام (1746م=1159هـ)، على أى حال تم إلغاء القرار عقب احتجاج الحكومة العثمانية .

بالرغم من اعتراض الشعب المسلم المحلى فى البوسنة فبعد حصار واستيلاء الأمير النمساوى "يوجين" أمير (ساڤوى) على (سرايیڤو) تم تحويل المناطق السكنية اليهودية والمعابد إلى خرابة من قِبل الاحتلال، بالرغم من أن المدينة انتقلت إلى الحكم العثمانى بعد ذلك إلا أن حضور المستوطنين من الصرب وبلغاريا وإيطاليا قد غير هيكل المدينة كليًا، وهكذا قد تعرض اليهود الموجودون إلى الظلم بنفس الشكل. وتم بيع كثير من اليهود كعبيد، وتم تسليمهم مقابل فدية للجماعات اليهودية الموجودة فى المناطق المتبقية من الإمبراطورية العثمانية.

فإن الموت المفاجىء لـ"عثمان باسفان أوغلو" العاصى لـ"ڤيدين" بعد قرن تقريبًا أدى إلى اتهام طبيبه اليهودى بقتله من قِبل مؤيدى "عثمان"، وبعد ذلك قام هؤلاء

الأشخاص بنهب أحياء اليهود وقتلوا كل الذين يعيشون هناك أو الذين نجحوا فى النجاة وذهبوا إلى روسيا عبر نهر (الدانوب)، أما سبب هذا فكان لأنه تم فى الكثير من الأطباء اليهود الذين يعالجون الشعب البوذي والشست منذ القرون الوسطى.

عندما احتل الفينيسيون جزيرة (شيوس) فى عام (1694م=1106هـ) قُتِل جزء كبير من اليهود وطُرِد الجزء الآخر، واستولى اليونانيون المقيمون فى الجزيرة على أموالهم ومتعلقاتهم؛ ولهذا فى الوقت نفسه اضطر اليهود العائدون إلى التسول من الفقر، ولن يستطيعوا التنافس بأى شكل من الأشكال فى التجارة والبيع. إن اليهود الذين يعيشون فى الإمارات اليونانية والرومانية تعذبوا كثيرًا؛ لدعمهم الحكومة العثمانية، وعندما بدأت مظاهرات الحركة القومية اليونانية فى أفلق وبوغدان، قُتِل مئات من اليهود والمسلمين من قِبل اليونان والأفليل وقتل من مورة نحو 20000 مسلمًا و 5000 يهوديًا عندما كانت الاحتجاجات اليونانية فى الذروة، ففى طرابلس فقط تم قتل 1200 يهوديًا وعدد غير معلوم من الأتراك.

قص "جون هارتلى" المجزرة هكذا:

" امتزجت دماء الأتراك واليهود فى بعضهم البعض وفى شوارع المدينة التى تم الاستيلاء عليها، وكما هو فى كل مرحلة من التمرد اليونانى، فإن أولاد إسحاق وأولاد إسماعيل يتشاركان نفس المصير. تم إخراج جثثهم إلى خارج المدينة، ودفنوا بطريقة لا تختلف عن طريقة دفن الحيوانات. إن العصابات اليونانية المتمردة قضت على جماعات اليهود الذين يعيشون فى جزر (سباترا)، (باتراس)، (كورونثيوس)، (ميسترا) و(أرجوس).

أما اليهود الذين نجحوا فى البقاء على قيد الحياة فقد هاجروا إلى جزيرة (كورفوا) التى جاء إليها اليهود من إيطاليا وجزيرة (إيبريا) منذ القرن السابع، وعاشوا فى رفاهية وسلام تحت الحكم الفينيقى، إلا أن الجماعات الإيطالية واليونانية هناك كانت فى حالة تنافس مع بعضهم البعض، ودون أن يمضى وقت طويل أصبحت جزيرة (كورفوا) ضحية التمرد اليونانى، هذا الحادث الذى تسبب فى تعرض اليهود إلى الهجوم والمجازر الوحشية فى نفس الوقت جعل التابعين للجماعات يتعاونون لأول مرة لحماية أنفسهم

طوال السنوات التى استمر فيها التمرد اليونانى، كان الوطنيون اليونانيون يمرون عبر البر من بلدة إلى بلدة، ومن جزيرة إلى جزيرة، ويقتلون كل المسلمين واليهود الذين كانوا يستطيعون إيجادهم.

كثير مِمَنْ ماتوا كانو أشخاصًا يحاولون الهجرة إلى الأماكن الآمنة المتبقية من الإمبراطورية العثمانية، طبقًا للمصادر اليومية، كان اليونانيون لايدفنون جثث المسلمين واليهود الذين يقتلونهم بل يتركونهم كطعام للنسور، واليهود الذين نجحوا فى البقاء على قيد الحياة من هذه المجازر كانوا يأخذون مراكب صغيرة إلى مدينة أزمير، وجعلوا هذا المكان من أهم محاور حياة العثمانيين فى القرن التاسع عشر. إن اليهود والأتراك أظهروا نجاحًا فى إنقاذ شعبهم من المجازر الجماعية فى المقاومة ضد مجازر اليونان وبالأخص فى (سلانيك) و(بانيا) فقط بشمال اليونان، وفى الفترة الأخيرة للقرن التاسع عشر بالأخص أثناء حرب اليونان والترك عام (1897م=1315هـ) عانى اليهود الموجودين فى (أثينا)، (شالكيس)، (لاراسيا)، (كورافوا) و(كريت) من مجازر وظلم وحشى، ومن تبقى حيًّا اضطر للهجرة إلى الحدود العثمانية وعلى رأسهم سكان (أزمير) و(سلانيك).

إن الإحتجاجات القومية الصربية ضد العثمانيين قد أثرت سلبًا على الجماعات اليهودية الموجودة بينهم، وفى عام (1804م=1219هـ) و(1807م=1222هـ) قام الصرب الذين ثاروا ضد "جانيشرى جاريسون" أمير (بلجراد) بترحيل جميع اليهود والأتراك الموجودين هناك، فهاجر كثير منهم إلى أطراف المدن المحيطة بصربيا، وعاد بعضهم عندما نجحت صربيا فى الحصول على استقلالها، ولكنْ الأمير "ألكسندر" فرض عليهم قيودًا كثيرة مثل: عدم امتلاكهم لأملاك خاصة بهم، وعدم ممارستهم لأى أعمال، وتم تحجيم أماكن استطيانهم؛ وذلك نتيجة لاتهامهم بالتنافس الغير شريف مع نظرائهم من الصرب، واجتمعوا جميعهم فى (بلجراد) فى ميدان أسفل القلعة العثمانية، وكانت هذه المنطقة يتم مراقبتها باستمرار من قِبَل الجيش.

كانت الصحافة الصربية المستقلة ضد السامية، وكانوا يتهمون اليهود بسرقة اموال القرويين وإفساد أخلاقهم بالخمور، وعلاوة على ذلك كانوا يعتقدون بأنهم جواسيس

عثمانيـون لـدهمهم الـدائم للإمبراطوريـة العثمانيـة. وبـدأت معـاداة الـسامية تنتـشر فى البوسنة خاصة عندما تولى "روزهدى باشا" الحكم، والذى كـان يـنظم المعارضـة ضـد الإصلاحات التى كان يخطط لها السلطان "محمود الثانى" فى استانبول.

أما وضع اليهود فى "دلماشيا" فلم يكـن مختلفًـا كثيرًا، فإن الظلـم الـذى تعـرض لـه اليهود فى رومانيا قد أخذ وضعًا أسوءَ بكثير فى السنوات التالية من القرن التاسـع عـشر فى هذه الدولة التى كان أغلب سكانها من الأرثوذكس كان يوجـد بهـا 134,168 يهوديًـا فى عام (1871م=1288هـ)، وفى فترة الحصول على الحرية فقد تعرض المسلمون واليهود معًا إلى الظلم وقُتِلوا وتم ترحيلهم، ولم يسمح لليهود بامتلاك أملاك ولا بالاستيطان، ولكن من وقت لآخر استطاع اليهود الالتفـاف عـلى هـذه القـوانين عـن طريـق الرشـوة وتدخل أطراف ثالثة، ولم يستطع اليهود العثور على عمل؛ لـذا فقـد كـانوا يتنقلـون مـن مكان لآخر، حتى استقروا فى التجمعات القذرة المسماة بالـ"جيتـو" فى المـدن الكـبرى، وفى هذه الـ"جيتـو" فقـد اعتـبروا بالقـاذورات التـى تمثـل تهديـدًا لـصحة الـشعب، وفى المظاهرات التى نُظِمت ضد السامية فى عام (1866م=1283هـ) من قِبَل الشرطة فقد تـم تحويل المعابد اليهودية الموجودة فى "بكـراش" إلى خرابـة، وتـم سرقـة المنـاطق اليهوديـة من قِبَل عصابات محلية.

إن الدستور الرومـانى الجديـد مـنح حـق الاسـتيطان للمـسيحيين فقـط فطُـرد آلاف اليهود من القرى التى كانوا يعيشون فيها، وتم ترحيل اليهود غير شرعيـين مـن البلـد. وبعد الظلم الذى بدأ عقب نهاية حرب عقب نهاية (حرب كريميا Crimean war) عام (1865م=1282هـ) جاء إلى رومانيـا عـدد كبـير مـن اليهـود اللاجئـين الـذين هربـوا مـن روسيا وبالأخص من المناطق الجنوبية و(كريميا).

قامت الشرطة عام (1867م=1284هـ) بالقبض عـلى اليهـود الموجـودين فى الـشوارع وأخذتهم إلى السجون بالسلاسل، وجاء هذا اعتراضًـا موجهًا إلى هذه الهجـرة اليهوديـة الحديثة، وإن المحاكم الشعبية التى شكلت نفسها بنفسها بدأت البحث عن اليهـود مـن بيت إلى بيت، ورفعوا قضايا على كـل مـن وجـدوه، وتـم تـرحيلهم، إن الـصحافة التـى كانت ضد اليهودية، والتـى كانـت تُـدار بأغلبيـة مـن المدرسين الرومـانيين العـاطلين-

اتهمـت اليهـود بالـسرقة مما أثار الجماعات الأرثوذوكسية ضد اليهـود، أما الأمير "كارول" وحكومته اعترضوا على هذا، وبهدوء صرحوا أنه لم يحدث هذا النوع من الاعتداء.

وبعد استيلاء الروس على (بلغاريا) بين أعوام (1876– 1878م=1293– 1296هـ) بهدف دعم الحركة القومية البلغارية، تم رسميًا معاداة اليهود الذين يدعمون الأتراك، وتعرضوا إلى ضغوط شديدة، وسرق الكوزاك والبلغار محلات المسلمين الموجودة فى (صوفيا) و(ڤيدين) لمدة أربعة أيام متوالية، واغتصبوا كل من وجودوهم غير مسيحيين، وقتلوهم ودقوا أجسادهم؛ لتأكلها الكلاب كما فعلها المتمردون اليونانيون منذ نصف قرن.

إن العصابات البلغارية التى تدعمها عساكر الاحتلال الروسية كانت تهاجم الجماعات اليهودية، وقتلت كثيرًا من اليهود الذين كانوا يعيشون فى (كزنليك)، (وسڤيشتوف)، (ستارا زاجورا)، (ڤيدين) و(نيكوبوليس)، وهددت المدافع الروسية معبد (ڤيدين) الذى أُنشئ حديثًا، وقضوا تمامًا على جماعة (نيوبولى) اليهودية التى هى واحدة من أقدم الجماعات فى بلغاريا، تأثر كل اليهود الموجودين فى جميع أطراف البلد من الهجوم والسرقات والجرائم، واتبع آلاف من اليهود البلغار المسلمين الذين يهربون إلى الأراضى العثمانية التى كانت تصغر يومًا بعد يوم، ولجأ معظمهم إلى (إسطنبول) و(أدرنة)، وهناك لم يحصلوا على المساعدات من الحكومة العثمانية واليهود المحليين فقط، ولكن أيضًا من الصندوق الخاص الذى أسسه البارون "موريس دى هيرش" فى إنجلترا، وفى نفس الفترة تعرض عدد كبير من اليهود الذين يعيشون فى صربيا إلى ضغوط مكثفة، ولكن طبقًا لاتفاقية السلام بين الدولة العثمانية وصربيا التى تم توقيعها فى 27 فبراير عام 1827م=1243هـ، سُمِح لهم اللجوء إلى الأراضى العثمانية، وأيضًا مرة ثانية بعد الحرب لجأ الكثير من اليهود الروس ويهود آخرين جاءوا من دول البلقان إلى الأراضى العثمانية.

عقب الضغوط المختلفة التى كانت تزداد يومًا بعد يوم أعدت جمعية الـ"AIU" ذكرى تعرض يهود الرومان والصرب إلى الاضطهاد، هذه الذكرى التى يتحدث عنها

اليهود العثمانيون بفخر، قد قدمت إلى ممثلى القوات الكبيرة الذين التقوا فى إستنبول عام (1876م=1295هـ).

إن اتفاقية "آياستفانوس=Ayastefanos" التى تم توقيعها فى مارس سنة (1878م=1296هـ) عقب انتصار الجيش الروسى على جيش الدولة العثمانية وضعت يهود البلقان فى نفس وضع إخوانهم اليهود فى پاله الروسية، هذه الاتفاقية التى لم تعترف بالمساواة بين اليهود، جعلتهم محرومين من حق التمثيل البرلمانى فى برلمانات الدول التى تشكلت حديثًا إلى جانب حِرمانهم من حرية العقيدة، رغم هذا، فإن مؤتمر برلين الذى انعقد سنة (1878م=1296هـ) وتحقق بعد مدة، جعل الباب مفتوحًا لمناقشة قضايا يهود كل من بلغاريا والصِّرْب ورومانيا كنتيجة للضغوط التى مارسها كل من "السير موسس مونتفوره Sir Moses Montefiore" و "البارون موريس دى هرش Bâron Maurice de Hirsh" جنبًا إلى جنب مع ضغوط يهود أوروبا والـ (AIU)؛ فبسبب هذه الضغوط التى مارستها تلك المنظمات على حكوماتها، تمكن أعضاء هذه القُوى الكبيرة من الجلوس على طاولة المفاوضات بناء على طلب حقوق المساواة بين سكان جنوب شرق أوروبا، بصرف النظر عن الفوارق الدينية، وقد حظيت تلك الجهود بتأييد كبير من الحكومة العثمانية ومن جماعات يهود استانبول، كما باشرت الحكومة فى ألمانيا ضغوطًا ملموسة على إنجلترا بهذا الصدد، ولحماية منافعها الخاصة، وأصدر المؤتمر قرارًا بمسئوليته عن تشكيل لجنة بهذا الخصوص، بالإضافة إلى ذلك، فقد أُعِدَّ استفتاءان يطلبان ضمانات للمساواة بين المواطنين من مختلف الأديان استنادًا إلى اتفاقية السلام، وعلى ما كان يتداول عن سوء الأوضاع التى يعيشها يهود البلقان.. وبينما كانت المداولات مستمرة فى برلين، فإن رومانيا أعلنت أنه إذا ما نُشِر بيان رسمى، فإنها سوف تعترض، وأنها ستطلب من الأعضاء اليهود الانسحاب من المؤتمر؛ وكنتيجة لذلك صدر فى نهاية المؤتمر من برلين القرار التالى:

"إذا لم يُمنح حق المساواة بين المنتسبين إلى كل الأديان، فإنه لن يتم الاعتراف باستقلال رومانيا والصرب وبلغاريا، ولسوف تُضاف مادة إلى متن الاتفاقية بهذا الصدد. وقد سارعت الدولة العثمانية بوضع شرط مماثل لكل من اليونان والجبل

الأسود، وكان سبب ذلك هو الضغط السياسى الخارجى، ولكن اليهود قد استمروا فى مديح الدولة العثمانية لما تقوم به من جهود متتالية لعودة اللاجئين اليهود إلى أراضيهم بعد برامج التهجير التى حدثت فى روسيا وبلاد البلقان. إن اتفاقية برلين التى تم توقيعها فى يوليو (1878م=1296هـ) تُعتبر تأييدًا لاتفاقية آياستفانوس التى وَضَعت شرطًا فيما يخص حصول كل من رومانيا والصرب وبلغاريا على استقلالهم، وعلى أن تتولى كل الدول التى حَصَلت على الاستقلال حديثًا إدارة أمورها بنفسها، وأن تتحقق المساواة بين المسلمين واليهود، وأن ينالوا جميعًا حق الحماية، وأن تُفتح أمامهم أبواب الوظائف، وأن يُعطى حق المساواة بين كل الأقليات، وكان الاعتراض الوحيد على ذلك قد جاء من المندوب الروسى "غُورْتَشاقوف" الذى ادعى أن يهود البلقان يعيشون وضعًا خطيرًا وسط السكان المحليين"

إن الشروط التى تم وضعها وإضافتها إلى معاهدة برلين والمتعلقة بحماية المسلمين واليهود فى جنوب شرق أوروبا؛ جعلت هيستريا معاداة الإسلام ومعاداة السامية تزداد انتشارًا وترديدًا فى كل الدول المشاركة فى المعاهدة، وتم إعادة استخدام تكتيكات حديثة ومهاترات من أجل مُقاطعة أصحاب المهن من اليهود، ومهاجمة الأحياء اليهودية، وأصحاب المتاجر والتجار، ومقاطعة الحِرَفيين الآخرين، وتواءم مع هذه الأحداث وطبقتها شتى الملل المسيحية فى كل أنحاء البلاد العثمانية طبقًا لمصالحها ومنافعها، ولما كان البُلْغار والرومان واليونانيون على قناعة بأن اليهود يؤيدون الأتراك؛ فقد قام سكان هذه البلاد بشكل ظالم بطرد ونفى كل من اليهود والأتراك الذين كانو يقطنونها، واستولوا على منازلهم ومتاجرهم وكل ممتلكاتهم، وفر الباقون الذين ظلوا على قيد الحياة وتشردوا فى أدرنة واستانبول، وحتى بعد ذلك، وبعد أن صدر التصريح بالمساواة رسميًا لليهود؛ فقد ظل ذلك مجرد كلام، وظل اليهود يعيشون تحت ضغوط منظمة حتى بدايات السنوات التى تشمل القرن العشرين.

وطوال السنوات التى أعقبت معاهدة برلين، فعل اليهود أفضل ما كان فى إمكاناتهم فى بلاد البلقان، ولكنهم أيضًا لم يظلوا بدون مشاكل؛ مما دفع بالأمير الجديد "ألكسندر ألباطَنْبِرْجِى= Aleksander Battenbergili" أن يحاول تحقيق شروط الاتفاقية بقوله:

(... إننى أُحب كل مواطنىً دون النظر إلى معتقداتهم، ولسوف يُطبق القانون بنفس الشكل على الجميع بدون أى تفرقة ..) ذلك عندما وجه خطابه إلى "جبرائيل الموسنونو" الحاخام الأعظم لبلغاريا عام (1881م=1299هـ) ، ونتيجة لذلك، فقد عاد إلى بلغاريا الكثير من اليهود الذين هاجروا إلى استانبول، وكان عدد نفوس اليهود فى صوفيا عام (1881م=1299هـ) 4,274 شخصًا، ووصل هذا العدد فى سنة (1888م=1306هـ) إلى 5,102 وفى سنة (1903م=1321هـ) كان هذا العدد قد تزايد ووصل إلى 6,872 شخصًا، وارتفع هذا الرقم إلى 12,862 فى سنة (1910م=1328هـ)، وبدأ اليهود يلعبون دورًا نشطًا فى الحياة العامة البلغارية، وَوَلجوا إلى الإدارة والحياة البرلمانية، ولكن اليهود الذين حصلوا على حرياتهم، عندما بدأوا يشتغلون ويهتمون بميراثهم وتراثهم اليهودى الأسبانى بخاصة، وبالثقافة الفرنسية فى مدارسهم، كان ذلك سببًا فى تزايد أعداد البلغار الغاضبين، واكتسب العداء للسامية انتشارًا متسارعًا فى السنوات المتوالية، وأصدرت المواد السرية والإخطارات والإنذارات والقوانين المضادة لليهود، وقُطعت الطرق، وأُغلقت الأبواب أمام اليهود فى الوظائف الحكومية والبنك المركزى والأكاديمية العسكرية البلغارية، واحتلت هجمات معاداة السامية مكانًا منتظمًا فى الصحافة، وظل اليهود عُرضة لهجوم العصابات من وقت لآخر، ولكن ظل اليهود يتمتعون بالحماية القانونية حتى الحرب العالمية الأولى، ومنذ عام (1885م=1303هـ) انتزع الرومان شئون اليهود من أياديهم، وأُبعد اليهود عن مدارس الرومان فى عام (1893م=13011هـ) وتم استبعاد وطرد الصحفيين اليهود والسياسيين جميعهم تقريبًا، وبسرعة خارج الحدود، وكان مِن بين هؤلاء مَنْ انضموا إلى حرب استقلال رومانيا، وحُرِّم على اليهود العمل كمحامين أو معلمين أو صيادلة أو موظفين فى الجيش، أو العمل بالسمسرة، كما تم منعهم من التجارة فى الدخان والملح و الكحوليات أو المواد التى تحتكرها الدولة، بالإضافة إلى ما سبق فإن هذا الوضع أدى إلى تناقص عدد اليهود الذى كان 262,348 شخصًا فيما بين (1899–1905م=1317–1323هـ)، وتدنى إلى أن بلغ 41,754 شخصًا بسبب هجرتهم (*) .

لايمكن القول بأن الشروط والظروف كانت أحسن حظًا بالنسبة ليهود أى مكان

فى جنوب شرق أوروبا، أو فى جزر شرق البحر الأبيض، أو بحر إيجه التى كانت تحت سيطرة اليونان، فإن اليهود الذين كانو فى (كورفو= Korfu) قد ظلوا معرضين للظلم الوحشى على يد اليونانيين المحليين؛ بسبب إدانتهم بأنهم أعادوا بعث و إحياء جرائم المراسم القديمة "**"، وأكثر الذين ظلوا على قيد الحياة قد لجأوا إلى الأراضى العثمانية بواسطة معسكرات الاشتراكات التى بدأها فى استانبول (بنك كاموندوا= Camondo Bankas). وبعد البرامج التى تم تنفيذها فى روسيا وصل الآلاف من اليهود إلى الأراضى العثمانية فيما بين (1881 و 1884م) وفيما بين (1892 إلى 1903م)، وعدا سنوات قليلة توقفت فيها البرامج الروسية إلّا أنها عادت بكثافة مشهودة فيما بين سنوات (1881–1921م=1299–1340هـ) أما عام (1899م=1317هـ) فإن أفراد العائلات اليهودية الذين كانوا فى بلغار المستقلة وفى (ڤيدين) هربوا ووصلوا إلى استانبول هروبًا من المظالم التى سادت فى هذه المناطق .

وخلال حروب البلقان فيما بين (1912–1913م=1331–1332هـ) وبعد أن تم ضبط واسترداد (سلانيك) و(چورلو) و(أدرنه) التى كانت داخل نطاق الأراضى العثمانية وكذا (تراكيا) و(مقدونيا) من قبل اليونان وبلغاريا، فإن المعابد اليهودية والمنازل والمتاجر قد تعرضت لهجمات منظمة من قبل البلغار واليونانيين "***"، وترتب على ذلك بداية هجرات جديدة إلى استانبول وضواحيها، وبسبب وضع جيوش الاحتلال؛ فقد خرج من (سلانيك) تقريران واضحان بهذا الصدد، يشرحان ما يجرى هنالك:

"إن الصحافيين الأوروبيين الذين لا يفكرون إلّا فى مصالحهم الذاتية، والذين حاولوا بما يكتبون طمس الحقيقة فى البداية اتضح كذب ما يدعونه، وأصبح من الصعب محو المصاعب التى ترتبت على دخول اليونانيون إلى (سلانيك). إن هذا ليس بالشئ الذى يمكن نسيانه بسهولة؛ حيث أن الخوف والدهشة التى سادت لمدة أسبوع لا يمكن أن تُمحى من الذاكرة. إن الهيلينيين المعاصرين (شعب اليونان) قد اتقدت ثورة غضبهم وحقدهم؛ فارتكبوا من الفضائح ما لايمكن مقارنته بما يدعونه، فالعصابات كم كانت مشحونة بالحقد، إلى جانب أن الحكومة كانت من الضعف؛ بحيث لم تستطع أن تفعل شيئًا.. إن عجز الإدارة اليونانية وما أشاعته جرائم

العسكريين من خوف وهلع قد أولج الناس فى وضع مهين وسيء، وقام القناصل بوضع أرواح المسلمين تحت الحماية، ولكن تم قتل ستين منهم فى ليلة واحدة.(*)

لم يكن الذين ينهبون، أو يقتلون، أو يحرقون ويخربون، هم الأشقياء والعصابات وحدهم، بل كان كذلك جنود الجيش ورؤساء الشرطة وكبار الموظفين المدنيين، كل هؤلاء قد شاركوا بشكل فاعل فى الأحداث التى وقعت فى (سَرَز= Serez) وتم حرق ما بين أربعة إلى ستة آلاف منزل، وتم إمحاء 1200 دكانًا بالقنابل سريعة التفجير وبالأسلحة، وفقد السكان اليهود ما كانوا يملكونه، وأصبحوا مشردين بالشكل الذى لم يجدوا معه شيئًا يرتدونه، الكل كان همه الابتعاد عن هنا(**) ".

أما التقرير الذى كتبه (صول كوهين= Soul Cohen) إلى رابطة (آليانس= Alliance) فى باريس، فقد أوضح هجمات البلغار على اليهود فى (تشورلو= Çorlu) كما يلى (***):

"إن الجندى البلغارى كان يأخذ كل ما تشتهيه نفسه بالسعر الذى يريده هو، بدعوى أنه لا يفهم اللغة التى يتحدثها البائع، وكان إما أن يدفع نصف سعر البضاعة التى يأخذها أو أنه لا يدفع أى شيء على الإطلاق..، وكان الأفضل للبائع ألا يُخرج صوتًا على الإطلاق، وإلا فإنه سيتلقى لطمة أو أنه يتعرض للاغتصاب..، وبعد أن يتم نهب وسلب البيوت التركية، فإن المسئولين العسكريين البلغار فى كل القصبات (المراكز) يقومون بتجديد الدكاكين والمخازن التى تخص المسلمين ويفرغونها كما يشاؤون، وبعد أن يأخذوا كل ما يريدون، ويحصلوا على كل ما يحتاجون بمساعدة السكان اليونان هنا..، فقد نهبوا أيضًا أموال اليهود الذين شكلوا أى تقارب مع المسلمين. لقد هاجموا الدكاكين والمتاجر المغلقة بكل طمع، مرددين لماذا لم تُفتح الدكاكين؟.. وإذا لم يكن ليظهر صاحب الدكان، فكان معنى ذلك أنه متعاون ويعمل سويًا مع العدو التركى... إن تراكيا الجميلة هى الآن أخصب وأطيب مناطق تركيا هى الآن تحت اغتصاب العدو، ولكن بعد سنوات طويلة، فلسوف تتمكن من احتضان رفاهها القديم.

أمـا(إسـحاق كاتاريـڤاس= İsaac Catarivas) زعـيم جماعـة يهـود (سيليـڤرى= Silivri). فقد كتب فى التاسع من حزيزان/ يونيه (1912م=1331هـ) إلى رئيس رابطة جماعة آليانس البارسبة فى حق مقاطعة اليونانيون لمتاجر اليهود موضحًا ما يلى(*):

"... منذ ثلاثة أشهر والجماعـة الأرثـوذكس تقاطعنـا؛ لأننـا أعطينـا أصـواتنا لحـزب (الجون تورك= Jon Turk). نحن لا نهتم بالسياسة، ولكن على ما يبـدو إن موقفنـا مـن الانتخابـات البرلمانيـة، قـد أزعـج اليونـانيون الـذين أعلنوا الحـرب ضـدنا... إن أهلنـا (شعبنا) يعملون كلهم كباعة جائلين فقط فى القـرى التـى يعـيش فيهـا اليونـانيون لكـى يؤمنوا معيشتهـم. هذا الإضراب، يأخذ من بين أيادينا كـل شـئ يمكننـا مـن الاسـتمرار فى الوجود، إننا نعانى الأمرين من الجوانب المادية والمعنويـة، فحتـى لـيس مـن حقنـا أن نمرض، فكل الأطبـاء والـصيادلة يونـانيون، وهـم يخلقـون لنـا العديـد مـن المـصاعب، يزيدون من معاناتنا وفقرنا. إنهم يتقاضون منا ضعفى قيمة الكشف والروشتة الأصلية وأحيانًـا ثلاثـة أضـعاف القيمـة، وعـلى الـرغم مـن التـدخلات الدبلوماسـية للحاخـام الأعظم، وبالرغم من إرسال خطاب (بطريرك الإيكومانيك) فإن سوء تعامـل اليونـان معنا والنفور منا مازال مستمرًا.

كما أن الحاخام الأعظم "حـاييم بـاخوم" أيـضًا قـد أرسـل إلى رابطـة آليـانس تقريـرًا مفصلًا لهجمات اليونان ضـد اليهـود فى منـاطق البلقـان التـى يحتلهـا الحلفـاء و ذلـك فى الرابع عشر من مارس (1913م=1332هـ).

وكنتيجة لهذه الهجمات والقتل العام والتهجير من البلـدان المستقلة فى جنـوب شرق أوروبا، فإن السلطنة العثمانية قد قبلت واستقبلت آلاف اللاجئين اليهود الذين انضموا إلى المسلمين الفارين من المظالم. إن اليهود قد تدفقوا عـلى الـسلطنة العثمانيـة، وانـضموا إلى الجماعات اليهودية المهرة، والـذين مـا زالـت رؤوس أمـوالهم فى أيـاديهم، وأضـافوا أموالهم إلى أموال الجماعات اليهوديـة المتجـزرة هنـا، وشـاركوا بـشكل فاعـل ومـؤثر فى تحديث الزراعة والتصنيع العثمانى.

الظلم الموجه إلى اليهود من المسيحين فى السلطنة العثمانية:

إن عـودة الحيـاة لليهوديـة العثمانيـة فى النـصف الثـانى مـن القـرن التاسـع عـشر قـد

أصبحت سببًا فى ردود الفعل المضادة من رُقبائهم فى المجتمع العثمانى. إن اليهود قد تُركوا فى الجهل والفقر وأُخرجوا من الحياة المالية والاقتصاد لفترة ما، أما المسيحيون العثمانيون؛ بسبب التأييد الذى نالوه من القوى الأوروبية الكبيرة فقد كانوا يعيشون حياة مستقرة ومُؤَمَّنة، ولكن مع الوقت، ظهرت من جديد قوى المنافسة اليهودية، وانطلقت من الأرضية التى كانت بها، وحاول المسيحيون توجيه غضب المسلمين الذين تغلى صدورهم من جراء الهجمات التى تعرضوا لها فى أواسط آسيا، وما يشعرون به تجاه روسيا، وشمال أفريقيا، وجنوب شرق أوروبا ضد اليهود (**). ومعاداة السامية الحاقدة والمدعمة بالعداء للإسلام الممتد إلى أزمنة سحيقة، بعد أن استشرت فى بلدان السلطنة العثمانية، بدأت تتناثر على أوروبا مرة أخرى بواسطة موظفو كنائس مسيحى الشرق الأوسط . كان مسئولوا هذه الكنائس، يتصرفون هكذا باسم نيل دعم أوروبا من أجل هذه القضايا، وكانوا يُعِدون الأرضية اللازمة من أجل تراكم الحقد الذى وصل إلى نقطة الذروة بـ (الهولوكوست= Holokost) الذى سوف يُنفذ بعد زمن يقترب من القرن.

خلال الحرب اليونانية العثمانية التى بدأت فى سنة (1897م=1315هـ) بسبب جزيرة (كريت = Girit) والتى كانت تنشب من حين لآخر، وبسبب حركات العصيان التى كانت تندلع فى مقدونيا، فقد ساءت العلاقات بين اليونانيين واليهود الذين كانوا يؤيدون الأتراك دائمًا ضد الذين ظلموهم جنبًا إلى جنب مع توتر العلاقات بين اليونانيين والمسلمين بشكل عام (*)، كما أن هناك أوقات قد أقنع المسيحيون فى الولايات العربية المسلمين بالانضمام إلى الهجمات المنظمة ضد اليهود، ولكن بسبب المقارنة بين الفوارق الدينية والاقتصادية، فإنهم كانوا يظلون فى الظل وبلا أهمية، وقد كانت الحكومة العثمانية تحمى اليهود متدخلة إذا استوجب الأمر ذلك.

وخلاف اليونانيين، فقد كان السوريون المسيحيون والعرب المسيحيون والأرمن ينفرون من اليهود، وكانت أسباب هذا النفور العميق والمتجذر تكمن فى العوامل الدينية الكامنة فى أعماق القلوب، كما أن الغيرة أيضًا تلك تفتح الطريق أمام المنافسة اليهودية كانت تُشكل سببًا آخرًا، وفى الأحيان التى كانت تقترب فيها الـ "باصقاليه"

كانت توضع موانع "باريقات" أمام دكاكين اليهود وبخاصة تلك التى فى استانبول وسلانيك وإزمير، ولعدم وجود أحد حولها لحمايتها؛ كانوا يسيرون فى الأزقة والشوارع بمنتهى الحرص؛ حتى لا يتعرضون لهجمات العصابات الأرمنية واليونانية.

إن (هـ . هـ . جاسوب = H . H . Jessup) المبشر البرسبتريان الأمريكى الذى قضى ما يقرب من ثلاث وخمسين سنة فى الشرق الأوسط، والذى كان له كنيسة فى بيروت (*) قال ما يلى عن اليهود:

" ...هم مجموعات إيمانية، ولكن ينفر منهم بشكل كبير بخاصة اليونانيون واللاتينيون، وإذا كان هناك شخص سيُلعَن فى الشرق إذا ما قيل عنه حمار، فإن ذلك يُعد شيئًا حسنًا لمن يراه، والقول بأنه كلب أكثر غلظة إلى حد ما، إذا ما قيل عنه خنزير فهذا تحقير، ولكن الشئ المخجل للإنسان هو إذا ما نودى عليه بقول: يا يهودى. إن ما يشعر به الفرد، وما يشعرون به الطرق المسيحية تجاه اليهود من نفورهم شئ شائع جدًا، وفى مستوى لا يمكن للعقل أن يستوعبه، وهناك قناعة بأن اليهود يقتلون أطفال المسيحيين فى (عيد عدم الخمير) ويشربون دماء هؤلاء الأطفال مع الخبز المسوَّى بدون خميرة كل عام، وفى كل مكان، وفى زمن الربيع سنويًا، يتعرض اليهود لهذه الاتهامات التى لا معنى لها، وكان يهود بيروت والشام تحت تهديد الادعاء بأنهم يقتلون أطفال المسيحين وتهديد العصابات بنهبهم وسلبهم يدفعون سنويًا مبالغ مالية بمستوى مرتفع إلى "العصابات الخارجة عن القانون". هؤلاء الناس، كانوا ينظرون إليهم- أى إلى اليهود- على أنهم أولاد جهنم، ولو كان الأمر بيدهم، لشعروا بسعادة غامرة من إرسالهم إلى هناك."(*)

كان أول (بروجرام Progrom) موجه لليهود فى السلطنة العثمانية قد تحقق فى تاريخ مبكر جدًا؛ حيث أدين اثنان من الإنكشارية المنحدرين من أصول مسيحية فى سنة (1663م=1074هـ) لاتهامهم يهود استانبول بقتل طفل مسيحى، بينما فى واقع الأمر والحقيقة أن والد الطفل هو الذى قتله، أما جسده فقد تركه الأب فى حى اليهود، ففى ليلة بدأو "عيد بدون خميرة"، وهكذا سيكون الجرم على اليهود، وبناءًا على الشكاوى، ففى الصباح التالى، تدفق المسيحيون بشكل طوفان من حى (فنار Fener) المجاور إلى

حى (بلاط = Balat) ، وقاموا بنهب المركز التجارى لبلاط، مهاجين اليهود المتجهين إلى معابدهم، وفيما بعد.. قام الصدر الأعظم الذى عَرف الحقائق من المخبرين السريين الذين هم فى حى اليونانيين، وأبلغ السلطان بحقيقة الأمر، فتم الحكم على الإنكشاريين سالفى الذكر، ولكن خلال هذه الأثناء قامت العصابات اليونانية بقتل ما يقرب من عشرين يهوديًا، وقاموا بسلب حتويات الكثير من الدكاكين فى (بلاط)، وفى سنة (1774م=1188هـ) فإن اليونايين الذين يسكنون إزمير، شعروا بغضب شديد من مجيئ اليهود إلى هذه المدينة هربًا من وطئة ضغوط اليونان على (سلانيك)، وهذه الجناية التى تُعتبر أول جريمة للمراسم الدينية وفى وقتها المعاصر، قد أوصلت العداء على نقطة القمة، أما عاقبتها فكان الهجوم على الأحياء اليهودية فى المدينة، وسلب وتخريب كل ما تصل إليه الأيدى.

وفى عام (1821م=1237هـ) قام العصاة اليونانيون بالاستيلاء على سفينة فى (الأرخبيل= Arşibel) وهى قادمة من مكة، وأساءوا معاملة الحجاج المسلمين وكان من بينهم شيخ مكة مع حرمه، وكانت المظالم التى تعرض لها الحجاج المسنُّون والسيدات المحجبات سببًا فى إيقاظ ثورة الغضب والانفعال الشديد فيما بين المسلمين فى السلطنة العثمانية، و بناءًا على ذلك؛ فى 27 مايو/ نيسان 1821م=1237هـ، والذى يُصادف أول أيام عيد الپاسقاليه عند المسيحيين ترأس الصدر الأعظم "بندرلى على باشا" مفرزة من قوات الإنكشارية، وتحرك نحو البطرياركية فى حى (فنار) وقبض على البطريرك (جارجورى الخامس Patriak V Gregory)، وتم شنقه أمام السراى السلطانى وسط حشد كبير، وكانت أكثرية الحضور من المتجمعين من اليونانيين، ولكن اليهود الذين تملكهمم الشغف بالحدث، قد أخذوا أماكنهم أيضًا وسط الحشود قادمين من (بلاط)، ويُروى أن الصدر الأعظم خاطبهم قائلًا.. "مرحبًا بكم أيها اليهود.. هذا الرجل المُعَلق أمامكم هنا هو عدوكم وعدونا.. خذوه وألقوا به فى البحر.. هذ هو أمرى إليكم.. وتخيَّروا من بينكم من يقوم بهذه المهمة"، وقام ثلاثة أشخاص من اليهود يدعون (موتال=Mutal) و(بجهاجهى= Bichachi) و(ليفى= Levi) بحمل الجسد وإحضاره إلى شاطئ الخليج وألقوا به إلى أعماق المياه تحت نظرات

الإنكشارية الغاضبة، كان هذا الحدث سببًا فى انتشار الإشاعات وترديد ادعاء أن اليهود هم وراء إثارة غضب الصدر الأعظم على البطريق وإعدامه، وتوالت بعد ذلك فى المدن الرئيسة العصيان المضاد لليهود، مما نتج عنه قتل العديد من اليهود وأصابت الأضرار الكثير من البيوت والخانات والأملاك اليهودية، وتناثرت الأقوال ووصلت إلى بلاد اليونان التى كانت مستمرة فى تمردها وثورتها ضد العثمانيين، وتضخمت الإشاعات وتمحورت حول يهود استانبول هم الذين أعدموا البطريق وشنقوه، وهكذا تعرضّ اليهود والمسلمون للنهب والقتل بالآلاف فى جزر بحر إيجه صغيرها وكبيرها، وفى مقدمتها جزر (رودس =Rodos) و(صاقيز = Sakız) وفى اليونان ذاتها، وفيما بين سنوات (1834– 1838م=1250–1254هـ) وكنتيجة للجرائم الدينية التى ارتكبها اليونانيون ضد اليهود فى (صفد = Safed) فقد انخفضت أعداد السكان اليهود إلى مستويات كبيرة، وأنهت هذه القلاقل الرفاهية الثقافية والاقتصادية التى عاشها اليهود لفترات طويلة.

وفى بقية سنوات القرن التاسع عشر، فإن العصابات اليونانية على غليانها وتمردها، استعملوا لعدة مرات جرائم المراسم الدينية لتأمين وتغطية عمليات النهب والسلب والتخريب التى مارسوها ضد اليهود وأحيائهم ومتاجرهم ومنازلهم، بل وقتل اليهود أنفسهم، ومن الممكن مصادفة هذه الأحداث الشهرية والأسبوعية فى (Bulletin de l'israelite universella) بولاتن الإسرائيلية العالمية التى تصدر ضمن نشريات باريس.

عقب اختفاء راهب إيطالى يُدعى "توماس= Thomas" وعبده المسلم فى الشام، ترتب على ذلك قتل المِئات من اليهود، ومن بينهم زعيم الجماعة الحاخام "حاييم فرحى= Hayim Farhi"، وبذلك قد تم تنفيذ مذبحة الشام الذى لم ينس فى سنة (1840م=1256هـ) هذه المرة، وطبقًا للأقوال التى نشرها القسيس (جابوجهين = Capuchin) فإن اليهود هم الذين قد قاموا بقتل هذين الشخصين؛ بهدف شرب دمائهم فى عيد عدم الخميرة. هذه الأقوال، كان من ورائها أيضًا القنصل الفرنسى العام "راتّى منتون Ratti Menton)". وقد كان سبب وجود القنصل العام هنالك هو

الوقـوف ضـد النفـوذ الإنجليـزى المتنـامى فى المنطقـة بعـد فـشل المسئولين فى حماية الفرنسيين، وفى هذا النطاق، فإن والى مصر محمـد على باشـا الـذى استولى على سوريا والأناضول قد أثار شكوك الحلفاء بقيادة إنجلترا فقاموا بمجابهته والحد من نفوذه اعتبارًا من عام 1840م=1256هـ، وكذلك أدى التنافس الإنجليزى الفرنسى إلى قيام فرنسا عن طريق ممثليها فى الإسكندرية والشام بالتحريض على نشر دعاية الأحداث السابقة للتأثير على السكان المسلمين والمسيحيين بالمنطقة للعمل ضد الأهداف اليهودية المؤيدة من قبل الإنجليز لإخلاء هذه المناطق من كليهما، وهكذا؛ أدى ذلك إلى زيادة المآسى والفواجع فى الشام بشكل كبير. إلَّا أن القناصل الفرنسيين فى المنطقة مارسوا ضغوطًا كبيرة على السلطنة العثمانية لإطلاق سراح اليهود المحبوسين بسبب الجرائم التى اتهموا فيها لارتكابهم جرائم دينية، واستخدموا اليهود كوسيلة لإظهار تأييدهم لعودة قوة السلطنة العثمانية، أما فى السنوات القادمة والتالية، فقد كانوا سببًا لتعرض اليهود فى سوريا وفلسطين لهجمات المسلمين والمسيحيين بترويج ونشر ما يُنسب إلى اليهود من جرائم جديدة متعلقة بالمراسم الدينية، وهم يفعلون كل هذا، فقد كانوا يتلقون تأييدًا متعاظمًا من القناصل الأوروبيين المتواجدين فى المنطقة، أما التجار اليهود الذين استطاعوا حماية ممتلكاتهم ووجودهم، فقد نجحوا فى ذلك باكتسابهم مُواطَنَة بعض الدول الأوروبية وفى مقدمة هذه الدول إنجلترا والنمسا وتوسكونيا، كذلك كان الأرمن واليونانيون الموجودون فى المنطقة لكى يتمكنوا من مجابهة هذا، كانوا يدفعون مبالغ مالية ضخمة لشراء المواطنة الفرنسية ليدخلوا تحت الحماية الفرنسية؛ وبسبب فقر وعوز الجماعة البروتستانية فى المنطقة، فقد حاول وزير خارجية بريطانيا السير "بالمرستون Palmerston" أن يحتضن ويحمى اليهود العثمانيين الذين كانت فرنسا تحاول استمالتهم، وقد صدر عن وزير الخارجية البريطانى ما يفيد بأن ".. الحكومة البريطانية تتمنى أن يعيش كل اليهود فى رفاهية ورخاء، وفى نفس الوقت تشعر بالقلق لبقائهم تحت ضغوط مفرطة .." وطلب كل من قناصل بريطانيا تبليغ هذه الرسالة وإيصالها إلى كل المسئولين العثمانيين، وكذلك تبليغ موظفى الدولة العثمانية بأن الحكومة البريطانية تتابع عن كسب المحاكمات التى تجرى ضد اليهود فى

المنطقة، وكان من الطبيعى أن تُرسل الحكومة البريطانية بشكل مستمر- العديد و الكثير من المبشرين الأنجليكان إلى منطقة الشرق الأوسط.. وكانت تهدف من وراء ذلك بالطبع؛ إلى خلق جماعات محلية تحمى مطامعها المستقبلية فى المنطقة.

وقد أدى اهتمام Palmerston أيضًا إلى ازدياد الجالية اليهودية في بريطانيا ثراءً وقوة، فقد قاد يهود أوروبا سير Moses Montefiore من إنجلترا و Isaac Adolphe Cremieux(1796-1880م=1211–1298هـ) من فرنسا الحملة في لفت انتباه السلطان عبد المجيد، الذي صرح لهم في مقابلة شخصية في 27 أكتوبر عام 1840م = 1256هـ :

" لقد أثارتني الأحداث التي وقعت في دمشق، لكنني سعيتُ لتقديم بعض الترضية للجالية اليهودية بإصدار الأوامر بأن العدل لابد أن يُقام في مسألة رودوس. إن الجالية اليهودية ستلقي مني دومًا نفس الحماية، وستنعم بنفس المميزات التي تنعم بها بقية الرعايا في دولتي".

وقد أعلن آنذاك السلطان عبد المجيد فرمانه الشهير الخاص بالسادس من نوفمبر عام (1840م= 1256هـ) لرئيس قضاة استانبول على وجه الخصوص، بأن يحل يهود الدولة العثمانية من ذنب هذه الحوادث الاستثنائية، وأمر بضرورة التحقيق في الاتهامات التي وجهت لليهود في أي مكان في الدولة، ويتم محاكمتهم على يد مستشاره الخاص فقط ، ليتأكد اليهود أن العدل سيقام:

" إن الظلم القديم قد انتشر ضد اليهود، فالجاهل يعتقد أن اليهود قد اعتادوا على التضحية ببنى البشر للاستفادة من دمائهم في وليمة عيد الفصح، ونتيجة لهذا الاعتقاد تم اضطهاد يهود دمشق ورودوس، رعايا دولتنا، على يد الجماعات الأخرى. إن الافتراءات التي أُطلقت ضد اليهود ومحاولات الإثارة التي تعرضوا إليها، قد وصلت على الأقل إلى عرش دولتنا.

كان يعيش في جزيرة رودوس منذ فترة ليست بالطويلة بعض اليهود، جُلبوا إلى استانبول حيث محاكمتهم وأُصدرت أحكامًا ضدهم طبقًا للقوانين الجديدة (التنظيمات)، وقد أُثبتت براءتهم من الاتهامات التي وجهت إليهم. إن العدالة والإنصاف التي تطلبها هذا الموقف كانت تنفيذًا لخطة مصلحتهم.

بالإضافة إلى أن الكتب الدينية الخاصة باليهود قد قام المسلمون المتعلمون والمتمكنون في أدبهم اللاهوتي بدراستها وبحثها، فوجدوا أن اليهود مُحرم عليهم أشياء قاسية، ليس فقط منعهم من استخدامات بشرية، بل حتى دماء حيوانية، وبناءً عليه فإن التهم الموجهة ضدهم، وضد دينهم لم تكن غير افتراء محض.

ولهذا السبب، ولأننا نكن لرعايانا الحب والاهتمام؛ لن نستطيع أن نسمح بقذف وتعذيب الجالية اليهودية- البريئة من الجريمة المزعومة ضدهم- على أى اتهامات غير مدعومة بأدنى أساس من الحقيقة، ولهذا فإنه امتثالًا للخط الشريف الذي أُعلن في كلخانه، فإن الجالية اليهودية ستمتلك نفس المصالح، وستتمتع بنفس الامتيازات الممنوحة لكثير من الجاليات الأخرى الخاضعة لسلطتنا. إن الجالية اليهودية سيتم حمايتها والدفاع عنها.

ولتحقيق هذا الهدف فقد أصدرنا أفضل الأوامر الإيجابية، بأن الجالية اليهودية التي تسكن في كل أرجاء دولتنا سيتم حمايتها جيدًا، مثلها مثل كل الرعايا الآخرين في الباب العالي السامي، ولن يزعجهم أي شخص بأي طريقة كانت، إلا لسبب قضائي، فلا يحق لأحد إزعاجهم لا في طقوسهم الدينية، ولا فيما يخص أمنهم وهدوءهم، ونتيجة لهذا فإن الفرمان الحالي، المُصدر بتوقيعنا الملكي، والمُرسل من إرادتنا الملكية، قد تم توصيله إلى الجالية اليهودية.

وأنت، أيها القاضي المذكور آنفًا، بمجرد أن تعلم محتويات هذا الفرمان، لابد أن تتصرف بعناية فائقة فيما يجب في هذا الأمر، ولهذا فلن يمكن فعل شيئ لتكذيب هذا الفرمان، لهذا لابد أن تدونه في أرشيف محكمتك، وتُرسله بعد فترة للجالية اليهودية، وستولي عناية فائقة لتنفيذ هذا الأمر، وهذه هي إرادتنا الملكية.

تم في استانبول، رمضان 1256 (6 نوفمبر 1840م) ."

وقد أعلن رئيس الوزراء رؤوف باشا إعلانًا آخر عام (1843م=1259هـ) يأمر بالمساواة والحماية لكل الرعايا بغض النظر عن الدين:

إن السلطان، سيدنا ووالدنا جميعًا، يعتبر نفسه وسط عائلة حيث تكون سعادتها هي سعادته وشقاؤها هو شقاؤه، فهو يعرف كل الظروف التي جعلت كاهن العناية الإلهية

يُخدع... لابد ألا تشك للحظة في عدله، المسلمون والنصارى واليهود، كلكم رعايا نفس الدولة، فأنتم أطفال جلالته، فالقانون الحامي للحياة، والشرف والملكية لكل الرعايا، مُطاع بصرامة في كل أنحاء الدولة... إن كل رعايا الدولة العثمانية: المسلمون والنصارى، الأغنياء والفقراء، المدنيون والعسكريون، ورجال الدين الرسميون ينبغي عليهم أن يثقوا تمامًا في السلطان الذي يحمل ميزان العدل للجميع.

وفي عام (1846م= 1263هـ) أعلن الرسول الوزراء مصطفى رشيد باشا بيان متشابه للقادة غير المسلمين في أدرنه:

إن جلالة السلطان، كما ينبغي السعيد لرعاياه المسلمين، يريد أيضًا أن ينعم كل من النصارى واليهود- وهما رعايا لهم حقوق متساوية- بالسكينة والحماية. إن الاختلافات بين الأديان والفرق لا تُعنيه، ولا تمنعهم حقوقهم، فهم رعايا لنفس الحكومة، كما أنهم مواطنون ولدوا في نفس الدولة، ولا ينبغي علينا النظر لبعضنا البعض نظرة سيئة. إن سلطاننا ينشر أعماله الخيِّرة بين كل طبقات رعاياه، وينبغي عليهم أن يعيشوا في انسجام بعضهم البعض، ويعملون سويًا للرخاء الاقتصادي القومي.

وكنتيجة للحماية الممنوحة من قبل الحكومة العثمانية، بالإضافة إلى المنافسين الفرنسيين في أوروبا، استمر يهود سوريا في تحقيق نجاحٍ اقتصادي بعد حادثة دمشق،على الأقل حتى عام (1871م = 1288هـ) ، مع العائلات الثرية مثل:

Farhi، Hariri، Lisabone، Stamboli، Pijotto، Angel، Amber

ممن كانوا يعيشون في منازل كبيرة، برفاهية عظيمة خلال سنوات عديدة خلال القرن، ومن ناحية أخرى، زاد هذا الوضع حسدَ وعداوة النصاري المحليين، ونتيجة تأثيرهم وتحريضهم، ثار المسلمون أيضًا وتأجج الغضب بينهم، عن طريق النواب الفرنسيين (ممثلي الشركات الفرنسية)، الذين عقدوا العزم على إحياء تأثيرهم في الشرق، فقد استمرت الاتهامات وازدادت قوة، مما أدى إلى مذابح في كل مكان في السلطنة العثمانية، وازدادت على يد المسلمين في بعض الأحيان، لكن كان أغلبها بواسطة النصارى، ظلت العلاقات بين الديانات المختلفة والجماعات العرقية في

دمشق، على غير العادة صعبة ومعقدة بعد عام (1840م=1256هـ)، رغم تحذيرات السلطان، وفي عام (1860م=1277هـ) تم قتل العديد من النصارى في المدينة على يد الدروز المسلمين مما أدى إلي اتهامات كان لها بعض القواعد والأسس للمنظر الذي حدث عام (1840م = 1256هـ)، حيث تورط عدد من يهود دمشق في العنف وتطلب الوضع بعض النهب والسلب للأملاك، وهو ما أدى إلى أكثر من عشر جرائم شعائرية قام بها النصارى في دمشق فيما بين (1840م = 1256هـ) و (1900م = 1318هـ)، ولم تكن الأوضاع أفضل حالًا في لبنان التي كانت تذخر بتعداد كبير من النصارى، ممن يكرهون جيرانهم اليهود أكثر من كرههم للمسلمين، وفي "دار القمر Dar al-Kamar"، حيث يوجد حوالي مائة يهودي فقط وسط ثمانية آلاف من المارون، قام المارون بنهب وسرقة منتظمة لمنازل اليهود ومحلاتهم، كما هاجمهم النصارى عام (1847م=1264هـ) ثم عام (1849م=1266هـ) مرة أخرى متكبدين خسارة فادحة في جريمة شعائرية، توقفت فقط بعد دفع فدية كبيرة لقواد الجماعة المسيحية، ولهذا أجبرت الجماعة اليهودية نفسها في النهاية على الانتقال إلى بيروت بسبب الهجوم المنظم عليهم خلال الصراع الدُرزي ـ المسيحي في سنوات (1860م=1277هـ)، وقد أدت الأحداث الأخيرة إلى هلاك القسم الأعظم من الجماعة اليهودية لـHazzbaya ، الذين قُتل العديد منهم على يد الدروز عام (1860م = 1277هـ)، قبل أن يقوم يهودي دمشقي ثري بإجلائهم، وتوطينهم في النهاية في بيروت، وصيدا Tripoli، وطرابلسsidon ، حيث استمرت الجماعات اليهودية في التواجد في القرن العشرين، فأصبحوا فقراء بشكل متزايد ومنعزلين نتيجة للضغط المطرد عليهم على يد النصارى. وفي عام (1865م = 1282هـ)، وبعد سن القانون الدستوري الجديد للجالية اليهودية، وبمجرد أن بدأ الرأسماليون في أوروبا يصبح لهم نفوذ في استانبول، بدأ الأرمن المحليون واليونان في الحال مذبحة ضد اليهود عبر بحر مرمره في "حيدر باشا"، نهاية خط السكة الحديدية للأناضول، حيث قُتل فيها ثلاثمائة يهودي، كما ضُرب الكثير منهم وسُلبت ممتلكاتهم، قبل توقف الاضطراب بعد إرسال السلطان حارسه الخاص عبر الخليج لحماية اليهود.

وفي السنوات التالية، قامت جرائم شعائرية ضد اليهود، نفذ معظمها اليونان

القوميون، والأرمن، وفي المناطق العربية قام بها المارون والنصارى العرب، وفي أحـوال كثيرة كانت تـتم بمـساعدة القناصـل الأوربيـين المحليـين، الـذين كـان لهـم مكانـة في السلطنة، ولقد استمرت آلاف من الحوادث البسيطة ضـد اليهـود تقريبا حتـى الحـرب العالمية الأولى، في جنوب شرق أوروبـا حتـى أقـصى الغـرب والـشمال حتـى "موناسـتير Monastir" و"كافـالا kavalla "، وفي اسـتانبول في "كـاليبولي Gallipli" وفي الـدردنيل في سلونيكا، وفي كل الأقاليم العربية حتى أقصى جنـوب دمـشق وبـيروت وفي مـصر في القـاهرة والإسـكندرية، وكانـت هـذه الأحـداث نتيجـة الاتهامـات التـي انتـشرت بـين نـصارى الدولـة العثمانيـة عـن طريـق الإشـاعات التـي تـداولتها الألـسن المنـشورة في جرائدهم، كما كان الكثير من هـذه الـشائعات تُروج عـن طريـق الرأسـمالين النـصارى والتجـار المُثيرين للقلـق والاضـطراب؛ لإبعـاد منافسيهم مـن اليهـود عـن طـريقهم أو لإلهائهم في الغضب بين اليهود والمسلمين حول إشاعات المذابح المسيحية للمسلمين في جنوب شرق أوروبا أو آسيا الوسطى، وهـو مـا أدى إلي هجـوم فـردي وجمـاهيري عـلى اليهود، وحرق محلاتهم ومنازلهم. كانت التجارب الفرديـة التـي لاقاهـا اليهـود رهيبـة، فقـد خـرج اليهـود دائـمًا خوفـا مـن هجـوم الأرمـن واليونـان إلي شـوارع أغلـب المـدن العثمانية، ففي مصر وسوريا كـان في العـادة يقـود اليونـانيون الخطـوة الأولى في حـالات عديدة بمساعدة أرمن محليين ونصارى سـوريين، ممـن كـانو ينشُرون أغلـب الـصحف الصادرة باللغة اليونانية، والعربية والفرنسية، وهي التي تنشر الإشـاعات التـي يمكـن أن تهتم باليهود، ويبدو جليا فيها الرغبـة في إثـارة العنـف الطـائفي، فقـد نـشر نـصارى العرب من السوريين عـلى وجـه الخـصوص، في صُـحفهم مـساندتهم العميقـة للمعـاداة للسامية في سوريا ومصر، حيث كان لهم احتكـارهم للـصحافة المحلية واعتقـاداتهم في القضايا العامة مثل القومية المصرية ومعارضة الحكم البريطاني، وهو ما هيأ لهـم الـسبيل لنشر رسـالتهم المعادية لليهـود بـين الجماعـات المـسلمة، عـن طريـق أسـئلة صـغيرة أو معارضة، وفي القرن العشرين من يونيه عـام (1890م = 1308هـ)اسـتقبل سـير "إيفلـن بارينج Eveln Baring " (الذي أصبح فيما بعد لورد كرومر) المندوب السامي في مـصر، التقرير التالي من "ديفيد ونسيم عدس David & Nissim Ades " في القاهرة:

سيدي،

أتوسل إليك في لفت انتباهك نحو المقالات العنيفة التي نُشرت في الصحيفة العربية المسماة "المحروسةEl Mahroussa "، حيث لا تحتوي إلا على افتراءات كاذبة واتهامات خاطئة ضد اليهود، خاصة ما يخص أحداث القرن الرابع عشر والسابع عشر والتاسع عشر الحالي، والآن هل لدينا هنا جماعة معادية للسامية وسط تعصب اليونان والأرمن وغيرهم، أم أنه مسموح الاستمرار في إفساد عقول الناس بهذه المبالغات والكلمات المزخرفة ؟ ففي مقالة أكد كاتبها أن اليهود قد استخدموا دماء مسيحية لوليمة عيد الفصح، وبالطبع أدى هذا إلى إثارة لا حد لها.

فكلما سُئل اليونان أو السلطات الأرثوذكسية الأخرى أو رجال الأعمال اليونان المشهورون أو القناصل، عن المساعدة في كبح العنف أو تخفيف التوتر، فإنهم دائمًا ما يشيرون إلى تعاونهم، ثم يخفقون في عمل أي شئ لمنع الهجوم أو العقاب الذي يثيرونه أو يقودونه.

فقد اشتكى قائد جماعة Ashkenazi في Çorlu لرئيس الـAIU عام (1902م= 1320هـ) عن استمرار هجوم اليونان ضد حيه أو جماعته من اليهود: إن لليونان المتعصبين في مدينتنا- كما في الأماكن الأخرى فيThrace – عادة مناقضة لروح المسيحية الحقة، يصنعون نسخة مطابقة من يهوذا الأسخريوطي، ويقومون بحرقها في ليلة السبت المقدسة، فيشيدون شكلًا خشبيًا، مغطى بالملابس التي يدَّعون أنها لليهود القدماء، ثم يحرقونه علانية وسط الجماهير الحاشدة من الجهلاء والمتعصبين، وغالبًا ما يحدث أن تكون هذه الجماهير مشحونة من الحكايات حول معاناة السيد المسيح التي تُقص عليهم في الكنيسة، فيحدث لهم اهتياج عند ظهور حكم الإعدام على من– من المفترض– خان السيد المسيح، فيُحدث هذا غضبًا عظيمًا ضد اليهود.. لقد عاصرنا هذا منذ فترة طويلة، في مثل هذا اليوم كل عام، فقد كانوا يقطعون رءوس وأيادي الجثث في حيِّنا ويحرقونها في احتفال مهيب. لم تكن هذه الوقاحة المجنونة لهؤلاء المتعصبين قد ازدادت، فإننا نرى بأنفسنا ألسنة اللهب، ونسمع صرخات الكراهية والانتقام ضد اليهود.

وقد قدم المؤرخ العظيم ليهود سالونيكا، جوزيف نحاما Joseph Nehama تقريرًا إلى AIU عام (1900م = 1318هـ) حول العلاقات السيئة بين اليونان واليهود في هذه المدينة:

إن العداوة والكراهية بين اليهود والنصارى تعيش جنبًا إلى جنب، فهي موجودة بين كل الأعمار وفي كل البلدان، ولا مفر لمدينتنا من هذا الوضع، إذ إن هناك نزاع موروث بين عدوين، تُترجم عداوتهما بأسلوب نموذجي، فالأعداء لم يكتفوا بتربية الكُره المتبادل بينهم، فهم يظهرونه في أحيان كثيرة، في كل ركن في الشوارع عن طريق معارك حقيقية، حيث تُطلق رصاصات تصطدم بالصخور الكبيرة، فالسلب والنهب وإطلاق الرصاص الذي يقوم به المسلحون النشطون شيء معتاد ومألوف في المعركة...(أرشيف AIU ، باريس ، II، 8).

فقد ثار اليونانيون والأرمن بشدة، لمنع اليهود من بناء معبدٍ جديدٍ عندما كانت الدولة في حاجة لذلك، وأفضل مثال على ذلك جاء من معارضة اليونان لبناء معبدٍ يهوديٍ جديدٍ في "حيدرباشا" عام (1899م=1317هـ)، فقد سمح السلطان عبد الحميد الثاني ببناء المعبد، وأكد افتتاحه بغض النظر عن اعتراضات اليونان، وذلك عن طريق إرساله جنود طوارئ من الثكنة السليمية Selimiye المجاورة، لتقود طائفة اليهود التي اختارت "حمدت" إسرائيل "Hamdat Israel"اسمًا للمعبد، ولم يكن اختيار الاسم بسبب معناه فقط الذي يقصد به "رحمة إسرائيل"، لكنه جاء لأن كلمة "حمدت" كانت قريبة من اسم المتبرع ببناء المعبد وهو السلطان عبد الحميد، كانت الحياة في مقدونيا قاسية للمسلمين واليهود على حد سواء، عن طريق عصابات اللصوص المنظمة على يد اليونان، والبلغار، والصرب حتى مذابح الرومان القوميين كلها أخفقت في جعلهم يشتركون في آلامهم القومية.

ويقص أفرم جالنته Avram Galante، الذي عاش لسنوات عديدة بين اليونان في مدينة رودس، حيث كانت الجماعة اليهودية وفيرة العدد، لكنها ظلت أقلية حقيقية مقارنة باليونان والمسلمين، فهو يروي كيف حاول باستماتة الحصول على مساعدة السلطات الدينية (رجال الدين) اليونانية لإنهاء المذابح، بالحصول على منشور

البطريـرك عـام (1873م = 1290هـ)، (1874م = 1291هـ) ، (1884م = 1302هـ)، (1898م = 1316هـ)، لكن نجاح هذه المحاولة كان محدودًا فقط بسبب شعور رجال الدين بإلحاح لاستمرار الهجوم، أو على الأقل لم يعترضوا عليهم، في الوقت الذي كان القساوسة الأقل درجة يقومون بالتشجيع بشكل حماسي للهجوم على اليهود، ليس فقط بين أتباعهم لكن أيضًا بين المسلمين، إن المجهودات والمساعي التي بذلها الكاهن الأكبر، والمجهودات الفردية لليهود داخل الدولة لإيقاف هذه المذابح، كان يدعمها رجال البنوك من يهود أوروبا مثل "Moses Montefiore"و" Baron Maurice de Hirsch" (1831- 1896م = 1247 – 1314هـ) الذي شيد محطة السكة الحديدية بين فيينا، واستانبول والشرق، وبوصفه مؤسس اتحاد إنشاء المستعمرة اليهودية، كان أول يهودي مُحسن يساعد على توطين اليهود في الأرض المقدسة بواسطة AIU، التي كانت لها مساع تعليمية وقدم لها Hirsch العون المالي السخي، وقد نجحت في العادة مثل هذه التدخلات لتسوية النزاع، بالقبض على المجرمين وسجنهم، لكن هذا كان يحدث قليلًا لعلاج الضرر، الذي أصاب يهود الدولة العثمانية خلال مجموعة من الهجمات المتكررة، لكن الجهود المتواصلة للحماية على يد الحكومة العثمانية هي التي منعت فقط الأمور أن تسوء أكثر مع مرور الوقت.

إن هؤلاء اليهود الذين عانوا جراء هذه الهجمات في جنوب شرق أوروبا، قد فروا بشكل فردي إلى سالونيكا، التي كان تعداد اليهود فيها قد ازداد بشكل كبير نتيجة لهذا، من 28,000 عام (1876م = 1293هـ) إلى 90,000 عام (1908م = 1326هـ)، وصار أكثر من نصف التعداد الكلي للسكان، ورغم ذلك فقد ازداد حتى هناك اضطهادهم على يد اليونان المحليين، مما أدى إلى فرار عدد وفير من اليهود إلى مكان آخر في الدولة العثمانية، واتجهوا على وجه الخصوص إلى ميناء إزمير الكبير.

وبغض النظر عن كل الضغوط من يهود الدولة العثمانية واليهود الأجانب على حد سواء، استمرت الجرائم الشعائرية والهجمات الأخرى ضد اليهود على يد النصارى، إن مساعي اليونان للقضاء على القسم الأعظم من تعداد يهود سالونيكا بلغ ذروته عامي (1912م=1330هـ) و (1913م = 1331هـ)، وجاء هذا بعد استيلاء اليونان على

سالونيكا إبان حرب البلقان الأولى، حيث قُتل كثير من يهود سالونيكا، وأُكرهوا على الخروج؛ لكي يمكن أن يحل مهاجرو اليونان من Thrace العثماني. إن إخراج يهود سالونيكا قد تم تعزيزه عن طريق الحرق الهائل الذي اندلع عام (1917م = 1326هـ)، ودمر الجزء الهام من المدينة وكان من ضمنها حي يهودي بأكمله، وخلَّف 50,000 ألف يهودي مشرد؛ ويرجع السبب في ذلك إلى سياسة الحكومة اليونانية التي كانت تحاول بأي شكل جعل المدينة إغريقية شكلًا وثقافة، وقدمت تعويضات لمن فقدوا منازلهم، اليهود واليونان على حد سواء، ونال اليونان أكثر ما هو رسمي بشكل كبير، ولم يكن مسموحًا للأغلبية اليهودية العودة إلى منازلهم، وأُجبروا على الهجرة إلى الولايات المتحدة وفرنسا وإيطاليا والإسكندرية مثلها مثل تركيا، بينما استولى اللاجئون اليونان القادمون من الأناضول على منازلهم، وفي المقابل مُنحوا مساعدات حكومية سخية، لم تكن فقط أموالًا سائلة لكن أيضًا ضمانات بأراضٍ وممتلكات أُجبر اليهود على تركها، ورغم أن اليونان كانت قد التزمت في معاهدات الحرب العالمية الأولى، بالسماح لليهود وغيرهم من الأقليات باستخدام لغتهم الخاصة بهم في التعليم وإقامة شعائرهم الدينية دون أية معوقات، فقد سُن قانون عام (1923م = 1342هـ) الذي حرَّم على السكان العمل يوم الأحد، مما أدى إلى هجرة يهودية جديدة كما كان مقررًا، وقد حدثت اضطرابات شديدة معادية للسامية في سالونيكا فيما بين (1923م = 1342هـ) و(1934م = 1353هـ) في حي "كامبل Cambel"، حيث يعيش أغلب الباقين من اليهود، فقد تم حرق الحي عن بكرة أبيه، وتلا هذا قوانين تطلبت استخدام اللغة اليونانية وحظر استخدام اللغة العبرية والعبرية الأسبانية Judeo – Spanish في المدارس اليهودية، وكانت البداية بمصادرة أرض المقبرة (الجبانة) الرئيسة لليهود في سالونيكا؛ لاستخدامها في إنشاء الجامعة الجديدة وذلك لإخراج اليهود، وبسبب قتل وإخراج أعداد كبيرة من اليهود، ترك اليونانيون أغلبية منهم كثيرة في المدينة للمرة الأولى، وبدأوا بيهود سالونيكا للقضاء على القسم الأعظم منهم على يد النازيين، خلال احتلالهم لليونان الذي بدأ عام (1941م = 1360هـ).

لم تكن سالونيكا وإزمير بالطبع فقط ملاذًا للاجئين اليهود الذين دخلوا الدولة

خلال القرن الأخير لوجودها، فقد استقبلت استانبول، وأدرنة، والمناطق الأخرى للروملي والأناضول آلافًا أو أكثر من اليهود، ولم يكن اليهود هم اللاجئون الذين استقبلتهم حكومة السلطان وساعدتهم، فقد رافقهم آلاف من المسلمين النازحين من اضطهادات مماثلة، بسبب استقلال نصارى بلاد البلقان وانتشارهم، وبدأ استيلاء روسيا على Crimea، انضمت إلى نفس الحركات التحريرية في جنوب شرق أوروبا، التي سببت آلامًا كثيرة وهروبًا بين اليهود القاطنين هناك مما نتج عنه آلاف من الضعفاء والمرضى والفقراء والمصابين من المسلمين اللاجئين، الذين رافقوهم إلى حدود الدولة العثمانية اللامتناهية، لتقوم حكومة استانبول المكافحة بقوة- عبثًا- لتوطينهم وإطعامهم على أكمل وجه، وقد دخل الأناضول منذ عام (1864م = 1281هـ) حوالي 800,000 من تاتار Crimea، والقوقاز ومسلمون آخرون من شمال وشرق البحر الأسود، وما يقرب من 200,000 وأكثر تقدموا خلال العشرين سنة التالية، في حين دخل 474,389 من اللاجئين في الفترة من (1876 – 1877م = 1293–1294هـ) نتيجة للحروب العثمانية مع روسيا وولايات البلقان، وهو عدد مساوٍ لعدد اللاجئين الذين دخلوا القسم الأوروبي في الدولة.

المشاركة اليهودية في الحياة العثمانية خلال نصف القرن الأخير للدولة العثمانية (1876 – 1923م = 1293 – 1342هـ):

تضاعف عدد السكان استانبول تقريبًا ثلاث مرات خلال القرن التاسع عشر، فازداد تقريبًا من 331,647 إلى 378,069 في عام (1856م = 1273هـ)، ومن 873,565 عام (1883م = 1301هـ) و 909,978 وعام (1914م = 1333هـ)، وصاحب في ازدياد عدد المسلمين واليهود على التوالي من 170,551 و24,447 عام (1844م = 1260هـ) إلى 560,434 و 52,126 عام (1914م = 1333هـ). إن تعداد السكان من اليهود في الدولة متنوع بوجه عام ما بين 253,435 و 256,003 طبقًا للإحصاء الرسمي للسكان، في حين أن معلمي AIU قد أحصوا حوالي 439,000 من اليهود في الدولة عام (1908م = 1326هـ)، وهو يشتمل على اليهود ذوي الجنسيات الأجنبية الذين لم تتضمنهم الإحصاءات العثمانية الرسمية، في حين أن زيادة النصارى جاءت إلى حد بعيد مع

وصـول التجـار الأجانـب بقـصد انتهـاز فرصـة الامتيـازات، وقـد جـاء معظـم تعـداد المسلمين واليهود نتيجة وصول أعداد ضخمة من اللاجئين هاربين مـن الاضـطهاد، في البلـدان المستقلة حـديثًا في جنـوب شرق أوروبـا، بالإضـافة إلى الفـارين مـن التوسـع الإقليمي لروسيا عبر آسيا الوسطى باتجاه المحيط الهادي، وقد راعى الأجانب وأعضاء من الأقلية المسيحية التركيز في المنطقة السادسة المحلية، التي تشمل Galata ،Beyoğlu، Tophane، التي أصبح فيها 47٪ من الرعايا الأجانب مع نهايـة القـرن، و32٪ مـن غـير المسلمين في الدولة العثمانية، في حين كان فقط 21٪ من المسلمين، وقد فـضل الأجانـب الـسكنى عـلى شـاطئ البـسفور في المنطقـة الرابعـة مـن "توفـانTophane" حتـى "بـشكتاشBeşiktaş"، ومـن "بيبـكBebek" حتـى "روملیهیساریRumellihisarı"، حيـث شـكلوا 10٪ مـن الـسكان، في حـين كـان للمـسلمين 43٪، إن منطقـة المـسلمين الرئيـسة ظلـت في اسـتانبول القديمـة، في حـين تركـز اليهـود عـلى شـواطئ "القـرن الـذهبيGolden Horn"، خاصـة في "Balat ،Hasköy ،Kağıthane" "بـالاط ، خاصكوى ، كاغيتان". وقد انتقل بعض اليهود الأكثر تمدنًا ليعيشوا وسط النصارى في "جالاطهGalata"، لكن معظمهم قد صعدوا إلى البسفور وإلى "بـشكتاشBeşiktaş " و "أورطه كوىOrtaköy"، في حين عبر البعض الآخر إلى الأناضـول حيـث تركـزوا في الضواحي الأكثر تمدنًا وهي Kuzguncuk ،Kadıköy ،Üsküdari.

الرخاء الاقتصادي لليهود في ظل حكم السلطان عبد الحميد الثاني:

إن الـسنوات الطويلـة في مكتـب "يـاكير جـيرونYakir Geron" الحاخـام الأكـبر، جعلـت خليفتـه الحاخـام "مـوشي ليفـي Moshe Levi" (1872 - 1908م= 1289 – 1326هـ) يُحيي وضع يهود الدولة العثمانية كأفضل أقلية في الدولة، خاصة خـلال حكـم السلطان عبد الحميد الثاني (1876 – 1909م = 1293 – 1327هـ)، وبمباركـة الـسلطان ودعمه، سعى ليفي بنشاط لمواصلة التحديث الذيبدأه سـلفه، متعاونًـا مـع AIU لجنة استانبول لفتح مدارس إبتدائية جديدة في Piri Kzuguncuk ،Paşa ، عـلى الأقـل جزئيًـا لإبطـال مـساعي الإرسـاليات التبـشيرية البروتـستانية لتحويـل أطفـال اليهـود الـذين يدرسون في هذه المدارس عن دينهم، ولإعادة تنظيم وتقوية الجمعيات المتنوعة التي لها

تأثير، عن طريق جماعات الجاليات لمساعدة اليتامى، وكبار السن والفقراء، وقد جاءت أهم الصعوبات التي لاقاها ليفي في رفع اعتمادات مالية كافية لمواصلة نشاطات الجاليات، ولم يكن ناجحًا أكثر من Yakir Geron الذي جمع ضريبة الملح، وفي كليهما كان يقصد لفت نظر المعارضين لسياسته الإصلاحية، فنتج عن هذا عجز مستمر في الميزانيات السنوية للحاخام الأكبر، التي يمكن أن تُلاحظ عن طريق ضغط أغنياء اليهود لعمل إسهامات وتبرعات خاصة وقروض من رجال البنوك اليهود، الذين لم يكونوا يريدون القروض، ونتيجة للخلافات عُطلت عمليات المجلس العثماني Meclisi Cismani، الذي قامت جهود لإحيائه عام (1874م = 1264هـ) بتسميته اسمًا جديدًا وهو مجلس الإدارة، وانتخاب أعضاء جُدد، لكن هذا لم يقدم حلًا دائمًا؛ لهذا كانت سنوات ليفي قريبة جدًا من سنوات "جيرونGeron "، فقد كان اضطراب مستمر عن طريق المكائد السياسية الداخلية والخلافات، مما أدى إلى تراخٍ في حل العديد من مشاكل المجتمع.

ربما كانت أعلى نقطة في السنوات التي قضاها ليفي بوصفه الحاخام الأكبر، مع حلول عام (1892م=1310هـ) في الاحتفال بالذكرى الأربعمائة لخروج اليهود من أسبانيا ووصولهم إلى الدولة العثمانية، ففي اليوم الأول لعيد الفصح اليهودي، أُقيمت صلوات شكر خاصة في كل المعابد اليهودية في الدولة، وتم نشر قصائد خاصة لإحياء ذكرى المناسبة في الصحافة اليهودية، وقد وصلت برقيات الشكر إلي السلطان من أغلبية المنظمات اليهودية في أوروبا، في حين ذهب "موشي ليفي" بنفسه إلى قصر يلديز، وقدم بيان اعتراف بالجميل ملحقًا به نسخة من صلاة خاصة كانت تتلى في كل معابد الدولة للسلطان عبد الحميد.

وقد شهدت السنوات التي قضاها موشي ليفي كحاخام أكبر جيلًا جديدًا تمامًا من ازدهار اليهود؛ فارتفع وجودهم في الصرافة، والصناعة، والتجارة، والطب، والوظائف الحكومية، وكان هذا نتيجة لإصلاحات التنظيمات وبرامج التحديث التي تحققت على يد عبد الحميد، لكنها أيضًا كانت بوجه خاص بعد عام (1885م = 1303هـ)؛ لأن العنف قد ثار على يد الأقلية اليونانية والأرمنية ضد الحكم العثماني،

حيث تعاطفوا مع الهجوم الخارجي الذي تعرضت له الدولة، وكانت مساعيهم تقوم على تأمين مساعدة أوروبية لادعاءاتهم؛ لهذا شُدد بشكل مُطرد وانفعالي أن اليهود قد تُركوا كأقلية وحيدة في المجتمع، في حين أنهم كانوا جميعهم موثوقًا بهم ومحترمين من قبل الحكومة ومن عامة مسلمي الدولة العثمانية، وذلك مثل الوضع بعد فتح العثمانيين للقسطنطينية عام (1853م = 1270هـ)، ومرة أخرى نال اليهود فترة رخاء بعد أن اكتسبوا نفوذًا داخل الحكومة "موشي ليفي" حرية الوصول والاقتراب من السلطان، واستخدام هذا الامتياز بحساسية وتحفظ لكي لا يثير شكوك السلطان، وتعلم يهود الدولة واليهود الأجانب في كليات الآداب، والطب والحقوق والعلوم في جامعة استانبول، بالإضافة إلى أكاديميات الدولة العسكرية والهندسية، كما التحق اليهود بالوظائف الحكومية العثمانية بأعداد أكبر من نسبتهم في التعداد السكاني، وخدموا كثيرًا في الغالب كنواب وقناصل عثمانيين في أوروبا، خاصة في أغلب موانئ البحر المتوسط، وزاد تجار ورجال الصناعة اليهود حصصهم في السوق بشكل عظيم في أغلب مدن الدولة، وسيطر تجار اليهود أكثر وأكثر على التجارة العثمانية مع العالم الداخلي.

كان يعيش أكثر من 60,000 يهودي في سالونيكا في ذلك الحين، واستمروا العنصر الأكبر الوحيد لتعداد السكان، ورغم ذلك لم يعدوا أغلبية مطلقة، وظلت الغالبية من الحرفيين أو العمال غير المهرة مركزين جهودهم في الصناعة والتجارة والنسيج ولوازم الأحذية، لكن تزايدت بوجه عام أعداد المحترفين من القطاع الخاص والرأسمالية التجارية، إن وحدة المجتمع اليهودي والتكافل الاجتماعي الذي أُسس خلال قرون الأزمات، قد ضعفت الآن بسبب تجديد الولاء لمدنهم وأقاليمهم التي نشأوا فيها في الماضي البعيد، بالإضافة إلى النزاعات المتزايدة بين السفارديم المسيطرين والإشكنازي المقدس، فقد قوي الأخير مع تجدد الهجرة بسبب الاضطهاد الذي واجهه في أوروبا الوسطى، وازدادت هذه النزاعات بسبب التقسيمات الطبقية بين الوجهاء، في الوقت الذي اتفقت فيه الطبقة الوسطى العليا والعُمال فقط على إدانة الدونمة.

وقد انتشر الرخاء الاقتصادي ليهود الطبقة العالية والمتوسطة إلى غيرهم من

الجماعات اليهودية؛ بسبب مجهودات AIU لتطوير حرف ومهن اليهود، إن استمرار الروح الرجعية لدى بعض رجال الدين اليهود، قد اتحدت مع اعتداءات الجرائم الشعائرية المتواصلة واضطهاد اليهود على يد نصارى الدولة العثمانية وبعض المسلمين- وفي أحوال كثيرة عن طريق تشجيع رجال أعمال أوروبيين، ودبلوماسيين، ورحالة وقناصل- كما كان طرد جزء من الأرمن واليونان بالإكراه اليهود من المدن والأعمال المربحة بمساعدة امتيازات أجنبية، واستمرار المعاناة من الحرائق الضخمة والكوليرا الوبائية وكارثة نهب المدن العثمانية، كل هذا جعل أعدادًا من اليهود يعيشون في طبقات متباينة من الفقر.

استجاب أغلب يهود استانبول للانتقال على قمم الـ "بالاطBalat " وإلى Kasturiye وإلى İştıpol خلال القرن الذهبي حتى بالاطه وبك أوغلو، كما سكنوا على شاطئ البسفور حتى Kadıköy، وModa وحيدر باشا، وعلى السواحل الشمالية لبحر مرمرة، حيث عاشوا في بيوت مشيدة بشكل جيد من الحجارة والرخام في منطقة ذات شوارع ممهدة ومُعتنى بها للغاية، مثل منازل أحياء الأوروبيين والنصارى في بك أوغلو، إن اللاجئين اليهود الذين وصلوا حديثًا بسبب الاضطهاد في جنوب شرق أوروبا وآسيا الوسطى والقوقاز، وقد وصلت غالبيتهم بالقطار الأخير لإكسبريس الشرق في Sirkeci واستقروا في منطقتها المجاورة، وشيدوا حي اليهود الجديد تمامًا، الذي ظل معبده- على الأقل- نشطًا حتى الوقت الحاضر، وبعد فترة طويلة انتقل تعداد هذا الحي من اليهود إلى الضواحي الأحدث.

وقد رمم يهود استانبول عددًا من معابدهم القديمة بسبب الازدهار الاقتصادي والثروة والنفوذ، كما شيدوا معابد جديدة في المناطق التي انتقلوا إليها، فقد تأسس معبد Etz ha-Haim في منطقة Ortaköy أساسًا عام (1628م = 1038هـ) وتم تجديده عام (1825م = 1241هـ)، أما معبد المصارف اليهودية- فقد أُعيد بناؤه كليةً عام (1890م = 1308هـ) بقرض بفائدة حرة مقدم من مصرف Camondo في مقابل توفير حجرات للزعيم الحاخام قنصل الإدارة، كما شيدت معابد جديدة للتجمعات اليهودية الجديدة على طول البسفور في Yeniköy وBüyükdere ، كان أكثرها من خلال مساعدات

وهبات مقدمة من عائلة Camondo، وقد شيد معبد إشكنازي جديد بمساعدة يهودي نمساوي على منحدر Yüksek Kaldırım الذي يربط بك أوغلو وغالاطه، وقد شيدت الجماعة الإيطالية التي انفصلت من السفارديم عام (1885م = 1303هـ)، كما تم افتتاح معبد حيدر باشا الجديد عام (1899م =1317هـ) لمواجهة احتياجات يهود حي اسكودار وقاضي كوي أيضًا، رغم المعارضة الشديدة من الجماعة اليونانية المحلية.

لقد أدت ثورات النصارى ضد العثمانيين بمساعدة أوروبا على الهجوم على المسلمين واليهود في البلاد المسيحية المستقلة حديثًا، وكذا داخل الدولة العثمانية، خاصة في مقدونيا، كما أدى الفقر المشترك بين الجمهور إلى خلق شعور الإخاء في المعاناة بين المسلمين واليهود مع تقلص حدود الدولة العثمانية الذي استمر حتى قيام الجمهورية التركية في الوقت الراهن، فقد كان اليهود والمسلمون ضد النصارى، لذا شعر اليهود بالعرفان والشكر الجزيل للحماية التي قدمتها لهم الحكومة العثمانية، وقد تعرضت AIU في تقريرها بهذا الشأن عام (1893م = 1311هـ):

"كان هناك عدة دول فقط – حتى من بين هذه الدول التي تعد الأكثر إشعاعًا ثقافيًا وروحيًا والأكثر تحضرًا– تمتع فيها اليهود بالمساواة التامة أكثر من تركيا، فالسلطان H.M وحكومة الباب العالي يُبديان للعيان روح التسامح الأعظم والتحررية تجاه اليهود، ويُثبت عبد الحميد في كل أمر له أنه العاهل الكريم والحامي لرعاياه من بني إسرائيل... إن العلاقة العادلة بين اليهود والسلطان شخصيًا والدولة هي الطريقة الوحيدة التي تمكنهم من التعبير عن شعورهم بالشكر العرفان، لهذا فالسلطان، وموظفوه أيضًا يعرفون أن اليهود هم أكثر الرعايا في تركيا طاعة وإخلاصًا وامتثالًا لأوامره".

إن امتعاض اليهود من استمرار الاضطهاد والجريمة الشعائرية التي يتعرضون لها على أيدي اليونانيين والأرمن قد أدى لمثل هذا البغض، على سبيل المثال قام جماعة من اليهود بمساعدة الكُرد واللاظ على الهجوم على الأحياء الأرمنية في إستانبول عام (1896 و1908م = 1314 و 1326هـ) ، فقد أرشدوا الأكراد عن أماكن إقامة الأرمن وأين يختبئ بعضهم، وانضموا إليهم في حمل الغنائم بعيدًا، وكانت النتيجة أن ازداد

بُغض الأرمن على اليهود أكثر من ذي قبل، مما أدى إلى اضطهاد أكثر وهجمات في السنوات اللاحقة، ولم يكن فقط نتيجة للتعليم الحديث، ولا بسبب تحديث الأمة اليهودية، ولا بمساعدة رأسماليين من يهود أوروبا فقط، ليزداد شعور المسلمين بالاتحاد مع اليهود ضد غير المسلمين الآخرين في أوروبا، وهو ما ساهم في نهضة يهود الدولة العثمانية في القرن التاسع عشر وبدايات القرن العشرين، لهذا فإن يهود الدولة العثمانية ظلوا أكثر ولاءً للعثمانيين من أي أقلية أخرى.

يهود الدولة العثمانية والمجهودات الصهيونية في فلسطين:

كانت المحاولات تتكرر لضمان موافقة الدولة العثمانية لاستيطان اليهود في فلسطين خلال الربع الأخير للقرن التاسع عشر، وقد استجاب العثمانيون مرة بعد أخرى عن طريق تشجيع استمرار تدفق هجرات اليهود التي بدأت مبكرة جدًا في هذا القرن؛ استجابة منها للقمع السياسي الذي لحق باليهود في كل أنحاء أوروبا، لكن العثمانيين لم يشجعوا الاستيطان في فلسطين على وجه التحديد، وحاولوا أن يُحولوهم إلى أماكن أخرى في الدولة، خاصة نحو الأناضول، حيث أُقيمت مستوطنات يهودية مبكرة جدًا للعمل على نهضة الزراعة والتجارة العثمانية خلال سنوات التنظيمات، وقد قُدِّم اقتراح بأن وضع الدولة العثمانية قد تخلص على الأقل جزئيًا من الخوف من خلق مشكلة أقلية جديدة في دولة تعاني بالفعل من ثورات قومية أعظم، والتخلص من الخوف من توسيع أعداد الرعايا الأجانب المستفيدين من حماية القوى الأجنبية خلال فترة الإكراه على الامتيازات الأجنبية، والتخلص من الخوف من المساعدة في نشر النفوذ الروسي في الدولة، في الوقت الذي كانت فيه أغلب الهجرات المحتملة من اليهود الفارين من المذابح في روسيا، وفي حين أولى السلطان ومن حوله اهتمامًا بهذه العوامل وغيرها منذ استمرار أكثر من رغبة في استيطان اليهود المهاجرين في مكان آخر في الدولة– ومن ضمنها مناطق شرق الأناضول حيث التهديد الروسي قريب الحدوث أكثر من فلسطين بسبب مساندة الروس لطموحات الأرمن القومية، فإن هذه العوامل لا تبدو حقيقية لأن تصبح عوامل حاسمة في حد ذاتها.

وفي عام (1879م = 1297هـ) قدم الكاتب البريطاني الشهير Laurence Oliphant

للحكومة العثمانية اقتراحًا بأن يستوطن اليهود في مستوطنة مثالية (بوطوبية) على نهر الأردن، إن مجهودات ومساعي جماعة من رجال الأعمال البريطانيين والألمان عام (1881م = 1299هـ) لضمان امتياز عثماني لبناء خط سكة حديد من إزمير إلى بغداد بمساعدة اليهود الذين سيستوطنون على طول طريقها، قد قوبلت بقرار مجلس الوزراء العثماني بأن اليهود يمكنهم – بالفعل – "أن يستقروا كمجموعات متفرقة في كل مكان داخل تركيا ماعدا فلسطين ..." لكي ينبغي عليهم أن يخضعوا لكل قوانين الدولة ويصبحوا رعايا الدولة العثمانية"، وقد تكرر هذا خلال العامين التاليين ضمن ملاحظات رسمية وجهت للدبلوماسية العثمانية ومكاتب القنصليات في كل أوروبا، وقد منح السلطان عبد الحميد الثاني بنفسه خطة قدمها الحاخام الأكبر Moshe Levi لإنقاذ يهود روسيا حق الدخول لأعداد كبيرة منهم خلال السنوات المتبقية، وهو ما يوضح بجلاء أنه مهما كانت أسبابه ليواجه الاستيطان اليهودي في فلسطين، فلم تكن المعاداة للسامية ضمنها.

وبعد فترة قصيرة من نشر "تيودور هرتزل Theodore Herzl " كتابه الشهير Der-Judenstaat حيث اقترح إمكانية حل المشكلة اليهودية فقط عن طريق تأسيس دولة يهودية في مكان ما، آملًا أن تكون فلسطين، وقد عين الصحفي النمساوي (منْ فينا) Philipp Newlinski (1899–1941م=1317– 1363هـ) كممثلة في استانبول لكسب التأييد لمشروعه مع المسئولين العثمانيين، وهناك قدم مشروعًا للسلطان للسماح بجعل فلسطين موطنًا لليهود، في مقابل تسديد الديون الخارجية للخزانة العثمانية عن طريق أثرياء اليهود من المصرفيين والمستثمرين الأوروبيين.

وقد عمل "هرتزلHerzl " أيضًا من خلال "ويليام الثانيKaiser Wilheim " الذي كان يطور علاقة وطيدة بالسلطان كجزء من Germany's Drang nach osten ، إذ عرض عليه – عندما التقيا في استانبول في 18 أكتوبر عام (1898م = 1316هـ) – تخفيض أعداد اليهود في أوروبا لإضعاف المعاداة للسامية شأنها شأن الحركات الثورية الأخرى التي نشطت بالمشاركين فيها في كل مكان في القارة، وفي نفس الوقت فالدولة العثمانية يمكن أن تكسب كسبًا طائلًا من وراء تدفق ذكاء ومهارة ونشاط العنصر

اليهودي في الأرض المقدسة، ونتيجة إدخال مبالغ مالية كبيرة في اقتصادها يُمكن أن يُحسن تجارتها ومواردها المالية، فمن الممكن أن يجلب اليهود النظام والحضارة للشرق الأوسط ، كما أن المساعدة في بناء خطة سكة حديد من البحر المتوسط حتى الخليج يمكن أن يساعد ألمانيا في تأسيس موقعها في المنطقة، فقد كتب القيصر لعمه قائلًا:

إنني مقتنع أن الاستيطان في الأرض المقدسة بمساعدة الأغنياء والكادحين الإسرائيليين سوف يجلب ازدهارًا اقتصاديًا لا مثيل له ورحمات للأرض المقدسة، وهو ما يمكن أن يساهم كثيرًا في نهضة آسيا الصغرى Asia Minor ، إن مثل هذا الاستقرار سيجمع الملايين في خزانة الأتراك، وتدريجيًا يساعد في إنقاذ "الرجل المريض" من الإفلاس.

واستمر القيصر في تزكية مشروعات هرتزل لدى السلطان، لكن السلطان والمسئولين كانوا أحيانًا يناضلون لخفض قوة الجماعة الماسونية التي تزود الاقتصاد العثماني بالطاقة، ولم تكن لديهم الرغبة أبدًا للموافقة على تأسيس مجتمع آخر يحظى بالحماية، لهذا أجاب رئيس الوزراء على كل من هرتزل والقيصر وبناء الدولة، لهذا فهو تواق للغاية لاستمرار استقبال اللاجئين اليهود ولديه الرغبة أن يأتوا إلى الدولة العثمانية فارين من الاضطهاد في وسط أوروبا وروسيا، التي تود المساعدة في بناء اقتصادها، وقد شعر أنهم لابد أن يذهبوا إلى الأناضول والعراق، حيث الحاجة إليهم، لا إلى فلسطين لأنها- كما قال عبد الحميد لـ"نيولنسكNewlinsik "- مقدسة للمسلمين كما هي عند اليهود:

"لو أن السيد هرتزل صديقك مثلما أنت بالنسبة لي، إذن أنصحه ألا يخطو خطوة أخرى في هذا الأمر، فأنا لا أقدر على بيع حتى قدم من الأرض، لأنني لا أملكها فهي ملك لشعبي، إن شعبي قد حصل على هذه الدولة بالحرب من أجلها بدمائهم التي رووا بها أرضها، ولسوف نكسوها مجددًا بدمائنا قبل أن نسمح أن تُغتصب منا... إنني لا أملك الدولة التركية لكنها ملك الشعب التركي، لا أستطيع التخلي عن أي جزء منها، دع اليهود يوفرون ملايينهم، عندما تُقسم دولتي، قد يأخذوا فلسطين بلا مقابل، لكن جُثثنا فقط سوف تُقسم، ولن أوافق على التشريح"

حاول هرتزل أن يُحور مشروعاته منه لتهدئة السلطان، فالعبارات حول :"دولة يهودية مستقلة و"الجمهورية"، التي كانت تستخدم في عرض مقدمات المؤتمرات الصهيونية والندوات المساندة لها في أوروبا، قد حل محلها فكرة "إمارة لها حكم ذاتي.. تحت سيادة السلطان"، يقطنها مستعمرون يهود يقبلون القومية العثمانية ويدفعون جزية سنوية سخية للسلطان مقابل السماح لهم بإقامة حكم ذاتي في فلسطين مع الاحتفاظ بجيش صغير، وبهذه المقترحات في فكر هرتزل نجح في ضمان مقابلة شخصية مع السلطان للمرة الأولى، عقدت في 17 مايو "1901م = 1319هـ).

استمرت المقابلة أكثر من أربع ساعات شكر هرتزل السلطان، على مساعدته لكل اليهود الذين فروا إلى المناطق العثمانية بسبب الاضطهاد في روسيا، أجاب عبد الحميد أن اللاجئين اليهود مُرحب بهم للاستقرار في أي مكان يرغبون فيه داخل دولته، إذ لطالما اعتبرهم رعاياه من غير المسلمين الموثوق بهم، إن الدولة في حاجة ماسة إلى مهارات اليهود الصناعية والمالية، وبالتأكيد يجب الاستفادة من خدماتهم، ورغم ذلك لم يقتنع عبد الحميد ومسئولوه أن الدولة اليهودية كانت ضرورية لكسب هذه الفوائد. إن اعتراضهم تطوير المستعمرات في أرض إسرائيل تحت استمرار الحكم العثماني، والذين ليس لديهم أية رغبة أبدًا في استنفاد ثرواتهم بدفع الدين العثماني الأجنبي الضخم– إلا أن هذا الرفض قد سانده أيضًا الحاخام موشي ليفي والزعماء الباقون من الجماعة اليهودية في الدولة العثمانية، فقد كانوا غير راضين عن وضعهم في الدولة العثمانية، ويخشون أن تكون مثل هذه الدولة اليهودية سببًا في ضعفهم وتقويضهم.

والحقيقة أن عبد الحميد قد فوجئ بطول مشروع هرتزل، ولام مبدئيًا الحاخام الأكبر عندما أكد الأخير له أن الجماعة اليهودية لا دخل لها بذلك إذ إنها عارضت الفكرة بشدة، في الوقت الذي زعم فيه المهاجرون اليهود في فلسطين، وبعض البعثات الدبلوماسية الأجنبية في استانبول بأن هذه المعارضة قد قام بها خوف السفارديم من أنه من الممكن أن يسحقهم تدفق الإشكيناز الجدد، لكن هذا لا يبدو أنه قد لعب دورًا هامًا في معارضة الشعب للصهيونية في هذا الوقت.

إن رد الفعل الإيجابي الأعظم الذي قام به السلطان لمواجهة مشروع هرتزل، جاء

من الاحتجاج الرسمي العنيف ضد هجرة اليهود واستقرارهم في فلسطين، الذي وصل حتى قصره من رعاياه غير اليهود، إن اليهود السفارديم في الجماعة اليهودية التقليدية- التي عاشت سابقًا حتى القرن التاسع عشر مهاجرة من أوروبا- قد تربت دون أي طموحات سياسية وكانوا يتباهون بأنهم من رعايا الدولة العثمانية، أما المستعمرون الإشكيناز- الذين جاءوا بشكل يفوق عدد السفارديم بعد عام (1877م = 1294هـ) بوجه عام- فقد شاركوا في المظالم الأوروبية العثمانيين (حتى ضد أبناء عمومتهم من السفارديم)، ولهذا كانوا معارضين أن يصبحوا رعايا السلطان، مفضلين عليه حماية القناصل الأوروبية طبقًا لشروط الامتيازات الأجنبية، فقد رفض هؤلاء الإشكيناز أن يدفعوا الضريبة الخاصة التي فرضها العثمانيون مقابل الحق للعيش في الأرض المقدسة، وتجنبوا التشبه بأساليب الحياة العثمانية، فاستمروا في ارتداء الملابس الأوروبية والتصرف مثل الأوروبيين، وقد كان هذا- بالطبع - ضد الأخير إذ إن العثمانيين يعودون إلى مستويات معيشية ملكية وشعبية، واعتبر الباب العالي بطريقة صحيحة أن الإشكيناز يمثلون خطرًا على الدولة بإنشائهم مركز الحركة القومية اليهودية، التي يمكن أن تشبه حركات الأرمن واليونان، وقد أدرك عرب فلسطين المحليين البارزين- من المسيحيين والمسلمين على السواء- بشكل صحيح الخطر الملازم لمثل هذه المستوطنات على مجتمعاتهم، وطالبوا بإصرار إبعاد الهجرات عن أراضيهم، وفي فلسطين نفسها قام العرب المسيحيون المحليون بالخطوة الأولى في اضطهاد المستوطنين هناك، بإحياء اتهامات الجريمة الشعائرية القديمة ضد اليهود، خوفًا من المهاجرين الجدد الذين يمكن أن ينافسوهم بنجاح في الزراعة، والأعمال الحرة، والتجارة بالإضافة إلى كسب رعاية الأغلبية المسلمة، إذ إن اليهود فعلوا ذلك بنجاح في مكان آخر في أوروبا، وقد جاءت المعارضة للخطط الصهيونية حتى من الإشكيناز الألمان المحليين، ويهود روسيا المستقرين في فلسطين - الذين لم يحصلوا على الجنسية العثمانية حتى الآن - إذ كان بإمكانهم الانضمام إلى المسيحيين المحليين مستفيدين من معاهدة الامتيازات، ولم يرغبوا في فعل أي شيء يمكن أن يحددهم أو يُقصيهم، أو يتطلب أي نوع من المشاركة مع يهود الدولة العثمانية المنتسبين إليهم، وقد أقنعت

روسيا عبد الحميد الثاني أن يُجدد أو يُنهي هذه الهجرة؛ بسبب الخوف من قيام أي جماعة جديدة يمكن أن تؤثر بشكل حتمي على الوضع الراهن فيما يتعلق بالأماكن المقدسة التي شُيدت في أعقاب حرب القرم Crimean قبل ربع قرن فقط، في الوقت الذي ألحت فيه كل من إنجلترا وفرنسا على السلطان في نفس الاتجاه، فالخوف من ازدياد هجرة يهود روسيا سوف يزيد من قوة Czar ويؤثر على كل المشرق، وقد كان عبد الحميد الثاني مدركًا لهذه الضغوط بشكل واضح؛ لأن الخوف من هجرة نطاق واسع من اليهود إلى فلسطين لن يخلق فقط مشكلة قومية جديدة، بالإضافة إلى المشاكل القومية التي واجهها بالفعل مع الأرمن والسلاف واليونان وغيرهم، لكنه أيضًا يمكن أن يمنع مجهوداته لاستخدام القومية الإسلامية وفكرة الجامعة الإسلامية لوحدة رعاياه المسلمين من العرب والترك لإحياء وتقوية الدولة.

استجابة لكل الاحتجاجات والاعتراضات، بدأت حكومة السلطان عام (1882م=1300هـ) إصدار أوامر حظر ومنع استيطان اليهود في فلسطين، ويتضمن هذا المنع هؤلاء الذين قدموا كزائرين إذ يفرض عليهم المغادرة بعد عدة شهور، وبعد عام (1892م=1310هـ) أُضيفت معوقات على امتلاك الأرض في فلسطين لليهود وغيرهم الذين لم يكونوا من الرعايا العثمانيين، لكن بالتآمر سمح للموظفين المحليين أن يبقى هؤلاء الزائرون فترة طويلة بعد انتهاء مدة تأشيراتهم، وأن يشتروا الأرض بغض النظر عن الجنسية، وقد يكون ذلك نتيجة الرشاوى واعتبارات أخرى، والحقيقة الأوضح أن حكومة السلطان في استانبول لم تفعل أي شيء حقيقي لكبح تيار هجرة اليهود والاستيطان في فلسطين، رغم تكرار أوامرها مرة بعد أخرى لمواجهة تقارير عديدة تؤكد أن أوامرهم يُستهزأ بها، حتى إنهم قد أجازوا ليهود الدولة العثمانية واليهود الأجانب المقيمين بشكل قانوني في فلسطين شراء الأراضي رغم اتفاقهم على عدم السماح للمهاجرين اليهود غير الشرعيين للاستيطان فيها واستخدامها في الزراعة، وهو ما ساعد المستوطنات اليهودية أن تصبح دائمة، وتتوسع رغم كل الأوامر الصادرة بعكس هذا.

ونتيجة للموجة الأولى من الهجرة الصهيونية للأرض المقدسة؛ استمرت هذه

المجـرات متدفقـة لا يكبحهـا أحـد في الفـترة مـن (1882م=1300هـ) حتـى (1904م=1322هـ)، التـي عرفـت بـ First Aliyah ، فـشيُدت 23 مـستعمرة يهوديـة زراعية جديدة تضم 30,000 مستعمرًا قادمين من شرق أوروبا، ولأن الغالبية جاءوا من الطبقة الوسطى بلا خبرة زراعية وبموارد مالية قليلة؛ فإن العدد المتبقي لم يبق على أساس دائم، في حين بقيت المستعمرات على قيد الحياة فقط نتيجة المساعدة المالية العظيمة التي قدمها أعضاء من عائلة Second Aliyah بعد عام (1904م = 1322هـ) حتى بداية الحرب العالمية الأولى، قد جلبت حوالي 33.000 مستعمر من ضمنهم آلاف العمال اليهود الاشتراكيين يقودهم Devid Ben Gurion الذي أسس "حركة عمال أرض إسرائيل"، وقاد المهاجرين في الكيبوس الاشتراكي تعداد يهود حيفا Jaffa وتضاعف عددهم حوالي 10,000 شخصًا، ويهود حيفا الذي تضاعف عددهم ثلاث مرات ليصل إلى 3,000، في الوقت الذي تأسست فيه تل أبيب كمستوطنة مستقلة عام (1909م = 1327هـ).

ولم يكن قد مضى كثير قبل إقامة المستعمرين اليهود منظماتهم شبه العسكرية؛ للحفاظ عليهم والدفاع عنهم أفضل مما كان فيه المهاجرون القادمون قبل 1904م؛ لهذا فقد كانوا مختفين عن أعين السلطات العثمانية، التي عُرفت بعدائيتها للمستعمرات اليهودية أكثر مما كانوا فيه فى البداية، وقد سمي المشروع الأول بـ"Bar – Giora" وهو قائد – مقاومة اليهود ضد حكم الرومان في عهد الهيكل الثاني – وبعد عامين أسس عدد من Bar – Giora منظمة Hashomer السرية مع الأخذ في الاعتبار المعارضات الضخمة لتكوين منظمة سياسية يمكن أن تخلق جيشًا قادرًا على حمل عبء المهام القومية كلما كانت الحاجة لها، ولعلها تتضمن تأسيس دولة مستقلة، وفي الوقت الذي كانت فيه السلطات المحلية العثمانية على علم بالـHashomer ومثيلاتها من الجماعات، ولم يفعلوا شيئًا حيالها، خاصة منذ أن شعر Israel Shochat أن أهداف المنظمات يمكن أن تتم أفضل داخل دولة السلطان، وفي عام (1913م = 1332هـ) قدم طلبًا رسميًا لتأسيس مليشيات يهودية يمكنها أن تخدم كجماعة في الجيش العثماني.

ونتيجة لهذه المساعي، ارتفع تعداد اليهود في فلسطين بشكل مفاجئ في نهاية القرن

التاسع عشر وبداية العشرين، من 24,000 عام (1882م = 1300هـ) إلى 47,000 عام (1890م = 1308هـ)، ومن 80,000 عام 1908م إلى 85,000 عام 1914م ، مضاعفين حصصهم في المحصلة النهائية من خمسة إلى ما يتعدى الأحد عشر في المائة خلال نفس الفترة، وقد عاش هؤلاء- المهاجرون- الذين يُطلق عليهم بالعبرية Olim ليس فقط في المدن بل أيضًا في 26 مستعمرة زراعية. وعملوا بشكل ناجح، مطورين مستعمراتهم الأصلية في الــZichron Ya'akov ،Gedara ،Rishon L'tzion ،Petach Tikvah على طول الأرض الساحلية من حيفا إلى Jaffa، وبشكل جيد من Judea والخليل العليا، وبشكل ضخم بمساعدة مالية من قبل البارون الباريسيEdmond de Rothschild، الذي أرسل أيضًا رجال إدارة، وخبراء زراعيين، وأطباء ومدرسين ساعدوا المستعمرين على الأقل حتى نهاية القرن، في الوقت الذي اتجهت الصهيونية الجديدة تنتقد الحكومة العثمانية لمحاصرتها الهجرة اليهودية والاستيطان، ينبغي تذكر أن العثمانيين كانوا تحت ضغط شديد من سكان فلسطين من المسيحيين والمسلمين لوقف الهجرات الجديدة ورحيل هؤلاء الذين جاءوا مبكرين، وذلك بإصدار قوانين تضع إطارات عسكرية وإدارية لإخراجهم، والحقيقة أنهم ساعدوا الاستعمار اليهودي والاستيطان الذي لم يكن ممكنًا وجوده في مكان آخر.

الحقيقة أن عبد الحميد يعرف بالضبط ماذا تريد الصهيونية، فقد كان سفيره في واشنطن " على فيروخ بك Ali Ferruh Bey" قد ترعرع في فلسطين بينما كان والده واليًا على سنجق القدس، وكان مدركًا للغاية ما تفعله المستعمرات اليهودية هناك، بالإضافة إلى رد الفعل القوي لمسألة القومية العربية، وكنتيجة لذلك فقد تولى أمر دراسة المشاريع الصهيونية ونشاطاتها بينما كان يعمل في مواقع دبلوماسية مختلفة في باريس عام (1888م = 1306هـ) وفي لندن (1892م = 1310هـ) وفي بترسبرج عام (1894م = 1312هـ)، وفي واشنطن (1896م = 1314هـ)، وفي وقعته الأخير أبلغ السلطان في أبريل عام (1898م = 1316هـ) أن هدفهم بوضوح هو "تأسيس حكومة مستقلة في فلسطين"، وكان من المُرجح أنهم قد "عينوا حماية أخرى زائدة لنفوذ السياسة الغربية في الدولة العثمانية على المدى البعيد"، تتضمن ما ينبغي على عبد الحميد

القيام به من إجراءات معينة لتصحيح الخطأ الذي اقترفه أسلافه بالسماح لغير الجاليات الإسلامية بالاستقرار في فلسطين، ونتيجة لذلك انتهى السلطان إلى أن الصهيونية كانت تهديدًا لوضع دولته في فلسطين عن طريق إجراءات مثل إجبار الزوار من اليهود دفع تأمينٍ نقديٍ لضمان أنهم سيغادرون، وحصر نطاق درجة الأرض في فلسطين لليهود الأجانب.

ورغم هذه التصريحات والسياسات، استمرت الرغبة لدى السلطان في استيطان اليهود في أي مكان في الدولة، وبسبب إجاباته التي كانت غامضة كغموض مطالب هرتزل، فقد تجنب إغلاق الباب، في مقابل ذلك وعد أن يقدم لزعيم الصهيونية تفاصيل حساب المشاكل المالية للدولة، وأن يقوم بإعلان رسمي مؤيد لليهود في الوقت المناسب، ويبدو أن هرتزل قد قرأ أكثر مما كان قد عزمه في هذا الأمر، وبعد ذلك تخلى السلطان عما اعتقد أنه قد وعد به في موضوع السماح لآلاف أكثر للاجئين اليهود من ألمانيا وروسيا للاستيطان في موقعهم، ليس فقط في الأناضول بل أيضًا في استانبول وإزمير، وعندما عاد هرتزل إلى استانبول لسماع هذه القرارات، شعر أنه قد خُدع لأن فلسطين أيضًا لم تكن ضمنها، وبالطبع لم يقدر هرتزل التخلي عن وعوده لعبد الحميد بشأن تشجيعه أغنياء يهود أوروبا من أصحاب المصارف في تقديم المساعدة المالية للدولة العثمانية، منذ إنشاء البنك الصهيوني (ثقة المستعمر اليهودي) لهذا السبب عام (1897م = 1315هـ)، ولم يساند الصرافون اليهود ذلك، لهذا لم يكن هناك سبب للسلطان أن يغير عرضه الأصلي، بالإضافة إلى أنه لو كان هناك أي خديعة فلم تكن من السلطان– الذي أكد منذ البداية أنه يرغب في استقرار يهود أوروبا في أي منطقة باستثناء فلسطين– لكنها جاءت من هرتزل نفسه الذي سحب في كتابهJudenstaat وبعد ذلك في برنامج الصهيونية الرسمي في المؤتمر الصهيوني الأول في بازل (1896م = 1314هـ)، متجنبًا بشكل صريح الإعلان عن نيته الحقيقية في إقامة "دولة إسرائيل" في فلسطين لكي لا يعادي السلطان– الذي يود منه أخذ الإذن بذلك– أو أغنياء اليهود من أصحاب البنوك في أوروبا الذين كانوا سيمولون العملية، واستخدم تعبير "Home heimstaette" لنوع المستوطنة اليهودية التي قال أنه ينوي

إقامتها، ورغم هذا كان عبد الحميد الثاني مدركًا تمامًا لنوايا هرتزل الحقيقية، وتصرف بناء على ذلك.

وقد تحسنت العلاقة بين اليهود والأتراك المسلمين بسبب الدور الذي لعبه دونما سالونيك في ثورة جماعة الشباب التركي عام (1908م = 1326هـ)، التي أسقطت الحكم الفردي لعبد الحميد، وقد كان "إيمانويل قاراسو Emmanuel Carasso" المحامي السالونيكي- الذي لقب بـKarasu في السنوات الأولى للجمهورية التركية- قريبًا لكثير من زعماء الشباب التركي في مسقط رأسه ، خاصة مع "طلعت باشا Talat Pasha"، واستخدام عضويته في الجماعات الماسونية المحلية لتوفير الأماكن التي يلتقي فيها جماعة الشباب الترك للتخطيط لنشاطاتهم الثورية، وقد خدم مؤخرًا كنائب في البرلمان الاتحادي، وكان له تأثير عظيم مع طلعت باشا في السياسة الاقتصادية. إن تأثير وأهمية الدور الذي يلعبه يهود سالونيك في نجاح حركة الشباب الترك كان موضوع نقاش بين الطلاب، ولم يكن هناك شك في أن الجماعات اليهودية في كل مكان في الدولة تشجع بقوة وتساند الثورة، وقد سعدوا جدًا بنتائجها.

الحاخام الأكبر حاييم ناحوم أفندي Haim Nahum Efendi:

قاد الطريق لجعل الجماعة اليهودية مشاركة بفاعلية في مجالات عديدة في الحياة العثمانية خلال العقدين الأخيرين للدولة؛ فهو الشخصية الأكثر إثارة للخلاف، إن الحاخام الأكبر حاييم أفندي (1873م – 1960م = 1290 – 1380هـ)، الذي ظل زعيم الجماعة اليهودية من 1909م حتى استقالته إبان احتلال التحالف استانبول عام (1920م = 1339هـ)، منذ البداية أظهرت تربيته وسيرته الذاتية آمال هؤلاء الذين يرغبون في دمج يهود الدولة العثمانية في الحياة العثمانية، فقد ولد لأسرة فقيرة في Manisa مغنيسيا- بالقرب من إزمير- عام (1873م = 1290هـ)، درس أولًا دراسات إسلامية ويهودية تقليدية، تعلم كلًا من التلمود بالعبرية والقرآن بالعربية في Yeshiva في Tiberius 1881)م–1886م=1299–1304هـ)، حيث أحضره جده قبل العودة لإتمام تعليمه في مغنيسيا ، حيث تعلم التركية والفرنسية، وقد رعى حاكم مغنيسيا الشاب ناحوم بنفسه جيدًا في هذه الدراسات الأولية، وبعد ذلك موَّل تعليمه في المدرسة السلطانية الثانوية

العثمانية في إزمير، ثم في المدرسة السلطانية للقانون في استانبول، حيث تخرج عام (1891م =1309 هـ)؛ لهذا اكتسب تعليمًا كاملًا في كل من المجالات الدينية والمدنية، وهو ما كان نادرًا بين معاصريه من اليهود آنذاك.

لم يكن لديه رغبة في أن يحصر تعليمه على حدود الدولة، وبمجرد أن أتم كل النظام التعليمي المتاح في فترة التنظيمات، أصر على استكمال دراسته في أوروبا، وفي عام (1891م = 1309هـ) حصل على منحة تعليمية من AIU، فقد كانت تقوم بتمويل التعليم الديني لعدد من يهود الدولة العثمانية ليصبح لها دور في التأثير وتوجيه عملهم التالي، وبهذه المساعدة– التي قيدته بشكل طارئ للتقرب من الـAIU الأعوام التالية– أكمل ناحوم تعليمه في باريس، ودرس في البداية في كلية الحقوق (1891م– 1892م= 1309– 1310هـ) ثم في المعهد اللاهوتي للأحبار على النمط الحديث (1893م– 1897م = 1311– 1315هـ)، الذي يقدم مناهج دنيوية ودينية تؤهل الحاخام بأسلوب جديد ليكون قادرًا على قيادة مجتمعه في العالم الحديث، حصل على درجة القانون بالإضافة إلى لقب سامية الكاهن كحاخام عام (1897م = 1315هـ) ، وفي نفس الوقت درس العربية والفارسية في المدرسة الخاصة للغات الشرقية، ودرس الدين الإسلامي في قسم العلوم الدينية في المدرسة التدريبية للدراسات العليا، وفي المدرسة الثانوية الفرنسية وفي المدرسة الفرنسية "Coiiege de France " حيث بدأ في دراسات حول الإسلام، في نفس الوقت اتصل بالمسلمين الأتراك المنفيين في باريس مثل جماعة الشباب الترك الذين يثيرون بفاعلية الاضطرابات ضد حكم السلطان عبد الحميد الثاني الاستبدادي.

ومع عودته إلى إستانبول عام (1897م=1315هـ)، بدأ ناحوم عمله بالتدريس في مدرسة AIU في (خاصكوى Hasköy)، إحدى المراكز التقليدية في حياة اليهود، وأيضًا في غالاطه، حيث الازدهار الجديد لليهود الذين انتقلوا منذ حرب (القرم Crimean)، وفي نفس الوقت– وبنفس الحيوية ووجهة النظر التي ظهرت في سنوات دراسته– عمل بنشاط على تعريف نفسه بين أقرانه من رجال الدين، فأثار إعجاب العديد من العناصر التقدمية، التي شعرت أنها قُيدت تحت قيادة الحاخامات التقليديين (المحافظين) الذين استمروا في السيطرة على الجماعة آنذاك، فكان طوال الوقت يقوم

بالدعاية بنشاط لصالح AIU ولأفكاره، كما استغل معرفته باللغة التركية- التي كانت ماتزال نادرة بين الحاخامات المعاصرين- للتعريف بالـAIU والتحديث في الجماعة اليهودية، وذلك أثناء الحصول على موافقة الحكومة العثمانية لنقل معهد الأحبار إلى استانبول- المؤسس في أدرنة عام (1891م = 1309هـ) بتمويل AIU- لتدريب شباب الحاخامات بطريقة أكثر حداثة مما كان معتادًا في السابق، وقد انضم ناحوم لمديرها، "إبراهام دانون Abraham Danon"- الزعيم التقدمي اليهودي العتيد في أدرنة- في بناء المدرسة في موقعها الجديد، وبعد فترة وجيزة تزوج ابنة Danon سلطانه Sultana، وقد ذاعت شهرة ناحوم بين أغنياء يهود استانبول، واتسعت أكثر عام (1899م = 1317هـ) عندما احتفل (بيوم الكيبور Yom Kippur) داخل معبد حيدر باشا بحضور المليونير الأمريكي الخيري المحسن " أوسكار شتراوس Oscar Strauss" – سفير الباب العالي – بالإضافة إلى البارون "إدموند دى روزشيلد Edmund de Rothschild".

آنذاك ارتفعت الحركة الصهيونية وجهود عملائها في استانبول، وأثرت على عمل ناحوم، وأظهرت بطريقة ما أثر عليه خلال ما تبقى من عمره، فقد ضم ناحوم الآن اليهود الناجحين كجزء من الدولة العثمانية، واستاء من طموحات الصهيونية في بناء وجود يهودي في فلسطين، فهو على ثقة أن ذلك سيؤدي إلى حنق العالم الإسلامي ضد كل اليهود. وقد أدى ذلك إلى رفض الصهيونية في صوفيا عام (1898م = 1316هـ)، ومرة أخرى عام (1902م = 1320هـ)، بسبب مساعي "جاك بيجارت Jacques Bigart" السكرتير العام لـAIU - حيث عينه حاخام أكبر المنظمة.

عمل ناحوم آنذاك للارتقاء بعمله كحاخام أكبر في استانبول، فأثر في AIU عام "1904م = 1322هـ) لتعيينه كسكرتير لـ(المجلس الجسماني Meclisi Cismanı) ورئيس المحكمة العليا، فهو يتصرف كثيرًا أو قليلًا كنائب للـ AIU للتأثير بسياساتها، بالإضافة إلى أبحاثها الداخلية ومع تقدم الحاخام الأكبر "موشى ليفى Moshe Levi" في العمر، لم يعد قادرًا على تحمل مهام منصبه بنشاط.

بدأ الكفاح القوي بين نائب نائب (قائم مقام Kaymakam) – الذي يمثل أغلب

العناصر المحافظة في المجتمع – في الوقت الذي يُبقي فيه ليفي بعلاقات قريبة السلطان والقصر والداعين للحداثة– الذين كان ناحوم يدعمهم بوجه عام– والمحافظون من الأحبار المسيطرون على المجلس، فإن ناحوم استطاع ضمان استمرار المساندة المحلية للمعهد اللاهوتي ومدارس AIU.

وقد ازدادت علاقات ناحوم عندما بدأ تدريس اللغة الفرنسية في مدرسة الهندسة المُلْكِيَّة وفي مدرسة المدفعية عام (1900م =1318هـ)، حيث تعرف على "سليم سري بك"، أحد مساعدي السلطان عبد الحميد الثاني ونائب رئيس اللجنة المركزية للاتحاد والترقي، تاركًا على الأقل إمكانية التورط في نشاطات جماعة الشباب الترك آنذاك.

وبعد فترة التحق بنشاط مع الجماعة اليهودية في غالاطه، لتنظيم وتحديث إدارتها أثناء خدمته كـ mare de atra، وقد قام الشاب "آڤرام غلنطي Avram Galante" بهجوم شعبي قوي ضد الفساد والحكم الاستبدادي المتغلغل في منصب الحاخام الأكبر تحت زعامة ليفي ومسانديه من المحافظين، الذين يميلون لتشويه سمعة ناحوم، رغم أنه عارض بهدوء المحافظين، وللتخلص من المشكلة التي لا يمكنه حلها، ذهب ناحوم إلى (آباسينياAbyssinia) عام (1907م– 1908م = 1325 – 1326هـ) لدراسة الفلاشا تحت رعاية AIU، لهذا فقد غاب عن استانبول أثناء ثورة جماعة الشباب الترك (23,24 يوليو 1908م = 1326هـ)، وعندما تم إعادة دستور عام (1876م = 1293هـ) عاد فورًا بعد ذلك آملًا أن ينتهز الفرصة في الفترة الدستورية لإصلاح إدارة الجماعة اليهودية.

لقد شجع حاييم ناعوم وحفز من حوله على فكرة تحديث أعضاء من الجماعة اليهودية في استانبول المحتفظة بعلاقات وثيقة مع جماعة الشباب الترك وتساندها بنشاط، فاشتركت الجماعة اليهودية بحماس في احتفالات ومظاهرات شعب الدولة التي تتبعها، وفي نفس الوقت عمل ناحوم على الاستفادة من هذه التغييرات – التي قامت في بناء سياسة الدولة؛ لتنفيذ الإصلاحات في منصب الحاخام الأكبر ورئيس الحاخامات في كل مكان في الدولة، التي دافعوا عنها خلال العقد السابق – مع جماعة الشباب الترك وحزب الاتحاد والترقي الذى أسسوه بقوة لمساندة مساعيهم، إن الوسيلة الحالية للإصلاح بإنشاء Meclisi Cismanı، الذي أهمله ليفي في الأيام

الأخيرة لخدمته كقائمقام، لكن الحاخام الأكبر أو القائمقام هو الوحيد الذي يمكنه أن يدعو إلى عقد المجلس العمومي Meclisi Umumi - الذي يملك القوة وحده، بموجب القانون الأساسي لانتخاب أعضاء المجلس الجسماني Meclisi Cismanı، وقد رفض ليفي أن يقوم بهذا خوفًا من التغييرات التي يخشى أن تلحق به، وفي النهاية اجتمع المجلس العمومي Meclisi Umumi في التاسع من أغسطس عام (1908م=1326هـ)، وقد كان كل من ناحوم وحماهُ "أبراهام دانون Abraham Danon" – حاخام أدرنة – مُعينين كأعضاء من رجال الدين في مجلس جسماني، بالتساوي مع الزعيم التقدمي الإشكينازي الحاخام "ديفيد ماركوس David Marcus"، لهذا قُدمت الإصلاحات في المجلس بأغلبية قوية مائلة إلى التحديث، بينما كان ناحوم المرشح الاتحادي لخلافة ليفي لبعض الوقت، وفي اللحظة الأخيرة تراجع بسبب نشاطاته السياسية القوية باعتباره "صغيرٌ جدًا على الترقية.. في بيئة استانبول.."، وفي مقابل ذلك سانده حماهُ Danon – البعيد عن السياسة لكنه مازال مائلًا إلى التحديث– وهو ما سبب انفصامًا ومرارة للحملة التي قادها للتحديث، أخيرًا استقال ليفي في 12 أغسطس عام 1908م = 1326هـ تاركًا الراغبين في التحديث في تحكم كامل لمنصب الحاخام الأكبر، لهذا انقسموا إلى قسمين فيمن يخلفه، وخلال عدة أيام انتخب حاييم ناحوم خلفًا لليفي كقائمقام رغم الحلف المعارض له، وتولى منصبه في السابع من مارس عام (1909م=1327هـ)، وهو ما أدى إلى تحول الجماعة اليهودية نحو اتجاه جديد تمامًا كنوع من إصلاحات الفترة الدستورية، عن طريق المتحالفين والمساندين له، وهو ما يعني فقط أن الرغبة في الإصلاحات يمكن أن تحدث.

كانت أول مهمة لناحوم هو تحويل منصبه كقائمقام إلى وظيفة نظامية (رهبانية) مثل الحاخام الأكبر، وهي الأولى منذ تولي "ياكير جيرون Yakir Geron" منصبه عام (1863م = 1280هـ)، ولإتمام ذلك كان عليه دعوة أعضاء استانبول الثمانية في المجلس العمومي، الذي يجب عليه أن يجمع– طبقًا للقانون الأساسي– أربعين نائبًا محليًا إضافيًا للانتخاب، لكن إذا كان الداعون للحداثة قد سيطروا على المجلس الجسماني، فإن المحافظين والأرثوذكس مازالوا محتفظين بالغالبية في الجانب الأكبر، وقد عارضوا

بوضوح انتخاب ناحوم لأي منصب رئاسي، مع مساندة قوية من Hifsverein der Deutschen Juden المؤسس عام (1901م = 1319هـ) ومن المنظمة الصهيونية في استانبول التقدميين حيث تكون السياسة آنذاك ضد الصهيونية، لهذا نشأت الحملة السياسية داخل الجماعة اليهودية، مع كلتا الجماعتين حيث قامتا بدعاية واسعة النطاق في الصحافة اليهودية وتأمين المساعدة من الحلفاء في أوروبا، قام ناحوم بجولة طاف بها المراكز اليهودية القديمة في الحي اليهودي في استانبول، و(خاصكوى Hasköy) ومسقط رأسه (بالاط Balat)، وكذا الضواحي، حتى (أورطه كوى Ortaköy) على البسفور، حيث عاش ليفي ومساندوه بقوة على وجه الخصوص، وقد ناشد ناحوم مساندة الصهيونية ضد المحافظين– الذين عارضوا تأسيس دولة يهودية في فلسطين أكثر مما فعل– لكنه لم يكن ناجحًا في هذا الأمر بسبب رفضه المستمر لمساندة هدف الصهيونية الجوهري. وقد أمد AIU بنفسه ناحوم بدعم مالي قوي بالإضافة إلى مساندة الجمعيات اليهودية الاجتماعية والأخوية، التي دافعت عن الإصلاحات طويلًا، على أمل الفوز في النهاية بالسيطرة على الجماعة اليهودية، وقد أثر المحافظون في تشجيع نقابة الجزارين الشرعيين القوية Kosher butchers للقيام بإضراب، وفي حرمان الكاهن الأكبر من مصادر دخل ضريبة الملح التي يحتاجها لإدارة نشاطاته الطبيعية، وترك جانبًا مواجهة النفقات المقدمة للدعوى لاجتماع المجالس الاستشارية التي تتطلب انتخاب الحاخام الأكبر الجديد. إن خصومه (خصوم ناحوم) أيضًا قد ضغطوا على علاقات ناحوم القريبة بـ AIU، معلنين أن انتخابه يمكن أن يعطي اليهود الأجانب سيطرة على يهود الدولة العثمانية، وقد قاوم AIU وجمعياتها هذا الضغط بافتتاح محل جزارة جديدة وبيع لحم حلال في الشريعة اليهودية بأسعار أقل من تلك المتاحة عن طريق النقابات، وهو ما أثبت نجاح المساعي لكسر الإضراب.

إن التقدم على الحاخام الأكبر أصبح معقدًا ومتشابكًا في حملة الانتخابات العثمانية– التي جرت خلال شتاء (1908م–1909م = 1326– 1327هـ) لاختيار أعضاء البرلمان العثماني الجديد– مع انقسام بين صفوف اليهود المطالبين بالتحديث والمحافظين الصهيونية، التي أقامت خصومة تقليدية أكثر بين السفارديم والإشكيناز والقرائيين[2]،

وقد قاد ناحوم المطالبين بالتحديث، فساند مرشحي الاتحاد والترقي الناجحين، وقد اختاروا بأنفسهم أربعة أعضاء من (مجلس المبعوثان) وواحدًا من مجلس الأعيان (مجلس الشيوخ)، في حين عرضت الجماعات السياسية الصهيونية المحافظين العدو المشترك لهم (المطالبين بالتحديث)؛ الذي يقوده ناحوم ونال فشلًا ذريعًا، وتحت قيادته، استمر أعضاء من الجماعة اليهودية يلعبون دورًا سياسيًا نشطًا في التعاون مع النقابيين خلال الفترة الدستورية من (1908 – 1912م = 1326 – 1331هـ). إن نجاح السياسي خارج الجماعة قد مكن بسرعة ناحوم أن ينجح في التعيين في منصب الحاخام الأكبر، وعن طريق عبارات القانون الأساسي بعد الانتخابات البرلمانية في 12 يناير 1909م=1327هـ، أعلنت أسماء خمسة مرشحين للمنصب، باستثناء من كان عليه الاختيار، واجتمع أربعون مرشحًا محليًا وبعض المظاهرات من نواب سالونيك وأدرنة والقاهرة والأسكندرية، على ما اعتبروه أنه ضمن مهام لجانهم البرلمانية، لأنها تتعلق بهؤلاء التابعين لاستانبول، وفي النهاية انتخب ناحوم الحاخام الأكبر بأغلبية صوتت لصالحه في 24 يناير 1909م = 1327هـ .

خلال هذه السنوات كحاخام أكبر، لم يكن ناحوم قادرًا بحق أن يحقق في الجماعة اليهودية الإصلاحات الحديثة التي تخيلها ودافع عنها، وذلك لأسباب بعضها كان سياسيًا: فقد استمرت جماعة منقسمة للغاية، فلم تكن المؤسسات السياسية والخطط المطروحة مستقرة، حتى بعد انتخابه كان من النادر عليه أن يحصل على الأغلبية في المجالس لأي أمر حاسم.

أما أكثر المصاعب التي واجهتهم فكانت مالية، ناشئة من التوسع العظيم للسنوات الطويلة التي كان فيها ليفي قائمقام، فقد سمح بسلطات القيادة أن تنحل وتتفكك، متضمنة بشكل واضح تخليه عن مجموعة الـ Gabelle (الخاصة بضريبة الملح)، والضريبة التقليدية على مبيعات اللحوم، والـ Kisbe، والضريبة النسبية للدخل الفردي، والتي كونت بشكل تلقيدي الأساس الهام للحاخام الأكبر، وقامت بعض محال الجزارين الذين يبيعون اللحوم المباحة في الشريعة اليهودية بإضراب ضد انتخاب ناحوم الذي أعلن أنه سيفرض ضريبة الملح مرة أخرى، حتى بعد انتخابه، استمروا

بنجاح في معارضة منصبه، مكتسبين المساندة من أغلب أعضاء الجماعة الذين ساعدوا لتجنب دفع أي ضرائب كلما كان ممكنًا، وكانت السلطات العثمانية هي الوحيدة التي لها القوة الممكنة لإجبار الجزارين لجمع ودفع الضريبة، لكن حتى عندما حصل ناحوم على وزارة العدل لإصدار تذكرة جديدة (في 27 يونيو 1910م = 1328 هـ) وأمر نقابة الجزارين بتنفيذ الأمر، لم يكن الأمر جبرًا، لهذا ظلت متروكة حتى نهاية عهده، لم يحقق ناحوم أي نجاح أكثر من جمع الـKisbe - الضريبة المناسبة بشكل محدد لقسم من الجماعة في المقاطعات (Hashgahot)، وقد انحلت سلطاتهم في جمع الضرائب ممن حولهم، فكان أفضل تحصيل للضريبة بنسبة صغيرة فقط لمن كان مدينًا بها عن طريق الأعضاء الأثرياء من جماعتهم، وبلا أي دعم مالي كان قادرًا بشكل أفضل في الحفاظ على المعاهدة التعليمية والاجتماعية للجماعة بمساعدة AIU، والمنظمات الخيرية الأجنبية الأخرى والفردية، لكن مجهوداته لتحديث إدارة الجماعة اليهودية ولتوسيع سلطته على رؤوساء الأحبار المحليين- حيث العلاقة قد ذكرت فقط بشكل مبهم في القانون الأساسي- كانت فاشلة، ويرجع ذلك ليس فقط إلى المقاومة المحلية الطبيعية لأي توسع للسلطة المركزية، لكن أيضًا نتيجة لانتشار التأثير الصهيوني في الإقليم أكثر من العاصمة.

كان نشاط الصهيونية في الدولة يتزايد بالفعل، مما أوجد غالبية جديدة منقسمة داخل الجماعة اليهودية وازدياد العداوة من ورائها، بدأت المنظمات الرياضية الألمانية Turnvereine)) عمليا بين صفوف يهود منطقة (بالاطBalat) في استانبول عام (1895م = 1313هـ)، وفي منطقة Filibe وفي (Plovdiv) قبل ثلاث سنوات، ثم نقلت فروعها المحلية لوكلاء الحركة الصهيونية، وقد تأسس أول مكتب رسمي للحركة الصهيونية في دولة مسلمة في استانبول عام (1908م = 1326هـ) حيث أسسه Victor Jacobson (1869-1935م=1286-1354هـ)، بمساعدة أشخاص بارزين في الحركة الصهيونية أمثال Arthur Ruppin، Vladimir Jabotinsky، Richard Lichtheim، تحت غطاء الشركة المصرفية الإنجليزية الشرقية Anglo-Levantine Banking company التي نشطت في جذب الانتباه، وفي تنظيم أعضاء من الجماعة اليهودية

تعارض سيطرة المطالبين بالتحديث، التي يقودها حاييم ناحوم AIU .

مع يهود الدولة العثمانية كان النجاح العظيم خلال حكم عبد الحميد الثاني، فقد وجدت هذه الحركات الصهيونية مساندة محلية يهودية قليلة، خاصة ضمن صفوف المهاجرين الإشكيناز القادمين مؤخرًا من وسط وغرب أوروبا، وفي سالونيك، حتى أثناء احتلالها من قبل اليونان عام (1912م = 1331هـ)، حيث كانت جماعات اليهود فيها بعيدةعن التقدم الاجتماعي والسياسي أكثر من استانبول، فقامت بتنظيم اليهود المحليين، وقيادة منظمات العمال الاشتراكية التي شجعت مجتمع سالونيك على الثورة بشكل عظيم ومزقته في بداية سنوات القرن العشرين.

إن الكفاح بين حركات الصهيونية وقادة جماعة يهود الدولة العثمانية قد تدرج في خطوات مختلفة، وكان "حاييم ناحوم" مدركًا هذا الأمر للغاية، ونتيجة لرفض الأقلية من القوميين المبتدئين في جماعة الشباب الترك المطالبة بمساواة كل الرعايا بغض النظر عن الدين، فقد تحولت جماعة الشباب الترك من التيار العثماني إلى القومية التركية، وهم الآن يأملون فيه، وهو إمكانية تأسيس دولة تركية. وفي ظل هذه الظروف كان يعرف حاييم أنه لا يمكنهم قبول الفكر الصهيوني في تأسيس دولة يهودية في فلسطين، وأنهم يمكن أن يكون رد فعلهم سلبيًا جدًا لو ساندت جماعة يهود الدولة العثمانية الحركات الصهيونية، لهذا رفض حاييم بقوة المساعي الصهيونية للتأثير على زعماء جماعة الشباب الترك في تأييدهم، مُتجنبًا أي منصب شعبي لصالح نشاطاتهم وتصريحاتهم، لكنه عمل بشكل خاص ومستمر ضد مساعيهم للحصول على مساندة الجماعات اليهودية في سالونيك وفي أي مكان في الدولة. وفي نفس الوقت عمل ليؤكد للحكومة استمرار ولاء اليهود عن طريق الإلحاح في مطالبة جماعة الشباب الترك رفض الحركة الصهيونية والمطالب الأخرى للسماح بمستوطنات يهودية إضافية في فلسطين، وبدلًا منها الاستيطان في الأناضول أو العراق، كما قدمها Israel Zangwill ، أو الأجزاء الأخرى في الدولة خارج فلسطين، إن الحركات الصهيونية أصرت على ألا تُقام المستعمرات اليهودية خارج أرض إسرائيل، وكان ذلك– في الحقيقة– فقط في فلسطين حيث المستعمرات اليهودية الهامة التي تم افتتاحها في سنوات قبل الحرب العالمية الأولى.

لقد قامت المنظمة الصهيونية بكل شئ يمكن أن يعارض ناحوم وحلفه المؤيد، عن طريق تشجيع ومساعدة الجماعات الأرثوذكسية التي استخدمت مناصبها لإبطال العمليات المالية وأنشطة الحاخام الأكبر، وبالتعاون معHilfsverein أنشأت الحركات الصهيونية جمعيات ماسونية Bnai Birth عام (1911م= 1330هـ)، في مسعى لتنظيم وتوجيه المساندة الشعبية ضد الحاخام الأكبر وبشكل واضح الاستفادة من الانقسامات الطويلة بين السفارديم والإشكيناز؛ لتطويع المساندة للجماعة الأخيرة (الإشكيناز)؛ بسبب إقصائهم من المجالس الداخلية للجماعة اليهودية .

إن صراعات ناحوم مع الحركات الصهيونية كان يدعمها بقوة الرئيس المحلي لـ AIU، Israel Fernandez الذي أعلن "أن الحركة التي قادها د.هرتزل هي حركة ضارة بمصالح يهود تركيا وعلى عمل الـAIU ، وضارة أيضًا على "المستعمرة الفلسطينية". وقد قام ناحوم – أيضًا بمساندة ومساعدة السلطان والحكومة العثمانية– عن طريق الحصول على موافقة الحكومة على سن قانون جديد لانتخابات مجالس الجماعة، إذ من الممكن أن تقاوم الجماعة التي تدعم الصهيونية بشكل أقوى.

ظهرت المعركة على صفحات الصحافة العثمانية اليهودية مع Jacobson إذ قام برشوة صحيفة استانبول الصادرة بالفرنسية Auroe "الفجر"، والصحيفة الصادرة باللغة التركية "اتحاد"، وصحيفة أخبار سالونيك "Journal de Saloniqe"، في حين قدم الحاخام الأكبر رشوة مع AIU للصحيفة الصادرة بالعبرية والأسبانيةEl Tiempo (التي حررها David Fresco) التي وافقت أحيانًا على دعم الحركات الصهيونية، كما قدم Jacobson أيضًا رشوة للصحيفة الصادرة بالفرنسية Courrier d'orient (رسول الشرق) قبل أن يحول رئاسة تحريرها إلى Vladimir Jabbotinsky. وقد نشر عملاء الصهيونية صحفهم الخاصة في مصر والعراق وسوريا فأثارت نطاقًا صغيرًا من اليهود الذين كانت لديهم الرغبة أكثر للاستماع لمشروعاتهم بسبب هجمات نصارى العرب المستمرة والمُنظمة ضدهم.

وفي Balat – التي ماتزال المركز التقليدي ليهود استانبول – تأسست منظمة المكابية الصهيونية، بشكل ظاهر لتشجيع المساندة بين الشباب اليهودي، وأسست مكتبها

المحلي في Ha Hemla المشيد في Tahta Minare sokak (المعروف الآن بـVodina) وعقدت اللقاءات والاجتماعات لتشجيع الشباب اليهودي للذهاب والاستقرار في فلسطين، وعندما كان أعضاؤها يصطفون في شوارع Balat في موكب بشكل منظم، رافعين علمًا، وهو الذي استمر يؤكد على ولاء اليهود للدولة. إن الانقسامات العرقية بين الإشكيناز والسفارديم ظهرت على السطح مجددًا الآن، إذ إن الإشكيناز يقدمون أهم المساندات النشطة للصهيونية، في الوقت الذي يجتمع السفارديم في تساند حول شخصية الحاخام الأكبر لتجديد إعلانهم وولائهم للسلطان وللدولة، التي قامت برعايتهم وحمايتهم لقرون عديدة، وقد تعاون ناحوم مع المنتمين للحركات الصهيونية لفترة قصيرة، لكن بعد عام (1910م = 1328هـ)، خاصة بعد أن بدأت الصهيونية يوجه إليها النقد على يد النقابيين، وكذلك داخل الجماعة المسلمة بسبب ما بدا لهم بأنه تهديد للاستيلاء على فلسطين، انقلب ناحوم مرة أخرى ضدهم، والآن- ولهذا السبب- كان من ضمن المنتمين للحركة الصهيونية من طالبوا بجعل مؤسسات الحاخام الأكبر ديمقراطية، معارضين بذلك من يسمون السلطة الاستبدادية للأقلية التي يقودها حاييم ناحوم.

وجاء الآن إلى الدولة العثمانية شباب ينتمون للحركات الصهيونية منْ أرض إسرائيل كمندوبين للـPo'alei zion، ونزلوا في بادئ الأمر يالونيكا، وبعد احتلال اليونان لها عام (1912م = 1330هـ) أتوا إلى إزمير واستانبول تحت اسم دراسة القانون لكنهم في الحقيقة كانوا لنشر رسالتهم الصهيونية، وصاروا بعد ذلك قادة الـYishuv وأطفال دولة إسرائيل التي تكونت بعد الحرب العالمية الثانية أمثال Moshe Sharett، David Ben Gurin، Yitzah Ben Zvi. عملوا أحيانًا مع النقابيين، للحصول على مساندتهم للأهداف الصهيونية، وكان يُستشهد بقول رضا توفيق أن الصهيوني يمكن أن يكون عثمانيًا وأيضًا يهوديًا وطنيًا. وأصبح الآن أحمد رضا الرئيس القديم لجماعة الشباب الترك في باريس رئيسًا للبرلمان، وانضم أحمد توفيق لوزير الخارجية سعيد باشا في إصدار تصريحات شعبية لصالح الصهيونية، لقد تجرأ المنتمون للحركة الصهيونية، وبدأ ذلك بتوسيع مطالبهم لوضع نهاية للمعوقات العثمانية المفروضة على هجرة

اليهود إلى فلسطين، والدفاع عن تأسيس بعض أنواع المراكز هناك لمضايقة يهود أوروبا خاصة يهود روسيا وبولندا، فهي ماتزال تحت السيادة العثمانية ودون أية تصريحات صريحة لطموحات حول الاستقلال والحكم الذاتي.

إن كل هذه النشاطات الصهيونية والتصريحات المقصودة، سواء في استانبول أو فلسطين، قادت لتصريحات معادية للسامية صرح بها بعض السياسيين العثمانيين المسلمين، بقيادة Gümülcine İsmail، قائد جماعة الشعب (أهالي فرقة سي)، الذي عبر عن مخاوفه من إمكانية تأسيس دولة يهودية، ليس فقط في إسرائيل، لكن أيضًا في Mesopotamia أرض العراق أيضًا، وهو يقصد بذلك ملجأ اليهود القدامى في Babylon. وكان هناك بعض المخاوف صرح بها لكونها مؤامرة حقيقية لتأسيس سيطرة ألمانية في الشرق الأوسط العثماني، وقد بدأ بعض الشباب الترك والنقابيين أنفسهم في التساؤل إلى أي مدى يجب أن تُساند الحركة الصهيونية التي هددت الآن بوضوح أن تفصل أحد أقدس الأماكن الإسلامية عن الدولة، وفي البداية، وبعد إعادة الدستور عام (1909م = 1327هـ)، أعلن حزب الاتحاد والترقي رسميًا مساندته لهجرة اليهود لكل أجزاء الدولة، لكن قادته فضلوا دخول اليهود للدولة إزاء استمرار البرامج الروسية، فقد بدأوا التعبير عن الشعور بأن تركيز اليهود في أماكن معينة لابد أن يُمنع لكي لا يخلق مشكلة قومية جديدة بالإضافة إلى هذه المشاكل التي تزعجهم في نصف القرن السابق. وبعد الثورة المضادة في 13 أبريل 1909م = 1327هـ) فإن النقابيين غيروا مناصبهم السابقة، وعارضوا أي تغيرات في المعوقات التي فرضها عبد الحميد على هجرة اليهود إلى فلسطين، فهم على غراره استمروا في إعطاء الأمل أن اليهود يمكن أن يستوطنوا أي مكان في الدولة العثمانية.

رغم هذا تغيرت التصرفات بين النخبة الحاكمة في استانبول، ولبعض الوقت استمر الحكم العثماني للقدس في السماح بالاستمرار في بيع الأراضي لليهود، ولمنع مشاعر المعاداة للسامية أن تنتشر بين الأتراك في مواجهة استمرار الاستيطان اليهودي في فلسطين، أنشأ يهود الدولة العثمانية جماعة الإخوة اليهودية (موسوي أخوت جمعيتي) عام (1909م = 1327 هـ) لتشجيع الصداقة والمشاعر الإيجابية مع المسلمين. كما انخرط

اليهـود في الحركـات الاجتماعيـة الديمقراطيـة العثمانيـة الأولى ومـنظمات العمال، التـي تطورت في استانبول وخاصة في سالونيك بعد (1908م = 1326هـ)، على يـد Avrom Benaroya الذي جمع جماعات من العمال عرقية مختلفة في جمعيـة سـالونيك الاشـتراكية في أكتـوبر عـام (1908م = 1326هـ)، ونـشر صـحيفة العـمال Anele Gazetesi قبـل أن تـنفض الحركـة في بـدايات (1909م = 1327هـ) بـسبب الانقـسامات القوميـة بـين أعـضائها، وفي عـام (1911م = 1329هـ) نفـي Benaroya إلى صربيـا وحـذرت حركـة سالونيك الاشتراكية بسبب اتهامات وجهـت لحركـة في محاولـة اغتيـال الـسلطان محمـد رشاد الخامس أثناء زيارته لسالونيك في العام السابق.

ولم تؤثر المشكلات المتعلقة بالصهيونية على ازدهـار يهـود الدولـة العثمانيـة أو ازديـاد حركاتهم الهامـة في الحيـاة العثمانيـة خـلال الفـترة النيابيـة (فـترة الدسـتور) قبـل الحـرب العالمية الأولى، فقد كان هناك الكثير من موظفي اليهود في الحكومة أكثر مما كـانوا عليه تحت حكم عبد الحميد الثاني، وقد عقدوا العزم أن يقوموا بأفضل مما يقوم به الموظفـون المسلمون سواء في الأجرة والترقية، ويخدم اليهود الآن طواعية في الجيش العثماني، مـع مراعـاة بعـض الترتيبـات، كتـوفير طعـام طبقًـا للـشريعة اليهوديـة ومراعـاة إجـازة يـوم السبت والشعائر الدينيـة الأخـرى الخاصـة بـالجنود اليهـود، وقـد تحـسنت العلاقـة بـين اليهود والأتراك المسلمين أكثر نتيجة لازدياد شعور الاستياء عند الأتراك المـسلمين مـن النشاطات العنيفة للجماعات القوميـة المـسيحية في مقـدونيا وشرق الأناضـول، خاصـة المساندة الواضحة لكثير مـن رعايـا الـسلطان مـن النـصارى لجهـود دول البلقـان لطـرد العثمانيين خارج أوروبا تمامًـا خـلال حـرب البلقـان الأولى (1912 – 1913م = 1331 – 1332هـ) .

إن ازدهـار الـصرافين مـن اليهـود والتجـار وأصـحاب المـصانع، قـد نـشأ نتيجـة الإصلاحات التي قدمت خلال فترة جماعة الشباب الترك، إذ ظهـر فيهـا تحـسن الإدارة العثمانية ونظام الضرائب وتحريـر التجـارة مـن القيـود التـي فرضـها عبـد الحميـد، ومـع استمرار تطوير التعليم العثماني العام انتهز شباب اليهود الفرصة كاملـة الآن للالتحـاق به بالإضافة إلى مدارس AIt والأكثر التحاق بالمدرسة الألمانية التي افتتحها " Viennese

Allianz، Hilfsverein der Deutscen Juden"، كما وصلت استانبول أعداد وفيرة من أثرياء اليهود من الصرافين ورجال الأعمال من أوروبا – الذين يهتمون بهذا الأمر أكثر من رعاية شئونهم"؛ لهذا كان هناك أحيانًا دعم قليل للصهيونية بين أغلب يهود الدولة العثمانية، في الوقت الذي استمرت علاقاتهم مع إخوانهم من المسلمين بشكل ممتاز.

ويسبب تدفق كثير من اللاجئين اليهود على الدولة بسبب الاضطهاد في اليونان وصربيا ورومانيا وروسيا، فإن يهود الدولة العثمانية (بما فيهم ناحوم نفسه) قد أجبروا على تحويل مواقفهم بالموافقة على استيطان اليهود في فلسطين في مواجهة الحاجة الضخمة لإيجاد منازل ووظائف لهم، قد كان أغلب المهاجرين بشكل مبدئي أولًا إلى استانبول، حيث غمروا بشكل واقعي قدرة المجتمع على المساعدة، مبطلين أي تقدم للظروف الاقتصادية التي قدمت لعدد كبير من يهود استانبول، لهذا يجب أن يرسلوا إلى الشرق كلما أمكن، وبدت فلسطين أفضل مكان في الوقت الحاضر يمكن لليهود الاستقرار فيه بمساعدة مالية من يهود أوروبا الأثرياء، دون أي عبء فعلي على الجماعة اليهودية العثمانية. إن زعماء يهود الدولة العثمانية– رغم استمرار عدم تعاطفهم مع الحركة الصهيونية، ومن ضمنهم حاييم ناحوم أفندي نفسه– قد بذلوا كل ما يمكنهم لمساعدة وحماية هؤلاء المهاجرين، وبالفعل أجبروا على مساندة المستوطنات اليهودية في الأرض المقدسة، رغم أنهم مازالوا مدافعين عن إبقائهم تحت الحكم العثماني لكي لا يثيروا رد فعل المسلمين الذي يمكن أن يقوض مكانه اليهود في أي مكان آخر في الدولة؛ لهذا عزم ناحوم أن ينقل موضوع هجرة اليهود إلى فلسطين من الصهاينة المؤيدين للانفصال وأن يضعه في يده، إذ من الممكن أن يخدم ذلك تقوية موقعه وهؤلاء الذين يؤيدون استمرار ولاء اليهود للدولة العثمانية. وفي عام (1910م = 1328هـ) قام بجولة طاف فيها "أرضنا"، و"سالونيك" و"الأسكندرية" و"القاهرة" و"القدس"، و"دمشق"، و"بيروت" و"إزمير" لكسب التأييد الشعبي لهذا المشروع، وأصبح الآن اثنان من النواب البرلمانيين المؤثرين– وهما Nissim Mazliyah، Nissim Rousseau، Nissim، وربما أيضًا (Emmanual Carasso (Karasu، متعاونون مع Jabotinsky وزعماء الصهاينة الآخرين في استانبول في مساندة فكرة استيطان اللاجئين في فلسطين مثل

الأناضول، وقد استقر البعض في إزمير وفي جنوب شرق الأناضـول تمامًا مثلما اقترح السلطان عبد الحميد الثاني، لكن الأغلبية رغبت وذهبت إلى فلسطين– حيث الاستقرار في مستعمرات زراعية أعدها الصهاينة وغيرها، وأخيرًا اقتنعت جماعة الشباب الترك في سبتمبر عام (1913م = 1332هـ) أن القيود المفروضة على الهجرة كانت محددة، وسمح لموجة جديدة من المستعمرين اليهود الذهاب إلى فلسطين دون أي عائق من جانب الحكومة العثمانية، وقد زاد مخزون الطعام في الدولة العثمانية وأيضًا دخل الضرائب؛ نتيجة التطور المقدم في زراعة الأراضي غير المستصلحة في فلسطين. ومن ناحية اخرى فإن نصارى العرب وكذا المسلمين الذين يعيشون هناك، كان لديهم شعور مرير بالخصومة والعداء تجاه المهاجرين الجدد، وفي المقابل تطور هذا إلى هجمات "الجريمة الشعائرية " الجديدة ضد اليهود ليس فقط في فلسطين، لكن أيضًا في المناطق العربية الأخرى بعنف وكُره تجاوز أي هجمات في أي مكان آخر في الدولة في أوروبا، وبمرور الوقت غيَّر ناحوم موقفه لصالح الصهاينة، وكان سرًا يتوسط لدى الحكومة العثمانية في الدفاع عنهم كلما طلب منه لكنه علانية ظل يظهر موقف عداوة أو على الأقل محايدة، ناشئ ليس فقط بسبب مراعاة مشاعر العثمانيين، لكن أيضًا نتيجة استمرار معارضة قوية للصهيونية في جزء من بعض مؤيديه في الجماعة اليهودية في استانبول، التي قادها ناشر صحيفة El Tiembo ذو السلطة والنفوذ "ديفيد فريسكو David Fresco" .

وبينما استمرت المعركة بين "حاييم ناحوم" والصهاينة، ثم لانت، فإن يهود الدولة العثمانية ازدهر وضعهم بشكل لا مثيل له منذ القرن السادس عشر؛ ونتيجة المذابح والإضطهادات لليهود واستمرار ظهور البلاد المستقلة جديدًا في شمال شرق أوروبا، فإن رعايا السلطان من اليهود كانوا أكثر ولاء عن ذي قبل، فقد وافق الشباب اليهودي الآن على التجنيد الإلزامي في الجيش العثماني دون دفع بدل العسكرية، بخلاف رعايا السلطان من الأرمن واليونان، الذين استمر تجنبهم للخدمة العسكرية، وهو ما حرك عداوة شديدة في الحكومة وكذا في جزء من المستوى الشعبي العام، فقد ازدادت بشدة التوترات التي قامت بالفعل نتيجة لازدياد حركات العنف الداعية للاستقلال في

البلقان وشرق الأناضول، وخلال حروب البلقان اشتركت الجماعة اليهودية في الدفاع عن أدرنة وسالونيك، ورفضوا الترحيب بجيوش بلغاريا واليونان عند دخولهم هذه المدن، لسبب سلبهم ونهبهم لمنازل اليهود ومحالهم ومعابدهم، وبسبب الهجمات التي شنوها على أفراد من اليهود، بالإضافة إلى اندفاع اللاجئين اليهود قد زاد من عزم اليهود لمساندة العثمانيين في الحرب العالمية التي تلتها.

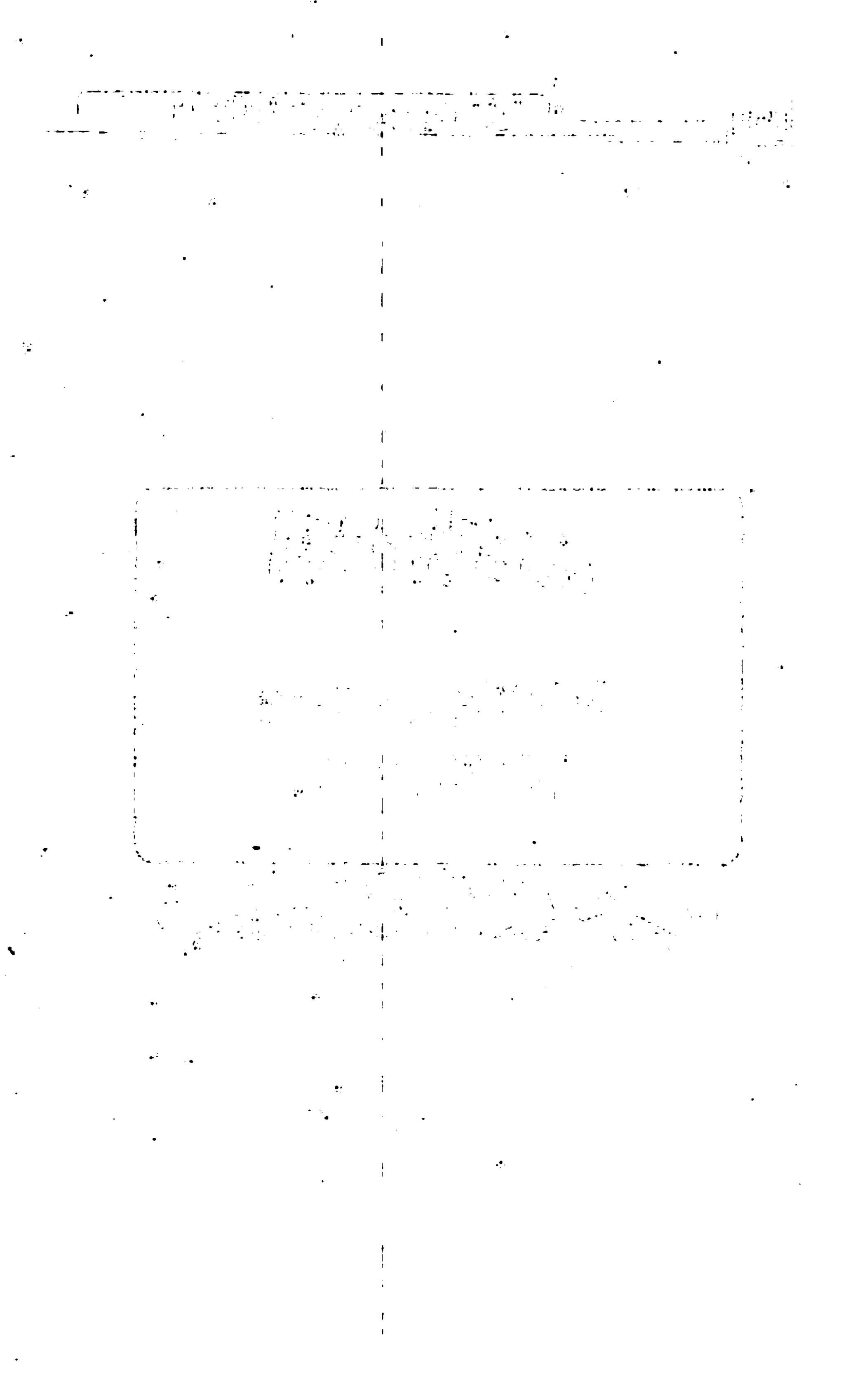
ويسبب الازدهار الاقتصادي والثقة في الحكومة، متحدًا مع التدفق الضخم للاجئين، أدى إلى زيادة تعداد السكان المسلمين في الدولة العثمانية بقوة خلال القرن التاسع عشر، رغم قسوة الفقدان بسبب المرض والحرب وقد أثرت العوامل ذاتها على ازدياد تعداد اليهود من حوالي 100,000 عام (1800م = 1215هـ) لتصل غلى 184,139 أو حوالي 1,05٪ في الإجمالي عام (1885م = 1303هـ) ، وإلى 215,425 أو 1,13٪ عام (1895م = 1313هـ) و 256,003 أو 1,122٪ عام (1906م = 1324هـ) قبل فقدان مناطق في مقدونيا و (ترانسTnrace) نتيجة حروب البقان (1912–1913م = 1331–1332هـ) إذ خلفت وراءها 187,073 من اليهود، أو بالضبط 1٪ من إجمالي تعداد السكان مع بداية الحرب العالمية الأولى، وهي تقريبًا نفس النسبة التي كانت عليها العصر الذهبي ليهود الدولة العثمانية .

* * *

الفصل الخامس

يهود الجمهورية التركية
منذ عام 1923م





الفصل الخامس
يهود الجمهورية التركية منذ عام 1923م

رئيس الحاخامات "حاييم بيجيرانو" "Haim Bejerano":

قاد الحاخام الأعلى "حاييم بيجيرانو" "Haim Bejerano" كمؤيد قوى للحركة القومية التركية اليهود الأتراك إلى عصر الجمهورية، نابذًا جهود الأقليات المسيحية التى كانت تسعى لكسب التأييد اليهودى للعمل على طرد الأتراك خارج استانبول وجزء كبير من الأناضول، ولد فى مدينة أسكى زاجورا Eski Zagora فى بلغاريا عام (1846م= 1263هـ) بينما كانت لاتزال تحت الحكم العثمانى وتدرب فى مدارس التلمود والتوراة اليهودية التقليدية، ولذلك يعتبر رجلًا مثقفًا واسع الاطلاع بكل ما تحمله الكلمة من معنى، وكان هذا الحاخام يختلف عن باقى الحاخامات الرجعيين الذين كانوا يهاجمون أعضاء المجتمع اليهودى ممن يتجهون نحو العالم الحديث، وبصفة خاصة هؤلاء الذين يقومون بتعليم شباب اليهود (اللغة الفرنسية)، فقد سعى لتوسيع معارفه بإجادة 16 لغة أجنبية وليس فقط العبرية والأسبانية اليهودية، بل تعلم أيضًا اللغة التركية والعربية والفارسية والفرنسية والألمانية والإنجليزية والبلغارية والإيطالية واللاتينية والرومانية والسنسكريتية واليونانية والأرمينية.

وخدم هذا الحاخام جماعة "روسچوك Rusçuk" اليهودية فى الدانوب حيث كان يقوم بالتدريس هناك ومن ضمن ما قام بتدريسه حياة المؤرخ الكبير سليمان روزانيز Solomsn Rosanes الذى أرخ لتاريخ اليهود العثمانيين، ثم ذهب إلى فيينا، حيث حصل على منصب رئيس الحاخامين ثم استقر فى (بوخارست) حيث عمل مديرًا للمدرسة اليهودية الشرقية بها.

واهتم طيلة حياته بتوسيع أفقه من خلال الاتصال الدائم بالمثقفين فى جميع أنحاء أوروبا مثل "جوليز سيمون" Jules Simon و"أيرنست رينان Ernest Renan"وحظى بشهرة بين اليهود العثمانيين عندما نشر مقالات تشمل موضوعات كثيرة فى صحيفة

من أهم الصحف التى تكتب باللغة الأسبانية اليهودية التى تـصدر فى استانبول وهـى صحيفة "التيمبو El Tiempo" وبعد فترة قليلة من اندلاع ثورة الشباب الـترك "الجـون ترك" فى 8 ديسمبر عام (1909م = 1327هـ) تم انتخابه رئيسًا للحاخامية فى أدرنة حيث عمـل هنـاك أيـام حـرب البلقـان العـصبية عنـدما اجتاحـت الجمـوع البلغاريـة الأحيـاء اليهودية فى المدينة وخربتها، واستمر هناك خلال الحرب العالميـة الأولى، وبعـد أن تـولى رئاسة الحاخامية فى استانبول عام (1920م = 1339هـ) أيد بشده رفض الحركـة القوميـة التركيـة لاتفـاق الـسلام المقـترح فى بـاريس ورفـض التعـاون مـع البطاركـة الأرمـن واليونـانيين الـذين أرادوا اسـتقطاب التأييـد اليهـودى لخدمـة أهـدافهم القوميـة وأنكـر علانية ادعاءهم بأن اليهود الأتراك لم يكونوا على وفاق مع النظام الجديد، وهو بهذا قد وضع النموذج الذى اتبعه كافة زعماء اليهود الأتراك حتى يومنا هذا.

الجماعة اليهودية تتنازل عن الوضع الخاص الذى منحته لها معاهدة لوزان:

منحت معاهدة لوزان للجماعات غير المسلمة فى تركيـا وضـعًا قانونيًـا خاصًـا، هـذا بالإضافة إلى المزايا الخاصة والحماية الأجنبية التى حصلوا عليها خلال الأعوام الأخيرة للـسلطنة العثمانيـة، بـما فى ذلـك ضـمان مقاعـد خاصـة لكـل جماعـة فى المجلـس الـوطنى التركى الكبير، وحـددت المـادة 39 مـن المعاهـدة أن يتمتـع المواطنـون الأتـراك مـن غـير المسلمين بنفس الحقوق المدنية والسياسية التى يتمتـع بهـا جميـع الـسكان فى تركيـا، وأن يكون الجميع سواسية أمام القانون.

بـدون فـرض أى قيـود عـلى اسـتخدام اللغـات الأخـرى، غـير اللغـة التركيـة فى المحادثات الشخـصية والمعـاملات التجاريـة وممارسـة الـشعائر الدينيـة وفى المطبوعـات وأمام المحاكم، ونصت المادة 40 على ضرورة تمتع الأتراك غـير المـسلمين بالمـساواة غـير القانونيـة، بالإضـافة إلى حقهـم فى إقامـة المؤسـسات الخيريـة والدينيـة والاجتماعيـة والتعليمية وإدارتها والإشراف عليها. وتـنص المـادة 41 عـلى أن تقـوم الحكومـة التركيـة بتقديم كافة الخدمات اللازمة للتعليم الابتـدائى للمـواطنين الأتـراك كافـة باللغـة التـى يرغبون التعلم بها، على أن يكون تعلم اللغة التركيـة إلزاميًا للجميـع. وتـنص المـادة 42 على أن يـستخدم غـير المـسلمين قـوانينهم وأعـرافهم فى فـض المنازعـات القانونيـة التـى

تنشب بين الأقليات، وأن تقدم الحكومة التركية كافة الوسائل الممكنة لحماية المؤسسات الدينية والخيرية لغير المسلمين، ونصت المادة 43 على التاكيد على أن المواطنين الأتراك من غير المسلمين لا يزج بهم فى أعمال تخالف مبادئ دينهم، على أن ذلك لا يعفيهم من الانصياع لكافة الالتزامات المفروضة على كل المواطنين الأتراك لضمان سيادة الأمن والنظام داخل الدولة، ووضعت المادة 44 كافة هذه النصوص تحت رعاية "عصبة الأمم League of Nation" ونصت على عدم تعديل أى نص منها بدون موافقة الأطراف الموقعين على المعاهدة، ونصت المادة 45 على أن تقدم اليونان نفس هذه المزايا للأقليات المسلمة فى أراضيها.

غير أن سرعان ما بدا واضحًا أن بعض تلك النصوص، وخاصة تلك التى تسمح لهم بالحياة بموجب نظم قانونية خاصة بهم حالت دون أن تصبح الجمهورية الجديدة دولة علمانية خالصة ومستقلة، كما حالت دون اندماج اليهود الأتراك تمامًا داخل الجمهورية على أساس المساواة بينهم وبين الأتراك المسلمين، وأدت نصوص المعاهدة التى نصت على ضرورة منح حماية ومزايا خاصة للأقليات– وذلك بناء على رغبة الوفود الأرمينية واليونانية والتركية– إلى شعور المسلمين بالعداء تجاه تلك الأقليات. وأيضًا تجاه اليهود والأتراك. وهو شئ لم يكن موجودًا من قبل، إن دستور الجمهورية أقام دولة علمانية يتمتع كافة مواطنيها بحقوق متساوية دون اعتبار للدين. وبهذا تضمن ولاء كافة المواطنين لها أساسًا وليس لجماعاتهم ولذلك كان من المتوقع إلغاء المزايا المتعلقة بالدين وبالاستقلال الثقافى والقانونى الطائفى.

وبعد فترة وجيزة من عقد المعاهدة تم وضع الدستور الجديد للجمهورية التركية موضع التنفيذ؛ ولذلك قام رئيس الحاخامات "حاييم بيجيرانو" "Haim Bejerano" طوعًا فى 15 سبتمبر (1925م = 1344هـ) باستنكار الوضع القانونى الخاص (للملة) اليهودية الذى منحته لها المادة 42 لمعاهدة لوزان، التى تجعل من "الحاخامية الكبرى Grand Rabbinate" مركزًا فقط للأنشطة الدينية والاجتماعية والتعليمية اليهودية، بينما تحولت معظم الشئون الأخرى لتصبح من اختصاص المؤسسة العَلْمانية للجمهورية التركية المسئولة عن كافة المواطنين الأتراك. وسرعان ما حذت حذوهم الجماعات

الأرمينية واليونانية، ولكن استنكارهم لم يكن شـديدًا كاستنكار اليهـود؛ لأن معانـاتهم وتجاربهم أثناء الحرب وتوقعاتهم القومية كانت مختلفة.

وهذا التنازل عن الوضع الخاص للأقلية التى منحته لهم معاهدة لوزان شـمل أيـضًا التنـازل عـن المقاعـد اليهوديـة الخاصـة فى "المجلس الـوطنى الكبـير Grand Nation Assembly" وهكذا أزيلت "الملل The Millets" لأسباب عملية واندمجت داخل الأمة التركية بعد أن كانت عبارة عن حكومات منفصلة ذات قوانين خاصة بها. وأصبح غـير المسلمين يخضعون لـنفس القـوانين والـنظم ونفـس المعاملـة الإداريـة مـثلهم مثـل كافـة المواطنين الأتـراك، وخـضع الأفـراد حينئـذ للقـضاء المـدنى. وفقـدت الجماعـة اليهوديـة حقها فى فرض الضرائب الخاصة بها، ولذلك اضطرت المؤسسات الطائفية إلى الاعتماد على مساهمات المتطوعين، وهكذا قـاد رئـيس الحاخامـات "حـاييم بيجيرانـو" " Haim Bejerano" الجماعـة اليهوديـة لـيس بالقـانون والـشرع، كـما كـان الحـال بالنـسبة لكبـار الحاخامات أيام الدولة العثمانية منـذ بـدايات القـرن التاسـع عـشر، بـل أصـبح يقـودهم ويتزعمهم بقوة شخصيته؛ حيث كان يحظـى بـاحترام جميـع النـاس مـن كافـة الـديانات الأخـرى فى الجمهوريـة التركيـة، وحـضر دروسـه التـى كـان يلقيهـا فى مركـز رئاسـة الحاخامية الموجـودة فى شـارع "يمنيجـى Yemenici" فى حـى "بـك أوغـلى Beyoğlu" بعدما تم نقلهـا مـن "جبـالى Cibali" عـام (1876م = 1293هـ) المـسلمون والمـسيحيون والمثقفون اليهـود ورجـال العلم؛ حيـث كانـت تـتم مناقـشة موضـوعات شـتى فى الـدين والأخلاق والأدب والتاريخ، ولم يكن "حاييم بيجيرانـو" "Haim Bejerano" متمكنًـا مـن فهـم العهـد القـديم والجديـد فحـسب، بـل كـان متمكنًـا أيـضًا وواعيًـا بـالقرآن وبالتاريخ، العلم بالإضافة إلى تاريخ الأتراك واليهود، وقد مكنـه ذلـك مـن الاسـتمرار فى نشر سلسلة كبيرة من المقالات وعمل قاموسًا للأمثال الأسبانية اليهودية يتكون مـن أربعة مجلدات، وهذا كله جعله مثار احترام المسلمين واليهود والأتراك وإعجـابهم عـلى حد سواء.

حياة اليهود داخل الجمهورية التركية:

فى أول إحصاء رسمى للجمهورية التركية عام (1927م = 1346هـ) وجـد أن هنـاك

55592 يهوديًا يعيشون فى تركيا الأوروبية و 26280 فى الأناضول وبهذا كان مجموعهم 81872 يهوديًا، واستمر الرخاء الذى نعمت به "بلاط" خلال الحرب العالمية الأولى فى العشرينيات حيث تم بناء العديد من المنازل الفخمة. بيد أن بعض الأسر اليهودية الأكثر ثروة انتقلت عبر البوسفور إلى منطقة "كوزغونجوق Kuzguncuk" التى تعتبر من أرقى الأحياء اليهودية فى استانبول، وانتقلوا أيضًا إلى المدن المجاورة مثل "أوسكودار Usküdar" أو "قاضى كوى Kadi Köy" بينما انحدر العديد من أصحاب المحال والعمال اليهود غير المهرة إلى المناطق غير الراقية فى "غالاطه Galata" حيث اندمجوا مع الجماعات اليونانية والأرمينية التى كانت ما تزال تكن لهم العداوة. فى عام (1932– 1933م = 1351– 1352هـ) وهو العام الوحيد الذى كشف النقاب عن سجلاته وتفصيلاته حتى الآن– كان هناك 46698 يهوديًا يعيش فى استانبول، رحل 9600 منهم ليعيش فى منطقة الفاتح فى استانبول وهى منطقة تقع أمام استانبول القديمة، وعاش 32277 فى "بى أوغلى Bey Oğlu" و "خاص كوى Hasköy" أو "شيشلى Şişli" وانتقلت بعض جماعات البسفور الأوروبى فعاش منهم 4308 فى ضواحى الأناضول و 174 فى جزر "بيوك آدا Büyük Ada" و "هيبالى آدا Heybeli Ada" و "بورغاز Burgaz" أو "قينالى آدا Kınali Ada". وهذه التنقلات لم تكن بسبب انتقال المواقع التجارية التركية التى حدثت فى تلك الفترة فحسب، بل بسبب تعرض مدارس الاتحاد "Alliance School" فى "بلاط Balat" للحريق والتدمير عام 1910 مما اضطر الأطفال الذين كانوا يرغبون فى مواصلة تعليمهم إلى الإبحار عبر القرن الذهبى للوصول إلى "مدارس الاتحاد" الموجودة فى "خاص كوى Hasköy"، و "غالاطه Galata" وهذا يوضح مدى حركة التنقلات التى وقعت بين اليهود فى الأعوام التى تلت الحرب العالمية الأولى.

واستمرت حياة اليهود فى تركيا قبل الحرب العالمية الثانية، وسارت فى معظم جوانبها على نفس النمط الذى سارت عليه طيلة خمسمائة عام تحت الحكم العثمانى، وبالرغم من رحيل العديد من العائلات اليهودية الثرية والتى كانت تمثل عصب الحياة التجارية فى المدينة إلّا أنها ظلت "بالاط Balat" أكبر وأنشط مركز تجارى فى تركيا،

وكانت تشبه إلى حد كبير شرق (منهاتن) وغرب لندن فى آخر القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين، حيث كان أغلب سكانها من الجماعات اليهودية الحِرفِيَّة، فهنا فى "بالاط Balat" عاش تقريبًا عشرة آلاف يهودى، وعملوا فيها، عاشوا يتمتعون بحرية كاملة دينية وثقافية يمارسون أنشطتهم الاجتماعية التى تركزت فى سبعة معابد يهودية قديمة وهى :["أهريدا Ahrida" و" ياشان Chana" و" يانبول Yanbol" و" سيلانيكو Selaniko" و"بول ياشان yashan Pul" و"أشتيبول İştipol" و"قصطوريةKastriya"] وكانت مزدحمة للغاية خاصة فى أيام الحفلات مثل عطلة "رأس السنة Rosh hashana" و يوم السبت "Yom Kippur" ففى معبد يانبول "Yanbol" كانت تُتلى كل صباح على الأقل عشر صلوات "تافيله tef'lla" ويحضر كل صلاة من 40 إلى 50 متعبدًا، وتم إعادة بناء معظم مساكن اليهود ودكاكينهم بالطوب أو بالجص، وتمت إنارة الطرق وتهويتها وبدت مظاهر الرخاء على اليهود وعلى ملابسهم الأنيقة باستثمار أعداد صغيرة نسبيًا من العمال الذين عاشوا على طول شواطئ القرن الذهبى "Golden Horn" فى "قره باش Karabaş" و"لالونجا La lonca" و"سيجرى Sigri" وأحجمت العديد من العائلات اليهودية الثرية عن الانتقال إلى المناطق الأكثر رقيًا من المدينة برغم أنهم نقلوا منازلهم ومحالهم إلى داخل البلد وأعلى تل بالاط "Balat" بعيدًا عن القرن الذهبى، وتركز معظم صانعى الزجاج من اليهود فى "قصطورية Kasturiya" أما أصحاب مصانع النسيج الصغيرة والمصدرون فقد تركزوا فى شارع "تحته مناره Tahta Minare" .

واستمرت المنظمة الصهيونية التى نشطت فى "بالاط Balat" وباقى أنحاء استانبول أثناء الحرب العالمية الأولى وبعدها فى نشاطها سرًا، حيث كانت تشجع فقراء اليهود على الهجرة إلى فلسطين مع منحهم مساعدة مالية مقدمة من البارون "إدموند دى روتشلد Baron Edmond de Roth schild" ومن بعض أغنياء اليهود فى استانبول، ونظمت الجمعيات الصهيونية عمليات الهجرة السرية حيث كانت تقوم بإمداد اليهود بجوازات السفر وتوفير اللنشات التى يستأجرونها للهجرة وغير ذلك من التسهيلات كلما أمكن ذلك.

وعلى الرغم من أن أعداد كبيرة من اليهود قد غادروا "بالاط Balat" للعيش خارجها إلا أنها ظلت مركزًا للحياة اليهودية فى استانبول، وكانت هناك مدرسة عامة يهودية وهى مدرسة " التلمود و التوراة Talmud Torah" التى أقيمت خلف معبد "أهريدا Ahrida" مباشرة وكانت تُقدم الدروس الدينية للأطفال وكانت هناك مدرسة "مزامير التوراة Mahaizeke Torah" تسمى "كوسس دولا نادرديل ايبريوقال قادوش يانبول Korsos da la tadre del ebreyo kal kodosh yanbol" والتى أسسها بينزيون بيديلهامى Bensiyon Bedelahmi عام "1927م = 1346هـ) وكانت فيها فصول مسائية يتم التدريس فيها باللغة العبرية لشباب معبد "يانبول Yanbol" وكان هناك مدرسة "يشيفا Yeshiva" وتمثل قمة فى النظام التعليمى اليهودى فى "بالاط Balat" وكانت تقع فى شارع صغير خلف شارع "محكمة آلتى Mahkeme Altı" حيث كان طلابها يدرسون التوراة ويناقشون المسائل الدينية كل يوم تحت إشراف الحاخام " موشيه بن حبيب Moshe Benhabib" وكان فيها وفى معبد آهريدا مكتبة خاصة تضم الكتب اليهودية، وكان قلة من سكان "بالاط Balat" يعبرون (القرن الذهبى Golden Horn) بقوارب صغيرة لزيارة المعابد اليهودية والمدارس "اليشيفية Yeshvas" وللتجارة فى (خاص كوى) و(غالاطه)، والمركز العلمانى الذى كان بمثابة مركزًا للأنشطة التعليمية والثقافية والاستجمامية، وبه قاعات للرقص والمؤتمرات وللأحداث الرياضية، فى "لاهيملا La Hemla" وكان من قبل مركزًا لمنظمة " مكابى Maccabee" الصهيونية، وكان موجودًا فى شارع "فيريا Verya sokak" ويقول التراث اليهودى المحلى إن هذا الشارع سمى بهذا الاسم؛ لأنه عندما كان السلطان العثمانى أيام الدولة العثمانية يمر من بالاط طلب اليهود من أهل البلدة منه الإذن ببناء معبد هناك فأجاب بهذه الكلمات " فير يا ver ya" أى أعطهم الإذن ليدل على موافقته، وكانت ليالى السمر التى تُقام ليلة يوم الأحد فى "لاهيملا La Hemla" يحضرها حوالى 200 ألف يهودى من كل الأعمار، وأغلق هذا المركز أثناء الحرب العالمية الثانية لأنه تم تجنيد معظم الشباب اليهودى فى الجيش التركى، وعقب الحرب فى عام (1925م = 1344هـ) تحول المركز إلى (مدرسة حضانة) وظلت تعمل المدرسة لمدة خمس سنوات، وفى تلك الفترة

انتقل العديد من سكان بالاط Balat للعيش فى مناطق أخرى، وفى الثلاثينات حلت جمعية "باركوهبة Bar Kohba" الرياضية الصهيونية محل المكابيى Maccabee واتخذت من منطقة "شيش خانة Şişhane" فى غالاطة Galata مركزًا لها.

واستمر ازدهار الثقافة اليهودية الشرقية "السيفارديه Sephardic" خلال العشرينيات والثلاثينيات، وتوقفت الصحف اليهودية التى كانت تصدر باللغة اليهودية الأسبانية "Judeo Spansh" التى انتشرت خلال القرن التاسع عشر مثل "التيمبو El Timpo" و"التليجرافو El Telegrafo" عن الصدور بعد سنوات طويلة من الانتشار على يد "دافيد فريسكو David Fresco" من رواد الصحفيين اليهود (1850– 1933م) وأيضًا صحيفة "الديجتون El Djugeton" التى أصدرها الشاعر والمؤلف "إيليا كارمونا Elia Carmona" (1870– 1931م) التى ظلت تصدر حتى أوائل الثلاثينيات، ولم تكن تتوقف هذه الصحف عن الصدور بسبب وفاة رؤساء تحريرها ومؤسسيها فحسب بل بسبب وعى قرائها من شباب اليهود بأن لغتهم الأصلية هى اللغة التركية، ولذلك فضلوا أن يقرأوا ويطلعوا أكثر على الصحف التركية، وازدهرت الصحافة اليهودية فى تركيا عقب الحرب العالمية الثانية، وقامت بإصدار سلسلة من الصحف اليومية مثل صحيفة "لابوزدواورينت La Boz de Oriente" (صوت الشرق) (1931– 1939م) وأسسها "إسحاق الغازى Isaac Algazi" فى (1882– 1964م) وواصل إصدارها بعده "ليون إسرائيل Leon Israel" و"موسى دالميكو Moise Dalmedico" و"ألبرت كوهين Albert Kohen" (1888– 1949م) وكانت تصدر مرتين فى الأسبوع، وفى عام (1949– 1950م) صدرت أول صحيفة يهودية باللغة التركية باسم "تركيه نك سسى Turkiyenin Sesi" (صوت تركيا) على يد "سامى كوهين Sami Kohen" و"ألبرت كوهين Albert Kohen" المولود عام 1928م، والذى أصبح واحدًا من كبار الصحافيين الأتراك لتحرير الشئون الخارجية فى صحيفة "مليت Milliyet" القومية، وخلال نفس الأعوام أصدر "ألبرت قاراصو Albert Karasu" (1885– 1982م) صحيفة "لوجورنال دواورينت Le Journal d'Orient " وكانت صحيفة يومية تصدر باللغة الفرنسية واستمرت من عام

(1917م = 1336هـ) إلى (1971م = 1391هـ) وأصر "ألبرت بيناروبا Albert Benaroya" صحيفة أسبوعية باسم لايتوليه دى لونت L'Etoile du Levant" واستمرت من عام (1948م = 1368هـ) إلى عام (1958م = 1378هـ) وكانت هاتان الصحيفتان تقومان بتغطية أخبار الجماعة اليهودية تغطية كاملة.

ولعبت الموسيقى دورًا فى الحفاظ على الحياة الثقافية اليهودية، وكانت بمثابة الرابطة التى ربطت بين اليهود والأتراك وباقى أفراد المجتمع التركى الذين عاشوا بينهم، ومن كبار المغنين اليهود الشرقيين فى ذلك الوقت "حاييم أفندى Hayim Efendi" فى أدرنة والحاخام "إسحق الغازى 1950 –1889) "Rabbi Isaac Algazi Efendi م)، وكان الأتراك المسلمون يعتبرون الحاخام "إسحاق الغازى Isaac Algazi" واحدًا من أكبر الموسيقيين السفرديم الأتراك عمومًا، وكانوا يلقبونه بألقاب تركية مثل أفندى Efendi أو خواجة Hoca تكريمًا له، وهكذا احتفظ الغازى بالتقليد الذى بدأه "سليمان بن نازال توفSalomon Ben Nazal Tov" فى بداية القرن السادس عشر والحاخام إسرائيل ناجار Rabbi Israel Najara فى القرن التالى وهو المزج بين الأغانى الدينية العيدية والموسيقى الكلاسيكية التركية وتلحين الأغانى اليهودية بالألحان الغنائية التركية والعربية، حتى إنهم قاموا بنظم الأشعار الدينية مستخدمين المقامات التركية وطوعوا ألحانها لتلائم العزف على الآلات الموسيقية المعقدة، وماتزال تسجيلات الغازى التى قام بتسجيلها فى استانبول فى الفترة بين قيام الجمهورية وعام (1933م–1352هـ)، تعْتَبر مصادر رئيسة عند تقييم التراث الموسيقى لليهود العثمانيين الشرقيين "السفرديم Sephardim". ولد "الغازى Algazi" فى استانبول لأسرة عريقة تضم أحبارًا شرقيين وقادة جوقة الترتيل فى المعبد، ولم يتلق تعليمه فى "مدرسة اتحاد Alliance school" أو فى مدرسة التوراة والتلمود Talmud Torah "يشيفا Yeshiva" التقليدية التى كان يديرها رئيس الحاخامات "آبراهام بالاجى Abraham Palacci"عندما اتحدت الأفكار الحديثة حول حرية الفكر والسلوك والمؤسسات والقيم اليهودية القائمة فقط، بل أيضًا على خلاف معظم أقرانه فى ذلك الوقت فى أحدث المدارس غير الدينية التى أنشئت فى السلطنة خلال فترة حكم السلطان عبد

الحميد الثانى خلال العقود الأخيرة للسلطنة عمل بعد عام (1908م= 1326هـ) كقائد جوقة فى معبد "بيت إسرائيل beth Israel"الجديد فى حي "قره طاش Karataş" فى إزمير ثم بدأ فى عام (1914م= 1333هــ) كمدرس فى "تلمود توراه مهازيكى آنييمTalmud Torah Mahazikei Anyim" حيث عمل مع "موشيه جاعون Moshegaon" المؤرخ المشهور، وأيضًا عمل فى "مدرسة الاتحاد" المحلية، هذا بالإضافة إلى عمله فى "مجلس بلدية إزمير Izmir Municipal council" وهكذا احتفظ منذ طفولته بالصلات بين الجديد والقديم، كما احتفظ بصلاته أيضًا داخل المجتمع التركى المحيط به.

ولم يدرس "الغازى Algazi" الموسيقى الدينية اليهودية فحسب، بل درس أيضًا الموسيقى التركية الكلاسيكية والموسيقى الأوروبية، آخذًا عن أبيه "سليمان الغازى Salomon Algazi" الذى كان يطلق عليه باللغة التركية "بلبلى سليمان Bullbuli Salomon" أى العندليب سليمان، وأخذ أيضًا عن كبار الموسيقيين اليهود الشرقيين مثل "شيم توف شيكار Shem Tov Shikâr" (1840م – 1920م= 1256– 1339هـ) و"حاييم الأزرقى Haim Alazraki" المتوفى (1913م) وقام بالغناء فى معبد البرتغال فى إزمير.

عندما قام الجيش اليونانى الذى احتل أزمير خلال حرب الاستقلال التركية بالهجوم على مسلمى ويهود إزمير، إنضم الغازى إلى معظم قادة الجماعات الأخرى فى التحرك نحو استانبول بتشجيع من رئيس الحاخامات "حاييم بيجيرانو Haim Bejerano" الذى ساعد على تعيينه قائدًا فى المعبد الإيطالى بـ"غلاطة Galata" حيث كان هذا المعبد مهتمًا لفترة ما بالأنشطة الموسيقية.

ومنذ ذلك الحين وحتى عام (1933م– 1352هـ)، حيث غادر تركيا بسبب فشل أتاتورك فى تعيينه فى لجنة الإذاعة التركية، أصبح الغازى شخصية رئيسة فى المجال التركى اليهودى وساند "إفرام جالانط Afram Galante" وآخرين فى جهودهم التى استهدفت نشر حركة التنوير الأوروبى (هاسكالا Haskala) بين اليهود الترك رغم معارضة الأحبار والمدرسين الأتراك اليهود التقليديين، وفى نفس الوقت كان يعمل

على تطوير دورهم كجزء من المجتمع اليهودى، وتأييد إصلاحات مصطفى كمال أتاتورك، والتأكيد على العلاقات الطيبة بين المسلمين واليهود الأتراك، وقام الغازى بالغناء أمام أتاتورك فى سراى "دولمة باغچةDolma Bançe" فى استانبول. وكان ينضم للموسيقيين والمثقفين الأتراك الآخرين. ويقضون ساعات طويلة مع أتاتورك لتشجيعه على أفكاره الجديدة ومساعدته فى تطويرها.

وكان من بين اليهود الأتراك الآخرين الذين قاموا بالتأليف الموسيقى أو الغناء خلال سنوات الجمهورية "آهارون هامونAharon Hamon" (اليهودى هامون) و"إسحاق فارون الغاليبولى Gelibolulu Ishak Varon" و "إبراهام ليفى حيات المصرى Misirli Ibrahim Levi Hayat" وقد استمرت أعمال هؤلاء وتذاع بانتظام فى الإذاعة التركية والحفلات الموسيقية، ومن هؤلاء أيضًا "أفرام منديل Avram Mandil" (منديل اغا) ومن أزمير كان هناك "شانتورى إيليا Şanturi Eliya" أو "إسحاق باركى Ishak Barki" (كوچك إسحاق) أى إسحاق الصغير و "سانتو سيكار Santo Sikar" (خوجة سانتو).

كان يوجد للجماعة اليهودية خلال العشرينات والثلاثينات ثمانى مدارس ابتدائية فى منطقة (استانبول و "بالاطBalat " و"غالاطة Galata" و "خاصكوى Hskoy" و"حيدرباشاHayderpasa " و"كوزغونجوقKuzguncuk" و"اورطه كوىOratakoy " وكانت مدارس مختلطة تضم البنين والبنات. ولكل مدرسة مركز رعاية نهارى، وكان يسجل فى هذه المدارس 1500 طالبًا كل عام، ودعمت الجالية أيضًا مدرسة (بى أوغلى اليهودية التى كانت تسمى باللغة التركية (بى أوغلى موسوى ليسه سى Beyoğlu Musevi Lisesi) مدرسة بيك أوغلى اليهودية الثانوية أو مدرسة إعدادية "أرتا Arta" والتى افتتحها "باناى بيرثBanai Brith" عام (1911م= 1330هـ) وأدارها المدير الإشكنازى "دافيد مرقصDavod Marcus" عام (1915م= 1334هـ) لتحل محل مدارس الاتحاد التى أغلقتها الحكومة الفرنسية بسبب الحرب، وكانت لغة التعليم فى تلك المدارس اليهودية اللغة التركية حيث حلت محل اللغة الفرنسية التى كانت تستخدم فى مدارس الاتحاد، وكان يُسمح بالتعليم باللغة الفرنسية فى تلك المدارس فى

الفصول الأعلى، ولم يكن هناك دراسات عبرية بتلك المدارس حيث حظر قانون (1932م= 1351هـ) تدريس الدين فى كافة المدارس التركية حيث كان يقوم بتدريس اللغة والتوراة مدرسون عَلْمانِيون لا رجال دين.

إن انبثاق القومية التركية جعل اليهود يخشون المستقبل، وبصفة خاصة عندما قامت بعض العناصر التركية بدمج القومية التركية بالإسلام، وكان رد الفعل اليهودى هو أن قام جو موسى كوهين السالونيكلى1961 –1883) Salonica Jew Moise Kohenم) الذى كان على ارتباط وثيق بالشباب الترك= الجون تورك فى بلده فى السنوات التى سبقت استعادة الدستور باتخاذه الاسم التركى القديم "تكين ألب Tekinalp" له، وقام بحمله بين أقرانه اليهود لتشجيعهم على التحدث باللغة التركية فقط حتى يندمجوا تمامًا داخل الحياة التركية معلنًا أن تركيا بلدكم، ولذلك يجب التحدث باللغة التركية، وأنشأ تكين ألب "تورك كولتور برلكىTürk Kültür Birliği " أى الاتحاد الثقافى التركى و"توركچة قونوشتورمة برليغىTürkçe Konuşturma Birliği" هواتحاد التحدث بالتركية، مؤكدًا ضرورة استخدام اللغة التركية فى المدارس التركية وفى المدارس اليهودية، وأيضًا خلال الأحاديث العادية بين الأفراد و(تتريك) الأسماء اليهودية أى أن تكون أسماء اليهود أسماء تركية، وأن يتعلم الأطفال اليهود فى المدارس الحكومية التركية وخاصة فى المرحلة الابتدائية، وأيضًا توزيع كتب مدرسية تركية على الأطفال وتنظيم فصول التعليم التركية للكبار.

وكان اندماج اليهود الأتراك داخل مجتمع الجمهورية ناجحًا لدرجة أنه بعد موت الحاخام بيجيرانوBejerano فى عام (1931م= 1350هـ) لم تكن هناك حاجة لتعيين رئيس حاخامية جديد يخلفه لعقدين من الزمان؛ لأن الأعمال الخاصة بالجماعة اليهودية من الممكن أن تضطلع بها المجالس الحاخامية الرئيسة والموظفون الذين كانوا تحت رئاسة "صموئيل آلتابييف Samuel Altabev" السكرتير العام الأخير لبجيرانو، فظلت الجماعة اليهودية تحتفظ بالتنظيم الإدارى المركزى وبمؤسساتها اليهودية مثل المعابد والمستشفيات والأبنية العريقة والمدارس. وكان لليهود نفس الحقوق لغير اليهود فى اعتلاء الوظائف العامة لكن معظمهم كان يفضل العمل فى القطاع الخاص

كأصحاب بنوك ورجال أعمال ورجال صناعة وذلك لسوء أحوال الوظائف الحكومية ومرتباتها القليلة.

وهذا لا يدفعنا إلى القول بأن أحوال اليهود كانت تخلو من مشكلات خلال سنوات ما قبل الحرب العالمية الثانية، فإصرار أتاتورك على فرض العلمانية بسرعة وبالقوة كان له أثره الكبير على الجماعة اليهودية مثلها مثل سائر الأتراك الآخرين، فقد عادت من جديد معظم الإجراءات العلمانية التى أدرجها الشباب الأتراك= الجون تورك قبل وأثناء الحرب العالمية الأولى، والتى ألغيت أثناء احتلال الحلفاء لاستانبول، وعادت وتوسعت، لكن هذه المرة تولت الدولة إدارة المؤسسات المسلمة بينما كانت المؤسسات اليهودية والمسيحية تُدار من قِبَل الزعماء الدينيين لكن تحت إشراف الدولة، وفُرِضَ حظرٌ على الزواج الدينى، لكن من كان يرغب فى إقامة مراسم دينية للزواج كان يسمح له لكن بعد أن يتم الزواج على أيدى موظفين مدنيين، وهو ما يعرف بالزواج المدنى، وكان مسموحًا لليهود بالاحتفاظ بمدارسهم الخاصة مثلهم فى ذلك مثل باقى الأقليات والمنظمات الأجنبية الأخرى، لكن لم يكن مسموحًا لهم بتدريس اللغة العبرية أو الدين وكان يجب عليهم الالتزام بالمناهج الدراسية التى تقررها وزارة التعليم، وكان محظورًا على الحاخامات اليهود ورجال الدين الإسلامى والمسيحى ارتداء الملابس الخاصة بهم إلَّا فى المناسبات الخاصة كالجنازات مثلًا، لكن ما دامت هذه الإجراءات تستهدف تدعيم البرامج العلمانية للجمهورية والتى يؤيدها اليهود الأتراك بشدة فقد قبلوا ورضخوا لهذه القيود (ولكن على مضض) لأن فيها خير الأمة، مثلما رضخوا من قبل للحظر المفروض عليهم بعدم الانضمام للمنظمات الأجنبية مثل الصهيونية العالمية والكونجرس اليهودى العالمى، وفُرِضَ أيضًا حظرٌ على الأتراك المسلمين بعدم الانضمام للجماعات الرجعية التى كانت تعارض الإصلاحات العلمانية بشدة.

وكان من بين الأتراك اليهود الذين خدموا فى مجال التعليم أفرام غالانط Avram Galant المؤرخ المشهور، وأستاذ التاريخ القديم فى جامعة استانبول وموشى فينتورا Musha Ventural أستاذ القانون الرومانى، وكان هناك آخرون يعملون فى المدارس التركية العالية والمدارس الابتدائية، وهيئات أخرى، وآخرون أسهموا بجهود

هامة فى الصناعة التركية، وصناعة الدواء أو دخلوا مجال الأعمال الخاصة وخاصة فى استانبول وأزمير، وعمل يهودا رومانو Yehuda Romano من إدارته كممثل الوكالة اليهودية فى استانبول بين أعوام (1940- 1946م= 1359- 1366هـ) حيث أنقذ آلاف اليهود الأوروبيين من النازيين وقامت الحكومة التركية بتقديم تسهيلات وخدمات للمساعدة على نقل العديد من المهاجرين اليهود من أوروبا إلى فلسطين عن طريق أدرنة واستانبول.

وبعد أن تولى النازيون السلطة فى ألمانيا والنمسا قامت تركيا بإيواء العديد من اللاجئين هربًا من الاضطهاد فى أوروبا من اليهود وغير اليهود، وكان من بينهم 300 مدرس ودكتور ومحام وفنان وعالم من المعروفين، بالإضافة إلى آلاف اللاجئين من غير المعروفين، وفى معظم الحالات كان يتم إحضارهم إلى تركيا ويتولون المناصب فى خلال ستة أشهر من طرد النازين لهم، معظمهم تولى مناصب تعليمية رئيسة كمديرين فى مدارس عادية وأساتذة فى الجامعات التركية وأنقرة، وتم إصلاح وتحديث الجامعات التركية على نطاق واسع تحت إدارة "حسن على يوجل Hasan Ali Yüccel" وزير التعليم التركى حينئذ، وإنشاء إدارة من المعاهد الكبرى فى كافة فروع المعرفة، وفيها تم تدريب أجيال عديدة من الدارسين الأتراك وبرز من الأساتذة اللاجئين فى مجال العلوم الاجتماعية والإنسانية والاقتصادية العالى "ألفريد إسحاق Alfred Isaac" من (نورنبرج Nurnberg) والاقتصادى الاجتماعى "أليكسندر روستو Alexander Rustow" الذى حاول تنظيم حركة مقاومة يائسة أخيرة لمقاومة هتلر قبل فراره إلى تركيا عام (1933م = 1352هـ)، و "ليو سبتزا Leo Spitzer" عالم اللغويات الرومانى من (كولونCologn) وهو الذى أنشأ مدرسة اللغات الأجنبية فى جامعة استانبول، ثم تولى الإشراف عليها من بعده "إيريك أورباخ Erich Auerbach" من(ماربورج Marburg) وهناك "اندريا شواتز Anderas Scwartz" من(فريبورج Freiburg) الذى قدم إسهامات هامة فى محاولة تطبيق تركيا للقانون الغربى فى تركيا أثناء فترة الثلاثينيات كما قام بتدريب جيل كامل من دارسى القانون التركى فى كلية القانون فى جامعة استانبول، و "إيرنست هيرسخ Ernst Hirsch" من (فرايبورج Freiburg) وقد

تخصص فى القانون التجارى الدولى والفلسفة التشريعية، وهناك أيضًا "جيرارد كسلرGerard Keslr" من (ليزج Leipzpg) وهو عالم اقتصاد اجتماعى قام بتدريب مئات من الطلاب الأتراك فى مجال الاقتصاد العالمى فى جامعة استانبول، والذى ساعد مع بعض تلاميذه على إنشاء أول اتحادات عمالية تركية عقب الحرب العالمية الثانية، وهناك الخبير والمالى والاقتصادى "فريتز نيومارك Fritz Neumark" من (فرانكفورت Frankfort) والمعمارى "جوستاف أولسنر Gustav Oelsner" من (هامبورج Hambur) الذى لعب بالإضافة إلى تدريس العمارة وتخطيط المدن- دورًا بالغ الأهمية فى برامج تخطيط المدن التركية، والفنان الفرنسى "ليوبولد ليفى Leopold Levi" الذى ساعد على تطوير مدرسة الرسم فى أكاديمية الفنون الجميلة فى استانبول، وفى جامعة أنقرة كان هناك "بينو لاندسبيرجرBenno Landsberger" العالم بتاريخ الآشوريين ولغتهم من (ليبزج Leipzig) "هانز جوتربوك Hans Guterbock" العالم بتاريخ الحيثيين ولغتهم من (برلين Berlin) و "جورج رود Georg Rohde" عالم اللغويات الكلاسيكية من ماربورج الذى قام بتدريب جيل من المدارس اللغوية بالإضافة إلى حثه على الاضطلاع على برنامج ترجمات كبرى الأعمال الأدبية الأوروبية الكلاسيكية التى تصدرها وزارة التعليم التركية باللغة التركية، وهناك أيضًا العالم السياسى "إيرنست ريوترErnst Reuter" الذى عاد بعد عام (1945م= 1365هـ) إلى ألمانيا وأصبح عمدة برلين، و "ولفرام إيبرهارد Wolfram Eberhard" العالم الاجتماعى والمتخصص فى الآداب الصينية. ويعتبر "بول هندميث Paul Hindmith" من فرانكفورت أول من ساهم فى بناء المعهد الموسيقى التركى فى أنقرة، وكان يقوم بالتدريس فى إحدى كلياته المخرج المسرحى الألمانى "كارل إيبرت Carl Ebert" من برلين وقد ساهم فى إنشاء دار الأوبرا التركية. وأيضًا الدكتور "إرنست براتورياسErnst Praetorius" قائد الفرقة الموسيقية الذى قام بتكوين أوركسترا أنقرة السيمفونى الرئاسى وقيادته.

ومن ضمن علماء اليهود البارزين الذين حضروا إلى تركيا فى الثلاثينيات "ليو بروينر Leo Brauner) من جينا و "ألفريد هيلبورن Alfred Heilbronn" من (مونستر

Munster) والجيولـوجى "ويلهلـم سـالومون Wilhelm Salomon" مـن (هايـدلبرج Hidelberg) والكيميـائى "أوتـو جيرنجـروس Otto Gerngross" مـن بـرلين، ومـن الأطباء اليهود الذين دعـوا إلى تركيـا للتـدريس فى معاهـدها الجامعيـة ورئاسـتها وعـالم الأحياء المجهرية والأوبئة "هوجوبرون Hugobraun" من فرانكفورت، وعالم الأحيـاء الإشـعاعية "فريـدريك دوساسيورFriedrich Dessauer" مـن فرانكفـورت والطبيـب الباطنى "إيريك فرانـك Erich Frank" مـن بريسلو وعـالم الكيميـاء الحيويـة "فـيلكس هـوروفيتز Felix Haurowitz" مـن بـراغ وعـالم الـصحة "يوليـوس هيرسـتش Juliuc Horsch" مـن بـرلين وطبيـب الأطفـال "ألـبرت أكـشتاين Albert Eckstein" مـن دوسولدروف والذى قدم إسهامات كبـيرة فى عـلاج أمـراض الأطفـال بإنـشاء سلـسلة من العيادات فى جميع أنحـاء تركيـا، وأخـصائى طـب العيـون "جـوزاف أينجـر شـمبيد Joseph Ingersheimer" من فرانكفورت وجراح الأسنان "ألفريد كانتوروثيتس" من بـون و"فـيلهلم ليـبمان Wilhelm Liepmann" أخـصائى الطـب النـسائى مـن بـرلين "وفيرنر ليبشتز Werner Lipschitz" أخـصائى العقـاقير مـن فرانكفـورت، وأخـصائى علم الأنسجة كارللوفينام مـن فرانكفـورت والجـراحين "غـدوارد فيلنـشوير Edward Felchior" من برسلوا أو "رودلف فينرشتاين Hans Winterstein" من برسلو، ولقـى وصول هـؤلاء اللاجئين اليهـود البـارزين إلى تركيـا هربًـا مـن النظـام النـازى معارضـة شـديدة مـن جانـب الجاليـة الألمانيـة فى اسـتانبول التـى أيـدت جهـود الـسفراء والتجـار والجواسيس النـازيين التـى اسـتهدفت إضـعاف إيـمان الأتـراك فى قـدرة اليهـود، والإقـرار بفضلهم فيما قدموه من إسهامات للأتراك وتحالفوا مع الجامعـات القوميـة المـسيحية فى جهـودهم الراميـة إلى طـرد اليهـود خـارج تركيـا، وفى نفـس الوقـت شـجع النـازيون القوميين الأتراك على إحيـاء الحركـات القوميـة التركيـة التـى ظهـرت فى القـرن التاسـع عشر أملًا فى زعزعة استقرار القيصرية السوفيتية عن طريـق إثـارة الـشعوب التركيـة فى القوقاز ووسط آسيا، إن هذه الجهود لم تكلل بالنجاح ليس بسبب اهـتمام عـام فحـسب، بل أيضًا بسبب قوة قبضة الحكومة التركية التى عملت على قمع تلك الأنـشطة، ولكـن النـازيين اسـتطاعوا بفـضل تلـك الجهـود مـن إثـارة بعـض الحركـات المعاديـة للـسامية،

وكتابة بعض المقالات الصحفية (صحيفة الأناضول) والكتب التى قامت بنشرها الجماعات اليمينية والإسلامية المتطرفة، وكانت صحيفة الأناضول (Anadolu) من أقسى الصحف المعادية للسامية، والتى كانت تصدر فى أزمير على يد "جواد رفعت آتيلخان (C.R.Atilhan)" لكن الحكومة التركية قامت بحظر صدور الجريدة بعد أشهر قليلة من إصدارها.

ذهب أتيلخان Atilhan إلى ألمانيا بدعوة من "يوليوس سترتيشر Julius Streicher" ثم عاد إلى تركيا فى مايو (1934م= 1353هـ) حيث قام بنشر صحيفة أخرى معادية للسامية هى الأخرى باسم "Milli Inkliâp" ميلى انقلاب والتى أثارت حركة معادية للسامية فى تركيا الغربية التى تسيطر عليها اليونان المعادية للسامية، وكانت النتيجة سلسلة من الهجمات على الأتراك اليهود فى أدرنة؛ حيث كان يعيش المئات من اليهود الذين هربوا من القمع النازى، وجاء رد "عصمت إينونو Ismat Inonu" رئيس الوزراء بإلقاء خطاب عنيف وجهه من أعلى منبر المجلس الوطنى الكبير " Grand National Assembly" حيث أدان أعداء السامية، ودافع عن حقوق كافة اليهود الأتراك، حتى إنه قام بإغلاق العديد من الصحف وتفريق الجماعات السياسية المعادية للسامية ولكن الاضطرابات استمرت فى تركيا بسبب هجوم اليونانيين الدينى من ناحية، ويسبب الدعاية النازية من ناحية أخرى حتى الحرب العالمية الثانية، وأدى إلى استقرار معظم اليهود اليونانيين فى استانبول وإزمير، حيث الأجواء السياسية أكثر تسامحًا وليبرالية، ثم قامت الحكومة التركية بإغلاق صحيفة (ميللى إنقلاب Milli Inklâp) وتم إلقاء القبض على "آتيلخان Atillhan" وأودع فى السجن مع رفاقه فى حملة معاداة السامية، وأعلنت الحكومة صراحة للجماعة اليهودية أنها مستمرة فى حماية اليهود ضد الهجمات التى تشن ضدهم ومستمرة فى معاملتهم كما تعامل المواطنين الأتراك الآخرين.

وبداية من عام (1934م= 1353هـ) يبدأ اليهود والأتراك كرد فعل على الأنشطة النازية من جانب، فى الاشتراك فى الأنشطة السياسية حيث تم انتخاب الدكتور "إبرافايا المرمرى Abravaya Marmarall" كعنصر ليبرالى مستقل فى المجلس الوطنى

الكبير، ويعتبر أول عضو يهودى فى هذا المجلس، ويبدأ اليهود فى الانسلاخ من اللغة السبانية اليهودية التى كانوا يتحدثون بها سابقًا، وأخذوا يركزون على استخدام اللغة التركية والاندماج فى أنشطتها الثقافية كروائيين وشعراء وكتاب مسرح وفنانين. وفى الوقت الذى كانت تنشر فيه الصحف التركية صور المصادمات بين العرب واليهود فى فلسطين، لم تفعل الحكومة شيئًا لإعاقة الاتصال بين اليهود الأتراك واليهود الفلسطينيين، ولم تعق اشتراكهم فى مباريات المكابى التى عقدت فى فلسطين، أو فى المؤتمرات اليهودية العالمية التى عقدت فى آخر الثلاثينيات. وأدينت الجهود التى بذلها المجلس الوطنى الكبير عام (1938م= 1357هـ) ليحد من هجرة اليهود وسط وغرب أوروبا كرد فعل على وصول مئات من اليهود بسبب تزايد الاضطهاد ومعاداة السامية فى بولندا والمجر ورومانيا، أدينت فى صحيفة "أولوس Ulus" الرسمية، التابعة لحزب الشعب الجمهورى الذى رأسه أتاتورك وأحبط تلك الجهود داخل المجلس الوطنى الكبير بأغلبية الأصوات وأعلن "جلال بايار Celal Bayar" رئيس الوزراء أنه:"ليس هناك مشكلة يهودية فى بلدنا، وليس لدينا مشكلة أقليات على الإطلاق، إننا لا ننوى اصطناع مشكلة يهودية إرضاء لتأثيرات خارجية، لن نسمح للتيارات الخارجية أن تؤثر فينا." وأعلن زعماء أتراك آخرون تعليقات عامة شبيهة بذلك.

وكرد فعل على الدعاية النازية سارت الأحوال خلال الثلاثينيات كما كانت أيام السلطنة العثمانية خلال القرن التاسع عشر والقرن العشرين، حيث لا يوجد فى تركيا المسلمون الترك فقط، بل كان هناك المسيحيون الذين أصروا على مواقفهم وأنشطتهم المعادية للسامية، وفى عام (1938م= 1357هـ) عندما بدا أن النظام الجديدNew Order سيسود أوروبا رفرف العلم النازى صراحة أعلى فندق (طوقاتليان Tokatliyan) الأرمنى الشهير، وكانت النتيجة المقاطعة اليهودية المنظمة للفندق وأيدها معظم الترك. وتغاضت عنها الحكومة، على الرغم من اعتراض "يونس نادى Yunus Nadi" فى صحيفة (جمهوريت Cumhuriyet) مما أدى إلى إغلاقها وتحويل مبناها إلى مبنى مكاتب.

اليهود الأتراك خلال الحرب العالمية الثانية :

حرصت تركيا على أن تظل محايدة خلال الحرب العالمية الثانية، إن تعاطف الرئيس "عصمت إينونو Ismat Inunu ومعظم الزعماء الأتراك الآخرين مع الحلفاء الغربيين كان واضحًا، حيث تم توقيع تلك التحالفات قبل بداية الحرب بوقت قصير.

لكن عدم قدرة الحلفاء الواضحة على تقديم المساعدة فى حالة إعلان حرب شاملة قد يؤدى إلى غزو ألمانيا لتركيا عن طريق اليونان، مما جعل الأتراك يواصلون حيادهم المضطرب إلى أن أوشكت ألمانيا فى النهاية على الهزيمة مما جعلها تنضم إلى المعاهدة فى أواخر عام (1944م= 1364هـ)، وهكذا خرجت تركيا من الحرب منتصرة، واضطرت أن تفعل مثلما فعلت اليونان خلال الحرب العالمية.

وبينما قام النازيون بإبادة البقية من السكان اليهود فى اليونان التى كانت من ممتلكات الدولة العثمانية، فى أثناء الحرب العالمية الثانية، بلغت الاضطهادات التى بدأت فى هذه البلاد ذروتها عقب تمتعهم بالاستقلال التام، فى أثناء القرن التاسع عشر، دافعت تركيا المحايدة عن جماعاتها اليهودية ورفضت مطالبة النازى بهم لطردهم حتى يتم إبادتهم فى معسكرات الموت، بيد أنه بسبب الضغط الألمانى المستمر؛ حاولت تركيا أن تسترضى ألمانيا بالحد من دخول اليهود الأتراك إلى المدارس العسكرية، ومحاولة عزلهم فى وحدات منفصلة. وفى أحلك أيام الحرب العالمية الثانية بعد احتلال القوات الألمانية اليونان وبلغاريا، دفعت بشائعاتها إلى حدود تركيا فى "تراكيا Tharace" وكانت من الشائعات التى انتشرت بين جيران "بالاط Balat" من المسيحيين أنه عندما يدخل النازيون استانبول سيستخدمون أفران خبز بالاط المحلى "لوس أورنوس دو بالاط Los Ornos de Balat" لإبادة اليهود الأتراك مما أدى إلى قلق اليهود الشديد برغم أن القضية كلها كما هو واضح لا أساس لها من الصحة.

وفى عام (1942م= 1361هـ) فرض المجلس الوطنى الكبير كمحاولة بائسة للتخفيف من المصاعب الاقتصادية مثل التضخم والعجز والمصاعب التى تعرضت لها الميزانية بسبب إجراءات التعبئة العسكرية التى وضعت فى أثناء فترة الحرب- فرضت ضريبة الثروة حتى توافر للدولة 360 مليون دولار للإنفاق على الجيش الكبير. والذى

احتفظت به خشية غزو ألمانيا لها عن طريق اليونان، ولم تفرض ضريبة على مرتبات المواطنين الضعيفة فحسب، بل على رأس مال من لديه أملاك خاصة أيضًا. وهذا كان فى حد ذاته عملًا عاديًا فى أوروبا فى ذلك الوقت، لكن نفذته تركيا بأسلوب آخر أدى إلى زيادة العبء على تجار المدن، وكان العديد منهم مسيحيين ويهود، وتم تنظيم لجان كلية من موظفى وزارة المالية والتجارة الأتراك لتقدير قيمة الضريبة فى أحيائهم، ولم تخضع قراراتهم للقبول أو التغيير، فالضريبة لابد وأن تدفع فى وقت قصير، وهؤلاء الذين عجزوا عن دفع الضريبة فرض عليهم عملٌ شاقٌ فى معسكر "آشقلعة Aşkale" حتى دفعوا ما عليهم من ضرائب، ومن كان ليس لديه سيولة نقدية لدفعها اضطر إلى بيع كل شئ أو إعلان إفلاسه أو قام بالعمل فى مشروعات الحكومة ليستطيع دفع ديونه؛ مما أفقدهم معظم ممتلاكاتهم أو كلها، وبسؤال الكثير ممن لم يزالوا على قيد الحياة عن ضريبة رأس المال أو (وارلق ويرغيسى Varlik Vergisi" كما يطلق عليها باللغة التركية حصل المؤلف على العديد والعديد من الإجابات منها :"كنا وطنيين أتراك، دفعنا كل ما فرض علينا عن طيب خاطر، إن المعاناة كانت من نصيب كل فرد، لكن الحكومة طالبت بالمزيد حتى لم يتبق لنا شئ لندفع ما علينا، ومن ناحية أخرى كان النازيون يطالبون الحكومة بطردنا أو بقتلنا، لكن الحكومة لم تفعل أيًا من ذلك، لقد بقينا على قيد الحياة بعكس أشقائنا اليهود الذين كانوا فى اليونان وفى معظم أوروبا"، وثمة تعليق مثير استقاه الكاتب من أكثر من مصدر، وهو أن ضريبة رأس المال قد ساعدت يهود تركيا حيث أظهر الأتراك أن اليهود يعانون كثيرًا فى تركيا. وأنها لا ينبغى أن تستسلم لمطالب النازيين بضرورة ترحيلهم حيث معسكرات الموت، إن حرمانهم من ثرواتهم التى استنزفتها الحكومة استنزف أيضًا ما قد يثار لدى الأتراك من استياء تجاه اليهود الأثرياء بينما يعانى أغلبية الشعب من آثار الحرب.

وبناء على ذلك استغلت الجماعات السياسية المناهضة لتركيا حقيقة أن العديد ممن عانى من ضريبة رأس المال كان المسيحيين واليهود؛ ليزعموا أن هذا الإجراء موجه بصفة أساسية إلى الأقليات، ولا يمكن الإنكار أن قرون استغلال المسيحيين للمسلمين عن طريق نظام الامتيازات الأجنبية قد ترك آثارًا واضحة، ولذلك ألقت العديد من

اللجان المحلية بعبء أكبر على غير المسلمين، لكن الحقيقة أن كلًّا من المسلمين وغير المسلمين تعرضوا للمعاناة، ذلك أن ضريبة رأس المال لم تكن موجهة بصفة أساسية لليهود. وعلاوة على ذلك أنها لم يصحبها أى نوع من دعاية حكومية منظمة ضد السامية، كما أن المسلمين الأتراك أنفسهم لم يظهروا أبدًا عداء للسامية سواء قبل فرض الضريبة أو فى أثنائها أو حتى بعد سريانها، واستمرت حياة اليهود الأتراك الذين لم يتأثروا بتلك الضريبة، عادية تمامًا. وانضم شباب اليهود إلى جانب رفاقهم من المواطنين المسلمين للجيش، وقامت الحكومة بحظر كل المنشورات أو الصحف أو الكتب التى تنم عن عداء السامية والتى كان يرعاها النظام النازى.

ورفضت حكومة تركيا طيلة الحرب وبرغم الضغط النازى المستمر مطالب ألمانيا بضرورة تسليم اللاجئين اليهود لاعتقالهم فى معسكرات الموت، واستمرت تركيا بدلًا من ذلك فى توفير حيز فى أراضيها لليهود الفارين من الاضطهاد النازى من (بولندا) و(اليونان) و(يوجوسلافيا) ومن غرب ووسط أوروبا، وبناء على رواية عدد من قوات حرس الحدود فى منطقة (تراكيا Thrace) ومنهم ضابط منطقة أدرنة فى ذلك الوقت ويسمى "أمين كورال Emin Kural" والد زوجة المؤلف "أزل كورال شو Ezel Kural Show" فقد قالوا إن الجنود الأتراك فى منطقة تراكيا تغاضوا عن عبور اللاجئين اليهود الذين استطاعوا الانسلال عبر حدود بلغاريا واليونان اللتين كانتا تحتلهما قوات النازى، والواقع أن تركيا تغاضت أيضًا بداية من صيف (1940م= 1359هـ) عن وجود 50 عميلًا من عملاء منظمة "آلياه Aliyah" الصهيونية بزعامة "حاييم بارلاس Hayim Barlas" وهو من أصبح بعد ذلك عمدة القدس الإسرائيلية "تيدى كوليك Teddy Kollek" و "موشيه شيرتوك Moshe Shertok" الذين استطاعوا من مكاتبهم الموجودة فى فندق "كونتيننتال Continental" فى كل أنحاء جنوب شرق أوروبا، القيام بعمليات إنقاذ بموجب موافقة الحكومة التركية السلبية، حيث قدموا جوازات مرور مزيفة لآلاف من اللاجئين اليهود بالإضافة إلى مساعدتهم على نقلهم إلى تركيا بعد أن تمكنوا من الفرار من الرعب النازى الذى اجتاح (بولندا) و(يوجوسلافيا) و(بلغاريا) و(اليونان) و(المجر) و(رومانيا) و(تشيكوسلوفاكيا) ، وفى أثناء الغزو النازى من

الشرق فروا من (إستونيا) و(أوكرانيا) و(روسيا)، وظلوا فى تركيا بقية أيام الحرب، وساعدت من رغب منهم فى بلوغ فلسطين، وعن طريق هؤلاء العملاء الصهاينة جاء عرض "آدولف أيخمان Adolph Eichman" للمنظمة الصهيونية لتحرير باقى يهود بولندا بعد أن قتل 3.5 مليون يهودى مقابل معدات حربية وأموال، وكان أيضًا عن طريق نفس هؤلاء العملاء فى بودابست إلى الحلفاء للترتيب لتحقيق سلام مبكر، وسمحت تركيا باستمرار كل هذه الأنشطة على الرغم من المعارضة الشديدة من جانب بريطانيا العظمى والفاتيكان؛ خشية رد الفعل العربى ضد رعاياهم ومصالحهم بالرغم من قيام قلة من المسئولين البريطانيين المحليين، وممثل الفاتيكان فى استانبول "أنجيلور رونكالى Angeg Roncalli" الذى أصبح فيما بعد "البابا جون الثالث عشر Pope John XXIII " بتقديم المساعدة سرًا لعملاء الصهاينة بمبادرتهم الشخصية.

وحثت بريطانيا دول البلقان قبل استيلاء ألمانيا عليها على منع هجرة اليهود إلى تركيا وفلسطين، وقامت بالضغط على حكومتى تركيا واليونان؛ ليرفضا رسو السفن التى تحمل اللاجئين اليهود فى موانيها، وقد نجم عن هذا الموقف حادث مأساوى عندما رفضت تركيا بناء على نصيحة إنجلترا رسو السفينة "ستروما Struma التى كانت تحمل على متنها 769 يهوديًا هاربين من (بولندا) خشية من ذهابهم بعد ذلك إلى فلسطين، غرقت تلك السفينة عندما عادت إلى البحر الأسود ولم ينج من ركابها سوى ستة ركاب فقط، لكن برغم هذه الضغوط سمحت الحكومة التركية للعملاء الصهاينة باستخدام مرافقها فى عمليات تهريب الألماس والعملات الذهبية والورقية إلى الدول التى احتلها النازيون للمساعدة فى تغذية وإسكان اليهود الذين لم يستطيعوا الفرار، وكان ذلك يتم عن طريق مساعدة ممثلى تركيا من السفراء والقناصل، حتى إنهم كانوا ينظمون عمليات فرار اليهود إلى تركيا، وعندما قامت قوات النازى وإنجلترا بالضغط على تركيا واضطرتها للحد علانية من أنشطة الإنقاذ الصهيونية وإغلاق مكتب "آلياه Aliyah" وتحديد هجرة اليهود فقط لمن معه تصريح بريطانى لدخول فلسطين، سمحت الحكومة التركية لنفس الصهاينة بالاحتفاظ بمنظمة "إلياه بيت Aliyah Bet" والاستمرار فى جلب اللاجئين اليهود، وإرسالهم إلى فلسطين، بطرق غير شرعية.

وأعلن "موشى شيرتوك Moshe Shertok" بعد ذلك أن استانبول كانت من وجهة نظر اليهود فى غاية الأهمية، حيث كانت بمثابة قاعدة لتجمع المعلومات وملجأ وملاذًا للفارين اليهود من الاضطهاد النازى فى أكثر من دول أخرى عديدة محايدة فى أوروبا مثل (جنيف) أو (إستوكهلم) أو (ليسبون) حيث إن استانبول فقط هى التى ربطت مباشرة بين يهود أوروبا ويهود "يشوف Yishuv" فى فلسطين، ولا يزال العملاء الصهاينة الذين كانوا نشطاء فى استانبول فى أثناء الحرب مقتنعين حتى اليوم أنه فى ظل غياب المساعدة من جانب الجاليات اليهودية الكبيرة فى بريطانيا وأمريكا وجنوب أفريقيا، فإن أنشطتهم وحدها التى اضطلعوا بها تحت سمع وبصر الحكومة التركية وتأييدها الصامت جعلت يهود أوروبا يشعرون أنه لم يزل هناك من يتذكرونهم ويحاولون تقديم المساعدة لهم.

بيد أن اليهود والأتراك لم يكونوا يعرفون شيئًا عن معظم هذه الأمور، فضريبة رأس المال أو "وارلق فيرجيس Varlik Vergisi" فرضت على العديد ممن تنازلوا عن حقوقهم الخاصة، عقب حرب الاستقلال التركية رغبة فى معاملتهم معاملة مساوية للمواطنين الأتراك فى ظل الجمهورية التركية، وكان نتيجة ذلك بالإضافة إلى الحملة الشديدة التى شجعت على الهجرة التى شنها عملاء الوكالة اليهودية الذين جاءوا من إسرائيل بعد الحرب مباشرة، أن هاجر حوالى ثلث سكان تركيا اليهود، وخاصة الفقراء، ومنهم معظم الذين جاءوا إليها كلاجئين فرارًا من النازيين، هاجروا جميعًا إلى دولة إسرائيل الجديدة، وفى عام (1949م= 1369هـ) وحده هاجر إليها 26306 من اليهود.

وفى أواخر الستينيات وبداية السبعينيات حدثت موجة هجرة ثانية لكنها أقل عددًا لليهود الأتراك إلى إسرائيل. وحث عليها هذه المرة، الرغبة فى مساندة إسرائيل ضد تهديدات الهجوم العربى فى أثناء "حرب الأيام الستة" وبعدها، وأيضًا الهجمات اليونانية ضد اليهود والممتلكات اليهودية فى استانبول وأزمير وقبرص كجزء من الهجمات على الأتراك، التى صاحبت جهود اليونان لضم قبرص المستقلة عقب الانسحاب البريطانى فى بداية السبعينيات، والواقع أن هؤلاء المهاجرين فى ذلك الوقت كانوا أكثر تعليمًا وثراءًا من

هؤلاء الذين غادروا تركيا بعد الحرب العالمية الثانية مباشرة.

وعلى الأرجح أنـه حتـى وإن لم يكـن هنـاك "وارلـق فيرجيسVarlik Vergisi" أي ضريبة رأس المال، فإن هذه الهجرة اليهودية واسعة النطاق مـن تركيـا كانـت ستحدث على أي حال طالما تم إقامة دولة يهودية، حيث أغرت فرص التقدم الاقتصادى فى نشأة بيئة جديدة للعناصر الفقيرة من اليهود الأتراك الذين تأثروا تأثرًا شديدًا بعملاء الهجرة الصهاينة فى السنوات التى أعقبت الحرب.

ولابد وأن نفرغ من حقيقة أن عددًا كبيرًا من اليهود ظل فى تركيا بعد عملية الهجـرة الكبـيرة، حيـث بـدأوا مـن جديـد فى الانخـراط بنـشاط وبنجـاح فى الحيـاة التركيـة الاقتصادية، وإن 5047 يهوديًا تركيًا ممن ذهبوا إلى إسرائيل عادوا مرة أخرى للاستقرار فى تركيا بين أعوام (1948– 1965م= 1368– 1385هـ) حيث كانوا راضين عـن حـالهم، واقتنعوا أن معظم الأتراك الآخرين فهموا أن ضريبة رأس المال كانـت غلطـة وعقـدوا العزم على عـدم وقـوع أخطـاء كهـذه مـرة أخـرى، حتـى هـؤلاء اليهـود الأتـراك الـذين هـاجروا إلى إسرائيـل واسـتمروا هنـاك لازالـت تـربطهم صـلات وثيقـة بتركيـا، فهـم فخورون بتراثهم التركى واستمروا فى التحدث باللغة التركية ولغة اللادينو (الإسبانية اليهودية) فى حياتهم اليومية، ويغنون الأغـانى التركيـة ويعزفـون موسـيقاها، ويـأكلون الطعام التركى، ويتصلون بأصدقائهم و"اتحاد الأتراك (باللغة العبرية Ltahdut Yoste Turkiye be Israel" ومعارفهم وأقاربهم فى تركيا.

مثـل هـؤلاء اليهـود عـلى المستوى القـومى، بينما قامـت (مؤسـسة اليهـود الأتـراك Moreshet Yagaut Turkiya) فى إسرائيـل بتقـديم ثقـافتهم ببنـاء متحـف كبـير ومركـز ثقافى فى هرتزليا، وعقد مؤتمرات، وإعداد دراسات عن حياتهم تحت الحكم العثمانى.

وكنتيجة لهذه الهجرة الضخمة ارتفع عـدد الـسكان اليهـود الأتـراك فى إسرائيـل مـن 10701 عام (1948م= 1368هـ) إلى 41605 فى عـام (1951م= 1371هـ) وإن ظلـوا عـلى نفـس هـذا المعـدل خـلال الثلاثـة عقـود التاليـة. وبـالطبع فـإن عـدد الأطفـال اليهـود الإسرائيليين الذين ولـدوا عـن آبـاء أتـراك زاد خـلال نفـس تلـك الـسنوات إلى حـوالى 40000، فأصـبح إجمـالى اليهـود الأتـراك وأطفـالهم حـوالى 80000 فى عـام (1989م=

1409هـ) ويعيش معظمهم فى (بات يام Bat Yam) التى تقع على ساحل البحر المتوسط وفى (يهود Yahud)التى تقع على بعد ثمانى أميال من تل أبيب والتى طوروها عقب عام (1948م= 1368هـ) وفى (راهوف ليفينسكى Rahov Levinsky) وهى قسم من تل أبيب نفسها، وفى (هولون Holon) و (هيرتزليا Herzliya) ، وحوالى نفس العدد من اليهود الأتراك وأطفالهم يعيش فى الدول الغربية، وانخفض عدد الأتراك اليهود الذى بلغ 79424 فى عام (1927م = 1346هـ) عندما تم عمل أول تعداد رسمى فى عهد الجمهورية حينئذ كان يعيش فى استانبول 47035 يهوديًا وفى أزمير 17094 وفى أدرنة 6098 وارتفع خلال الحرب العالمية الثانية فقدر بـ 125000 ثم انخفض من 76965 مباشرة إلى 45995 فى عام (1955م = 1375هـ) وانخفض هذا العدد إلى 43928 فى عام (1960م = 1380هـ) حيث انتقل معظم اليهود من المدن الصغيرة إلى الحياة فى المدن الرئيسة، وفى عام (1965م = 1385هـ) بلغ عدد اليهود الذين كانوا لايزالون يعيشون فى تركيا 38267، كان يعيش منهم 30831 فى استانبول و4067 فى أزمير، وعاش الباقون وعددهم 3369 فى مدن الدولة الصغيرة وقراها.

ولم تضع لجنة الإحصاء الرسمى التركية إحصائيات لحصر نسبة السكان بالنسبة للديانات منذ الستينيات، ولذلك كان من الصعب حصر عدد السكان بالنسبة للديانات منذ الستينيات، ولذلك كان من الصعب حصر عدد السكان اليهود فى تركيا اليوم على نحو دقيق، فالحاخامية الرئيسة تحصر عددهم بـ 5500 وهم الأعضاء المسجلون رسميًا فى المعابد التركية، حيث عددهم الإجمالى بعد حساب أربعة أشخاص لكل أسرة بـ 22000 منهم 20000 فى استانبول و2000 فى أزمير وجماعات أصغر فى (أضنة Adana) وأنقرة و(چناق قلعة Canakkale) أو (بورصة Pursa) و (قيرقلرالى Kirklareli)، بيد أن البعض يرى أنه ربما سيكون هناك 10000 تركيًا من أصل يهودى لايمارسون شعائر دينية وليسوا مسجلين فى أى معبد ومن ثم لايحسبون ضمن اليهود.

وهناك أيضًا آلاف عديدة من اليهود الدونمة(*) الذين لا يعترفون بزعامة الحاخامية الرئيسة، وبالتالى لم يُحسبوا ضمن هذا العدد الإجمالى، ومن ناحية أخرى يرى البعض أن كثيرًا من هؤلاء المسجلين كأعضاء فى المعابد لايعيشون فى الحقيقة فى تركيا، ولذلك فإن

العدد الفعلى قد يكون أقل من 20000، لكن مهما كان عددهم الفعلى، فقد كان عـددهم ربع ذلك العدد عند قيام الجمهورية التركيـة، لكـن الجماعـة اليهوديـة ظلـت ثـانى أكـبر الجماعات اليهوديـة التـى عاشـت فى أراضى الدولـة العثمانيـة الـسابقة ولاتفوقهـا سـوى إسرائيل.

وظل حزب الشعب الجمهورى الذى أسسه أتاتورك تحت سيطرة الحكومـة التركيـة حتـى بعـد وفاتـه عـام (1938م= 1357هـ) إلى أن جـرت انتخابـات عـام (1950م= 1370هـ) حيث حل محله الحـزب الـديمقراطى برئاسـة "جـلال بايـار Gelal Bayar" و "عدنان مندريس Adnan Mendores" رئيس الوزراء الذى فرض على الحزب ضـوابط حكومية أقل، وشجع على إقامة المؤسسات الحرة على نطاق أوسع مما كـان متاحًـا طيلـة سنوات التحديث فى عهد أتاتورك، وظل الحزب الديمقراطى فى السلطة طيلة عقد من الزمان، وبمرور الوقت قـام بتخفيـف القيـود العلمانيـة الـسابقة حتـى يكـسب أصـوات المواطنين المتدينين من كافة المعتقدات. وكانت النتيجة أن خفت حدة القيـود المفروضـة على إصلاح المعابد أو بناء معابد جديدة وأيضًا بالنسبة للمساجد والكنـائس، ودخلـت اللغـة العبريـة والـدين اليهـودى ضـمن منـاهج التعلـيم فى المـدارس اليهوديـة. وأيـضًا أصبحت هناك دروس فى اللغة العربية والدين الإسلامى فى مناهج المدارس الحكومية.

وفى فترة العقد الديمقراطى أو الذى كان فيه الحـزب الـديمقراطى فى الـسلطة شـعر اليهـود الأتـراك بحـاجتهم إلى رئـيس حاخامـات جديـد لأول مـرة منـذ مـوت "حـاييم بيجيرانــو Haim Bojerano" فى عــام (1931م= 1350هــ)، وفى 25 ينــاير (1953م= 1373هـ) انتخب ممثلو الجماعة اليهودية لمنصب الحاخام "رافائيل دافيد صـابان Rafael David Sabun" الذى كان يتمتع بخبرة طويلـة فى إدارة الجماعـة حيـث كـان عـضوًا فى المجلس الدينى (مجلس روحانى Meclisi Ruhani) وفى المحكمة الدينية (بيت دين Bet Din) فى استانبول بداية من عـام (1903م= 1321هـ) وكـان عـضوًا فى المجلـس الـدينى (مجلــس إدارة Meclisi Idare) فى اســتانبول بــين عــامى (1908– 1925م = 1326– 1344هـ) وكان يعمل رئيـسًا دينيًّـا للمنطقـة Mare de Atra فى (خاصـكوى Haskoy) (1907– 1912م = 1325 – 1331هـ) ومنطقـة جلطـة Galta – بـك أوغلـو Beyoğlu –

شيشلى Şişli وقاسم باشا Kasem Paşa وزعيمًا للجماعات الإيطالية والأشكنازية من عام (1912م = 1331هـ) إلى أن تم تعيينه لمنصب الحاخام الرئيس، وكان يعمل طيلة الوقت كمستشار موثوق به لأسلافه منذ أيام الحاخام الكبير "موشى ليفى Moshe Levi" . ونظرًا لعمله فترة طويلة مع الجماعات اليهودية الإيطالية فكان يعتبر أن وظيفته الأساسية هى استعادة العلاقات الطيبة معهم، والعمل على توحيد الجماعات اليهودية التركية حتى إنه حاول أن ينهى الخلافات التى بينهم وبين القرائيين(*) غير أنه لم ينجح فى ذلك.

وكان مثل بيجيرانو حيث أكد بشدة على ضرورة توثيق العلاقات بين اليهود والأتراك؛ فكان يدعو الجماعة اليهودية إلى مشاركة مواطن الجمهورية التركية الاحتفال بالذكرى الـ 400 للفتح التركى للقسطنطينية وبدعوة محمد الثانى ليهود وسط أوروبا للمجيء والعيش تحت حمايته.

وفى 21 أغسطس عام (1961م= 1381) قام مجلس للجماعة اليهودية يضم 61 عضوًا بانتخاب الحاخام "دافيد آسيو David Asseo" خلفًا لـ"صابان Saban" حيث كان يعمل سكرتيرًا أو مستشارًا له، وقاد أسيو المولود فى (خاصكوى Haskoy) عام (1914م = 1333هـ) وتلقى تعليمه فى الكلية الحاخامية رءوس جماعته من الناحية الإدارية والدينية واستمر فى الحفاظ على العلاقات الوثيقة مع الزعماء المسيحيين والمسلمين الأتراك، وكان يعتبر الممثل الرسمى لليهود الأتراك لدى الحكومة المركزية وأيضًا لدى الجماعات والأفراد خارج تركيا.

وكان يعاونه فريق عمل صغير فى رئاسة الحاخامية مثل (المجلس الدينى) وسمى باسم المحكمة الدينية القديمة "بيت دين Bet Din" وكان يضم رئيسى الحاخامات وثلاثة حاخامات آخرين فى استانبول حيث كانوا يهتمون بالأحوال الشخصية كتسجيل المواليد والوفيات وأمور الزواج والطلاق والأمور المتعلقة بالارتداد عن الدين أو اعتناقه، ومجلس علمانى أو المجلس الفخرى للمستشارين ويسمى بالتركية (فخرى دانشمانلر قورولو Fahri Danişmanlar Kurulu) ويضم 35 يهوديًا تركيًا قياديًا معينين من قبل رئيس الحاخامات، ولجنة تنفيذية (إجراء كورولو Icra Kurulu) وتضم

14 عضوًا ورئيسهم ينتخب من بين أعضاء المجلس العلماني، وكانت هذه المجالس جميعها وموظفوها مهمتهم الإشراف على جميع المعابد اليهودية ومؤسسات الجماعة وأنشطتها، وكانت تمدهم بالأموال اللازمة لهم، وكانت تدعم المدارس اليهودية الابتدائية والثانوية فى (غالطه) وبيت المسنين الخاص بالجماعة ويسمى بالتركية (إختيارلر يوردى Ihtiyarlar Yurdu) فى خاصكوى، والذى كان يشغل مدرسة الاتحاد التى يرجع تاريخها إلى القرن التاسع عشر، وكانت تدعم أيضًا مستشفى الجماعة التى تضم 98 سريرًا وتسمى (أوراهايم خسته انه سى Orhayim hastanesi) أى مستشفى اورهايم التى افتتحت فى عام (1897م =1315هـ) عبر القرن الذهبى فى بالاط على أرض منحهم إياها السلطان عبد الحميد الثانى، واحتفظت الجماعة اليهودية فى أزمير منذ عام (1874م = 1291هـ) بمستشفى (قره طاش Korataş) 22 سريرًا وكانت هذه المستشفى بمثابة بيت للمسنين إلى أن تم بناء مستشفى جديد باسم (ياشليلر يوردى Yaşlılar Yurdu) أى بيت المسنين خصيصًا لهذا الغرض وهو خدمة المسنين فيعام(1958م= 1378هـ)، وتم إضافة حجرات أخرى وتزويدها بخدمات طبية إضافية فى عام (1962م = 1382هـ)، وخصصت أموال أخرى للإنفاق على (بيت الأجازة) ويسمى بالتركية (تعطيل أوى Tatil Evi) وهو مخصص لأطفال اليهود فى جزيرة (بورجاز Burgaz) ومدرسة تلمود توراة صغيرة وكان يتدرب فيها المساعدون الدينيون الذين يعملون فى المعابد التركية، وكان كل معبد ومستشفى بموجب القانون التركى هو مؤسسة (وقف Vakif) لها مديرها الخاص بها ولجنتها التنفيذية، ومؤسسة الوقف تعتبر مستقلة بموجب القانون عن الحاخامية الكبرى وتقع تحت المسئولية المباشرة للإدارة العامة للأوقاف وتسمى بالتركية (وقفلر گتال مديرلغى Valkiflar Genel Mudurlugu) حيث لابد من تقديم تقرير لهذه الإدارة عن كافة دخل وإنفاق المؤسسة، بيد أنه من الصعب تخيل أن تظل الحاخامية الكبرى بلا نفوذ أو تأثير على تلك المؤسسات.

وكان يتم تسوية عجز ميزانيات هذه المعابد والمؤسسات الأخرى من الميزانية الرئيسة للجماعات اليهودية، والواضح أن جزءا كبيرًا من عائدات الجماعة اليهودية

كان يأتى من المؤسسات الدينية، لكن بالإضافة إلى هذا كان كل يهودى فوق سن الثانية عشرة يقدم مساهمات مالية تطوعية إلى الجماعة بما يتناسب مع دخله إضافة إلى ضريبة غير رسمية تسمى بالتركية (كيسبه Kisbe)، أى ضريبة الكسب وكانت تمول أنشطة الحاخامية الكبرى وخدمات الجماعة الدينية، وكانت تجمع أيضًا رسومًا إضافية لقاء الخدمات الخاصة مثل إقامة حفلات الزواج والختان والجنازات ونحو ذلك، وبيع حق أداء الوظائف الطقوسية أثناء الخدمات الدينية.

وفى استانبول فى الوقت الراهن يعمل 16 معبدًا يهوديًا بالإضافة إلى تلك المعابد التى فى أزمير وبورصة وقيرقلرآلى وأنقرة وچناق قلعة وإسكندرون وأنطاكية، والجماعات اليهودية الباقية فى الأماكن الأخرى من تركيا قليلة لدرجة لا يمكنها أن تؤدى الطقوس الدينية التى تحتاج إلى عدد معين، لذلك لا تفتح معابدهم سوى فى الإجازات عند المناسبات الخاصة الأخرى.

وتنقسم الجماعة اليهودية فى استانبول فى الوقت الراهن إلى ثمان مناطق (هاش قاهوت Hashqahot) تضم أعدادًا كبيرة من المعابد العثمانية القديمة بكل واحد منها مجلس طائفى يسمى بالعبرية (Vaod hakehile) وهى نيفاشالوم Neve Şalom (جالاطه- بيك اوغلى- شيشلى) و"بالاط" و"خاصكوى" و"سيركهجى" و "أورطة كوى" و"گوز جونجوك" و"قاضى كوى" و"جاده بستان" و"بيك أدهز" وكانت تضم أيضًا ممثلين عن الجماعات الإشكنازية والإيطالية.

ووجد أنه بناء على خريطة المسح الذى قامت به مدرسة الليسية الألمانية فى فبراير عام (1987م = 1408هـ) ليهود استانبول فإن عددًا كبيرًا من يهود استانبول يعيش الآن فى المنطقة الواقعة شمال (تقسيم Taksım)، وفى شيشلى يعيش 31٪ وفى (غَيْرَت تيه) 25٪ و(نيشانطاش) 17٪ وفى مناطق (تمورطولوش) 6٪ بينما يعيش معظم الباقين فى ضواحى الأناضول، ففى (جوزتبه) يعيش 5٪ وفى (جاده بستان) 5٪ وفى (معادية) 3٪ والـ 13٪ الباقون يعيشون فى أنحاء متفرقة من تركيا، وتحتفظ الجماعة الإشكنازية بمؤسستها ومعبدها الخاص بها على منحدر "يوكسك فالديوم" الذى ينحدر على نحو مميز من (بك أوغلى) حتى (غالاطه) بينما يوجد على مقربة منه فى "خندق سوقان" فى

غالاطه المعبد الإيطالى الذى أُنشئ عند الانفصال عن السفرديم فى منتصف القرن التاسع عشر الذى لم يزل يمارس طقوسه الخاصة به، غير أن كليهما يخضع لسلطة رئيس الحاخامات والحاخامية الرئيسة وكليهما لديه ممثلوه فى "المجلس الفخرى للمستشارين".

ويستمر القرائيون اليهود وعددهم 80 فى مراعاة طقوسهم الخاصة وتقاليدهم بعيدًا عن سلطةوسيطرة الحاخامية الرئيسة، وإذا اقتضى الأمر يذهبون إلى إسرائيل لأداء طقوس الزواج، ويتردد أن الدونمة لديهم معبد خاص بهم ومدرسة ومنظمات اجتماعية لكنهم يمارسون طقوسهم بسرية تامة، ولذلك لا يكاد يكون لدينا معلومات عنهم سوى أنهم لم يزالوا أثرياء جدًا، وبينما لا يوجد عدد كبير من اليهود فى استانبول القديمة إلا أنه هناك معبدٌ صغيرٌ فى حى (سيركه جى) مازالت تُقام به قداسات وصلوات الجمعة، ويقع وراء محطة سكة حديد استانبول الرئيسة، ويديره رجال الأعمال اليهود فى المنطقة ولخدمتهم أيضًا أى يدار منهم ولهم، ومعظم رجال الأعمال هؤلاء هم سلالة منشئ المعبد الذين عاشوا فى المنطقة منذ قرن أو أكثر عندما جاءوا لأول مرة إلى استانبول كلاجئين فارّين من الاضطهاد الذى تعرضوا له فى دول عديدة فى أوروبا، وبعض المعابد القديمة مثل معبد أهريدا القديم ويانبول فى (بالاط) والمعالم فى خاصكوى، لا يُعقد بها (قداسات) منتظمة لكن لم تزل تستخدم فى الإجازات الهامة، بينما المعابد الأخرى مثل معبد (ميكور) فى شارع (برليك) بالقرب من قلعة أنقرة لا تستخدم إلا نادرًا لصغر عدد الجماعات اليهودية هناك، وأما خارج استانبول فالمعبد الوحيد الذى يعقد صلوات الجمعة بصفة منتظمة هو معبد (بيكور حوليم) فى أزمير وتشرف عليه أيضًا الحاخامية الرئيسة.

ولم يبق على حاله سوى عدد قليل جدًا من المعابد القديمة حيث تعرضت معظم المعابد للإغلاق والتحديث خلال القرن التاسع عشر. ويبدو على جدرانها بعض النقوش التى تظهر عمرها التاريخى، والمعابد المعاصرة عنها الموجودة فى استانبول لا تعكس أى أسلوب يهودى خاص فى العمارة لكنها تبدو فى الحقيقة أكثر شبهًا بالكنائس التركية، وتحوى صفين من الأعمدة يقسم المبانى إلى ثلاثة مستطيلات، واحد فى

المتصف واثنان على كلا الجانبين، ويبدو تأثير الطراز الإسلامى لقبة الصخرة فى القدس، حيث توجد قبة فوق الأعمدة نظمت على شكل دائرة تقسم الحرم إلى مساحتين اسطوانيتين، والواقع أن الفن اليهودى لا ينعكس من خلال المبانى بقدر انعكاسه على الأدوات التى تُستخدم خلال تأدية الطقوس مثل التيجان والأهلة الملحقة بالأدراج (والدرج هنا عبارة عن لفيفة من الرق أو رق البردى تدون عليها وثيقة) ولمبات الزيت التى تُحيط بهم، ودائمًا ما تحمل علم الجمهورية التركية، والغريب أن معظم أدراج التوراة غُطت وزينت على الطراز الإشكنازى، مع بعض الاختلافات عند الجماعات اليهودية التى تتحدث اللغة العربية فى الجنوب الشرقى من تركيا حيث الطراز يغلب عليه طابع السفرديم أكثر، وجميع

المعابد لم تزل تتبع تقليد فصل الرجال عن النساء أثناء الصلاة، ويجلس الحاخامات وقائدو جوقة الترتيل فى مكان مرتفع ومنه يؤمون الصلاة، وتحاط المعابد اليهودية بجدران عالية تليها جدران أخرى فى الساحات الداخلية بجانب البوابات حتى تحجب المصلين عن أعين المارة.

ومعظم الطلبة من اليهود وغير اليهود على حد سواء يفضلون دخول المدارس الأجنبية الخاصة أو المدارس الحكومية، ولذلك انخفض عدد المدارس اليهودية فى استانبول إلى مدرستين، وهناك مدرسة واحدة فى أزمير، وبدلًا من مدارس (حَيْدَرَس Heders) والتلمود والتوراة فى الماضى يتلقى اليهود الآن تعليمهم فى المدرسة الابتدائية اليهودية المشتركة واسمها بالتركية (مُوسَوِى قارمه وآنا إيلك أوقولى Mosevi Karma ve Ana ilk Okulu) والتى تأسست عام (1890م = 1401هـ) وتم إعادة تنظيمها عام (1939م = 1358هـ) ومدرسة (ألبك أوغلى) الثانوية اليهودية الخاصة واسمها بالتركية (بك أوغلى أوزل موسوى ليسى Beyoglu Ozel Musevi Lisesi) وكلتاهما الآن فى منطقة (غالاطه) و(شيش خانه) فى استانبول بالقرب من معبد (نيفه شالوم Neve Şalom) ومن المقرر أن يتم نقلهما إلى بنائين جديدين فى منطقة أولوس فى استانبول، وكلتا المدرستين تُدَرِّسان مناهج مدرسة جالاطه سراى ليسيه الحكومية التى أنشئت ونظمت بمعونات قدمتها الحكومة الفرنسية على أن يتم التعليم فيها باللغة الفرنسية.

غير أن وزير التعليم "صفت أريبكان Saffet Arbkıan" حث على ضرورة تغيير مناهج التعليم فى تلك المدارس لتكون مثل مناهج تعليم وزارة التربية والتعليم التركية (ميللى ايتم باقا نلغى Milli Egitim bakan Lıqı) مع إضافة ما يلزم من الدروس العبرية ويكون المدرسون أتراكا مسلمين ويهودًا. ومنذ عام (1946م = 1366هـ) حلت اللغة الإنجليزية محل اللغة الفرنسية كلغة أجنبية أولى فى المدارس، وبينما يتشكك البعض فى مستقبل هذه المدارس وخاصة مدارس الليسيه إلَّا أن التسجيل فى هذه المدارس لم يزل مرتفعًا حيث يبلغ معدل عدد الطلاب فى أى عام حوالى 200 طالبًا. ويتم التعليم فى هذه المدارس داخل قاعات حديثة مجهزة بالتجهيزات اللازمة لدراسة اللغة والفيزياء والكيمياء مما يدل على أن الجماعة اليهودية قادرة ومستعدة تمامًا لتعليم أطفالها تعليمًا جيدًا كلما أمكنهم ذلك.

وتحتفظ الجماعة اليهودية فى أزمير أيضًا بمدرسة ابتدائية تضم فى كل عام 140 تلميذًا. ويوجد أيضًا المدرسة اليهودية التقليدية (حيدر Heder)فى استانبول، و (مهازيكا توراة Mahazike Torah) التى أسسها الحاخام "نسيم بهار "Nissim Bahar 1990 -1912)م)، وهى متسبة إلى الحاخاميات الرئيسة فى استانبول وأزمير. وتقدم دروسًا دينية فى عطلة نهاية الأسبوع والإجازات، كما تقدم أنشطة لأطفال المدرسة الابتدائية وخاصة أطفال أسر رجال الدين كما تقوم أيضًا بتدريب الأحبار وقائدى جوقة الترتيل. والجزارون اليهود الذين يبيعون اللحم المباح أكله وفقًا للشريعة اليهودية أيام العثمانيين لم يعد لهم وجود فى الوقت الراهن. ويقوم بهذا الدور الآن جزارون مسلمون حيث يذبحون اللحوم التى تباع لليهود وفقًا لطقوس شريعتهم (شوهايتم Shohetim)، وتقوم الجماعة اليهوديّة بطقوس خاصة عند خبز الخبز الخاص بهم (ماتزاه Matzah) وعند عمل الخمر المباح لهم شربه (كوشر Kosher) لتقديمه فى عيد الفصح وغيره من الأعياد الدينية وتحتفظ الفنادق الكبرى العديدة فى استانبول مثل الهيلتون والشيراتون وفندق (بيوك سورمه لى Buyuk Sürmeli) بمطابخ تقدم الأطعمة والمشروبات المباحة لليهود كجماعات أو ضيوف أفراد.

ومعظم مقابر اليهود فى تركيا مثل تلك التى فى خاصكوى وفى الجزء الشمالى من

(بالاط) وفى (كوزجونجوك) و(أورطه كوى) فى استانبول كلها قديمة فيما عدا تلك التى فى (ميرسين) و(أطنه)حيث يرجع تاريخها إلى الأعوام الأولى للجمهورية، ولدى يهود استانبول أيضًا مقابر أحدث فى (أرناؤوط كوى) على الشواطئ الأوروبية للبسفور فى منطقة (شيشلى) وقد تم تخصيص مساحة جديدة لإقامة مقبرة يهودية فى المستقبل بالقرب من (كمربورغاز Kemer Burgaz) فى (كليوس Kilyos) على البحر الأسود، ويدفن يهود أدرنه موتاهم فى مقابر اليهود فى (استانبول)، وفى تركيا مقابر عديدة لايستخدمها سوى اليهود وتوجد فى (استانبول) و(إزمير) و(بورصة) و(چناق قلعة) و(قرقلرالى) و(تكيرداغ) لكن فى معظم الأماكن الأخرى يستخدم المسلمون واليهود والمسيحيون المقابر العامة، وقد تهدمت أجزاء من المقابر اليهودية القديمة وخاصة تلك التى فى (خاصكوى) و(أورطه كوى) مثلها مثل مقابر المسلمين نتيجة للمشروعات الكبيرة التى تقام على الطريق السريع والتى غيرت جذريًا أرض استانبول خلال العقد الماضى، لكن هناك العديد من المقابر التى لم تزل قائمة على الأقل أجزاء منها، وإن كانت فى حالة مزرية نظرًا لعدم الاهتمام بها. وشواهد القبور القديمة كتبت عليها كتابات باللغة العبرية والأردينو أى الإسبانية اليهودية، وقليل منها كتبت عليها كتابات عربية وإن كانت بحروف عبرية، لكن منذ عام (1923م = 1343هـ) بدأوا يكتبون على شواهد قبورهم باللغة التركية ولغة اللادينو، وفى الأعوام الأخيرة أصبحت تكتب باللغة التركية فقط، والحكومة التركية تحرص على إمدادهم بقطع أرض فضاء جديدة تلحق بالمقابر القديمة عندما يحتاجون لذلك.

ويشارك اليهود فى معظم نواحى الحياة التركية، وأهم رجال الصناعة اليهود فى تركيا "جَاك قَمْحِى" رئيس مجلس إدارة وشركة "پروفيلو Profilo" وصاحب مصانع الأدوات الكهربائية الرئيسى ورأس لعدة سنوات (وقف النهضة الاقتصادى Iktisadi Kalkınma Vakfi) الذى تولى مهمة التفاوض المتعلقة بتأمين دخول تركيا فى السوق الأوروبية المشتركة و "إسحاق آلاتون İshak Alaton" رئيس شركة (آلاركو) "عزيز جارج فى ألاركو Alarko" والذى اشترك فى تأسيها مع "آلاتون Alaton" و "رمزى پينصاى Ramzi Pensay" والأخوة "بيجيرانو Bejevana" و"نديم يحيى Nedim

وهناك أيضًا الرسامون الكبار مثل "يوسف حبيب جريس Yusuf Habib Yehya" الذى عمل كسكرتير خاص لرئيس الحاخامات "بوبى Bubi" و"مارجريت مائيم" والشعراء أمثال "بارتا برودو Berta Brudo" و "يوسف الغازى Yusuf Algazi" ومن الكتاب أمثال "نعيم كولريوز Naim Güleryüz" المؤرخ ومستشار الحاخامية الرئيسة و"سامى كوهين Sami Kohen" المراسل الرئيسى للشئون الخارجية لصحيفة (ملليت Milliyet) "بكى . إل . باهار Beki L.Bahar" الأديب والروائى ، و"ماريو ليفى Mario Levi" و"جاك دلعون Jak Deleom" فى الأدب و"نسيم باناسته Nesim Ben Banaste" و"بيكى باردافيد Beki Berdavit" الصحفيان فى صحيفة "شالوم Şalom"، وأيضًا "سيلفيو اوفاديه Silvyo Ovadya" و"رينا إسكينازى Rina Eskenazi" و"نانا طرابلس Nana Tarablus" و"يوسف آلتينطاس Yusuf Altintas" و"داليا ساياه Dalia Sayah" و"ليزى بيهمواوراس Lizi Behmooaras" وبائع التجزئة المشهور "فيتالى حقو Vitali Hakko" ورئيس سلسلة محلات "فاكو Vakko" من أشهر المحلات فى تركيا، وفى العلاقات العامة "ألى اجيمان Eli Aciman" رئيس شركة (ماناجانس Manajans) فى طوسون وممثل شركة الإعلانات الدولية "جى والتر J. Walter" فى طوسون ويعد من الرواد المؤسسين للإعلانات الحديثة فى تركيا، و"إيزيدور باروخ Izidor Barouh" من وكالة الإعلانات (أعلانجيلق Ilancilik) و"سادات سجيالوم Sedet Scialom" من وكالة (جرافيكا Grafika) والممثلون مثل "روزيت حوبيس Rozet Hubes" و"عزت بانا Izzat Bana" و"سليم خوبيس Selim Hubes" و الموسيقيون الشعبيون (Los pasa ros serfadis) أعضاء فريق روس باساروس سيفارديس و"أرويوشورال Aroyo Chorale" وأيضًا "جاك و جانيت أسيم Jak and Janet Esim". والمصورون مثل "عزت كريبار Izzet Keribar" و"يوسف طوفى Yusuf Tufi" و"ألبرت موديانو Albert Modiano". وهناك أساتذة جامعيون يهود عديدون يعملون فى الجامعات التركية الرئيسة مثل "سليم كنيتى Salim Kaneti" (قانون) و"جيم باهار Cem Bahar" (الإقتصاد) و"يوديوروم Yudu Yurum" (كيمياء) و"نورما رازان Norma Razan" (علم النفس) وهناك أيضًا

مدرسون يعملون فى المدارس العامة والخاصة، ومنهم أيضًا العمال والمهندسون وموسيقيون كلاسيكيون وموسيقيون جاز ومحامون ومنهم فنانون وصحفيون ورسامون ونحاتون ورياضيون ومتسابقو سيارات وأطباء ووكلاء إعلانات وعارضات أزياء ومتخصصون فى طوابع البريد وتجار وأصحاب محلات من كافة الأشكال.

وبينما يشارك اليهود بحرية فى المنظمات التركية الاجتماعية والثقافية والرياضية نجدهم أيضًا لديهم منظمات خاصة بهم فى المناطق التى يعيشون فيها مثل نادى (يلديرم Yıldırım) الرياضي واسمه بالتركية (يلديرم سبور كولوبىYıldırım Spor Klubu) وجمعية (جوزتيپ الثقافية وبالتركية "كوزتيه كولتور درنكي Gostepe Küllür Dernegi).

وشارك اليهود أيضًا في السياسة التركية أثناء الثلاثة عقود الأولى للجمهورية لكن في السنوات الأخيرة لم يُشارك في الحياة السياسية سوى عدد قليل جدًا منهم نظرًا لأن الفرص متاحة لهم على نطاق واسع ليكونوا أصحاب مشروعات خاصة فيما عدا إسحاق آل تو بيف " I Ask Al-To Bev " صامويل آلتوابيڤ "Samuel Al Ta Bev " سكرتير عام الحاخاميه الكبرى حيث أصبح نائب الحزب الديمقراطي عن استانبول في الجمعية الوطنية الكبرى في عام (1952م = 1370هـ) حتى (1960م = 1380هـ).

ومعظم اليهود الأتراك بصرف النظر عن أصولهم يستوعبون جيدا الثقافة "السيفاردية " أو الشرقية ولكن التركية ظلت لغتهم الأولى وليس اللادينو بينما ظلت اللغات الإيطالية والفرنسية والإنجليزية الآن بمثابة لغات أجنبية ثانية بالنسبة لهم، والآن نجد الشباب التركي اليهودي مندمجًا أكثر في المجتمع التركي، ويتكلمون اللغة التركية في منازلهم أو في الشوارع ويجدون صعوبة عند التحدث باللغة الأسبانية اليهودية أو الفرنسية مع آبائهم وأجدادهم، وأوضح تقرير حديث أنه خلال العشرينيات والثلاثينيات فإن 40٪ من الرجال اليهود و 10 ٪ من النساء اليهود لغتهم الأولي هي اللغة التركية، بينما أقر 50٪ من النساء و10 ٪ من الرجال بأن اللغة الإسبانية اليهودية هي لغتهم الأولى وأقر 20٪ من كل الجنسين بأن الفرنسية هي اللغة

الأولى، وتَقَيَّد هذا بعد الخمسينيات فقد أقر 100 ٪ من كل الجنسين بأن اللغة التركية هي لغاتهم الأصلية.

وما تزال اللغة الأسبانية اليهودية لغة ثانية بالنسبة لمعظم اليهود الأتراك من الرجال المسنين واللغة الأولى بالنسبة للمسنات من اليهود التركيات ويشمل ذلك اليهود الذين يعيشون في إسكندرونة وأنطاكية حيث يستخدمون اللغة العبرية بالإضافة إلي اللغة التركية، وهؤلاء الذين يعيشون في (مرسينMersin) حيث يتحدث ثلثاهم باللادبنو والثلث الباقي يتحدث اللغة العربية.

والجدول التالي يوضح عدد الرجال والنساء الذين أقروا بأن لغتهم الأصلية التركية.

	اللغة الفرنسية	اللغة التركية	اليهودية الأسبانية	فرنسي تركي ويهودي أسباني	يهودي أسباني فرنسي
الرجال حتى 1920	20	40	120	30	-
النساء حتى 1920	20	10	50	-	20
الرجال من 1921–1940	-	40	10	40	10
النساء 1920–1940	30	10	-	40	20
الجميع	70	100	180	110	50

وأدى الاتجاه العَلْماني العام للجمهورية التركية وانتهاء التمرد واتساع النطاق المُعادي للسامية بسبب رحيل معظم الجاليات المسيحية عن البلاد ومغادرة اليهود الأثرياء الأحياء القديمة المنغلقة عليهم والذهاب للعيش في أحياء راقية مختلطة- أدى هذا كله من وقت قريب جدًا إلي تناسي اليهود لديانتهم والالتزام الاجتماعي بالجماعة مثلهم مثل اليهود الأمريكان، ولكن إحياء التيار الإسلامي بين العديد من الأتراك منذ الستينيات تَوَازي بإحياء مشابه بين شباب اليهود الذين بدأوا يلعبون دورًا أنشط في

حياة الجماعة وأنشطتها أكثر من آبائهم منذ جيل مضى.

وعقب الحرب العالمية الثانية حلت محل الصحف اليهودية الموجودة حينئذ منذ (1939م = 1358هـ) عدد من الصحف اليومية والأسبوعية التي لم تستمر طويلا، وكانت تضم مقالات باللغة الإسبانية اليهودية واللغة التركية على حد سواء مثل صحيفة " Sabat" السبت (1947– 1950م = 1367– 1370هـ) ورأس تحريرها موس بين باساط " Mose Benbasat " وصحيفة بين باسان " 1986 –1920) " Benbasan (1407 –1339 =هـ) " وأزاك ياش " " 1970 –1922) " I zak yaes م= 1341– 1390هـ) وصحيفة " لا فارا " " Lavara " ورأس تحريرها موشه بن باساط " Mose Ben basat " في عام (1950م = 1370هـ) وصحيفة "آتيكوatikval "و (هاتيكفا) (Hatikva) ورأس تحريرها (ياكوف قيماز) (Yakov kiymaz) و (أفرام بيناروبا) (Avrom Benaroya) في عام (1947م =1367هـ) وكانت تُشجع يهود استانبول على الهجرة إلي إسرائيل، وكانت أيضًا صحيفة نصف إسبوعية باسم (اوريهودا) " Or yehuda " ورأس تحريرها " أزاك ياش " "IZak yaes " "ومناحم مودن Menahem Muden " في عام (1948 – 1949م = 1368 – 1869هـ) وصحيفة " هفتة نك سيسيhafatnin sesi " أو صوت الأسبوع صدرت في عام (1957م = 1377هـ) ورأس تحريرها " روبرت سيزرRebert sezer " و"إسحاق كوهينIsak kohen " و"ديفيد أسكينازي Davit Eskinazi " و"فريد الصائتFerit Alsait " و"نعيم جولريوزNaim Güleryüz " وصحيفة " لالوز " الضوء ورأسها " اليازار مندا " " Elyazar Menda " وروبرت بالي " 1982 - 1899) " Rebert Baliم = 1317 – 1403هـ) و"موشيه ليفي بيلمان " Mose Levi Belaman " من (1950 – 1953م = 1370 – 1373هـ) وصحيفة (لابوز) أو الصوت ورأسها موشي ليفي بيلمان في عام (1952م = 1372هـ) وصحيفة لاترومبيتا (البوق) ورأسها رفائيل القاهر وبدات في شهر سبتمبر عام (1951م = 1371هـ) وصحيفة " لافيرا لوز " أي الضوء الحقيقي ورأسها البغار منذا 1 من فبراير (1953م = 1373هـ) حتي يناير (1972م = 1392هـ) والصحيفة الأسبوعية " لا لوزدو تركيا " ضوء تركيا ورأسها روبرت بالي ومضت

مقـالات بموشـى بـن باسـاط مـن فبرايـر (1953م = 1373هــ) حتـى عـام (1955م = 1375هـ) وصحيفة " التيمبو " وأصدرها "موشى هاليفي بيلمان" و "إسحاق كـوهين" من يونيو (1957م = 1377هـ) حتى (1959م = 1379هـ) " وشالوم " التي استمرت من 29 ديسمبر(1983م = 1404هـ) وتم إصدار آخر نسخة منهـا في 28 ديـسمبر (1983م = 1404هـ) وتم إصدار صحيفة " شالوم " مرة أخري في عام (1984م = 1405هـ) على يد بعض شباب اليهود تحت رئاسة تحرير نعيم جولريوز ونديم يحي وليون هليفة و جـاكو مولينار ويعقوب بن بولس وسڤين سيدي وآخـرون وتـصدرها الآن شركـة جـوزليم ورئيـسها إيريـدور بـاروخ ورأسـها ليـون هليفـة مـن (1984م – 1987م = 1405هـ – 1408هـ) ثم سالمون بيجدانو وسيلفنو خادية كمـديري تحريـر حيـث قامـا بتحويلهـا إلي مركز للحياة التركية اليهودية، وإن كانت أحيانًا تختلف عن مراكز الجماعـة الموجـودة في الحاخامية الرئيسة والأكثر محافظة، وكانت تصدر باللغة التركية فيما عدا صفحة واحـدة باللغة الإسبانية اليهودية، وكانت مركزة على المسائل الاجتماعيـة والثقافيـة الهامـة مثـل إحياء اللغة الإسبانية اليهودية داخل الجماعة، والانغراس أكثر في يهوديتهم والعـودة إلي الزواج من بعـضهم الـبعض، ومـنح المـرأة حقوقًـا أكثـر. وكانـت صـحيفة " لا لـوز دو أسرائيل " والتي كانت تصدر كصحيفة أسبوعية في إسرائيل باللغة الإسـبانية اليهوديـة ثم أصبحت متاحة لليهود في تركيا عند الأتراك اليهود المسنين مليئة بالأخبار. لكن مـع قلة من أصبحوا يقرأونها توقفت عن الإصدار في عام (1990م = 1411هـ) .

- ماهي المشاكل الرئيسة التي تواجه الجماعة اليهودية التركية في العالم الحديث؟

أول وأكبر مشكلة هي الاستيعاب، وهي المشكلة التي يواجهها اليهود في كل الـبلاد على مستوى العالم. والآن هناك مساواة فعلية بين اليهود والأتراك الآخرين مـن مختلـف الـديانات الأخـرى، الآن يـشاركون تمامًـا في الحيـاة التركيـة، فهـم يتحـدثون الآن اللغـة التركية أساسًا، ويتعلمون في المدارس التركية مع المسلمين الأتـراك، والآن يـتعلم عـدد كبير من شباب اليهود الأتراك الكثير عن الإسلام من خلال دروس الدين في المـدارس العامة؛ ولذلك نجد أن التحيز القديم لم يعد له وجـود عنـد كـل الجـانبين فـيما عـدا بـين الطبقات غير المتعلمة فـاليهود والأتـراك الآخـرون يتلقـون تعليمهم معًـا ويعملـون في

مجال الحياة المختلفة معًا بلا أي مصاعب. وبعد تعرضهم للاضطهاد في دول أخرى وأزمنة أخرى ومعظم القيود التى ما تزال موجودة داخل الجماعة الرئيسة التي تفرض على اليهود تقاليد دينية غاية فى التشدد بين النشء وبين جيل الشباب من اليهود الذين يفضلون أن يحيوا حياة كالتي يحياها أقرانهم فى الولايات المتحدة وإسرائيل بممارسات وطقوس عَلْمانية أكثر، وبعض الشباب اليهود اعتنق الإسلام وتخلى عن دينه تمامًا حتى يصبح جزءا من الحياة العَلْمَانِية التي أسسها مصطفى كمال أتاتورك في تركيا.

وبعضهم أيضًا تزوج من أتراك مسلمين بمعدل يُقدره البعض 8 أو 10 ٪ سنويًا، وهذا بالطبع خفف من ارتباطهم بالجماعة اليهودية.

وعلاوة على ذلك فإن هجرة شباب اليهود إلي إسرائيل قد أدى إلي بقاء الكبار فقط من اليهود الأتراك في تركيا، مما أدى إلي انخفاض معدل المواليد، وبالتالي انخفاض بنسبة السكان اليهود، وانخفض أيضًا عدد الطلبة اليهود في مدارس الجماعة؛ بسبب ترجيح معظم الأسر اليهودية إرسال أطفالهم إلي مدارس أجنبية مُجهزة بطريقة أفضل أو إلى مدارس الحكومة المجانية، وكان على اليهود الأتراك أن يقرروا ماذا كانوا فعلًا يريدون: أن يندمجوا داخل المجتمع التركي كلية، أو يحتفظوا بنوع من الوجود المنفصل؟، وهو حتما سيتطلب شيئًا من عدم المساواة.

والمساواة أيضًا أوجدت مشاكل أخرى فبسبب رغبة الحكومة التركية في السيطرة على المؤسسات الدينية للمسلمين التي لعبت دورًا رجعيًا متطرفًا أثناء الحكم العثماني في القرن التاسع عشر، تم وضع رقابة شديدة على عوائد تلك المؤسسات التي كان يتم تخصيصها في المؤسسات لرجال الدين ومؤسساتهم، فأصبحت توضع في خزانة الدولة في حالة وفاة مؤسسيها ومديريها دون أن يكون لهم ورثة، أو إذا لم يتم تنفيذ الأغراض التي من أجلها أقيمت تلك المؤسسات. وهذه القوانين كانت تستهدف مؤسسات المسلمين، لكنهم طبقوها تنفيذا لمبدأ المساواة على المؤسسات اليهودية التي تضم كل المعابد اليهودية والمدارس الدينية في الدولة، ولذلك بموجب القوانين الحالية اعتبرت الجماعة الإدارية بمثابة مدير فقط لتلك الممتلكات، وليس مالكًا فعليًا لها حتي إنه في حالة انتقال السكان اليهود من المنطقة التي توجد فيها تلك المؤسسات يتم مصادرة

تلك الممتلكات لصالح خزائن الدولة، وأدي هذا بالتالي إلى قلة ممتلكات الجماعة، وحرمانها من الدخل الذي يمكن أن يحصلوا عليه في حالة بيع تلك الممتلكات.

ومن ناحية أخرى لتحقيق التوازن كان من المسموح لليهود أن يوصوا بتحويل ممتلكاتهم الي مؤسسات تؤول للجماعة خاصة إذا كانوا يرغبون في الرحيل عن البلاد، ولذلك كانت فرصة ضياعها ضئيلة.

إن إقامة واستمرار دولة اسرائيل أوجد قيودًا جديدة في العلاقات بين بعض الأتراك المسلمين واليهود، حيث يتعاطف معظم المسلمين مع رغبة الفلسطينيين في إقامة دولة لهم، والواقع أن هناك شعورًا لم يكن ليقوى في الدولة التركية إذا لم تستمر السوق الأوربية المشتركة في اختلاق الذرائع التي تحرم تركيا من العضوية الكاملة وهو ما جعل العديد من الأتراك يعتقدون أن أوروبا المسيحية ترفض قبول تركيا؛ لأنها دولة، الأغلبية فيها مسلمون.

وكانت النتيجة أن بعض الدول المسلمة التي أقامت تركيا معها علاقات دبلوماسية وثيقة خلال الأعوام الاخيرة، وبخاصة ليبيا وإيران قامت علانية بتمويل الإصدارات المعادية للسامية وللعلمانية وللكمالية في تركيا، ومنها صحف عديدة تصدر في استانبول، حيث نشرت فيها تقارير صارخة مُعادية للسامية مثل صحف "Zaman زمان" و"Milli Gazete ميللي غزته" و"Vahdet وحدت" اليسارية، وأحيانًا كانت تنشر صحيفة "جمهوريت" الثقافية تعليقات مشابهة بسبب تأييدها القوي للعرب الفلسطينين، وعدائها لإسرائيل، وقامت الحكومة بإغلاق الصحف التي تنشر مقالات صارخة ومعادية؛ حفاظًا علي الأمن العام، وعلى العلاقات الطيبة التي بين مختلف الجماعات الدينية.

غير أن النتيجة كانت زيادة الهُجوم اللفظي علي اليهود، وخاصة من جانب المنظمات اليمينية المتطرفة ورجال السياسة، وخاصة أثناء الحملات الانتخابية حيث تُطبع شعارات معادية لليهود، علي الجدران في الشوارع، وتوزع منشورات في استانبول يتهمون فيها اليهود فى"Urfa" باستغلال الاقتصاد التركي، ومنذ وقت قريب أشاد

عمدة "اورفا" " ابراهيم خليل" الزعيم المحلي لحزب الرفاهşanly Urfa""شانلي اورفا"" اليمني بهتلر لإبادته اليهود، وأضاف تعليقات أخرى معادية للسامية أدانها "الرفاه Refah" وكل من الزعماء الأتراك واليهود علي حد سواء وبينما هناك علاقات وثيقة بين المسلمين واليهود من المتعلمين، علاقات في العمل و علاقات شخصية بدون إحساس أي من الطرفين بعداء للإسلام أو عداء للسامية- نجد هذا العداء موجودًا عند غير المتعلمين فى كل من الجانبين، ورغم ذلك لم يحدث أن اعتدى أي من الطرفين علي الآخر اعتداءً بدنيًا، والواقع أن معظم الساسة الأتراك لم يخوضوا في هذه المسالة؛ لأنهم يعرفون أن معظم الأتراك لن يستحسنوا هذا السلوك المعادي.

وهاجم الإرهابيون العرب كثيرًا ممثلي إسرائيل واليهود الأتراك ومؤسساتهم، ففي عام (1972م = 1392هـ) قام الإرهابيون بإطلاق الرصاص على "ييجال الروم Yigal Alrom " القنصل الإسرائيلي العام قي استانبول فأردوه قتيلا، وفي عام (1973م = 1393هـ) قام إرهابي عربي بإلقاء قنبلة على الجناح الإسرائيلي في المعرض التجاري الذي يعقد سنويًا في أزمير. والمأساة أن الأحداث وقعت في 6 سبتمبر (1986م = 1407هـ) عندما قام الإرهابيون العرب بقتل 23 من المُصَلِّين اليهود أثناء تأديتهم صلاة السبت الصباحية في غالاطة بإستانبول في معبد ""Neve Shalomنيفا شالوم" (وتم إعادة افتتاح المعبد مرة أخري بعد إجراء إصلاحات كثيرة فيه في 20 مايو (1987م = 1408هـ) وقد أثار هذا الاعتداء موجة من الرعب الشديد في تركيا، وتحولت جنازة هؤلاء اليهود التي ضمت معظم الساسةِ الأتراك والجمعيات الاجتماعية إلى مظاهرة اعتراض تركية لتهدئة مخاوف بعض اليهود الأتراك من أن يصبحوا عُرْضة للأذي من جانب الشعب التركي، وبالتحقيق في هذا الموضوع اكتشفت الحكومة التركية أن من ارتكب هذا الحادث جماعات إرهابية موالية لإيران، والتي تنشط ضمن الآلاف من اللاجئين الإيرانين في تركيا، وسعت الحكومة الي عدم تكرار مثل هذه الحوادث.

غير أن الثورة الموالية للعرب استمرت بين العرب الذين يعيشون في تركيا مما أدي مؤخرًا إلى إلقاء قنبلة صغيرة علي القنصلية الإسرائيلية العامة في استانبول في صيف (1989م = 1410هـ)، ونتيجة لذلك شعر العديد من اليهود الأتراك بعدم الراحة،

وحاولوا تجنب التواجد في الأماكن العامة والانزواء بقدر الإمكان.

وعلي الرغم من تأييد تركيا لقرارات الأمم المتحدة المُؤيدة لمطالب الفلسطينيين والمناهضة لإسرائيل، وبرغم الضغط الدبلوماسي والاقتصادي الذى تُمارسه الدول المُسْلمة حتي تقيم علاقات أفضل مع تركيا، استمرت تركيا في الاحتفاظ بعلاقتها الدبلوماسية مع إسرائيل، وتُعتبر تركيا من أوائل الدول التي اعترفت بها، وكان ذلك في 31 مارس عام (1949م =1369هـ) وهي الدولة المسلمة الوحيدة التي فعلت ذلك. كما احتفظت تركيا، بعلاقات اقتصادية قوية مع إسرائيل حيث استوردت في عام (1985م = 1406هـ) ما يقدر بـ 34,4 مليون دولار من البضائع الإسرائيلية، وتُعتبر من أكبر عملاء إسرائيل بعد الولايات المتحدة والسوق المشتركة، بينما يقدر ما تُصدِّره لإسرائيل ب 12,8 مليون دولار، وتصدر لها بصفة خاصة الكيماويات والأدوية والمواد الغذائية.

وتستمر تركيا في تقليدها الذي تنتهجه منذ زمن طويل في استقبال اللاجئين اليهود الفارين من الاضطهاد، حيث استقبلت مؤخرًا الآلاف، منهم الفارين من إيران والعراق، كما أن المفكرين الأتراك ومنهم العديد من أساتذة الجامعات احتفظوا بصلاتهم الوثيقة بنظرائهم في فلسطين، وكثيرا ما يبعثون إلى إسرائيل لعمل الأبحاث، ويستقبلون أيضًا الدارسين الإسرائيليين الذين يتدربون ويعملون في الأرشيفات والمكتبات التركية.

وبرغم المشاكل، فاليهود الأتراك مايزالون يشعرون بالراحة في وطنهم التركي، وهم يشعرون بالولاء للجمهورية التركية، ويشعرون بالاستياء تجاه الجماعات القومية غير اليهودية التى تُريد أن تفسد العلاقة بين اليهود الأتراك وغيرهم من الأتراك لتحقيق مآربهم الخاصة، حيث يزعمون أن اليهود الأتراك مضطهدون فى تركيا؛ لجذب تأييد اليهود العالمى، لتحقيق أهداف قومية خاصة بهم هم، ولم يلتفت أحد سواء فى تركيا أو فى أى مكان آخر بالعرض الأخير الذى تقدم به ملك إسبانيا بالسماح لليهود السفارديم أو " الشرقيين" بالعَوْدة إلى إسبانيا، ليُصبحوا مواطنين إسبان مرة أخرى

بعد خمسمائة عام فى المنفى، حتى إن هجرة اليهود الأتراك إلى إسرائيل توقفت باستثناء القليل منهم الذين يهاجرون الآن لاعتبارات خاصة بتحقيق فرص اقتصادية أوسع وإمكانهم إقامة مشروعات تجارية خاصة في إسرائيل، وليس لاعتبارات تتعلق بالشعور بالاضطهاد والتحيز ضدهم في تركيا.

والواقع أن هؤلاء اليهود الذين رحلوا عن تركيا واستقروا في إسرائيل وطنهم الجديد ظلوا محتفظين بأصولهم وتراثهم التركي، وهذا التراث لم يلم شملهم مع البعض فقط، بل دعاهم إلى الانضمام إلى منظمات للاحتفاظ بهذا التراث، وتذكر أيضًا ما حل بهم ومافعله الأتراك من أجلهم ومن أجل أسلافهم بعد طردهم من إسبانيا، كما ساعدوا الصحف الإسرائيلية التي تصدر باللغة الإسبانية اليهودية "الالودواسبانيا"aluz de Esbanye"و مدير البرامج الإسبانية اليهودية في إذاعة إسرائيل "كول اسرائيل" "kol Israel" "موشي شاؤول" "Moshe Shaul" علي السير وفق تقاليدهم التركية والاحتفاظ بها، وفي بعض الأحيان كان بعض هؤلاء المهاجرين الأتراك يُخصصون ثرواتهم التي اكتسبوها ليستفيد بها كافة الشعب التركي، وأوضح مثال علي ذلك حالة "موريس شناسي" "Morris Shinaci"المولود في "مانسيا" "Manisa"عام (1855م = 1303هـ) والذي هاجر إلي مصر ثم إلي الولايات المتحدة عام (1890م = 1401هـ) و كوَّن ثروة من اشتغاله في صناعة السيجار، فعقب وفاته في عام (1929م = 1348هـ) ترك ثروة هائلة فقامت زوجته ببناء مستشفى عام يحمل اسمه في "مانسيا" "Mansia" مسقط رأسه باسم "موريس شناسي چوچوك خاستنه سي Moris Sinansi Çoçuk Hastanesi" حيث ما تزال تعمل حتي الآن، ويستفيد منها جميع أطفال المدينة، وبعض هؤلاء اليهود الأتراك الذين ذهبوا إلى إسرائيل كانوا يعودون إلى تركيا مرة أخري، وهم لم يقيموا كمواطنين دائمين لكن على الأقل لإقامة جزء من أنشطتهم التجارية والترفيهية على الأرض التي قدمت لأجدادهم الذين التجأوا إليها الملجأ والملاذ الآمن، وأيضًا قدمت لهم الحرية التي مكنتهم من تغذية إرثهم الثقافي والديني وتطويره لقرون عديدة.

وتأسست"مؤسسة الاحتفال بذكرى الخمسمائة" "500 Yılı Vakif üncü" في

صيف (1989م = 1410هـ) لتنسيق احتفالات الأتراك من جميع الأديان بـذكرى هجـرة اليهود الأسبان إلى الدولة العثمانية عام (1492م = 898هـ) ورأس تلك المؤسسة رجـل الـصناعة المعـروف "جـاك في قمحـي" "Jak v. kamhi" وأعـضاؤها مـن كبـار الشخصيات التركية اليهودية والمسلمة، فمن أعضائها اليهود "دافيد آسيو" " "David Asseoرئيس الحاخامات "وألي آجيهان "Eli Aciman" من رُواد رجال الإعلانـات و"اسـحاق آلاتـون" "Ishak Alaton"وعُزَيْـر جـارح "üzeyir Garih"مـن رجـال الصناعة والفنان والشاعر "يوسف حبيب جريس" "Yosef Habib Gerez" و"نعيم جولريوز" "Naim Güleryüz"المؤرخ ومستشار الحاخامية الرئيسية وسامي كوهين "Sami Kohen"الـصحفي ورجـل الأعـمال.و الـصناعة "نـديم يحـي" " Nadim Yahy"و"فيتالي حقو" "Vitali Hakko"رئيس سلسلة محلات "فـاكو"ومـن أعـضائها المسلمين نجـات أجزاجـي باشـى "Nejat Eczaci basi"وصـاقب صـبانجي " Sakip Sabanci" وهمـا مـن رجـال الـصناعة المشهورين. وتوفيـق سراج اوغـلى وفـؤاد بـايرام اوغلى وبهجت تورامن (وهو سكرتير عام المؤسسة) وهم سفراء متقاعـدون، وآلتمـور قيليـج"Altamur Kilis" رئيس تحرير الـصحيفة القومية (ترجمان) وهـو ابـن قيليـج الذى يعد أحد الشخصيات الهامة التى شاركت فى حرب الاستقلال التركيـة، والمـؤرخ شناسى أُوْريل "Şinasi Overl" الذى كان وزيرًا للتعليم سابقًا.

والحقيقة أن الحماس والتفانى والإخلاص الذى بدا على اليهود الأتـراك وكثير من أصـدقائهم فى جميـع أنحـاء العـالم فى احتفـالاتهم الخاصـة بالـذكرى المئوية الخامسة لنفيهم من إسبانيا ووصولهم إلى الدولة العثمانية لهو دليل واضح على هذا التراث.

* * *

تعليقات وهوامش الفصل الخامس

لقد رضخ اليهود للمبادىء الكمالية والعلمانية. وقدمت الدولة التركية بخاصة والمسلمون بعامة بمد يد العون والمساعدة فى إنقاذ اليهود الأوروبين من النازين، وقدمت الدولة لهم المساعدات الكبيرة فى نقل العديد من المهاجرين اليهود من أوروبا إلى فلسطين عبر أدرنة وسالونيك. وبعد تولى النازيون لزمام الأمور فى ألمانيا والنمسا قامت تركيا الجمهورية بإيواء العديد من اللاجئين؛ هربًا من الاضهاد فى أوروبا .. وكان هؤلاء الناجون يتولون العديد من المناصب فى تركيا، حدث هذا فى تركيا الجمهورية، كما كان قد حدث ليهود إسبانيا فى العصر العثمانى :(انظر: أحمد آق كوندوز. مرجع سبق ذكره فى المقدمة) فهل يا تُرى حفظ اليهود الجميل للأتراك ..؟.. إن سوء تصرف اليهود فى تركيا أدى إلى ظهور تيار معادٍ لهم وللسامية، وقاد هذا التيار جواد رفعت آتيلخان فى جريدة الأناضول مما دفع بكمال أتاتورك بمصادرتها بعد شهور قليلة من صدورها.. بل وصادرت الحكومة كافة الصحف التى أخذت تهاجم اليهود، وزجت بجواد رفعت اتيلخان ورفاقة إلى غياهب السجون.

ذكر المؤلف أن عمدة "القدس الإسرائيلية" تيدى كوليك وموشيه شيرتوك...

ألم يدرك المؤلف أن القدس لم تكن إسرائيلية ولن تكون إسرائيلية؟!.. بل طوال التاريخ والقدس عربية إسلامية، ولن تكون غير ذلك مهما مرت السنون.. ومهما أُريقت فى سبيلها الدماء.

*- يهود الدونمة:

هم أتباع ستاى سيفى الذى سبق الحديث عنه والاسم مشتق من المصدر (دومنك) فى اللغة التركية الذى يعنى التحول عنه.. وهم الذين تحولوا عن اليهودية إلى الإسلام ظاهريًا.. ومازالت لهم عاداتهم وأعرافهم ومحافلهم فى ازمير واستانبول، وظاهرياً وحتى لو سُمَّى أحدهم بـ"محمد"فهم لا ينطقونها هكذا بل (مامت= memet) أى لم يمت، أى أن زعيمهم سيفى لم يمت، وسيعود مرة أخرى حسب اعتقادهم ومراسمهم.

يتسمون بأسماء تركية إسلامية وهم مسيطرون على الإعلام ووسائل الدعاية والإعلان، كما أنهم من كبار رجال الأعمال، ولهم أدوار مشبوهة فى المجتمع التركى، والترويج لعلاقات مميزة مع الكيان الصهيونى وللوبى اليهودى فى شتى دول العالم.

*- الإرهابيون العرب:

تحدث المؤلف عن الكفاح الوطنى الفلسطينى ووصفهم بالإرهابيين العرب.. وتغاضى تمامًا عن كل ما قامت به إسرائيل من إبادة فى دير ياسين واغتيالات واعتقالات للفلسطينين، ولم يشر على الإطلاق إلى حريق المسجد الأقصى، ومحاولات تهويد كل المؤسسات الإسلامية والتركية الإسلامية التى كان لها وجود فى فلسطين منذ الفتح العربى، وضم السلطان ياووز سليم لفلسطين 1517م=923هـ. ولم يشر إلى فرمان السلطان سليم الذى أمن فيه اليهود على خياتهم وأملاكهم، ولم يتحدث عن هدم إسرائيل لقصر الحاكم العثمانى فى فلسطين.. فأى حياد هذا.. وأى مؤرخ هو ستانفورج شو...؟

* * *

الفصل السادس

الملاحـــق
كبيرو حاخامات استانبول
و السلطنة العثمانية



الملاحق

كبيرو حاخامات استانبول والسلطنة العثمانية

ملحق (1)

الحاخام الأعظم فى استانبول والسلطنة العثمانية:

موسر كاباسالى (1453– 1495 م)

إليخا مزراحى (1495– 1535 م)

كبيرو حاخامات استانبول:

- تام بن يحيى (1542م)
- إيلى بنيامين حا ليفى (من بعد عام 1540م)
- مناحم باخر شامويل
- إيلى بن حاييم (من بعد عام 1602م)
- ياخيل باسان (1625م)
- جوزيف مطرانى (1625– 1639م)
- يوموتوف بن يعيش (1639– 1660م)
- يوموتوف بن حنانيا بنياكار (1660– 1677م)
- حاييم كامهى (1730م)
- چودا بن راى (بعد عام 1721م)
- چودا بن صامويل روزانيس (حتى عام 1727م)
- صامويل ليفى (1727م)
- أبراهام بن حاييم روزانيس (1745م)
- صولمون حاييم ألفاندارى (الحاخام الأعظم فى بلاط مصطفى الثالث) (1757– 1774م)

- مير إسحاقى
- إيلى بالومبو (1762م)
- حاييم يعقوب بنياكار (كان لا يزال يعمل فى عام 1807م)

كبيرو حاخامات استانبول والسلطنة العثمانية:

- أبراهام حا ليفى (1835–1836م)
- شامويل حاييم (1837–1839م)
- موشي فريسكو (1839–1841م)
- چاكوب بيهار دافيد (1841–1854م)
- حاييم حا كوهين (1854–1860م)
- يعقوب أفيجدور (1860–1863م)
- ياكير جيرون (1863–1872م)
- موشى ليفى (1872–1908م)
- حاييم ناحوم (1908–1920م)
- شابتاى ليفى (1918–1919م)
- إسحاق آرايبل (1919–1920م)

رؤوساء الحاخامات فى الجمهورية التركية:

- حاييم موشى بيچيرانو (1920 - 1931م)
- رافاييل دلفيد صابان (1940–1960م)
- دلفيد آصيو (1961م - ؟؟؟؟؟)

* * *

ملحق (2)

تعداد السكان فى السلطنة العثمانية فى أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين حسب التقارير الرسمية للديوان العثمانى:

1- أعداد سكان السلطنة:

السنة	المجموع	اليهود	المسلمون	أرمن أرثوذكس	يونان أرثوذكس
1883	17375225	184139	988887	12585980	2329776
1897	19050307	215425	14111945	1042374	2569912
1908	20947617	256003	15518478	1050513	2822773
1914	18520016	187073	15044846	1294851	1792206

2- ضواحي استانبول (استانبول، الجزر، بي اوغلى، بوسبوروس، أوسكودار، شيلا):

السنة	المجموع	اليهود	المسلمون	أرمن أرثوذكس	يونان أرثوذكس
1844	331647	24447	170551	77348	70118
1856-7	378069	26301	181174	72173	85631
1880-1	381376	26595	214753	61605	68006
1883	873565	44361	384910	149550	152741
1897	903482	45364	520194	158131	161867
1908	782231	47779	370343	59963	157165
1914	909978	52126	560434	72962	205375

3- شِهِر إمانة مدن (چكمجه، جيبزو، كارتال، شيله، ادلار):

السنة	المجموع	اليهود	المسلمون	أرمن أرثوذكس	يونان أرثوذكس
1883	80699	66	40455	2809	35268
1908	82335	-	61320	1736	19277

4- سنجق چاتلاجه (چاتلاجه، بويوك چكمجه، سيليڤرى):

السنة	المجموع	اليهود	المسلمون	أرمن أرثوذكس	يونان أرثوذكس
1883	58822	966	15091	899	35848
1897	61001	1003	16320	929	36520
1908	76529	1766	23128	996	44325
1914	59756	1480	20048	842	36797

5 – ضواحي أدرنة (أدرنة، كيركلرلي، تكفورداغي، جاليبولي):

السنة	المجموع	اليهود	المسلمون	أرمن أرثوذكس	يونان أرثوذكس
1831	421721	2128	158249	247666	13678
1883	836045	13721	434366	16642	267214
1897	985962	16357	539031	17978	288968
1908	11543444	23939	639189	25954	340788
1914	631094	22515	360417	19725	224459

6 – ضواحي سالونيكا (سالونيكا، سيروز، دراما):

السنة	المجموع	اليهود	المسلمون	أرمن أرثوذكس	يونان أرثوذكس
1831	240411	5915	100249	127200	7047
1883	990400	37206	447864	201	277237
1897	1038953	43423	452175	54	294624
1908	922359	52395	419604	637	263881

7 – ضواحي موناستير (موناستير، ديبره، إلباسان):

السنة	المجموع	اليهود	المسلمون	أرمن أرثوذكس	يونان أرثوذكس
1883	664399	5072	225534	29	227766
1897	711466	5914	252962	22	272205
1908	824808	5459	328531	8	286001

8 – ضواحي يانيا (چانينا):

السنة	المجموع	اليهود	المسلمون	أرمن أرثوذكس	يونان أرثوذكس
1883	516467	3677	225416	-	286294
1897	516681	4144	221475	-	287812
1908	516461	3672	226131	-	285624

9- ضواحي إشكودرا (سيكتواري):

السنة	المجموع	اليهود	المسلمون	أرمن أرثوذكس	يونان أرثوذكس
1883	87372	-	78600	-	5913
1897	87529	-	78999	-	5804
1908	89848	-	81222	6	6098

10 - كوسوفو:

السنة	المجموع	اليهود	المسلمون	أرمن أرثوذكس	يونان أرثوذكس
1883	721342	1711	409732	-	29393
1897	754634	1885	432178	1	36420
1908	708163	1668	398814	1	30785

11 - ضواحي جزر بحرايجه:

السنة	المجموع	اليهود	المسلمون	أرمن أرثوذكس	يونان أرثوذكس
1883	264374	2956	28483	83	226590
1897	286736	3033	30578	10	253066
1908	364222	4762	37601	131	316841

12 - سنجق بيجا:

السنة	المجموع	اليهود	المسلمون	أرمن أرثوذكس	يونان أرثوذكس
1883	118824	1755	99468	1731	15100
1908	169622	-	138804	2336	23337

13 - ضواحي إرضروم (إرزنجان، ريفاخية، بايزيد، إرضروم):

السنة	المجموع	اليهود	المسلمون	أرمن أرثوذكس	يونان أرثوذكس
1883	394968	-	312306	73857	3356
1897	637015	3	513446	109817	3296
1908	675855	10	551506	110310	5822
1914	815432	10	673297	125657	4859

14 - ضواحي آدانه (آدانه، خاقين، قوزان، قارص، حلب، تارسوس، جيهان):

السنة	المجموع	اليهود	المسلمون	أرمن أرثوذكس	يونان أرثوذكس
1883	384365	-	350376	32815	6262
1897	398764	-	335912	32879	5886
1908	504426	98	435825	47047	11067
1914	411023	66	341903	50139	8537

15 - ضواحي أنقرة (أنقرة، چروم، كيرشهير، يوزجات):

السنة	المجموع	اليهود	المسلمون	أرمن أرثوذكس	يونان أرثوذكس
1883	847482	415	735766	67790	23708
1897	1018826	693	895196	74031	36767
1908	1157131	1265	1011566	89780	41776
1914	953817	1026	877285	44507	20226

16 - ضواحي آيدين (آيدين، بيرجاما، مينيمن، ماغنيسا، دينزلي، موش):

السنة	المجموع	اليهود	المسلمون	أرمن أرثوذكس	يونان أرثوذكس
1883	1408387	22273	1118496	13940	195431
1897	1478424	27701	1203776	14092	229598
1908	1727287	32761	1313011	36542	284905
1914	1608742	35041	1249067	19395	299096

17 - ضواحي بيتليس (بيتليس، سِرت، جينج، موش، ساسون، مالازجِرد):

السنة	المجموع	اليهود	المسلمون	أرمن أرثوذكس	يونان أرثوذكس
1883	276998	-	167054	101358	-
1897	338642	-	224772	101586	-
1908	301915	-	197906	90176	-
1914	437479	-	309999	119132	-

18 - ضواحي بيروت (بيروت، نابلس، آجر، اللاذقيه، طرابلس):

السنة	المجموع	اليهود	المسلمون	أرمن أرثوذكس	يونان أرثوذكس
1883	568014	3541	462034	86	54976
1897	338642	8825	505019	89	57131
1908	561619	8098	459100	18	51731
1914	824873	15052	648314	1188	87244

19 - ضواحي آليبو (آليبو، إسكندرونه، أنطاكيا، أنتيب، كيليس):

السنة	المجموع	اليهود	المسلمون	أرمن أرثوذكس	يونان أرثوذكس
1883	787714	9913	684599	52407	7552
1897	819238	10761	712585	53465	7816
1908	877682	11664	750212	64358	8920
1914	667790	12193	576320	35104	13772

20 - ضواحي خودڤيندجار (بورصه) (بورصه، إينجول، ينيشيهر):

السنة	المجموع	اليهود	المسلمون	أرمن أرثوذكس	يونان أرثوذكس
1883	1336492	3037	1132761	46823	133017
1897	1454294	3393	1234304	65777	144138
1908	1691277	4337	1430498	77865	166368
1914	616227	4126	474114	58921	74927

21 – ضواحي ديار بكر (دياربكر، ماردين، سيڤيرك، ڤيرانشهر):

السنة	المجموع	اليهود	المسلمون	أرمن أرثوذكس	يونان أرثوذكس
1883	368970	1051	289591	46823	1010
1897	414652	329843	46202	1421	37186
1908	394123	1165	315569	43524	1125
1914	619825	2085	492101	55890	1822

22 – ضواحي سوريا (بعلبك، بِقاع، حوران، دمشق، حما):

السنة	المجموع	اليهود	المسلمون	أرمن أرثوذكس	يونان أرثوذكس
1883	400748	6277	338931	199	29399
1897	551134	6897	476434	336	35720
1908	478775	9535	407999	360	33170
1914	918409	10140	791582	413	60978

23 – ضواحي طرابلس:

السنة	المجموع	اليهود	المسلمون	أرمن أرثوذكس	يونان أرثوذكس
1908	444650	12155	431520	60	780

24 – ضواحي بغداد:

السنة	المجموع	اليهود	المسلمون	أرمن أرثوذكس	يونان أرثوذكس
1883	197756	12715	150108	349	33270
1897	187285	14567	171398	256	1064
1908	178178	13715	162943	383	1237

25- ضواحي البصرة:

السنة	المجموع	اليهود	المسلمون	أرمن أرثوذكس	يونان أرثوذكس
1883	8853	421	8145	35	8601
1897	80071	441	79261	33	5
1908	10270	440	9460	36	9870

26 – ضواحي الموصل:

السنة	المجموع	اليهود	المسلمون	أرمن أرثوذكس	يونان أرثوذكس
1883	186111	4286	164593	45	21197
1897	198288	4568	186818	74	13
1908	161148	4165	148162	45	3

27– ضواحي سيواس (سيواس، أماسيا، قره يسراسهيب، مرزيفون):

السنة	المجموع	اليهود	المسلمون	أرمن أرثوذكس	يونان أرثوذكس
1883	926564	209	766559	116266	37813
1897	980876	253	807651	123204	42123
1908	1193679	299	973480	145046	65690
1914	1169443	344	939735	143406	75324

28– ضواحي طرابزون (طرابزون، لازيستان، غوموشخان، أوردو، أووف):

السنة	المجموع	اليهود	المسلمون	أرمن أرثوذكس	يونان أرثوذكس
1883	1056293	5	857343	41780	155039
1897	1164595	1	933728	47196	181044
1908	1342778	37	1071988	50055	215474
1914	1122947	8	921128	37049	161574

29– ضواحي قطموني (قطموني، كانجيري، سينوب، سفرانبلو):

السنة	المجموع	اليهود	المسلمون	أرمن أرثوذكس	يونان أرثوذكس
1883	949116	-	292300	3373	14539
1897	968884	-	945192	6646	17040
1908	1105419	67	1072240	9809	22861
1914	767227	8	737302	8959	20958

30– ضواحي قونيه (قونيه، بوردر، إسبرطه، أقشهير، قاراغاچ):

السنة	المجموع	اليهود	المسلمون	أرمن أرثوذكس	يونان أرثوذكس
1883	944009	216	877226	9813	56534
1897	1022834	258	942932	10587	68101
1908	1249777	262	1145713	15537	86561
1914	879308	4	750712	12971	25071

31– ضواحي مأمورة العزيز (مالاطيه، خاربوت، درسم، مأمورة العزيز):

السنة	المجموع	اليهود	المسلمون	أرمن أرثوذكس	يونان أرثوذكس
1883	381346	2	300188	73178	543
1897	466597	1	380092	74204	966
1908	474370	-	390794	67512	651
1914	538227	446379	76070	971	143420

32- ضواحي ڤان (ڤان، حاقاري) :

السنة	المجموع	اليهود	المسلمون	أرمن أرثوذكس	يونان أرثوذكس
1883	119860	-	59412	60448	-
1897	132007	-	55051	-	-
1908	113964	-	54576	59382	6003
1914	259141	1383	189380	67792	596

33- ضواحي إسكيشهير (إسكيشهير، سيفري حصار، مهاليجاك):

السنة	المجموع	اليهود	المسلمون	أرمن أرثوذكس	يونان أرثوذكس
1914	152726	728	140578	8276	2613

34- ضواحي أنطاليا (أنطاليا، ألمالي، آلاى):

السنة	المجموع	اليهود	المسلمون	أرمن أرثوذكس	يونان أرثوذكس
1914	249686	250	235762	630	12385

35- ضواحي أورفا (أورفا، بيرجيك، راكا، حوران):

السنة	المجموع	اليهود	المسلمون	أرمن أرثوذكس	يونان أرثوذكس
1914	170988	865	149384	15161	2

36- ضواحي إيچ:

السنة	المجموع	اليهود	المسلمون	أرمن أرثوذكس	يونان أرثوذكس
1914	105194	10	102034	341	2500

37- ضواحي إزميت (إزميت، أدبزاري، جييف، إزنيك، كارامورسل):

السنة	المجموع	اليهود	المسلمون	أرمن أرثوذكس	يونان أرثوذكس
1883	195659	169	132517	37220	23708
1897	228443	199	155565	43611	27722
1908	290504	341	200660	51145	35866
1914	325153	428	226859	55403	40048

38- ضواحي بولو (بولو، إرجلي، دوزجه، زونجلداك):

السنة	المجموع	اليهود	المسلمون	أرمن أرثوذكس	يونان أرثوذكس
1914	408648	20	399281	2961	5146

39- ضواحي جانيك (جانيك، بافارا، فاتسا، چرشنبه):

السنة	المجموع	اليهود	المسلمون	أرمن أرثوذكس	يونان أرثوذكس
1914	393302	37	265950	27058	98739

40- ضواحي زور:

السنة	المجموع	اليهود	المسلمون	أرمن أرثوذكس	يونان أرثوذكس
1883	38652	2	33863	83	4705
1897	51260	2	50767	365	2
1908	60854	3	60373	60	12
1914	66294	2	65779	67	18

41- ضواحي القدس (القدس، حيفا، غزة، الخليل):

السنة	المجموع	اليهود	المسلمون	أرمن أرثوذكس	يونان أرثوذكس
1883	234774	8110	199613	939	16706
1897	258860	11909	217346	825	19070
1908	231209	7883	197701	706	15885
1914	328168	21259	266044	1310	26035

42- ضواحي كاراحصارصاحب (كاراحصارصاحب، بولـفادين، العزيزية):

السنة	المجموع	اليهود	المسلمون	أرمن أرثوذكس	يونان أرثوذكس
1914	285820	7	277659	7437	632

43- ضواحي قيسري:

السنة	المجموع	اليهود	المسلمون	أرمن أرثوذكس	يونان أرثوذكس
1914	263074	184292	52192	26590	25600

44- ضواحي سلطنة كالاي:

السنة	المجموع	اليهود	المسلمون	أرمن أرثوذكس	يونان أرثوذكس
1914	165815	3642	149303	2541	8550

45- ضواحي كاريسي:

السنة	المجموع	اليهود	المسلمون	أرمن أرثوذكس	يونان أرثوذكس
1914	472970	362	359804	8704	97497

46- ضواحي قطاحيه:

السنة	المجموع	اليهود	المسلمون	أرمن أرثوذكس	يونان أرثوذكس
1914	316894	303348	4548	8755	6751
1914	192555	251	152645	38433	34

48 – ضواحي منتشه:

السنة	المجموع	اليهود	المسلمون	أرمن أرثوذكس	يونان أرثوذكس
1914	210874	1615	188916	12	19923

49 – ضواحي نغد:

السنة	المجموع	اليهود	المسلمون	أرمن أرثوذكس	يونان أرثوذكس
1914	291117	227100	5705	58312	-

* * *

الفهرس



الفهرس

* * *